

# موسوعة مصر القديمة

## الجزء الأول

في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العصر الإهناسي

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١  
مكتبة الأسرة  
برعاية السيدة سوزان مبارك  
( موسوعة مصر القديمة )

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية  
وزارة الثقافة  
وزارة الإعلام  
وزارة التربية والتعليم  
وزارة الإدارة المحلية  
وزارة الشباب  
التنفيذ : هيئة الكتاب  
والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الجزء الأول

سليم حسن

الغلاف

والإشراف الفنى :

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

## على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها .. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً ويسع فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بشراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية .. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء) . وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات .

د. سمير هرحان

## تقديم

هذه الموسوعة التاريخية القيمة، لا غنى عنها لكل المتخصصين والدارسين لتاريخ مصر القديم والآثار المصرية القديمة.. ولا غنى عنها أيضاً لكل المثقفين الراغبين فى التزود بالمعرفة التاريخية لجذور الحضارة المصرية التى تغلغت بين الشعوب التى تسكن أراضى المنطقة الجغرافية الواسعة الممتدة من مصر إلى بلاد النوبة والسودان وليبيا والمناطق السورية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط واليونان.

ومؤلف هذه الموسوعة الضخمة هو الأستاذ الدكتور سليم حسن.. وهو من أوائل المصريين الذين أسسوا علم الآثار المصرية فى اللغة العربية.. بل هو الثانى فى الترتيب بين ثلاثة من العلماء المصريين الأفاضل وهم:

الرائد الأول أحمد كمال باشا، وسليم حسن، وعالم الآثار الشامخ سامى جبرة.

وهم الذين جمعوا بين العمل الكشفى بالحفائر الأثرية التى قاموا بها فى مختلف المناطق الأثرية فى مصر، واكتشفوا آثاراً رائعة جديدة، وأثروا علم «الآركيولوجى - علم الآثار، وعلم «الأنثروبولوجى - علم دراسة حضارة الإنسان، بما كتبوه وصنفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن تلك الآثار التى اكتشفوها، وعن الآثار الأخرى التى لم تكن لها تسجيلات علمية، وأيضاً بما ألفوه من بحوث علمية تتناول تاريخ مصر القديمة من كافة النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.



ويتتبع السيرة الذاتية للدكتور سليم حسن مؤلف هذه الموسوعة، نلاحظ على الفور أننا أمام عبقرية شخصية مصرية فذة تتميز بالوطنية الصادقة والشجاعة النادرة والمقدرة الفائقة على العمل والبحث والدراسة على مدى ثمانية وستين عاماً هي العمر الذي عاشه في خدمة العلم والتاريخ والآثار.. فقد ولد في ٨ أبريل ١٨٩٣م في قرية ميت ناجي التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وانتقل إلى رحمة الله في ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.. وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩م، وحصل على دبلوم المعلمين، والتحق بالمدرسة المسائية العليا لدراسة الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة التي أنشأها أحمد كمال باشا، وحصل على دبلوم الدراسات العليا.

وفي عام ١٩١٩م عمل مدرساً في مدرسة أسيوط الثانوية، ثم في مدرسة الناصرية بالقاهرة، واختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المصري المقررة على مختلف مراحل التعليم في المدارس المصرية.. وفي عام ١٩٢١ عين في وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصري بالقاهرة، ثم أوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣م، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤م.. وفي أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا بجامعة السوربون بباريس.

وعندما عاد إلى مصر عين أستاذاً لكرسي الآثار عام ١٩٣٥م، وأتيح له عندئذ القيام بحفائر أثرية ضخمة لحساب المتحف المصري وجامعة فؤاد الأول في منطقة الأهرام وأبى الهول بالجيزة وفي منطقة سقارة، حيث اكتشف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد

والقطع الأثرية التى ألفت الأضواء العلمية على تطور نظام الحكومة والإدارة والنظم الاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة.. كما قام بعدة رحلات كشفية إلى بلاد النوبة حيث أجرى مجموعة من الحفائر أسفرت عن اكتشافات أثرية هامة.

وفى عام ١٩٣٦ م عين وكيلًا لمصلحة الآثار المصرية، وهو أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً على العلماء الأجانب، الأمر الذى أثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده.. وكان الدكتور سليم حسن قد اتصل بالقصر الملكى لإسترداد مجموعة القطع الأثرية التى كانت فى حيازة الملك فؤاد الأول فأعادها الملك إليه لعرضها بالمتحف المصرى بالقاهرة.. ولكن عندما تولى الملك فاروق عرش مصر بعد وفاة أبيه طالبه بإرجاع هذه القطع الأثرية باعتبارها من الممتلكات الخاصة لأبيه، فرفض الدكتور سليم حسن هذا الطلب وازدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى أن صدر قرار بإحالته إلى المعاش عام ١٩٣٩ م، وكان عمره آنذاك حوالى ستة وأربعين عاماً.

وكان هذا القرار بإحالته إلى المعاش فاتحة خير للدكتور سليم حسن، حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى، فانكب على تأليف تلك الموسوعة التاريخية الرائعة التى تتكون من ١٦ جزءاً، وتأليف كتابه القيم فى الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة الذى يتكون من جزئين، بالإضافة إلى البحوث العلمية التى تنشر فيها اكتشافاته الأثرية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية. كما نشر ترجمة عربية لكتابه العلمى عن أسرار أبى الهول الذى كان قد كتبه باللغة الإنجليزية، كما أصدر أيضاً كتابين عن تاريخ أوروبا وتركيا. كما

ترجم إلى اللغة العربية كتاب بريستيد عن «فجر الضمير» .. وهكذا بلغت أعماله حوالى ٥٠ عملاً ما بين مقالات وبحوث علمية وكتب.

وكان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد تعاطف مع هذا العالم الجليل وتفهم قدره الذى يشرف مصر والمصريين، فأصدر قراراً بإيفاده لزيارة متاحف العالم التى تعرض مجموعات من القطع الأثرية المصرية .. كما أصدر قراراً بتعيينه مستشاراً للمتحف المصرى بالقاهرة عام ١٩٥٩م.

وفى عام ١٩٦٠م كرمته «أكاديمية نيويورك» التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة فانتخبته عضواً فيها بأجماع الأصوات.

هذا وتعتبر موسوعة الدكتور سليم حسن، التى نقدم أجزاءها فى هذا التقديم المختصر، أعظم موسوعة فى التاريخ المصرى القديم وتاريخ الحضارة المصرية القديمة، فهى تعد الموسوعة المتكاملة الوحيدة - فى أية لغة من لغات العالم - التى وضعها وصنّفها عالم واحد بمفرده، تناول فيها شرحاً دقيقاً وتحليلاً مستفيضاً عن مراحل وتاريخ الحضارة المصرية بدءاً من عصور ما قبل التاريخ حتى قرب نهاية العصر البطلمى.

وبالرغم مما يقال - حقيقة وصدقاً - إن علم الآثار يعتبر من العلوم المتجددة باستمرار بسبب ما يتم كشفه تباعاً من آثار جديدة قد تؤدى إلى تصويب ما كان مستقراً من قبل من معلومات أثرية ، وبسبب التفسيرات الحديثة لقواعد اللغة ونصوصها القديمة مما قد يؤدى أيضاً إلى إعادة النظر فى المعانى والتفسيرات السابقة ، إلا أن موسوعة الدكتور سليم حسن قد أسست فى اللغة العربية دراسة علم الأنثروبولوجيا التاريخية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية باحتوائها

على الدراسات والبحوث المتعلقة بعلاقة الثقافة الشعبية المصرية المعاصرة بالتراث المصرى القديم ورموزه الطوطمية والعقائدية ، كما أثبتت مدى تأثير اللغة المصرية القديمة فى اللغة المصرية العامية الدارجة ، وتأثيرها أيضا فى مجال موروّثات الأدب الشعبى .

هذا ويمكن - من الناحية العلمية - اعتبار هذه الموسوعة الجليلة تصنيفاً واضحاً لمدرسة مصرية صميمة وأصيلة فى فلسفة التاريخ .

ونقدم فيما يلى عرضاً موجزاً غاية الإيجاز لعناوين كل جزء من الأجزاء الستة عشر التى تتكون منها هذه الموسوعة مع عرض للبحوث والموضوعات التى يتضمنها كل جزء من هذه الأجزاء، علماً بأن عدد الصفحات الاجمالية لهذه الموسوعة يتجاوز ١٢ ألف صفحة .

### الجزء الأول وعنوانه :

#### من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الإهناسى

ويتضمن معلومات غزيرة وقيّمة عن عصور ما قبل التاريخ، والعصور الحجرية [القديم والمتوسط والحديث]، وعصر المعادن، وحضارة كل من الوجه البحرى والوجه القبلى، وتاريخ الفنون فى تلك الحقبة التاريخية، وظهور رموز وعلامات وحروف اللغة المصرية القديمة، ودراسة أصل المصريين الأوائل، وقيام هؤلاء المصريين الأوائل بتنظيم وابتداع تقويم السنة الشمسية، وبداية وحدة مصر، وأصول الديانة المصرية، وبداية العصر العتيق، الذى يتضمن الأسرتين الأولى والثانية، ثم يليه عصر الدولة القديمة، الذى يتضمن الأسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة .. مع بيان أسماء وتواريخ الملوك فى جميع هذه الأسرات .. وانتهاء عصر الدولة القديم بثورة اجتماعية عارمة استغرقت تاريخ الأسرات من السابعة حتى العاشرة .

## الجزء الثانى وعنوانه :

فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهنسى

ويتضمن هذا الجزء دراسة ممتعة عن تنظيم الحكومة المركزية فى عصر الدولة القديمة والحكومات الفرعية المحلية فى المقاطعات والأقاليم المصرية، والسلطة القضائية، والثروات الطبيعية فى مصر، والنباتات والحبوب وبساتين الفواكه، والآلات الزراعية التى كان يستخدمها الفلاحون القدماء، وطرق صيد الحيوان واستئجاره واستخدام لحومه وجلوده وفرائه، ومبادئ الرفق بالحيوان، وأسماء النيل والبحيرات وطرق صيدها والأدوات المستخدمة فى الصيد، ودراسة عن الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، والمعادن، ونظم قشون الاجتماعية، وطرق المواصلات، وتجارة مصر الخارجية، والفنون والحرف، والكتابة وتطور الأدب المصرى القديم، والشعر والأغنى، وتنظيم الجيوش المصرية والحروب التى خاضتها مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، والنظام الاجتماعى للأسرة المصرية.

## الجزء الثالث وعنوانه :

العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية وليبيا.

ويتضمن تاريخ الأسرة الحادية عشرة وأسماء ملوكها الذين حاربوا لإعادة وحدة الأقاليم المصرية.. وتاريخ الأسرة الثانية عشرة وأسماء ملوكها والآثار التى تركوها، والحروب التى خاضوها خارج مصر، والتحصينات التى أقاموها فى النوبة والبلاد الآسيوية، وعلاقة مصر بجزر البحر المتوسط، ودراسة ممتازة عن الرخاء الاجتماعى فى عصر هذه الأسرة، مع دراسة متوسعة عن العمارة وفن النحت

وازدهار الأدب المصرى، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتعميم المسؤولية عن السلوكيات الأخلاقية، والعقائد الدينية التى سادت فى ذلك العصر.

## الجزء الرابع وعنوانه :

### عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية

ويتضمن هذا الجزء دراسة عن حالة ضعف نظام الحكم فى عصر الأسرة الثالثة عشرة مما أتاح الفرصة أمام قبائل الهكسوس الرعاة التى تسالت إلى مصر أن تفرض سيطرتها وتستولى على حكم البلاد.. ويفرد المؤلف بحثاً مستفيضاً عن تاريخ الفترة التى وقعت فيها مصر تحت حكم ملوك هذه القبائل.. وكيف تولدت روح المقاومة لدى الشعب المصرى ضد هذا الاحتلال البغيض.. وكيف بدأ ملوك الأسرة السابعة عشرة فى شن الهجمات والدخول فى معارك ضد المحتلين حتى تمكن الملك «أحمس الأول» من طردهم خارج البلاد، وأسس الأسرة الثامنة عشرة. ويستعرض المؤلف تفاصيل القسم الأول من تاريخ هذه الأسرة المتضمن تاريخ الملوك: أمنحوتب الأول، وتحوتمس الأول، وتحوتمس الثانى، والملكة حتشبسوت، وتحوتمس الثالث عبقرى العسكرية المصرية ومؤسس الإمبراطورية المصرية.. ثم تاريخ ابنه أمنحوتب الثانى الذى تولى الملك بعده. كما أفرد المؤلف دراسات مستفيضة عن نظام الحكم واختصاصات الموظفين، والحياة الاجتماعية فى عصور هؤلاء الملوك.

## الجزء الخامس وعنوانه :

### السيادة العالمية والتوحيد

فى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تفاصيل القسم الثانى من تاريخ ملوك الأسرة الثامنة عشرة، بادئاً بالملك تحوتمس الرابع، ثم

أمنحوتب الثالث، ثم أمنحوتب الرابع «أخناتون» ، وسمنخ كلرع، ونفرتيتى، وتوت عنخ أمون، والملك آى، وحورام حب .. مع دراسات تفصيلية عن نظام الحكم فى عهود هؤلاء الملك مع التركيز على عصر أخناتون وديانة التوحيد التى نادى بها والثورة اللغوية والأدبية التى قادها.

## الجزء السادس وعنوانه :

### عصر رمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية

وفى هذا الجزء يستعرض المؤلف تفاصيل بداية عصر الأسرة التاسعة عشر التى بدأها الملك رمسيس الأول، وتلاه ابنه الملك المحارب سبتي الأول وماشيده من آثار تتمثل فى المنشآت المدنية والمعابد الدينية ، ومقبرته العظيمة بوادى الملوك، مع دراسة مفصلة عن حروبه ونظام الحكم فى عهده .. ويفرد المؤلف أكثر من ٥٠٠ صفحة من هذا الجزء ليقدم فيها دراسات واسعة عن عهد رمسيس الثانى الذى أعاد أمجاد الامبراطورية المصرية، وأضاف إليها المزيد من مناطق النفوذ، وسجل معاركه الحربية الخالدة وعلى رأسها معركة «قادش» التى انتصر فيها على الحيثيين ، وعقد معهم تلك المعاهدة الدبلوماسية الشهيرة. كما وصف المؤلف نظام الحكم فى عهده والمنشآت الدينية الضخمة التى أقامها فى بلاد النوبة وفى معظم أنحاء القطر المصرى، وعلى رأسها المعبد الشامخ فى أبى سمبل، والمنشآت الإضافية الضخمة بمعبد الأقصر، ومعبد الرمسيوم بغرب طيبة .. وأردف المؤلف بدراسة متوسعة عن أبناء رمسيس الثانى وبناته، وعن علاقة مصر التجارية بآسيا الصغرى وسائر أقاليم الامبراطورية، وعن المستوى الحضارى الذى بلغته مصر فى عهده.

## الجزء السابع وعنوانه :

### عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة فى تاريخ ليبيا

يبدأ هذا الجزء باستكمال دراسة تاريخ بقية ملوك الأسرة التاسعة عشرة من أبناء رمسيس الثانى وأحفاده وعلى رأسهم الملك مرنبتاح الذى قاد حروبا ضارية ضد الليبيين وشعوب البحر المتوسط الذين تكرر زحفهم إلى وادى النيل رغبة فى الاستيطان، وحروبه كذلك ضد دولة إسرائيل والنصب التذكارى الذى قال فيه «لقد قضيت على إسرائيل وقطعت بذرتها»، وكان هذا النص أول ذكر فى الآثار المصرية لكلمة إسرائيل .. ويستمر المؤلف فى استعراض تاريخ الملوك الذى خلفوا مرنبتاح على عرش مصر، وكانوا ملوكا ضعافا انتهى بتاريخهم عصر الأسرة التاسعة عشرة، وبدأ عصر الأسرة العشرين التى أسسها الملك رمسيس الثالث الذى واصل الحروب المصرية ضد الليبيين والنوبيين وشعوب البحر، وسجلت فى عهده مناظر تفصيلية للموقعة البحرية التى قادها ضد شعوب البحر .. وذكر المؤلف كل المنشآت المدنية والمعابد الدينية التى أقامها رمسيس الثالث فى طول البلاد وعرضها، كما أفرد المؤلف دراسة واسعة عن الحصار المصرية فى عهد هذا الملك، وعن الحياة الاجتماعية، وقصة أول إضراب قام به العمال فى عهده، وتفاصيل المؤامرة التى دبرت لقتله.

## الجزء الثامن وعنوانه :

### نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .

وفى هذا الجزء يستمر المؤلف فى عرض تاريخ الملوك الرعامسة فى الأسرة العشرين، بدءا من رمسيس الرابع حتى رمسيس الحادى عشر، مع شرح واف لتاريخ كل ملك من هؤلاء الملوك وأهم أعماله،



والآثار التى تركها، بالإضافة إلى التركيز على دراسة القانون الجنائى المصرى الذى كان سائدا فى ذلك العصر، وكيفية إجراء التحقيقات والمحاكمات الجنائية، وكيفية تنفيذ العقوبات المحكوم بها. كما بين المؤلف عوامل ضعف نظام الحكم فى أواخر عصر الرعامسة ، الأمر الذى أدى إلى انتهاء عصر الأسرة العشرين وبداية عصر الأسرة الحادية والعشرين، حيث أستولى كهنة أمون على عرش مصر، وبدأ حكم الكاهن (حريجور) الذى أسس هذه الأسرة وأصبح أول ملك من ملوكها.

### الجزء التاسع وعنوانه :

نهاية الأسرة الحادية والعشرين وحكم دولة الليبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .

يستعرض المؤلف فى هذا الجزء أسماء وتاريخ بقية ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وكذلك أسماء وتاريخ ملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، مع استعراض الآثار التى تركوها والمقابر التى أقاموها لأنفسهم، وكبار رجال الدولة الذين تعاونوا معهم فى حكم البلاد .. ثم يفرد المؤلف دراسة مستفيضة خاصة بالعبرانيين، فشرح أصلهم ، والمملكتين اللتين أقاموهما فى فلسطين وهما مملكة إسرائيل ومملكة يهودا، مع التركيز على عصر الملكين داوود وسليمان. كما شرح أوجه حياتهم الاجتماعية العامة ، وعقائدهم الدينية، والنبوءات التى تنبأ بها أشهر أنبيائهم .

### الجزء العاشر وعنوانه :

تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد ييغنى

يتضمن هذا الجزء شرحا وتحليلا لروابط الوحدة بين مصر والسودان منذ عصور ما قبل التاريخ .. ثم استعراضا ضافيا للعلاقات

المصرية النوبية خلال العصور التاريخية، سواء في العصر العتيق ثم في عصر الدولة القديمة فالدولة الوسطى فالدولة الحديثة .. وحصراً شاملاً للمنشآت المدنية والدينية والعسكرية التي أقامتها مصر في بلاد النوبة، خصوصاً بالنسبة للحصون التي أقيمت لحماية مناجم الذهب وطرق المواصلات، مع التطور في التعاون العسكري بين الجنود المصريين والجنود النوبيين الذين اشتركوا في فرق الجيش المصري .. ثم قيام النوبيين بتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر.

### الجزء الحادى عشر وعنوانه :

تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة في تاريخ آشور

فى هذا الجزء يستكمل المؤلف دراساته عن تاريخ الملوك النوبيين الذين حكموا مصر فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين (فى القرن الثامن قبل الميلاد) .. ويستعرض الحروب التى خاضوها لتثبيت أركان حكمهم، والآثار التى شيدوها فى مختلف أنحاء الديار المصرية والبلاد النوبية .. ويفرد المؤلف القسم الأخير من هذا الجزء لتقديم دراسة عن تاريخ مملكة آشور وعلاقتها بمصر، وازدهار الامبراطورية الآشورية حتى سقوطها فى نهاية الأمر.

### الجزء الثانى عشر وعنوانه :

عصر النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الإغريق

وفى هذا الجزء يعرض لنا المؤلف تاريخ الأسرة السادسة والعشرين التى اتفق المؤرخون على تسمية عصرها بعصر النهضة

المصرية، ويتوسع المؤلف فى شرح تاريخ الملوك الستة الذين تتألف منهم هذه الأسرة، وعلى رأسهم الملك «بسماتيك الأول» مؤسس هذه الأسرة، حيث يذكر لنا بالتفصيل جميع الأعمال التى قام بها كل ملك من ملوك هذه الأسرة والتى أدت إلى تحقيق نهضة حقيقية فى مسار التاريخ المصرى القديم، وانعكست على الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى علاقات مصر بالدول والبلاد المجاورة .. ثم أفرد المؤلف فى القسم الثانى من هذا الجزء دراسه ممتعة عن تاريخ الحضارة الإغريقية التى ظهرت فى بلاد اليونان، وعرض لنا فى هذه الدراسة كيفية ظهور الأساطير الإغريقية الأولى، وملحمتى الإلياذة والأوديسة، والتاريخ القديم لبلاد اليونان، وحروبها مع طروادة، وظهور ونمو المدن المستقلة، وتاريخ الحروب التى دارت بين الإغريق والفرس، وتاريخ الاسكندر المقدونى والغزوات الحربية التى قام بها.

### الجزء الثالث عشر وعنوانه :

#### من العهد الفارسى إلى دخول الإسكندر الأكبر مصر

يبدأ هذا الجزء بدراسة تاريخ الفتح الفارسى (فى القرن السادس قبل الميلاد) والآثار السيئة المترتبة على هذا الغزو، وثورة المصريين ضد هذا الغزو المقيت فى نهاية عهد الملك الفارسى «دارا» .. وهى الثورة التى أدت إلى طرد الفرس من مصر، وتأسيس الأسرة الثامنة والعشرين، وتلتها الأسرة التاسعة والعشرون، حيث قام ملوكها المصريون بمواصلة الحروب ضد الفرس وصد هجماتهم المتكررة . وفى هذا الجزء أيضا يستعرض لنا المؤلف أحوال الجيش المصرى بعد طرد الفرس من مصر .. ثم يفرد لنا فى القسم الأخير من هذا الجزء

دراسة تفصيلية واسعة عن تاريخ المملكة الفارسية وكيفية نشأتها، وتاريخ ملوكها الأوائل، وماهية الديانة واللغة والعادات الاجتماعية في بلاد فارس القديمة. ومن أهم البحوث التي تضمنها هذا الجزء الثالث عشر ذلك البحث التاريخي الرائع لقناة السويس، وكيف فكر المصريون القدماء في توصيل النيل بالبحر الأحمر منذ عصر الأسرة الثانية عشرة.

#### الجزء الرابع عشر وعنوانه :

##### الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر

يتضمن هذا الجزء دراسة واسعة عن أثر الحضارة المصرية القديمة في الحضارة الإغريقية، ومجيء الإسكندر بجيشه إلى مصر، وتأسيس مدينة الاسكندرية، ورحلته إلى واحة سيوه، وموت الاسكندر في بابل، وتقسيم امبراطوريته بين قادة جيشه، وكيف أصبحت مصر من نصيب بطليموس بن لاجوس الذي توج نفسه ملكا عليها وأصبح على رأس أسرة البطالمة الذين حكموا مصر من بعده على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون.. ويتوسع المؤلف في شرح نظام الحكم في عهد بطليموس الأول وبطليموس الثاني، وازدهار الصناعة والتجارة والعمارة، وأحوال الحياة الاجتماعية، وموقف المصريين من الحكم البطلمي، وأحوال اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر في ذلك العصر.

#### الجزء الخامس عشر وعنوانه :

##### من أواخر عهد بطليموس الثاني إلى آخر عهد بطليموس الرابع

يعتبر هذا الجزء أوسع دراسة باللغة العربية عن العصر البطلمي الأول في مصر، حيث يتجول بنا المؤلف القدير في تفاصيل تاريخ

كل من بطليموس الثانى والثالث والرابع، والآثار الرائعة التى تركها كل منهم فى مختلف أنحاء الديار المصرية، وشرح الوثائق والبرديات التى ترجع إلى تاريخهم والتى تحتفظ بها الآن متاحف أوروبا خصوصاً فى إنجلترا وفرنسا، وتتضمن هذه الوثائق التى كتب أغلبها بالخط الديموطيقى عقوداً للزواج وعقوداً لبيع المنشآت العقارية، وعقوداً لقرض الأموال.. الخ، كما تتضمن الدراسة أيضاً أحوال الشعب المصرى بمختلف طبقاته خلال عهود هؤلاء البطالمة.

### الجزء السادس عشر وعنوانه :

من عهد بطليموس الخامس إلى نهاية عهد بطليموس السابع

ويعتبر هذا الجزء آخر أجزاء الموسوعة التاريخية التى كتبها الدكتور سليم حسن، حيث لم يسعفه العمر لاستكمال دراسة بقية عصر البطالمة الذى انتهى بمصرع كليوباترا السابعة وبداية العصر الرومانى (عام ٣١ ق.م). ويتجول بنا المؤلف القدير فى رحاب تاريخ كل من بطليموس الخامس الذى ينسب إليه المرسوم الملكى المدون على حجر رشيد باللغة المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية والديموطيكية واللغة اليونانية، وهو الحجر الذى فتح الطريق أمام شامبليون ليفك رموز وعلامات وحروف الكتابة الهيروغليفية، وفتح الطريق بالتالى أمام المؤرخين وعلماء الآثار لقراءة معالم التاريخ المصرى القديم المدون على جدران المعابد والمقابر والنصب التذكارية وصفحات البردى.. ثم ينتقل المؤلف إلى استعراض تاريخ بطليموس السادس لتتعرف على سوء الأحوال والعلاقات التى سادت بين أفراد الأسرة البطلمية، الأمر الذى أدى إلى تدخل الرومان فى شئون مصر.. وفى عهد بطليموس السابع

حدثت ثورة فى طيبة اشترك فيها الشعب المصرى ضد حكم هذا الملك، الأمر الذى يثبت معه مدى كراهية المصريين لهؤلاء الحكام الأجانب الذين دب فى أخلاقهم الفساد من كل الوجوه .. ومع ذلك وبالرغم من سوء أحوال مصر فى الداخل والخارج، نجد أن فى عهد هؤلاء الملوك الثلاثة كانت تقام المعابد والمباني الدينية العظيمة التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن، وبخاصة معبد إدفو ومعبد كوم امبو ومعبد فيلة وغير ذلك من روائع الآثار المصرية.

**مختار السوفى**

الإهداء

إلى روح صديق العزيز

أحمد عبد الوهاب باشا

طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته .

إلى الذين أرادوا الإساءة إلىّ فأحسنوا ، وباعدوا بيني وبين الوظيفة

فقرّبوا بيني وبين الإنتاج وخدمة العلم والوطن

إلى الذين شجعوا الدراسات المصرية

إلى كل أولئك أهدى هذه الموسوعة في تاريخ الدولة الفرعونية القديمة .

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأشكره ، وأسأله السداد والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق . (وبعد) فهذه محاولة جريئة أردت بها أن أجمع في مؤلف واحد تاريخ شعب عريق قديم ، له عقيدته وفلسفته في الحياة ، وله ثقافته ونظامه وطرائق معيشته ، ولم آخذ من تاريخ الفرعون غوذا لتاريخ شعبه ( كما جرت العادة بذلك في الكتب ) ، ولم أجعل حياته وعاداته ونظمه وثروته ومعتقداته مقياسا للحكم على أحوال رعيته ، فقد يكون الفرق بينهما كبيرا ، والهوة سحيقة ، بل جعلت حال الشعب أساسا لما كتبت ، وفي ذلك ما يقربنا من الحقيقة ، ويجنبنا مزالق الخطأ والضلal .

وإذا لازمنا التوفيق ، وأمکننا أن نبني تاريخنا من المادة التي وجدناها مبثورة في مقابر الدولة القديمة ومعابدها ، كان ذلك من غير شك أساسا متينا ودعامة قوية لدرس كل مدنات العالم ؛ إذ أن مصر هي النبع الأول الذي ظهرت لنا منه كتابات مدونة ، في الوقت الذي كانت فيه كل ممالك العالم تقريبا تهيم على وجوها في الغابات ، وتتيه في الجاهل والأحراج . ومن هذه المدينة المصرية اغترف العبرانيون والإغريق والأسسيون ، ومن ثم تسربت إلى أوروبا .

وإنك لتجد فارقا واضحا يفصل بين المدينة المصرية القديمة وبين ما عداها من مدينة الإغريق وغيرهم ، ذلك أن المصرى كان يفكر دائما في دائرة الحس ولا يسمح لعقله بأن يحلق في أجواء المقولات والمعاني ؛



فهو لا يؤمن بالحب وإن كان يقدس المحبوب ، ولا يعرف الشجاعة ولكنه يقدر الرجل الشجاع ، وتبعاً لطريقته هذه في التفكير كان لا بد له من أن يجسم آلهته ويصورها ويتخذها من الحيوان والكائنات مظاهر يقدسها ويمبدها مع اعتقاده بالوحدانية . ويظهر أن شمس مصر الحارة التي كانت تلهب جسم المصري ، وتشعره دائماً بوجودها هي التي أرهفت عنده قوة الحس ، كما أن انتقابها واحتجابها في أوروبا مال بالأوروبيين عن محيط المحسوسات إلى المعقولات .

ولقد اقتصرنا في تاريخنا على الدولة القديمة وبداية العهد الإقطاعي لاتساع الموضوع وتشعب نواحيه وضرورة الإلمام بجميع أطرافه ، ولم نستطع أن نجزم في كثير من الأمور برأى قاطع لأن هناك تراثاً تحت الأرض لما يكشف عنه الزمن ، ولم يسمح لنا القدر بالتعرف عليه ، وإذاعة ما طواه من خبر يقين وسر دفين ، ومن التجديف والجرأة أن تقدمه للقراء حقيقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وهناك موضوعات جديدة حاولت سبكها على غير مثال سابق ، بل لم يطرق الكثير منها من قبل لقلة المصادر وغموضها ، فأطلقنا للخيال بعض الحرية لينسج من العناصر التاريخية القليلة التي وجدناها عن هذه الموضوعات ثوبا قشياً تظهر به بين أترابها من الموضوعات التاريخية الأخرى ، ونقصد بذلك أن نكسو عظام الحقائق التاريخية الجافة لحما ثم نبث فيها روحاً يحركها فتصبح حية يراها القارئون ويشملونها .

وإن من يعرف اللغة المصرية القديمة ، وصعوبة فهمها ، واحتمال اللفظ كثيراً من المعاني يلتمس العذر لعلماء الآثار في اختلافهم وتعدد آرائهم

وتباين مذاهبهم فى موضوعات كثيرة ، على أنا أوردنا أقوم هذه الآراء وأثرها إلى المنطق والعقل وأقواها حجة ودليلا .

ولقد آثرت الأسلوب السهل فى إبراز موضوعات هذا الكتاب لوعورة موضوعاته ولتناسب المعانى إلى ذهن القارئ فى غير إجهاد فكر أو إعمال عقل ؛ ومن الأسف أن قليلا من الكلمات الأعجمية أو العربية المحرفة قد اضطررت إلى الاعتراف به واستعماله حينما وجدت رديفه العربى غربيا أو قليل الاستعمال . ولقد كانت رغبتنا فى أن يبدو كل موضوع من موضوعات الكتاب وحدة متماسكة مكتملة الاجزاء ، ظاهرة الاستقلال بجميع عناصرها ؛ سببا فى أن نتعرض إلى بعض الحقائق التاريخية أكثر من مرة ملحقين إليها ، أو مارين بها ، أو مسهبين فى ذكرها حسبما يقتضيه المقام .

ومن الواجب علىّ هنا أن أعترف بالمساعدة العظيمة التى قدمها لى كل من الأستاذ محمد النجار مدرس اللغة العربية بمدرسة شبرا الابتدائية والأستاذ عبد السلام عبد السلام ، فقد عنى الأول . بقراءة النسخة الخطية ومراجعتها من الوجهة النحوية بقدر ما سمحت به الظروف ؛ أما الثانى فقد تعهد بقراءة تجارب الكتاب كله ووضع الفهرس له وساهم فى إنجاز طبعه بسرعة ؛ هذا وإنى لأشكر صاحبى مطبعة كوثر على عنايتهما بطبع الكتاب طبعاً جميلاً فى تلك الظروف الدقيقة .

وقد جعلت الكتاب قسمين : يتحدث الأول عن عهد ما قبل التاريخ إلى نهاية الأسرة العاشرة ويتكلم الثانى عن مدينة الدولة القديمة حتى العصر الإهناسى فإن كنت قد قاربت السداد وسلكت طريق الرشاد فهذا ما أرجوه وأحد الله عليه ، وإن كان قد نبأ بى الفكر أو شط القلم فالخير أردت وما توفيقى إلا بالله

## فأتمم بأهم التواريخ

من الدولة القديمة إلى الأسرة العاشرة  
( حسب تاريخ الأستاذ برستد ) .

- ١ - بداية استعمال النتيجة سنة ٤٢٤١ ق . م
  - ٢ - الأسرتان الأولى والثانية من ٣٤٠٠ - ٢٩٨٠ ق . م
  - ٣ - الأسرة الثالثة ٢٩٨٠ - ٢٩٠٠ ق . م
  - ٤ - » الرابعة ٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ »
  - ٥ - » الخامسة ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ »
  - ٦ - » السادسة ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ »
  - ٧ - الأسرتان السابعة والثامنة ٢٤٧٥ - ٢٤٤٥ ق . م
  - ٨ - » التاسعة والعاشرة ٢٤٤٥ - ٢١٦٠ ق . م
- هذه التواريخ تقريبية محضة قد تزيد أو تقل عن مائة سنة

# الفصل الاول

## مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ

ظلت معلومات العالم أجمع عن تاريخ مصر القديم ضئيلة هزيلة حتى منتصف القرن التاسع عشر، وذلك يرجع إلى عدم معرفة قراءة نقوشها. حقاً إن عدداً لا بأس به من قدماء كتاب الاغريق والرومان الذين وفدوا على أرض مصر طلباً للوقوف على غرائبها وعجائبها ، قد وصفوا البلاد وصفاً مسهباً وكتبوا بقدر ما وصلت إليه معلوماتهم عن تاريخها المجيد ، ولكن لسوء الحظ كان كل ما وصل إلينا من كتاباتهم قد أخذه إما عن طريق الرواية أو مجرد وصف خرافي ، وقد بقيت هذه الروايات مصدرنا الوحيد عن تاريخ مصر القديم حتى باكورة القرن التاسع عشر. وأهم هؤلاء الكتاب المؤرخ «هروdot» و«ديدور الصقلي» و«استرابون» وغيرهم ممن قاموا بسياحات في مصر في عهد ملوك البطالسة والعهد الروماني. وقد بقي تاريخ البلاد الحقيقي قبل عصر البطالسة سرا غامضاً لا نعرف شيئاً عنه إلا ما وصل إلينا عن طريق المؤرخ المصري «مانيتون» الذي كتب تاريخ البلاد في عهد البطالسة قلاعاً عن أصول مصرية قديمة كما يظهر ولكن للأسف لم يصل إلينا منه إلا مختصر لا يشفي الغلة . على أن كثيراً مما ذكره في كتابه لم تحققه المصادر الأصلية التي عثر عليها للآن بعد كشف أسرار اللغة المصرية وقد بقي العالم يركز في معلوماته عن تاريخ مصر على ما تركه لنا كتاب اليونان ، ومختصر مانيتون ، ولم تكن لدينا طريقة إلى تصحيح أغلاطهم وسد الفتحات التي

التاريخ المصري وكتاب  
الإغريق والرومان

كانت تمتاز الباحث في تاريخ البلاد. ومن أجل ذلك قام بعض العلماء بمحاولات  
لحل رموز اللغة المصرية حتى يصلوا إلى معرفة تاريخ البلاد الحقيقي ، مثل الأب ،  
« كشر » إلا أن ذلك لم يسفر عن نتيجة مرضية، ولكن منذ أن رست الحملة الفرنسية  
على شاطئ النيل بدأت صفحة جديدة في تاريخ البلاد؛ إذ في الوقت الذي كانت  
فيه الجنود الفرنسية تحارب المماليك كانت هناك حملة أخرى فرنسية علمية يجول  
أعضاؤها في طول البلاد وعرضها لدرسها درساً علمياً منظماً من كل الوجوه فبحثوا  
جغرافية البلاد وحيوانها ونباتها وزراعتها المختلفة وحرفها ثم درسوا أخلاق القوم  
وعاداتهم وآثارهم وقلوا النقوش القديمة التي كانت وقتئذ ظاهرة على معابد البلاد  
وبعد ذلك قاموا بتدوين كل بحوثهم بدقة وعناية في مؤلف خاص يشمل عدة  
مجلدات أطلق عليه : Description de l'Egypte ولكن بكل أسف لم يستفد التاريخ  
من كل هذه البحوث إلا أشياء ضئيلة ، وذلك لأن النقوش التي نقلوها من المعابد وغيرها  
بقيت صامتة إلى أن جاء « شمبريون » وحل رموزها كما سنذكره بعد . ومنذ حل  
رموز اللغة المصرية أخذ تاريخ البلاد الحقيقي ينجلى شيئاً فشيئاً مما قضى على الأساطير  
والخرافات التي نقلها كتاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وقد بقيت  
هذه الأساطير تعتبر في أعين العالم إلى هذا الوقت أنها تاريخ البلاد الذي يعتمد عليه.  
وفي الفترة التي كان في خلالها علماء الآثار المصرية يسرون بخطى وثيدة ثابتة في  
كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقي بفضل المجهودات الجبارة التي كانت تبذل  
في عمل الحفائر ، وحل رموز النقوش التي كانت على جدران المعابد وفي أوراق البردي  
في وادي النيل ، كانت هناك جهود أخرى عظيمة يبذلها جماعة من علماء أوروبا في

الحملة الفرنسية  
وأعمالها العلمية  
في مصر

الأساطير اليونانية  
تعتبر مصدر  
التاريخ المصري

علماء الآثار  
والتأريخ المصري

وضع أساس لعلم آخر جديد في الجهة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط . وهذا العلم الجديد هو علم ما قبل التاريخ وقد كان في بدايته غير مدعوم الأساس إذا قرناه بعلم الآثار المصرية . وكانت ماهيته تنحصر في بحث حل مسألة أصل الإنسان قبل التاريخ أو عبارة أخرى قبل ظهور الكتابة وذلك بدرس بقايا العظام الأنسانية وغيرها مما خلفه أصحابها من الآثار والصناعات التي تركت بعدهم على سطح الأرض مهملة أو وجدت مدفونة في المغارات والكهوف أو في مجارى الأنهار القديمة . وقد أسفرت النتيجة أخيراً عن نجاح بعض العلماء بعد معارضا شديدة في وضع أسس لهذا العلم والواقع أنه بعد مجهود نصف قرن تمكن العالمان « بوشيه » و « بين » من وضع مؤلف يبحث في عصر ما قبل التاريخ ، وقد جاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت أصول هذا العلم يبحوثهم حتى أصبح معترفاً به في كل الأوساط العلمية في أوروبا .

ومن المدهش أن بعض الكتاب الأقدمين قد تكلموا عن هذا العلم قبل معرفته ووضع أصوله ، فقد أشار الشاعر اللاتيني لوكريه Lucrèce إلى ذلك بقوله : « أن الإنسان الأول كان يجمل استعمال المعادن . ولذلك كان يتخذ الأخشاب والعظام وخاصة الأحجار المهدبة بحذق ومهارة آلات وأسلحة للصيد والحرب ، وبعد ذلك بزمن أصبح الإنسان زارعا . ثم أخذ في تحسين آلاته وصقل حد (بلطته) »

والواقع أن ذلك يتفق مع الحقائق التاريخية إذ وجدنا أن العصر الحجري قد استعمل فيه الطران المذهب ثم المصقول ثم خلف ذلك عصر يشعر بالرق والتدرج وهو عصر استعمال معادن . ويلاحظ أنه بظهور المعادن بدأ استعمال الطران يقل شيئاً فشيئاً ولا غرابة فأن استعمال النحاس ، ثم اختراع البرنز الذى حل محله الحديد

بداية وضع علم  
ما قبل التاريخ

أول مؤلف في علم  
ما قبل التاريخ

الكتاب الاقدمون  
وعلم ما قبل التاريخ

أزمان عصر ما  
قبل التاريخ

فترة قصيرة، كان من الأمور التي خطت بالإنسان خطوات جديدة نحو الرق حتى العصر التاريخي أى عصر استعمال الكتابة والقراءة في تدوين كل حوادثه وأعماله. على أن أمم العالم لم تتساو كلها في الوصول إلى هذه الدرجة بسرعة واحدة أوفى وقت واحد. فمثلا البلاد المصرية والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادى في الوقت الذى بقيت فيه زمناً طويلاً تجهل وجود الحديد ومن جهة أخرى نشاهد أن سكان ممالك البحر الأبيض المتوسط قد مكثوا عدة قرون مدفونين في ظلمات عصر ما قبل التاريخ، ومع هذا فإنهم كانوا يعرفون استعمال الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الرومانى

ومن الطريف المدهش أن أبحاث علماء ما قبل التاريخ قد ظلت غير معترف بها عند علماء الآثار المصرية معظم القرن التاسع عشر، وسبب ذلك أن هؤلاء الأثريين كانوا يشكّون في وجود عصر في تاريخ مصر قبل عهد الدولة القديمة، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن سكان مصر لم يكن لهم عهد طفولة كباقي الأمم. بل أنهم وجدوا في التاريخ فجأة، وأن مدينتهم كانت شبه كاملة، ولذلك رفض علماء الآثار أن يبحثوا عن منشأ هذه الثقافة الزاهرة التي كان لابد لها أن تصل إلى ما وصلت إليه تدريجاً بعد اقضاء عدة قرون، ولهذا السبب أبوا أن يفحصوا الآلات المصنوعة من الحجر، وهي التي وجدوها عفواً أثناء القيام بأعمال الحفر أو التي جمعت من فوق سطح الأرض؛ وقد فسروا وجودها بأنها من عمل الطبيعة أو أنها صنعت في عهد الأسرافرعونية. وهكذا بنى النضال بين علماء الآثار قائماً إلى أن وفد على وادى النيل العالم

علماء الآثار المصرية  
لا يمتفون بعلم ما  
قبل التاريخ

الفرنسى أرسلان Arcelin فكان أول من أنست وجود علم ما قبل التاريخ في مصر. وقد دعم قوله بالبراهين

العالم أرسلان أول  
من أنست وجود علم  
ما قبل التاريخ في مصر

حضر هذا العالم إلى مصر في عام ١٨٦٨ وساح في النيل ذهاباً وإياباً وقام أثناء رحلته بأبحاث منتجة نجح من حافة الصحراء التي أقيم عليها الأهرام بعض آلات من الطران المذهب التي تشبه ما عثر عليه في أوربا ، وقد أسعده الحظ بأكثر من ذلك إذ عثر في الهضبة التي تشرف على وادي الملوك تجاه الأقصر على مصنع عظيم من الطران يرجع عهده إلى العصر الحجري القديم ( الباليوليتي ) ، وقد ظهر أن ما وجد في هذه البقعة يشبه كثيراً ما عثر عليه في سان آشل Saint Acheul . وفي الجنوب من البقعة السالفة الذكر وفي أبي منقار عثر على بعض آلات من العصر الحجري الحديث وبعد انقضاء فترة وجيزة على هذا الكشف عثر العالمان «لنرمان» و «هنري» Lanormont & Henry على بعض آلات لها أهمية عظيمة بالقرب من جبانة طيبة وقد كان نتيجة هذا الكشف أن اعترفت جمعية درس أصل الإنسان في عام ١٨٧٠ بإمكان وجود عصر ما قبل التاريخ في مصر . وقد جاء مؤيداً لهذا الرأي ما عثر عليه الأب «زتشرد» في شبه جزيرة سينا ، وفي جوار القاهرة وفي طيبة غير أنه بالرغم من ذلك كان علماء الآثار يعارضون في وجود علم ما قبل التاريخ في مصر بحجة أنهم وجدوا مثل هذه الآلات التي عثر عليها هؤلاء الباحثون في المقابر المصرية القديمة ، ولم يفهموا أن هذه الآلات ربما كانت من مخلفات أزمان ما قبل التاريخ وأنها بقيت مستعملة بالتوارث والعادة حتى العهود التاريخية . وقد بقي علماء الآثار أمثال «مريت باشا» و «لبسيوس» و «شاباس» على رأيهم رغم محاولات علماء ما قبل التاريخ في إقناعهم بصحة وجود عصر في تاريخ مصر قبل الدولة القديمة ؛ وقد استمر هذا أكثر من ثلاثين عاماً إلى أن وضع الأمور في نصابها عالم من علماء الآثار

أعترف جمعية درس  
أصل الإنسان بوجود  
عصر ما قبل التاريخ  
في مصر



أنفسهم وهو « جاك دى مرجان » الذى كان مديراً للأثار المصرية في ذلك الوقت. فجمع في مجلدين ضخمين كل ما كتب في هذا الموضوع واتمى به البحث إلى أن أيد فكرة وجود عصر ما قبل التاريخ في مصر وأضاف إلى ذلك ملاحظاته الشخصية التى جمعها مدة إقامته الطويلة في وادى النيل . إذ في خلال ذلك كان يدرس الأحوال والأماكن التى وجدت فيها الآلات الحجرية وأثبت بالبرهان الناطقة قدم الآلات التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ ، عن الآلات التى عثر عليها الإنسان يهذبها بطريق العادة على غلط سالفها في العصور التاريخية ثم يستخلص وبعد أن وصل إلى هذه النتيجة أخذ يبرهن العلماء على أن آلات ما قبل التاريخ المصرى تكاد تكون مماثلة لما هو محفوظ في متاحف أوروبا من نفس العصر وبعد ذلك أثبت بصفة نهائية أن عصر الحجر المذهب في مصر قد سبق عصر الحجر المصقول وأن الأخير قد خلفه عصر استعمال المعادن كما هو الحال في إنجلترا وفرنسا وغيرها .

« دى مرجان » أول عالم أثري يعترف بوجود هذا العلم في مصر

وفي عام ١٨٩٧ وضع العالم « دى مرجان » نتائج أبحاثه أمام العالم ومنذ ذلك العهد اعترف فعلاً بوجود عصر ما قبل التاريخ في مصر ، ومن ثم أخذت البحوث تترى معززة رأي هذا العالم العظيم أو مكمله لبحوثه ، وفي بعض الأحيان كانت مصححة لبعض أخطائه في نقاط مختلفة . وقد مهدت لنا أبحاث الأستاذ « فلندرز بيري » « ودي مرجان » السبيل لايجاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصرى وعصر الدولة القديمة وقد أطلق على هذه الفترة عصر ما قبل الأسرات وعثر الأثرى « لجران » بعد ذلك على محطات جديدة وعثر كذلك العالمان « ستون »

أبحاث فلندرز بيري في علم ما قبل التاريخ في مصر

و«كار» وغيرهما في منطقة الصحراء على حافة النيل على مواقع من هذا العصر .  
وقد أشار الأستاذ «شفينفورت» العالم الألماني إلى وجود عدة محطات فيها آلات يرجع  
عنها إلى عصر ما قبل التاريخ

## مصر والنيل

مما لا جدال فيه أن البلاد المصرية كانت تختلف اختلافاً بيناً عما هي عليه الآن  
عندما بدأ يظهر فيها الإنسان الأول . ولأجل أن نكون فكرة عن حالة البلاد  
الطبيعية في هذا العهد يجب علينا أن نرجع إلى الوراء إلى عهود جولوجية سحيقة في  
القدم أي قبل أن يظهر أثر الإنسان بمدة قصيرة نسبياً . وهذا العصر يعرف في  
التاريخ الجولوجي للقشرة الأرضية بالزمن الجولوجي الثالث . على أننا لن نبحت  
هنا عن المراحل الجولوجية التي سبقت هذا العهد ونعني بذلك المرحلتين الأوليين .  
وكذلك لن نتكلم عن النيل الأولى (القديم) الذي سبق النيل الحالي ، بل سنكتفي  
هنا بأن نذكر بعض تفاصيل لا بد منها للباحث في تاريخ مصر وطبيعة بلادها .

تتكون القشرة الأرضية في البلاد المصرية من ثلاث طبقات متتابعة بعضها  
فوق بعض (أولاً) نجد في الزمن الجولوجي الأول أن التربة كانت تتألف من صخور  
شيسيتية متبلورة منها حجر «البرفير» والجرانيت ثم الديوريت

(ثانياً) في الزمن الجولوجي الثاني نجد أن التربة كانت تتكون من صخور

زملية ..

الازمان الجولوجية  
التي سرت بمصر

طبقات القشرة  
الأرضية في مصر

(ثالثاً) ظهرت في بداية الزمن الثالث طبقات جيرية تحتوى على قواقع نومولية.

والواقع أن الصخور الشيستية المتبلورة السالفة الذكر ينحصر وجودها في الصحراء الغربية وحول الشلال الأول . أما الصخور الرملية فأنها توجد في بلاد النوبة وفي الوجه القبلى حتى إسنا وكذلك توجد في الأقصر وبالقرب من القاهرة وفي الواحة الخارجة.

أما الطبقات الجيرية فقد تكونت منها الصحراء اللوية ، وكذلك المرتفعات التي تحف نهر النيل من بداية مدينة الأقصر إلى القاهرة .

ولا جدال في أن الكتل الكثيفة الصخرية من الحجر النوبي الرملى التي تتخللها منها ترربة أرض مصر قد مرّت عليها تقلبات جيولوجية كثيرة إذ كانت في الواقع على جزئياً بالماء أحياناً ثم تظهر ثانية مما سهل للبحر الجبرى ثم البحر النيوموليتى أن يحكمها رواسبها على السطح ويكوّن طبقات جيرية كثيفة من الجير وهي التي تملأ في كل مكان طبقات الحجر النوبي الرملى من إدفو إلى بداية الدلتا. وبعد ظهور هذا الإقليم من الماء نهائياً - وقد حدث ذلك بعد العهد الأيوسينى - نجد أن الإقليم التاسع الذى أطلق عليه فيما بعد مصر قد ظهر ، غير أنه شوهد في سطحه ميل مزدوج - خفيف من ناحية ؛ ومنحدر من الناحية الأخرى. ويتجه الميل الأول من الجنوب إلى الشمال حسب اتجاه النيل . أما الميل الثانى فإنه أشد انحداراً ويتبدى من الشرق إلى الغرب أى من شواطئ البحر الأحمر إلى إقليم الواحات . وهذان الميلان في طبيعة أرض الوادى يرجع سببهما بلا نزاع إلى الظواهر البركانية التي حدثت في الجهة الشرقية

الميل المزدوج في  
طبيعة أرض مصر

منه وفي إقليم السودان . ولا شك أن تتأجج هذه الظواهر عظيمة جداً من الوجهة الجغرافية لأنها كبقية التغيرات التي كان لا بد لسطح الوادي أن يخضع لها بفعل تأثير مياه المهر والواقع أن نهر النيل قد شق مجراه في هذه الهضبة غير المتكافئة في ارتفاع جبالها ، بخط يكاد يكون مستقيماً وكون منها منطقتين منفصلتين تحتلفان اختلافاً يبيناً من حيث الارتفاع والشكل . أحدهما شرقية وهي التي تسمى صحراء العرب ويمتاز تكوينها الطبيعي بأن جبالها تصل إلى ارتفاع عظيم بالقرب من الشاطئ ثم تنحدر تدريجاً نحو الوادي . أما المنطقة الثانية فيطلق عليها اسم صحراء ليبيا وتبتدى بتلال قليلة الارتفاع تسير مع السهل الرملي وتنتهى بعدة منخفضات يصل مستوى بعضها أحياناً إلى أقل من مستوى البحر . ويطلق على هذه المنخفضات اسم الواحات .

صحراء العرب  
وصحراء ليبيا

وعلى هذا النحو تكون هيكل بلاد الفراغة في الزمن الجيولوجي الثالث ، وفي نهاية هذا الزمن وبداية الزمن الجيولوجي الرابع أخذت العوامل الجوية تؤثر بفعلها حتى نحتت في سطح هذه الهضبة وادي النيل الحالي . إذ كانت تتساقط في هذه الجهة سيول جارفة يمكن أن نعرف مقدار عظمها وشدتها من الأمطار الاستوائية الحالية . وقد كونت هذه الأمطار عدة مجار من الماء قامت مقام العمال في نحت وديان عدة في الصخور ، وهذه الوديان قد جف ماؤها منذ أزمان سحيقة ، غير أن أماكنها لا تزال باقية إلى الآن دالة على وجودها رغم نضوب الماء منها .

كيفية تكوين  
وادي النيل

والظاهر أن النيل لم يستتب في مجراه الحالي إلا منذ أزمان حديثة ولا ريب أن سيره كان قد عوق في الأزمان الغابرة عند مرتفعات أسوان بحاجز من الجرانيت

تأثير الصخور في  
تكوين مجرى النهر

ومكث مدة طويلة لم يتمكن من تذليل هذه العقاب الجرانيتية ، فكانت مياه النهر تضطر أن تدور حول هذه الكتل الضخمة ، ولكن فعل المياه تقلب في النهر وشق مجراه الحالي ، ولا تزال أحجار الشلال الأول شاهدة عدل على التلويح كانت ولا تزال تعترض النهر في سيره

يضاف إلى ذلك أنه كانت تعترض النهر الصخور النوية الأقل صلابة من الجرانيت . وقد كانت هذه الصخور تؤلف عدة شلالات صغيرة من بداية السلسلة الحالية جنوباً ، فكانت تمرقل سير النهر وتضع في طريقه العقبة الحقيقية وكذلك كان يصادفه في سيره مستويات أعلى من مستوى مجراه الحالي مما حث تكوين عدة بحيرات خلفها في جهات مختلفة في الوادي

ولا أدل على ذلك من بقايا السد الذي كان يعترض النهر عند جبل السهل وكذلك سهل « كوم أمبو » فانه عبارة عن حوض ماء كانت تخزن فيه المياه كان يعوقها سد طبيعي اعترض لها في طريقها

ويمكننا حسب نظام القوانين الطبيعية وتكوين الأنهار أن نحكم بأن النهر مر عليه عصران متتابعان متميزان في تاريخ تكوينه

مرور عصرين على  
تكوين نهر النيل

أولاً :- كان النهر في بادئ الأمر ذامياه سيالة تجري في منحدر سريع من الجبال إلى الشمال مما جعله يقطع لنفسه أولاً مجرى عظيماً جداً قريب الغور كان ينحدر لتفريغ على كمر السنين ثم أخذ بعد ذلك ينكمش هذا المجرى الواسع شيئاً فشيئاً . ولكن قطاع الوادي في هذا الطور يشبه رقم ٧ ولكن الاختلافات التي كانت تحدث في مقدار حجم المياه المتدفقة سنوياً ، وفي قوة التيارات كانت أحياناً تزيد في حدة التآكل في

الصخور وأحياناً تقل منها . ويمكن ملاحظة شدة هذا التآكل أضعفه في اختلاف حجم المدرجات التي يشاهد بعضها فوق بض على طول شاطئ النهر . إذ الواقع أننا نراها الآن ظاهرة واضحة في الصخور فتارة يكون المدرج واسعاً وطوراً يكون ضيقاً مما يدل على عدم انتظام الظواهر الطبيعية .

أما العصر الثاني فأنا نشاهد فيه أنه بعد العهد القدي حفر النهر في خلاله مجراه قد خلفه عهد آخر ارتطم فيه المجرى ثانية . وتفسر ذلك أنه بعد عهد حفر النهر مجراه شوهد أن الجزء الأسفل من المجرى قد أصبح في عمقه يقارب عمق سطح البحر ثم وقف بعد ذلك عند هذا الحد ، غير أن فعل التآكل لا يزال سائراً في منحدر النهر ، ولكن مخلفات هذا التآكل لم تكن تكتسح كلها إلى البحر لقلة الانحدار بل كانت تتراكم في قعر النهر . وكانت هذه الرواسب تزداد من عام إلى عام في القعر مما سبب ارتفاع منسوب مجرى النهر وقلل من حدة انحداره ؛ ومن ثم أصبح سير مائه معتدلاً وأخذت البلاد تستفيد منه . وهناك أدلة على هذه التغيرات واضحة ظاهرة في مجرى النهر من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط .

فثلاً في منطقة القاهرة كان النيل في الزمن الجيولوجي الثالث له مجرى يبلغ عرضه في هذه النقطة مقداراً عظيماً . وكان جبل المقطم وهضبة الأهرام هما الحدان اللذان يجرى النهر في وسطهما في ذلك العهد . ولكن في الزمن الجيولوجي الرابع أخذت الرواسب تفرم هذا المجرى شيئاً فشيئاً وكانت تتألف من الحصى الذي كان يندفع مع التيار ثم بعد ذلك غطى في آخر الأمر بالغريرين ( الطمي الحديث ) ، ومن ثم أخذ المجرى الواسع ينكش تدريجاً حتى أصبح ولم يبق من هذا المتسع العظيم في تلك النقطة إلا

مجرى صغير لا يزيد في اتساعه عن بضعة مئات الأمتار ، وفي نهاية الأمر انقلبت  
يصب في البحر الأبيض المتوسط ، غير أن ذلك لم يكن بواسطة مصب الخلل  
بخليج ثلاثي الشكل يبعد عن البحر بنحو ٢٠٠ كيلومتراً تقريباً ، ولكن الرواسب  
التي كان يأتي بها النيل سنوياً أخذت تغطي هذا المصب تدريجاً حتى كوّنت منه  
الحالية . ويشغل المصب القديم جزءاً من مدينة القاهرة الحاضرة .

تكوين الدلتا

ومن مدهشات الصدف أن « هيكتاته » السائح اليوناني قد وصف مصر قديماً  
بعبارة أخرى الدلتا بأنها منحة النيل وقد قل ذلك عنه فيما بعد « هردوت » قديماً  
التاريخ ، وقد جاء هذا الوصف مطابقاً للواقع بل هو الواقع نفسه . ولا جدال في قبح  
في هذا المصير السحيق لم تكن هناك أية صحار في أفريقية الشمالية إذ كانت  
كل هذه الأقاليم من المحيط إلى المحيط تفرها رطوبة حارة تزيد من  
اخضرار الأراضي ، ولا بد أن منظر هذه البقاع كان يشبه أقاليم شمال البحر الأبيض  
المتوسط حيث يتوقف نمو النباتات على التقلبات الجوية وأمطارها الغزيرة التي تجعل  
وظيفة الأنهار في ري الأراضي مسألة ثانوية محضة . فقد كانت هذه الأمطار تكون  
البحيرات الشاسعة التي تسبح فيها التماسيح وجاموس البحر وتنشأ فيها المستنقعات التي  
تحلّق فوقها الطيور . وهذه المستنقعات كانت تشغل الأماكن المنخفضة ، ولا تزال  
الواحات الحالية شاهداً ناطقاً على ذلك . ولا أدل على حقيقة ما ذكرنا من وجود  
بركة قارون في الفيوم والبحيرات الملحة ، ووادي النطرون . وكانت في المناطق التي  
تحيط بهذه البحيرات حيوانات بعضها من آكلة الحشائش وبعضها من آكلة اللحوم  
وقد اقترض بعض أجناسها واختفى نهائياً

مصر منحة النيل

إفريقية الشمالية في  
هذا المصير

تكوين الواحات

وعلى هذه الحال كانت تظهر للعيان الأرض المصرية عند بداية الزمن الجيولوجي الرابع وهو الوقت الذى ظهرت فيه أول قبيلة بشرية والآن نبدأ بالكلام عن هذه العصور التى أخذ الانسان يظهر فيها ثم أخذ يتقدم نحو الرقي شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى تدوين أفكاره بالكتابة وهو بداية العصر التاريخي .

## مصور ما قبل التاريخ

نشأ علم ما قبل التاريخ في أوروبا ولذلك كان من البديهي أن تكون كل مصطلحاته وتعابير العلم أوروبية محضة . وقد بدأت دراسة هذا العلم في غربي أوروبا ولذلك نجد بعض الاختلافات عندما نريد تطبيق ما وصل إليه من النتائج في هذه الجهة بالنتائج التي وصل إليها في شرقي أوروبا . وليس من المستغرب إذن إذا كانت هناك اختلافات في النتائج التي عرفت في أوروبا أن نجد مثلها عند تطبيقها على باقي بلاد المعمورة الأخرى ، وذلك أمر طبعي إذ أن تربة كل بلد وأحوالها تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من وجوه عدة .

وقبل أن نخوض في بحث موضوعنا يجب أن نتساءل : إلى أى حد يتفق عهد ما قبل التاريخ في مصر مع عصر ما قبل التاريخ في أوروبا وإلى أى مدى يختلف عنه؟ والجواب على هذا هو أنها يتفقان معاً في كثير من الأحوال إلى حد ما وصلت إليه معلوماتنا اللهم إلا إذا ظهرت أشياء تنقض ذلك في المستقبل ، ولذلك يجب علينا

نشأة علم ما قبل التاريخ

عصر ما قبل التاريخ  
في مصر وفي أوروبا



أن تقتنى في درس عصور ما قبل التاريخ المصرى عصور ما قبل التاريخ لأوروبا وقرنها يعض ثم تقرب كلا منها للآخر . وبهذه الطريقة يسهل علينا درس العصر من تاريخ بلادنا .

وينحصر عصر ما قبل التاريخ المصرى في المدة التي بدأ الانسان يظهر فيها في وادى النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق.م

٣٢٠ ق.م  
بداية العصر التاريخى

وقد أسفرت البحوث التي قام بها العلماء في مدة الأربعين عاماً الأخيرة عن تقسيم هذا العصر الطويل إلى ثلاثة أقسام رئيسية ولا يزال العصر الأول منها غير معترف به من كل رجال هذا العلم إذ البعض يقره وطائفة منهم تنكره

( ١ ) العصر الأول ويطلق عليه اسم عصر ما قبل الحجرى القديم (الايوليتى)

وقد استعملت فيه أججار الطران كما وجدت في الطبيعة مع بعض التهذيب

( ٢ ) العصر الثانى ويطلق عليه اسم العصر الحجرى القديم (الباليوليتى)

عصر استعمال الحجر المهنّب تهذيباً بسيطاً بعد القطع ومنه يتفرع العصر الحجرى الحديث ( النيوليتى ) وهو عصر الحجر المصقول بعد التهذيب

أقسام عصر ما قبل التاريخ

( ٣ ) العصر الثالث الذى ظهر فيه استعمال المعادن ويطلق عليه عصر بدليق

استعمال المعادن ( الانبوليتى ) . وقد استعمل في هذا العصر الحجر والنحاس والحديد

لعمل الآلات جنباً إلى جنب . وقبل أن تتكلم عن هذه العصور يعض التفصيل

يجب أن نلاحظ أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن نحدد تاريخاً معيناً

لعصور ما قبل التاريخ في مصر اللهم إلا عندما ندخل في عصر بداية استعمال المعادن

( الانبوليتى ) وذلك عندما قرن الآلات التي ظهرت في العصر الحجرى الحديث

بما بعدها في عصر بداية المعادن ( الانبوليتي ) فإنه يمكن أن نضع تواريخ نسبية وبخاصة بعد درس الفخار الذي ظهر في العصر الحجري الحديث

وكان أول من قام بهذا الدرس الفريد في باب الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك بواسطة ملاحظات استنتجها من درس مقابر سليمة عثر عليها في جبانات يرجع تاريخها إلى عصر بداية استعمال المعادن، وأمكنه أن يرتب أنواع الفخار المختلفة التي عثر عليها في تلك المقابر إلى أصناف ظهرت في أزمان متتالية ورقمها من واحد إلى ثمانين . وهذه الأرقام تعادل ما يطلق عليه تتابع التاريخ أو تاريخ التابع . فرقم ٨٠ يعادل بداية العصر التاريخي الحقيقي أى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة

وأول عمل قام به السير « فلندرز بترى » في ترتيبه التاريخي المتتابع أن أخذ رقم ٣٠ وخصه لا قدم ما عرف الى عهده من أنواع الفخار واحتفظ بالرقم من ٣٠-١ إلى ما عسى أن يكشف عنه من فخار أقدم عهداً مما عرف . والواقع أنه كشف حديثاً في جهة بلدة البدارى عن موقع قديم جداً يرجع عهده إلى ما قبل رقم ٣٠ وقد خصص له العلماء فعلاً رقم ٢٠ - ٢٩ ورغم أنه يكاد يكون من المستحيل أن نجزم بتاريخ قاطع لعصر ما قبل التاريخ المصرى إلا أنه يمكننا مؤقتاً أن نذكر على وجه التقريب أن العصر الحجري الحديث يحتمل أنه قد بدأ منذ ١٠.٠٠٠ سنة وأن بداية المعادن قد بدأ حوالى ٦.٠٠٠ أو ٥.٠٠٠ سنة . وهذه التواريخ لا تتركز على حقائق علمية بل وضعت لتكون مجرد مرشد أو إشارة يهتدى بها فحسب

والآن نعود الى التكلم عن كل عصر من عصور ما قبل التاريخ حسب ترتيبها الطبيعي في كلمة موجزة ثم تناول الكلام عن كل عصر بشيء من الاسهاب

«فلندرز بترى»  
ودرس فخار ما قبل  
التاريخ

التاريخ المتتابع

## العصر الأيولي

### عهد فجر العصر الحجري القديم

لا جدال في أن الإنسان الأول عند ما ظهر على سطح البسيطة كان قوياً  
له أن يجد لنفسه سلاحاً يدافع به عن كيانه ضد الحيوانات التي كانت تحيط به ويحيط  
في وسطها . ولا بد أن أول ما فكر فيه من الأسلحة ما كان في متاوله فثلاً كان قطع  
فرع شجرة ويهذب به يدافع به عن نفسه وكذلك كان يجمع ما حواله من الأحجار  
الصلبة التي هيأتها له الطبيعة ثم يهذبها بنفسه بعض الشيء ليجعل لها حداً صلباً  
ويستعملها في أغراضه . وهذه الآلات التي كانت تصنع بهذه الطريقة قد أطلق عليها  
في علم الجولوجية اسم «ايوليت»

كيفية دفاع الإنسان  
الأول عن نفسه

ويعزو علماء الجولوجية هذه الآلات إلى العصر الثالث الجولوجي غير أن وجود  
هذا العصر في حياة الإنسان على ظهر الأرض مشكوك فيه ويرجع السبب في ذلك  
إلى عدم وجود بقايا الإنسان في هذا العصر مطلقاً

أول ظهور الإنسان

وفي استطاعة الإنسان في مصر أن يجمع قطعاً عدة من آلات هذا العصر من  
هضبة الصحراء ولكنها كذلك مشكوك في تاريخها وسبب ذلك يرجع إلى أن فصل  
الموثرات الجوية مثل الحر والبرد وتعاقب الليل والنهار يحدث تقطع من الطران  
جديدة تشبه القطع الأيوليتية القديمة وقد جمع الأستاذ «شفينفورت» قطعاً كثيرة من  
هذا النوع من محطات أبواب الملوك . على أن كثيراً من هذه القطع يظهر فيها فعل يد  
الإنسان . ولكننا نجد مغلطة بالآلات من العصر التالي لهذا العصر

النك في وجود  
الإنسان في الزمن  
الثالث الجولوجي

وهو ما يسمى العصر الباليوليثى (العصر الحجري القديم). وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها من عصر أقدم . والواقع أنه لا توجد محطة مصرية قديمة أو حديثة وفيها آلات صنعتها يد الانسان وقطع من صنع الطبيعة نفسها ثم استعمالها الانسان بمهارة . ولا نزاع في أن المبدأ القائل بالاقتماد في استعمال القوى الانسانية في الإنتاج، قد لعب دوراً عظيماً في حياة الانسان الأولى في مصر كما كان الحال في البلاد الأخرى ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الانسان كان يستعمل القطع الطبيعية في الاستعانة بها على قضاء أغراضه في أول نشأته وفي فترة عدم درايته بالصناعات

## العصر الحجري القديم

هذا العصر يعرف بعصر استعمال الحجر المهذب، وينقسم ثلاثة أقسام وهي الحجرى القديم الأسفل، ويشمل ما يقابله في أوروبا من الصناعات الشيلية<sup>(١)</sup> والآشيلية<sup>(٢)</sup>، ثم العصر الحجري القديم المتوسط، وفيه تسود الصناعات المoustérienne<sup>(٣)</sup> وأخيراً العصر الحجري القديم الأعلى، وقد سادت فيه الصناعة الأوريجناسية

أقسام العصر الحجري  
القديم

---

(١) نسبة لبلدة Chelles-Sur Marne وقد وجد فيها أقدم صناعة من عصر الحجر القديم السفلى

(٢) نسبة إلى Saint Acheul إحدى ضواحي بلدة Amiens في فرنسا حيث وجدت صناعات من ثقافة هذا العصر في المرتفعات التي تحف نهر Somme

(٣) نسبة إلى مأوى صخري في قرية Le Moustier وهي على بعد عشرة أميال من Eyzies

Aurignacienne<sup>(١)</sup> ثم الصناعة السولوترية Solutereenne<sup>(٢)</sup> ثم الصلطة

المجدلية Magdalenienne<sup>(٣)</sup>

## العصر الحجري الحديث

ويتلو العصر السالف عصر بداية المعادن وهو عصر استعمال الحجر المصقول بطه  
التهديب . وهذا العصر أقسامه مرتبة ولا ضرورة للخوض فيها الآن

## عصر بداية استعمال المعادن

وهو عصر الانتقال ، اذ في خلاله بدأ الإنسان يستعمل المعادن وقد توالى فيه  
استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد على أن عهد استعمال الحديد في مصر  
كان شاذاً بالنسبة للبلاد الأخرى وذلك أن مصر في عهد أوج مجدها وسؤدها  
التاريخي بدأ يستعمل هذا المعدن فيها ولم يكن معروفاً من قبل

---

(١) نسبة إلى بلدة Aurignac وقد وجد فيها مأوى صخري وهو بالقرب من St. Gaudens

في صقع البرانيز ، غير أن هذا المأوى قد أزيل الآن جملة بسبب قطع الاحجار من

(٢) نسبة إلى مأوى صخري وجدت فيه ثقافة هذا العصر وهو بالقرب من قرية بهذا الاسم

في مقاطعة Saone-et Loire

(٣) نسبة إلى الكهوف التي يطلق عليها اسم Madeleine Tursac على نهر

دردوني Dordogne بفرنسا

## مدينة العصر الحجري القديم

يعد هذا العصر العهد الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الإنسان إذ عثر فيه فعلا على بعض عظام بشرية وعلى الآلات التى كان يستعملها الإنسان غير أنه من المستحيل علينا أن نحدد فى أى عهد وقبل أى عدد من آلاف السنين قبل الميلاد ظهر الإنسان فى العالم ، وكل ما يمكن الجزم به فى هذا الموضوع هو أن وجود الإنسان على ظهر البسيطة يرجع إلى أزمان سحيقة جداً والتقديرات المعتدلة ترجع بظهور الإنسان الى آلاف عدة من السنين ، وفى خلال هذا العصر الطويل جداً قد حدثت تغيرات وتقلبات عظيمة ظاهرة جلية لا تقتصر على شكل الآلات وصناعتها ولا شكل الإنسان الذى كان يستعملها فحسب بل تتناول كذلك التقلبات الجوية التى كانت تحيط به والتى كان من أثرها أن حدث تغير كلى فى الحيوانات والنباتات التى كانت تعيش وتبت فيه وهذا العصر الذى نحن بصدده يقع فى أوائل الزمن الجيولوجى الرابع . وفيه حدثت فى الجو تقلبات من بارد إلى حار كما أثبت ذلك علماء الجيولوجية

ويتميز هذا الزمن بزحف الجليد الذى غمر الجبال الشاخطة ثم تقهقر ثانية مما كان يسبب انخفاض درجة الحرارة . وكل ما يهتما فى ذلك هو أن العصر الحجري السفلى قد بدأ فى نهاية عصر حدث فيه تقهقر جليدى ، على حين أن العصرين الحجري المتوسط والأعلى يتفقان مع الزمن الجليدى المتتابع ويظهر العصر الحجري الحديث بتبدىء فترة تقهقر جليدى جديدة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا .

أول ظهور الانسان

العصر الحجري القديم السفلي :- يمتاز هذا العصر بجو حار رطب يشبه جو المناطق الاستوائية الآن ، غير أنه كان يميل إلى البرودة التدريجية وهذه الحالة في أوروبا تنطبق على أفريقيا الشمالية أيضاً على أن الوصف الذي أوجزناه عن القطر المصري في فجر عصر ما قبل التاريخ يمكن تطبيقه على الأقاليم الواقعة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط ولدينا براهين عدة من حفريات العظام التي استخرجت من رواسب الزمن البلستوسيني ( الزمن الرابع ) وقد عرفنا أنه كان ينمو في أوروبا في ذلك العهد حيوانات من ذوات الثدي ، في وسط غابات كثيفة وعلى شواطئ مجارى مياه وكانت عظيمة الحجم مثل جاموس البحر ووحيد القرن ، والفيل الضخم واللب والضبغ والغزال والحصان وغزال الأركس . وقد اختفى كثير من هذه الحيوانات الآن ، على حين أن بعضها قد هاجر فيما بعد نحو الأقطار الاستوائية هارباً من شدة البرد الذي اكتسحه في الزمن الذي تلى هذا العهد .

العصر الحجري  
القديم السفلي

وعثر على بعض بقايا بشرية مختلطة ببقايا حيوانات معاصرة غير أن ما عثر عليه لم يكن إلا أجزاء من جماجم مثل فك «مور<sup>(١)</sup>» المشهور أو بعض عظام بسيطة . وقد سهل جو هذا الزمن المعتدل للإنسان أن يعيش في الهواء الطلق على شواطئ الأنهار والبحيرات أو في الغابات وكان هذا الإنسان يتخذ أكوخاً من فروع الأشجار مسكناً له . أما مقابرهم فيظهر أنها قلبت رأساً على عقب بفعل الفيضانات

« فك مور »

(١) نسبة إلى مكان هذا الاسم Mauver بالقرب من مدينة «اليد لبرج» في ألمانيا . والظاهر أن عهده يرجع إلى زمن تقعر جليدي . وهذا المكان يحتوي على بقايا حيوانات تؤكد الاستنتاج إذ يحتوي على بقايا عظم لوحيد القرن . وهذا الفك لا دقن له وهو عظيم الحجم ولكن الإنسان تدل على أنه للإنسان . ويستهزأ المؤرخون أنها من جبر الوستيري

انحطاط الجنس  
البشرى في هذه  
الفترة

التي كانت تخرب هذه الجبهات تخريباً ذريعاً ، ولذلك لم يعثر منها على آثار تذكر مع أن هذه البقايا الضئيلة التي عثر عليها في الرواسب - وهي بلا شك ذات قيمة عظيمة عندنا - قد عرفنا منها ان الجنس البشرى في ذلك الوقت كان منحطاً جداً غير أن عدم العثور على هيكل تام لم يمكننا من اعطاء رأى قاطع في تركيبه الطبيعى

أما عن صناعة هذا العصر فان معلوماتنا قد زادت لأن بعض المواد التي استعملها انسان ذلك العصر تكاد تكون غير قابلة للتلف رغم كرم العصور . حقا ان الدبابيس ذات القبضة المصنوعة من الخشب لم تحفظ لنا كغيرها من الأشياء المصنوعة من المواد القابلة للعطب مثل جلد الحيوان ولحاء الأشجار التي كان يستعملها ذلك الانسان غطاء له ، ولكن أسلحة الصيد والحرب وكذلك الآلات التي كان

آلات هذا العصر

يستخدمها في سلاح فريسته كانت مصنوعة من حجر صلب وارهف حدها وقد قاومت هذه الآلات تأثير الزمن وبقيت الى عصرنا هذا . وقد عثر عليها مهيئة على شواطئ الأنهار مدفونة تحت طبقات سميكة من الحصى الذى دحرجته تيارات الماء السريعة معها . وكان انسان ذلك العصر عندما يعوزه الظران وهو اهم مادة لصنع آلاته يستعمل بدلا منها كورثسيت أو الأحجار البركانية أو الحجر الجيرى الأبيض الصلب وأهم آلة كانت مستعملة في هذا العصر هي ( البلطة ) الغليظة البيضية الشكل وقد تكون مثثة ذات شفرات حادة تتصل بحد مرهف قاطع . وتصنع هذه الآلة من قطعة من الظران طبيعية على شكل الكلى وذلك بإزالة شظايا متعادلة من حروف قطعة الظران هذه بواسطة ازميل وهذه الآلة كانت عظيمة الخطر في يد المحارب ؛ على أنها كانت كذلك تستعمل لأغراض أخرى . ويوجد نوع منها لم

البلطة الغليظة ومنها



يهذب إلا من أحد وجهيه ويستعمل كقطع لتخليص العظام من اللحم ولسلخ الجلود .

وخلافاً لهذه الآلات التي يطلق عليها ذات الوجهين Bifaces والتي قد تصل أحياناً إلى حجم عظيم ، فإن إنسان هذا العصر أستعمل شظايا بيضاء كان يحصل عليها بقطع كلية من الظران تهمل نواتها في النهاية ؛ ويلاحظ ذلك أن كل شظية تقطع بهذه الكيفية فيها بروز مستدير عند النقطة التي وقع عليها الكسر الذي يترك أثراً على هيئة تجويف في النواة نفسها . وهذه العلامة تدل بمثابة خاصة مميزة للمصنع الذي صنعت فيه . مما يثبت لنا أن هذه الشظية قد قطعت وهذبت قصداً وذلك مما لا يوجد في الشظايا الطبيعية

وهذه الشظايا مرهفة الحد كاللوسى القاطع ولذلك كانت تستعمل بدلا من السكاكين وأحياناً تستعمل كمقشط وذلك بعد إجراء بعض إصلاح في أحد وجهيها أو في نهاية الشظية . وهذه الإصلاحات أو (الرتوش) لا تتناول الوجه العلوى من الشظية ولذلك يطلق عليها اسم الآلات ذات الوجه الواحد ، وكذلك يدخل تحت هذا النوع من الآلات ذات الوجه الواحد الشظايا التي كانت تصنع بهذه الكيفية لتحضير الجلود والعظام التي كان يستعملها إنسان هذا العصر

خاصيات هذه الصناعة

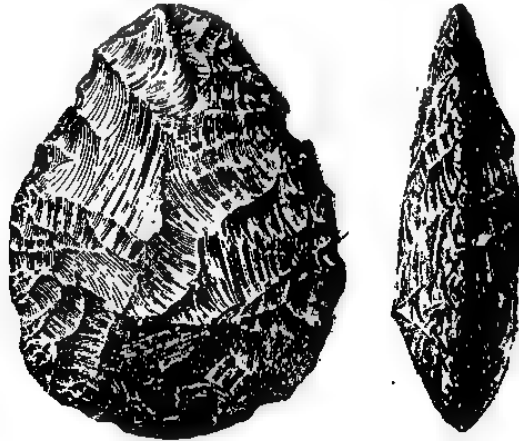
الآلات ذات الوجه الواحد

أما عن اخلاق هذا الإنسان وعاداته فانا لا نكاد نعرف عنها شيئاً قط اللهم إلا انه كان لا يختلف كثيراً عن قبائل الأقزام الذين يتجولون في الغابات الاستوائية ويعيشون على صيد البر والبحر

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن هذا الإنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية

والدينية لأنها لا تزال موضع تخمين، إلا أننا من جهة أخرى يمكننا أن نحكم عليه من الآلات التي صنعها والتي هي الآن في متناولنا إذ تبرزه لنا كإنسان راق يسيطر بذكائه على الحيوان الذي يشن عليه الحرب يومياً ، يضاف إلى ذلك أنه كان في قدرته أن يخترع ويحسن كل ما هو في متناوله فقد عرف كيف يوقد النار ويطهو طعامه ، هذا رغم أنه كان لا يعرف إلى هذا الوقت صناعة الفخار . واستعداد هذا الإنسان وقدرته على أسباب الرقي يظهر جلياً عندما تنتقل من طبقة إلى أخرى في القطاعات التي بحثت في الأماكن التي يرجع عهدا إلى العصر الحجري القديم . فمثلاً نلاحظ أن البلطة الثقيلة الخشنة الصنع التي توجد في أسفل طبقة من العصر الحجري تحف تدريجاً في الطبقات العلوية ويحل محلها آلات أحسن صنعاً وبذلك تختفي الصناعة الشيلية الخشنة أمام الصناعة الآشلية التي أتت آلات تعد من فرائد الفن.

أختفاء الصنعة  
الشيلية الخشنة أمام  
الصناعة الآشلية  
الحسنة



ظران من العصر الحجري القديم السفلى - صناعة شيلية عثر عليها في « است »  
على ان كل ما كشف إلى الآن في أوروبا من العصر الحجري القديم  
السفلى ينطبق في مجموعه على كل ما عثر عليه في مصر . وكذلك الأبحاث العدة التي

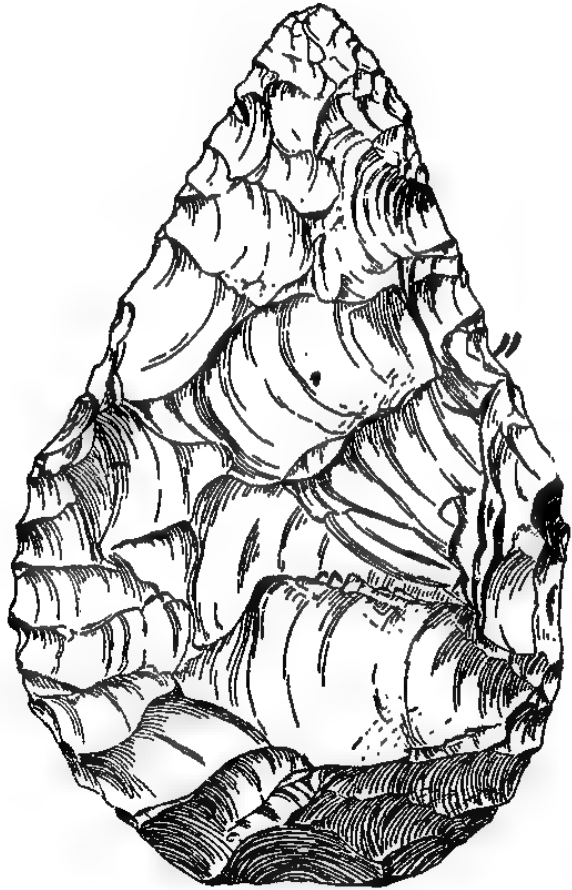


قبضة يد من الطران من العصر النشلي  
الاوربي

طران من العهد النشلي عثر عليه على طريق القواقل  
بين النواحة الخارجة والمراية



بلط من الطران عثر عليها في طيبة من العهد الآشلي



قبضة يد من الطران من العصر الآشوري  
( تستعمل كبطانة )

عملت في إفريقية الشمالية يتفق مع ما كشف في أوروبا. وقد صرح علماء ما قبل التاريخ بأن حالة الحياة كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة، ولا ريب أن في هذا الزمن كان مضيق جبل طارق مفتوحاً في بداية الزمن البليستوسيني، وبذلك انفتح الاتصال القديم الذي كان بين إسبانيا ومراكش، ولكن يظن في الوقت نفسه أنه كانت هنالك قنطرة عظيمة طبيعية تربط تونس بصقلية وإيطاليا الشمالية ولو أن ذلك مشكوك فيه إلا أنه على كل حال لم يكن الاتصال عسيراً بين شاطئى البحر داخلى أقل اتساعاً من البحر الأبيض المتوسط الحالى.

الصناعة الاوربية  
تنطبق على ما عثر  
عليه في مصر

ويمكننا أن نشبه هذا القطر - الذى انكش الجزء المسكون منه إلى شريط ساحلى - ببحنة تجري من تحتها الأنهار، حيث كانت الأمطار الغزيرة تكسوه خضرة يانعة وغابات تحف جبال الأطلس الشاهقة، وأشجارا تغطي السهول وكانت عيون الماء والأنهار تتدفق فيها مجتذبة إليها حيوان إفريقية المختلف الأنواع كالجلل وحمار الحبشة والقردة ومختلف أنواع الغزال والثيران التى تشبه حيوانات أوروبا في هذا العهد. وفي هذا الاقليم الذى يكثر فيه حيوان الصيد نجد آثار الإنسان في كل مكان إلى مسافات آلاف الكيلومترات من وسط المساكن الحالية.

وكان وادى النيل الذى لم يكن يفصله الا فاصل صحراوى عن الممالك المجاورة له في ذلك الوقت يتمتع بمناخ يشبهها، وفيه من الحيوانات مثل ما فيها وقد عثر على بعض بقايا منها ولكنها لا تعطينا فكرة واضحة. ولا شك أن الأسنان والعظام التى استخرجت من مصب النيل عند سهل العباسية الحالى قد سدت

قصاً كان في سلسلة الملاحظات التي قام بها علماء الحيوان والنبات لذلك العهد ،  
من مراكش إلى تونس . ورغم أن دراستها لم تتم إلى الآن إلا أننا نعلم أنها لتماسيح  
وحوانات ثديية عظيمة الحجم مثل الفيل وجاموس البحر والثيران . وهذه العظام  
والأسنان تشبه عظام الحيوانات المنسوبة للعصر الحجري القديم السفلى التي عثر  
عليها في إفريقيا الشمالية وإذا كانت الرواسب النيلية لم تكشف لنا للآن  
عن بقايا بشرية فأننا من جهة أخرى قد عثرنا على آلات شبلية وآشلية تشبه ما عثر  
عليه في أوروبا في ذلك العهد . وبذلك ظهر لنا أن وحدة الحيوان والجو في كلا  
الجهتين كانت متشابهة . وقد عثر فعلاً على ( بلط ) مبعثرة أو مجمعة على  
سطح الأرض في كل مكان تقريباً؛ فنجدها على الهضاب التي كانت تحتضن النهر في  
ذلك الوقت ، وعلى المرتفعات التي انحسرت عنها المياه ، وفي قرا الوديان ، وفي  
منحدراتها .

وقد سبق أن ذكرنا المصانع التي عثر عليها «ارسلان» في تلال أبواب الملوك وقد  
استغلها من بعده عدد من الباحثين وقد عثروا على بعض آلات جميلة لوزية  
الشكل لونها لون الشكالاته وذلك مميز خاص لها ، ويوجد منها عدد عظيم يزيّن  
متاحف أوروبا الآن . وقد كشف عن أماكن أخرى العالم «دى مرجان» في  
الوجه القبلى مثل طوخ والعراة وإسنا ، وكذلك عثر على مصانع في الفيوم وفي منطقة  
الأهرام بنف . ومنذ ذلك العهد أخذت الكشوف تترى في كل جهات الوادى ،  
وسنكتفى بذكر أهمها ونخص بالكلام المحطة التي عثر عليها بالقرب من نجع حمادى  
المعروفة بأبى النور ومصنعا في الجبل الأحمر الواقع في الشمال الشرقى من القاهرة

المصانع التي عثر عليها  
في جهات مصر لصنع  
الظران من هذا العصر

وقد وجدت فيه مجموعة آلات مصنوعة من حجر الكوارتسيت ، وبالقرب من **قا**  
عثر على مصنع يرجع عهده إلى الصناعة الآشلية .

وقد كشفت الأبحاث أن العصر الحجري القديم السفلى لا يقتصر على شاطئ  
النيل بل يمتد إلى الصحارى التى تحتضن هذا النهر العظيم بين جنبيها ، ولا أدل على  
ذلك من الآلات التى وجدها الألب «ريشار» فى الغابات المتحجرة الواقعة شرق  
القاهرة الحالية ، وقد كان وجودها فى هذا المكان الباعث له على هذه الفكرة ثم جاءت  
أبحاث العالم «شفينفورت» أيضاً تؤيد هذه الفكرة. ولما كان العالم «دى مرجان» كلفاً  
بمعرفة مقدار امتداد الصناعات الأولية الفطرية لذلك العصر، أرسل العالم «لجران»  
لارتياح الصحراء اللوية وفعلاً صادف فى طريقه من الأقصر إلى الواحة الخارجة  
ثم من الخارجة للعرابة المدفونة عدة مصانع سطحية ؛ وكذلك عثر على طرق قديمة  
كانت تبتدى من النيل إلى الواحات ، وقد لاحظ قاعدة عامة : هى أنه عند كل  
عقبة (أى عند كل نقطة يجتاز فيها طريق القوافل هضبة حادة) كانت توجد محطة  
من العصر الحجري القديم السفلى وكذلك قام «هنرى دى مرجان» شقيق «دى  
مرجان» مدير مصلحة الآثار برحلة وقد لاحظ نفس الملاحظات فى الوديان التى  
تربط إسنا بواحة كركور .

العصر الحجري القديم  
يتمدد الى الصحراء

« لجران » ويحوى

ولا يفوتنا أن نذكر هنا المصانع العدة التى عثر عليها «شفينفورت» قبل بداية الحرب  
العظمى فى أبى العجاج الذى ينفذ على النيل شمال أسوان . وهذه المصانع كانت  
تصنع فيها آلات من الحجر النوبى وقد قام عدد من العلماء فى السنين الأخيرة  
بفحص الواحات فحصاً منظماً فثرت الحملة التى قام بها الأمير كمال الدين حسين على

أبحاث العلماء  
الآخرين

آلات من الصناعة الشيلية والأشيلية على الهضاب التي تمتد غرب الواحات ويمكن رؤيتها حتى على مرتفعات «العوينات» في قلب الصحراء .

على أن هذه المحطات السطحية مهما كانت فائدتها فإنها في الواقع لم تشف غلة الباحث المدقق إلا قليلا . إذ أنها وإن كانت قد كشفت لنا عن وجود إنسان العصر الحجري القديم ومواطن سكناه في مصر إلا أنها لم تبرز لنا شيئا عن صناعته وتدرجها نحو الرقي . ويلاحظ أن في هذه الأماكن التي كان يختارها الإنسان الأولى قرية من المياه ومن مناطق خصبة عامرة بالنبات زاخرة بحيوان الصيد كانت تسكن القبائل الفطرية أحيانا قرونا عدة حتى يأتي وقت يضطرون فيه إلى الهجرة منها . ومن أجل ذلك نجد على سطح الأرض آلات مختلطة بعضها ببعض وأسلحة من الحجر تركها السكان الذين كانوا غالبا من شعوب مختلفي الثقافة . وليس من السهل وجود أماكن لم يحدث فيها اختلاط . وقد كان من حسن حظ الباحث «سند فورد» أنه عثر على محطة من هذا النوع الأخير في إقليم قنا

اختلاط المدينيات  
لتمدد الثقافات

ومنذ زمن بعيد أخذ العلماء يبحثون عن الرواسب التي تنجى في باطنها أقدم الآلات التي صنعها الإنسان الفطري . وقد جادت الصدف السعيدة بوجود آلات مرتبة حسب قدمها في طبقات جيولوجية بعضها فوق بعض . وقد حاول بعض العلماء من قبل الوصول إلى ذلك ولكنهم لم يفلحوا حتى أسعد الحظ العالم «دي مرجان» قبل موته ببضعة أشهر فمثر على رواسب في طبقات بعضها فوق بعض حلت المشكلة نهائيا وهذه الرواسب كانت موجودة غير أنه كان من الضروري البحث عنها في

«دي مرجان» أول  
من كشف طبقات  
مرتبة ترتيبا تاريخيا



مضانها ، وكان ذلك لا يتأتى إلا فى جوف الأرض على بعد عميق أى عند  
مصب النهر القديم إذ هناك تقف المياه فى طريق مجراها وتترك رواسبها التى لا  
يمكن حملها أبعد من ذلك . وقد كان من الطبعى أن تتجمع هذه الرواسب طوال  
مدة العصر الحجري القديم السفلى حافظة فى طبقاتها التى تكون بعضها فوق  
بعض بقايا الصناعات المعاصرة لكل طبقة .

وهذه الأراضى قد أصبحت فى مستوى واحد عند بداية الدلتا وعلى حاقها  
حيث لم يتمكن الغرين الحالى من تغطيتها بعد أن زالت عنها المياه وجفت فى أول  
العصر الحجري القديم . وبهذه الكيفية بقى سهل العباسية الصغير لم يس بعيداً عن  
فعل الفيضان . وهذا السهل يمتد من سفح هضبة النيل القديمة الواقعة فى الشمال  
الشرقى من القاهرة . وقد سبّل أخذ الرمل والزلط لمبانى مدينة القاهرة  
الحالية منه حفر هذا الشريط الصحراوى إلى عمق عظيم يبلغ نحو ٣٠ متراً ، أويزيد  
كما سبّل ذلك أيضاً درس المنطقة ومحتويات طبقاتها . وفعلنا وجدت الرواسب النيلية  
فيها بسمك عشرة أمتار فى المتوسط وعثر فى وسط الزلط على الآلات التى تبرهن  
على توالى صناعات العصر الحجري القديم توالياً تاريخياً فوجدت الآلات الشيلية ثم  
الآشيلية بعضها فوق بعض ؛ وقد اختلط بها بعض بقايا الحيوانات المعاصرة .

كشفت طبقات متوالية  
نوالياً تاريخياً فى  
سهل العباسية

وهذه الآلات وجدت منفصلة بوضوح عن الآلات المoustيرية التى لا توجد إلا  
على سطح السهل . وقد حقق هذه النتيجة البحث الذى قام به كل من الأثريين  
« سندفورد » و « اركل » . وكانت جامعة شيكاغو قد كلفتها ببحث علم فى  
وادي النيل وتوابعه فقاما ببحوث منظمة فى رواسب مرتفعات جهات « قاو »

و«أرمنت» ومنخفض الفيوم وقد كانت البحوث متبجة وبخاصة في «وادي قنا» حيث أصاب الباحث «مرى» نجاحاً من قبل إذ جمع مجموعة من الآلات الجيلة . فهناك وجدت آلات العصر الحجري القديم السفلى في مكانها الأصلي في الرواسب البلستوسينية كما وجدت صناعات مايرى على السطح ؛ فوجد منها من أول الشيلية الى المستيرية . وكان بعضها منفصلاً عن بعض بوضوح على المرتفعات التي يتراوح عمقها بين ٣٥ متراً وخمسة أمتار تقريباً على كلا شقي الوادي .

### العصر الحجري القديم المتوسط

ترجع معرفتنا للأنسان المستيرى في أوروبا أكثر من معرفتنا لأنسان العصر الذى سبقه إلى عوامل طبيعية غيرت معيشته تغيراً عظيماً وذلك أن درجة الحرارة التى كانت مرتفعة في العصر الشيلى قد أخذت في الانخفاض في العصر الذى أعقبه كما تبرهن على ذلك كثرة الرواسب الأشيلية من بقايا فيل عظيم ذى شعر كثيف وهو المعروف بالماموث الذى لا يعيش الآن في الجو البارد . ويانتهاء العصر الحجري القديم السفلى ينتهى كذلك عصر تقهر الجليد؛ ويتفق العصر الحجري القديم المتوسط مع عصر جليد طويل امتد حتى العصر الحجري القديم الأعلى . وفي ذلك العصر أخذت الحيوانات ذوات الجلد السميك تقهر نحو الجنوب متخيلة عن أماكنها تدريجاً إلى الحيوانات الأخرى ذوات الثدى التى هاجرت من البلاد الشمالية ولم يبق في مكانه إلا الماموث ووحيد القرن صاحب الخرطوم المقسم بنتوء . وفي خلال هذا العصر أخذ الأنسان يتخلى عن عيشة الهواء الطلق واتخذ مأواه أما تحت

بحوث العالمان

« سند فورد »

« وأركل »

عصر جليد طويل  
امتد حتى العصر  
الحجري القديم الاعلى

الصخور أو في الكهوف العميقة التي كان يشاطره فيها الضبع ودب الكهوف التي كانت أول من سكنها؛ أما موقده فكان يقيمه على الفضاء الذي يتقدم مدخل كهفه أو عند باب الكهف نفسه . وهناك وجدت مخلفاته وجباته مختلطة مع بقايا الآله وقد تكون من هذه البقايا فيما بعد أكوام من الرواسب متماسكة بفعل الترسيع المختلط بالمواد الجيرية . وفي هذه الأكوام تجمعت عظام الحيوانات التي كان يصطادها الإنسان مع آلات الطران . وهذه الأكوام كانت في الواقع بمثابة سجلات غير مكتوبة وبها يمكن المؤرخ أن يعرف مقدار الرق أو الانحطاط في الصناعة من مستوى لآخر من الطبقات التي كان بعضها موضوعا فوق بعض وضعا تاريخيا . وكذلك يمكنه أن يرتب حيوانات هذا العصر حسب قدمها التاريخي . وأعظم من ذلك كله أن الإنسان المستيرى كان يدفن في هذا المغارات نفسها ومعه حليه وسلاحه . وقد كان مجهزا بما يحتاج إليه في آخرته ، وقد عثر على هياكل آدمية تامة درست درسا علميا؛ ولا شك أن الحفائر المنظمة التي عملت في هذه المقابر التي سكنها الإنسان مدداً طويلة مكنت العلماء من وضع أساس لتاريخ الصناعات التي أتت متتابعة منذ العصر المستيرى إلى العصر الحجري الحديث وقد بدت تغيرات واضحة في فن تهذيب الطران إذ نجد أن الدبوس الذي حذق في إتقانه الإنسان الآشلي إلى درجة عظيمة قد أخذ ينحط انحطاطا عظيما في عهد الإنسان المستيرى إذ صغر حجمه حتى أصبح ضئيلا جداً وكان ذلك بمثابة اعلان لاثمالة استعماله ؛ أما الآلة الخاصة بهذا العصر فهي شظية من الطران مثثة الشكل مرهفة الحد قد اقتطعها الصانع من نواة حجرية جهزت

أول سكني  
الكهوف والمخلفات  
التي عثر عليها فيها

سجلات هذه  
الكهوف وفائدتها  
للتاريخ

النور على هياكل  
آدمية تامة

بناية لهذا الغرض بطريقة تحتاج إلى مهارة فائقة . وقد أطلق المؤرخون على هذه الآلة اسم ظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . وهذه الآلات الحادة كانت بمثابة سهام يثبتها المحارب في نهاية حربته ، وكذلك كان يصنع شظايا أخرى يستعملها محشة أو مقراضاً أو منشاراً لحاجياته اليومية . على أن كل هذه الآلات كانت لا تهذب إلا من وجه واحد وهو العلوى عادة أما تهذيب الوجهين فقد استمر على العكس يستعمل في بعض « أقراص » ذات حد قاطع وهي التي كانت تستعمل أجباراً للمقلع

انتشار المدنية  
المستيرية

وقد انتشرت المدنية المستيرية كسابقها في كل إفريقية الشمالية وعر عليها في آسيا . وقد وجدت براهين عدة تثبت ذلك . وبينما نجد وحدة ظاهرة في الجو والصناعة في العصر الشيلي الآشيلي على كلا شاطئى البحر الداخلى ، إذ نجد في الوقت نفسه أنه قد ظهر خلاف بين المستيرى الأوروبى وما يماثله في إفريقية . حقاً قد عثر في جبال الأطلس وبلاد الحبشة على آثار امتداد الجليد ، والرواسب التي عثر عليها في كهوف بلاد الجزائر مما يدل على أنها كانت مستعملة . ولكن من جهة أخرى تدل الملاحظات العامة التي قام بها العلماء على أن برودة الجو التي كانت محسوسة تماماً في أوروبا في العهد الحجري القديم المتوسط كانت أقل بكثير في المنطقة الأفريقية وذلك لأن انخفاض الجبال الأفريقية لم يساعد على تكوين جليد بدرجة عظيمة مثل الجليد الذي كان في أوروبا الوسطى .

اختلاف درجة  
الحرارة في إفريقية  
عنها في أوروبا في  
هذا العصر

أما الحيوانات وإن كان قد حدث فيها بعض التغير إلا أنها بقيت على حالتها الاستوائية أو السودانية فلم نجد من بينها الماموث أو الحيوانات الأخرى التي تميز

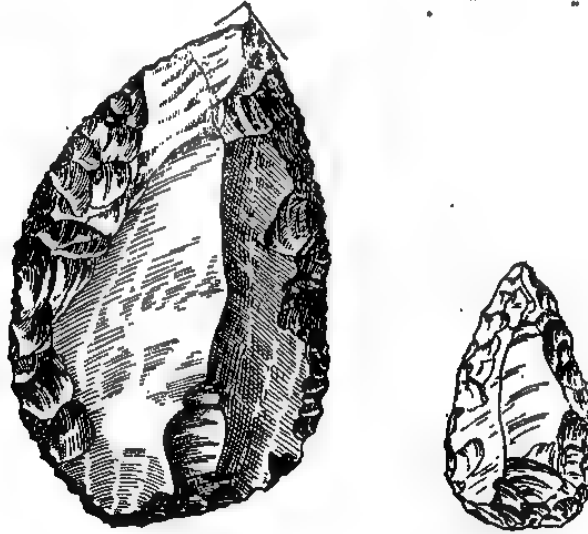
الإنسان المoustirى  
أكثر سعادة في مصر  
منه في أوروبا

العصر المoustirى، وفي الجملة فإن الحالة العامة للحياة قد بقيت تقريباً كما كانت عليها في العصر المتقدم الذكر. وقد كان أنسان العصر المoustirى أكثر سعادة في أفريقية منه في أوروبا إذ كان الأخير مضطراً لأن يعيش في الكهوف. أما الإنسان الأفريقى فقد استمر يعيش في الهواء الطلق ويتمتع بالصيد. والظاهر أن الكهوف لم تكن تستعمل إلا عند ما تكون بالقرب من الجبال حيث يشعر الإنسان ببرودة الثلج. أما في مصر حيث كان ارتفاع الجبال ضئيلاً فإنه لم يعثر على كهف سكن فيه الإنسان يرجع تاريخه إلى هذا العصر. والواقع أن المحطات المoustيرية توجد عادة على سطح الأرض وهي في تبعثرها تتفق في مجموعها مع المحطات التي عثر عليها في العصر السابق. والآلات المديية التي يمتاز بها هذا العصر وهي التي وجدت معها النواة التي صنعت منها فقد عثر عليها في أماكن عدة في وادى النيل وفي المناطق الصحراوية التي كانت لا تزال وقتئذ آهلة بالسكان وقد وجدت هذه الشظايا المديية في حالات كثيرة مختلطة مع البلط التي خلفها السكان الأول. وهذا الاختلاط العادى لتلك الآلات الذي يمكن ملاحظته على حدود الصحراء كما يلاحظ في مصانع تلال طيبة قد حدا بالعالم «دى مرجان» أن يعتقد أن هذين الصنفين من الصناعة قد أخرجتهما يد واحدة في عصر واحد، أما الرأى القائل بأن الصناعات المoustيرية قد وجدت في أماكن مختلفة منفصلة بوضوح عن الصناعة الشيلية الأثيلية فأصبح لا يؤخذ به وقد اعترف العالم «دى مرجان» نفسه في كتابه الذي طبع بعد وفاته بذلك الرأى. وتفسيراً لذلك يمكن الإنسان أن يقارن محطات الجبل الأحمر بمحطات العباسية التي لا تبعد عن بعضها إلا بضعة مئات من

انتشار صنع  
الآلات المديية

الأمتار. فيلاحظ الإنسان في الأولى آلات من الشظايا المدية يرجع عهدها إلى العصر  
الموستيري وبلغا من العصر الأشلي ، وكلا النوعين قد اختلط بصاحبه . كل هذه  
وجدت مطمورة في سفح الهضبة على طول مجرى ماء مختف ، أما في المحطة الثانية  
( العباسية ) فأنت الأمر على عكس ذلك فالآلات التي توجد على عمق  
بعيد يرجع عهدها إلى العصر الحجري القديم السفلي ، أما الآلات الموستيرية فأنها تظهر  
على سطح الأرض وذلك أنه لما كان تهقر الماء محسوساً في ذلك العصر فقد  
تسبب عنه ظهور رواسب متراكمة في خلال القرون التي سلفت في قعر مصب النهر  
الذي أصبح فيما بعد بداية الدلتا .

الآلات الموستيرية  
ظهرت على السطح  
في سهل العباسية



أسلحة مدية من الطران (صناعة موستيرية)

وهذه الأراضي المتخلفة سمحت لبعض القبائل الموستيرية أن تعيش عليها وقد  
جاءت الأبحاث العلمية المنظمة التي قام بها علماء ما قبل التاريخ وعلماء الجولوجية منذ  
عدة أعوام مثبتة لهذه النتيجة الأولى . ومن أهم هذه الأبحاث ما قامت به كل من

بحوث مس كيتون  
تسمى ومس «جردنر»  
في الفيوم

« مس كيتون » و « مس جردنر » في الفيوم . إذ عثر على بحيرة قديمة مستديرة وهي التي عرفت بقاياها فيما بعد ببحيرة موريس . وقد بقي جزء منها إلى الآن على عليه اسم بركة قارون . وكذلك عثر العالم «سند فورد» وزميله «أركل» في الوجه القبلي وفي الفيوم على محطات مستيرية على تلال قليلة الارتفاع بين أغوار الوديان المليئة وبين السطح الأعلى الذي توجد فيه الصناعات الشيلية والأشيلية . وتدل الملاحظات العدة التي استنتجها العلماء واتفقوا عليها جميعاً أن البلاد كانت ولا تزال في ذلك العهد في معظمها تروى ، غير أن النيل وروافده كانت قد أخذت في التقصان رغم شدة انحدارها . وكان التهر إذ ذاك آخذاً في حفر مجراه إلى عمق بعيد وفي الوقت نفسه بدأ مجراه ينكش كما يبدو ذلك من تدرج انكماش شاطئيه . ولا نزاع في أن الأنهار كان يتبع المياه التي لا مندوحة لحياته عنها في قهقرها . وقد بقي هكذا يتبع قهقر المياه في خلال العصور التي تلت بدون انقطاع حتى أصبح النيل على ما هو عليه الآن

## العصر الحجري القديم الأعلى

أخذت الاختلافات التي كانت بين أوروبا وإفريقية في العصر الحجري المتوسط تزداد في خلال العصر الحجري القديم الأعلى إذ بدأ البرد يزداد شدة في أوروبا وكان في البداية رطباً ثم ازداد حدة حتى صار قارساً في النهاية . وقد شاع الإنسان المستيري كثرة وجود الماموث كما وجد جاموس البحر بكثرة في العصر الشيلي . ومنذ ذلك العهد أخذ الماموث يندر وجوده في آن واحد وأخذ الحيوان المسمى بالوعل ( نوع من الغزال له قرون متفرعة ) يظهر ، وكذلك أخذ الحصان يظهر بكثرة أما الإنسان فقد بقي يسكن كهفه حيث عثر على طبقات جديدة التي

ازدياد الاختلافات  
بين أوروبا وإفريقية  
من حيث المناخ

عرفنا منها تدريجاً مستوى الأرض . أما المقابر فكانت تحفر بجوار الموقد وقد عرفنا منها الجنس البشرى الجليل الذى أطلق عليه العلماء اسم Cro-Magnon (١) الذى لا يكاد يختلف عن الإنسان الحالى فى شئ . ومن المدهش أنه عثر فى تلك الكهوف على مظاهر فن حقيق غاية فى الاتقان ، ولم نجد علامات تدل على قرب ظهوره فى الفن المستيرى الحشن الذى سبقه والواقع أنه لم يكن رائده فى إخراج صناعته المنفعة المحضة فقد لوحظ أنه لم يكن مجرد صانع بسيط بل كان يميل بطبعه لتتبع الأسلحة والأدوات المنزلية التى كانت تحذفها يده . ولقد كان عدد القطع الفنية المصنوعة من العظم والعاج وقرن الوعل كثيرة لدرجة أن العصر الحجري القديم الأعلى يستحق أن يطلق عليه اسم عصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العاج وحفره . ولم يكتف أنسان هذا العصر بتزيين خطافه والآلات التى كان يستعملها ، بأشكال هندسية أو نباتية بل تخطى ذلك إلى رسم الأشياء الصعبة المستعصية من الأشكال الحية حتى جسم الإنسان نفسه ، فنشاهد أنه كانت تحفر صور حيوان الماموث وبقر الوحش والوعل على ألواح الشيست وعلى العظام بمهارة يظهر فيها صدق التعبير والحركات التى تكاد تكون هى الطبيعة بعينها ، وكذلك كان يصور بأحجام كبيرة حيوانات أخرى تظهر فيها الحقيقة الخلابة ، وقد كان يحلى بها جدران كهفه ملونة باللون الأحمر أو الأسود ، وقد كانت أحياناً تصور تصويراً بارزاً أو تصنع من الصلصال وكثيراً ما كانت هذه الرسوم والأشكال تحفى فى نهاية غرف لا

(١) . وهو مخبأ صخرى بالقرب من سكة حديد بلدة Les Eyzies وقد عثر فيه على عدة مدافن آدمية ، وكانت بعض الهياكل مزينة بقلائد من اصداف البحر ولو أن البحر ميد عن هذه المنطقة

جنس إنسان هذا  
المصر لا يختلف عن  
الجنس البشرى  
الحالى كثيراً

ظهور علامات فن  
متقن جديد لم يكن  
منتظراً



يكاد يصل إليها الإنسان إذ كانت ثمة محارب سرية لديانة فطرية ، كانت تقام فيها شعائر وطقوس سحرية ربما كان الغرض منها أن تجعل تحت تصرف الصياد .

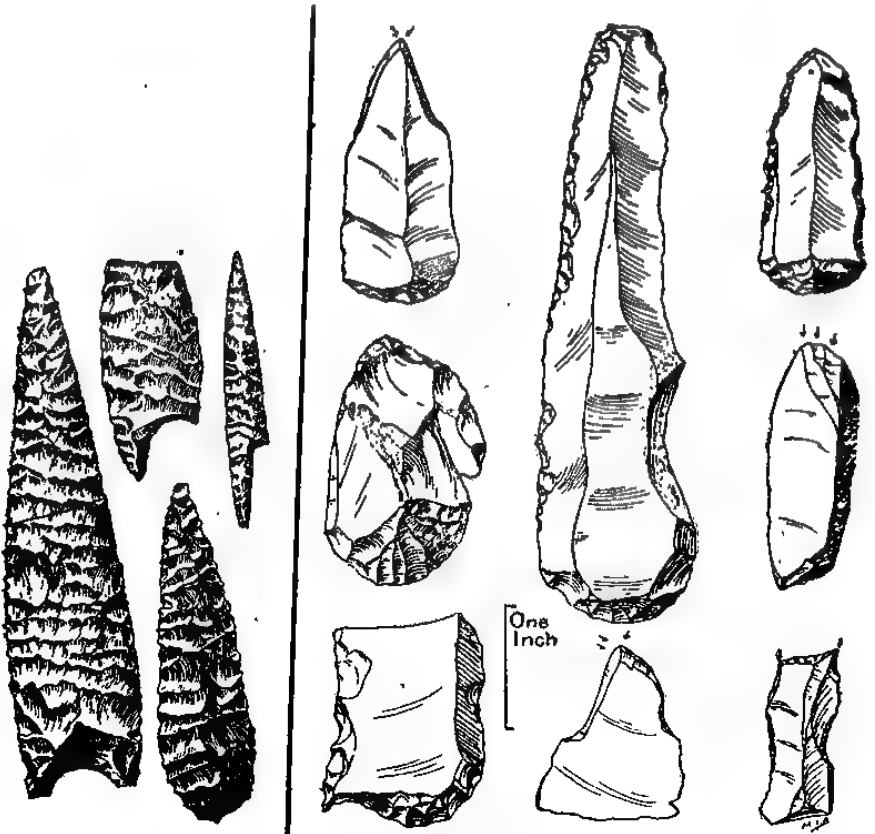
ظهور الألوان على  
جدران الكهوف  
في هذا العصر



صناعات عظمية من العصر الحجري القديم الاعلى

الحيوانات التي يريد صيدها ، وكذلك تمتاز صناعة هذا العصر باستعمال شظايا  
انظران بطريقة حازمة ، وذلك أن صانع هذا العصر ترك الصناعة المستيرية ورجع  
إلى استعمال النواة القديمة التي كان يستخرج منها أسلحته الجميلة وهي التي كانت تمتاز  
بطولها ورقتها . والواقع أنه كان يستطيع بوساطة تحسينات حاذقة أن يصنع من  
تلك الشظايا البسيطة آلات متعددة الأنواع يصعب علينا غالباً أن نعرف كيف كان  
نسان هذا العصر يستعملها . فمنها المنقش ، والمبرد ذو الأسنان ، والنصال ذات الحزات  
والنصال ذات الظهر .

ظهور آلات دقيقة  
الصنع



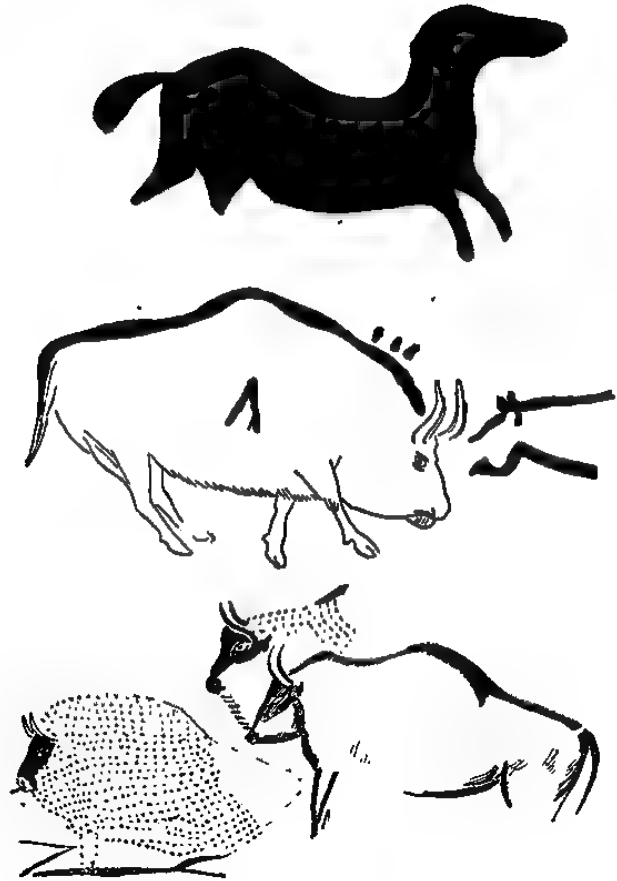
ظران من الصناعة السلوتونية

آلات من الطران ترجع للعهد الاورجناسي

والمصور الثلاثة التى ينقسم إليها العصر الحجري القديم الأعلى لاتهم الموضع  
 المصرى إلا من بعيد وسنكتفى هنا بأن نشير إلى أنه بين العهد الأوريجناسى *Orignacien*  
 الذى يظهر فيه فن الزخرفة والعهد المجدلى الذى يبلغ فيه هذا الفن قوته تظهر في  
 بعض الأقاليم الصناعية الغربية التى يطلق عليها اسم السلوترنية *Solutreenne* تقدمت  
 صناعة آلات الظران المهدبة من الوجهين وهى التى ظهرت فى شكل سنان مدعشة على  
 «ورقة الغار». ويجب هنا أن نشير إلى أن صناعة الظران كانت آخذة فى الانحطاط  
 فى نهاية العهد المجدلى وأخذ يظهر فى أشكال هندسية وقد عثر على هذه الأشكال  
 فى أوائل العصر الحجري القديم الأعلى وقد استمر إنسان إفريقية الشمالية يتمتع فى  
 خلال هذا العصر بما كان يتمتع به إنسان العصر السابق من نعم الجو الجميل . وقد  
 كان سكان الجبال فقط هم الذين يحتمون من غائلة البرد فى الكهوف التى يستعملها  
 أهل العصر السالف أما سكان الهواء الطلق فكانوا يعيشون فى الأقاليم ذات  
 الارتفاعات القليلة فى العادة. على أن توزيع هذه الأمطار جغرافياً يكشف لنا عن جو  
 أشد حرارة من جو أوروبا فى هذا العصر ، ولكن أكثر جفافاً فى الوقت نفسه من  
 الجو الذى كان يسود إفريقية فى العهد الموستيرى ، فقد كانت الأمطار أقل غزارة  
 إذ لم تكن كافية لتغذية الأنهار التى كانت آخذة فى التناقص وكذلك البحيرات التى  
 كان سطحها آخذاً فى الانخفاض ، ولذلك بدأت النباتات التى كانت تنمو على  
 الهضاب تقل ، وفعلاً أخذت الأمطار تنقلب إلى صحار وبعد أن كانت جنت  
 خضراء صارت قحاراً قاحلة يسود فيها العطش والموت الأسود . يضاف إلى ذلك  
 أن الحيوانات التى كانت لا تختلف كثيراً عن حيوانات عصرنا هذا لم تهجر نمو

بداية ظهور الجفاف  
 فى أقاليم إفريقية  
 الشمالية

الجنوب فكان منها ما هو منتشر مثل النعامة والغزلان والوعل وكذلك وحيد القرن والزرافة وحمار الوحش . أما الإنسان فكان يتبع تقهقر المياه وأخذت مساكنه تنكش وتتحصر في أماكن خاصة ولا سيما بعد أن أخذ يهجر الأقاليم الشاسعة التي

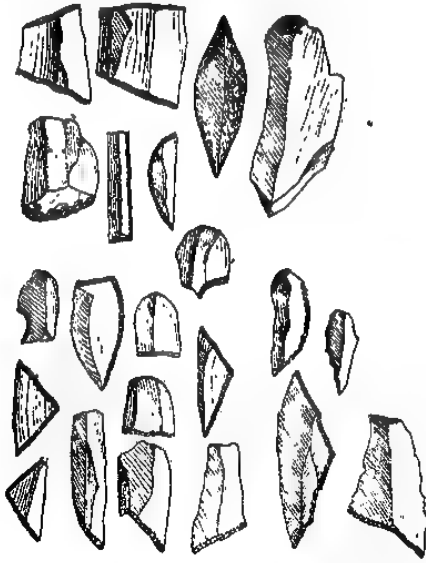


صور عثر عليها في كهوف من العصر الحجري

غزاها القحط ولم يعد إليها ثانية.

ولا نعرف إنسان هذا العصر إلا بآثار ضئيلة حفظت لنا في الكهوف التي كانوا يسكنها . وجنس هذا الإنسان لا ينسب لأنسان Neandrthal (١) ولا إلى إنسان Cro - Magnon . وعلى الرغم من أنه كان ذا ثقافة إلا أنه للأسف لم يترك لنا آثاراً تمكننا من مقارنتها بما تركه لنا معاصره في أوروبا .

ولم نعثركذلك في الأرض الافريقية على التقسيم الواضح الذي تركه لنا العصر الحجري القديم الأعلى في الشمال ، ولم نلاحظ في الواقع إلا ناحية واحدة خلعة .



آلات ميكروليتية من الفترات

(١) في عام ١٨٥٦ عثر بالقرب من بلدة « دسلدرف » على قطعة من ججمة في كهف صغير Neanderthal ولم يثر معه على بقايا حيوان ولكن في كهف بالقرب منه عثر على عظام ماموت والظاهر أنها من العصر الجيولوجي الرابع .

بالصناعة الأوريجناسية وهي التي أخذت آلاتها ترتقى نحو الأشكال المصنوعة من الأحجار المكروليتية والأشكال الهندسية التي كانت على شكل أهلة أو شكل منحرف الأضلاع . وهذه ما يطلق عليها الصناعة الكبسية Capsien نسبة إلى بلدة جفصة في تونس .

والواقع أن الصناعة الجفسية منتشرة جداً في مختلف أصقاع الجزائر وتونس . على أن وجود رواسب في كهوف هذه الجهات على شكل طبقات بعضها فوق بعض يسهل لنا تمييز العصور حسب ترتيبها التاريخي ومن بين هذه المحطات السطحية عدد عظيم يظهر على شكل الأمكنة التي يوجد فيها قواقع «الأسكرجو» وهي عبارة عن تلال ذات أبعاد صغيرة تتكون فيها بقايا المطاهى حول موقد القبيلة ويشتمل على عدد لا حد له من محار (الاسكرجو) القابل للالتهاب ومعه شظايا مديبة من الطران كانت تستعمل بلاشك لاستخراج محتويات المحار ، وأحياناً كان يوجد في هذه التلال من المحار ، وفي محطات أخرى جفسية يبيض نعام مهشم استعمله الإنسان آنية له فكانت تحمل محل الفخار الذي لم يكن قد عرف بعد .

على أن هذه الصناعات الخاصة بالعصر الحجري القديم الأعلى لم يوجد ما يشبهها في مصر في هذا العصر وتلك خاصية امتازت بها صناعات مصر في ذلك العهد وقد كان العالم «دى مرجان» يظن أن الصناعة المoustيرية التي على شاطئ النيل قد امتدت حتى ظهور العصر الحجري الحديث ، ولكن اتضح أن ذلك غير صحيح وقد كان أول من برهن على ذلك العالم «فينار» إذ وجد أن المحطات التي درسها بالقرب من قرية «السييل» في حوض «كوم امبو» يرجع تاريخها بلاشك إلى العصر

الصناعة المكروليتية

قواقع الاسكرجو

المدنية السييلية

الحجرى القديم الأعلى .

ووقع المحطة على ارتفاع أعلى من مستوى غرين النيل الحديث شاهد على انخفاض المياه ، الذى نعلم أنه كان عاما فى هذا العصر وقد سمي « فينار » هذه الصناعة باسم الصناعة السيلىة .

والواقع أن الصناعة الجفسي الحقيقية قد ظهرت فى مصر أيضا إذ أنه من الصعب أن يتصور الإنسان الاختفاء التام فى وادى النيل لصناعة عظيمة الانتشار غربه ، ظاهرة فى شرقه فى فلسطين وسوريا والحقيقة أنه إذا كانت هذه الصناعة نادرة فى وادى النيل نفسه فالما يرجع ذلك إلى أن السكان كانوا فى ذلك الوقت يقتربون من شاطئ النهر وأن الغرين الحديث قد أخفى فى معظم الأحيان صناعتهم فى هذه الفترة .

ومع ذلك فإن هذه الآثار ترى فى الجهات التى بقيت بعيدة عن الفيضانات وأخيراً عرف أن محطة حلوان المكرويتية وهى التى وجدت فيها آلات على شكل أهلة وشظايا صغيرة وسكاكين ضئيلة الحجم تشبه التى عثر عليها فى المحطات الاسكرونية ، ليست من العصر الحجرى الحديث بل من العهد الجفسي الحديث وعثر كذلك العالم «بوفيه لا بيير» منذ بضع سنوات على محطة مماثلة على بعد عدة كيلومترات من شمالي حلوان . وقد وجدت كذلك حديثاً بعض أسلحة صغيرة فى وادى «المدمود» بالقرب من الأقصر يظهر أنها من صناعة هذا العصر . ولا نزاع فى أن قلة الرواسب من الغرين فى الأقاليم القاحلة التى تكتنف وادى النيل تضمن لنا العثور على مثل هذه الصناعات ، ولذلك تفتح أمامنا مجاهل الصحراء اللوية مجالا

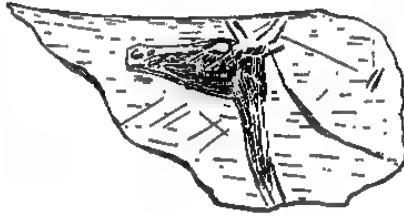
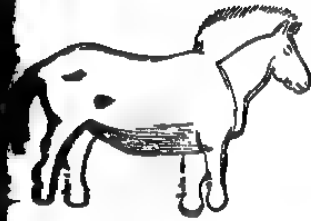
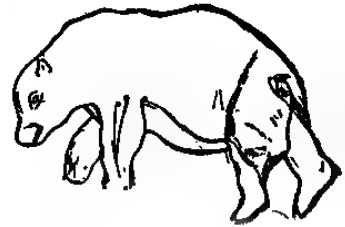
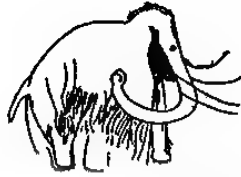
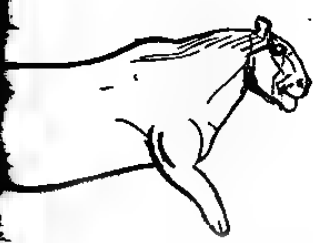
محطة حلوان  
المكرويتية  
وتشابهها بالمحطات  
الاسكرونية

البحث لا حد له . وفعلا قامت أبحاث كان من نتائجها العثور على مناقش في الفيوم وفي واحة سيوة . وكذلك قام الأمير « كمال الدين حسين » في الأقاليم المجاورة للسينات برحلة عثر في خلالها على آثار يرجع عهدها إلى الصناعة الجفسية الحقيقية: منها آلات على شكل الأهلة وسكاكين صغيرة تماثل ما وجد في حلوان وقد عثر عليها في غرب مروج نخيل «مرجا» البعيدة ، وكذلك عثر «شويس» و«منشكوف» وغيرهما في خلال بعثة حديثة العهد على مواقع جفسية تحتوى على قطع من قشر يضي النعام مختلطة بآلات من الفئران وهذه المواقع عظيمة الانتشار على الهضبة المترامية الأطراف التي تمتد غرب الواحة البحرية وواحة «الغرافرة». وكثيراً ما يعثر على مصانع صغيرة مجتمعة حول نقطة ماء راكدة أو جارية كما هو الحال في منخفض «سين» «دلا» التي تشرف على الأراضي الصخرية التي كان يعيش فيها الإنسان الموستيري منذ عدة قرون .

ويجب هنا أن نذكر صناعة غربية في بابها ظهرت في إقليم «كوم امبو» وذلك أنه قد لوحظ على مدرجات ذات ارتفاعات مختلفة تنبئ عن مستويات متتابعة لبحيرة قديمة قد جف ماؤها. تطور الآلات الموستيرية نحو الانحطاط مثل الصناعة الجفسية نفسها فأصبحت أشكالها مكروليثية وهندسية وقد عثر في الصحراء على صخور منقوش عليها بعض صور بشرية وحيوانات ملونة وهذه الصخور المكتوبة كما يعبر عنها بين العمال في مصر لا تعرف إذا استطعنا أن تقرّب بينها وبين تحف الفن المجدلى الجميل التي وجدت على جدران الكهوف، ولنا أن نعدّها مظهرًا لفن أقلّ شأنًا ينسب للعصر نفسه ؟ والواقع أن عدم وجود آلات من عصر هذه الرسوم

الرحلات التي قامت في  
الصحراء وتناثرت





سورة عتر عليها في بعض كهوف من العصر المجدلى

الساذجة يجعل تحديد زمنها من الأمور الصعبة جداً . ولا شك أن الحيوانات التي  
على هذه الصخور تشعر بأن هذه الجهات كانت معمورة ومع كل فأننا نعرف  
كانت مكونة في العصر التاريخي . ويلاحظ أن الحيوانات التي وجدت  
مرسومة على هذه الصخور ينسب بعضها إلى أنواع حيوانات لا تزال تعيش  
إلى الآن في هذه الجهات مثل الغزال ، على حين أن البعض الآخر مثل الحصان  
والخرتيت والزرافة والظباء والنعام قد تقهر نحو خط الاستواء . أما الجاموس فقد  
اختفى كله . على أن وجود الكباش بين الحيوانات المستأنسة في العصر الحجري  
الحديث يجعلنا نعتقد أن هذه الرسوم عملت في زمن حديث . وعلى أية حال فأن  
هذه الرسوم لو درست درساً علمياً مستفيضاً لوصلنا إلى ترتيبها حسب نوعها  
على وجه التقريب .

ولا شك أن بعض هذه الرسوم يرجع إلى العهد الجفسي والبعض الآخر صناعته  
تحت و يرجع تاريخه إلى ما بين العصر الحجري القديم وبداية التاريخ . وهناك رسوم  
أخرى عند محطات عميون الماء يرجع تاريخها إلى العهود الحديثة فمنها ما هو من العصر  
البرونزي والعصر الروماني والعصر العربي والوقت الحالي .

## العصر المزيوليتي ( الحجري المتوسط )

اعتاد بعض علماء علم أصل الشعوب القديمة أن يروا بين الانتقال من  
العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث فترة انتقال مميزة أطلقوا  
عليها اسم العصر الحجري المتوسط . والواقع أن واضع هذه التسمية هو العالم  
« مريجان » ، على أن هناك جمًّا غفيراً من علماء ما قبل التاريخ لا  
يعترفون بوجود هذا العصر ، بل يعدون العصر الذي يلي العصر الحجري  
الحديث ، أو عصر الحجر المذهب هو العصر الحجري الحديث وعصر الحجر  
الحديث ، والذين يعترفون بوجود هذا العصر ينسبون إليه محطة جديدة  
تحت حديثاً على ساحل الدلتا الغربي في بلدة مرمدة أبو غالب . والظاهر من  
كل صناعتها المكروليتيّة أنها تتفق مع العهد الجفسي الحديث غير أن  
كل الآلات فيها ليست واحدة فلا توجد بينها الآلات التي على شكل  
نوسكاكين صغيرة الحجم بل عثر فيها على أسلحة صغيرة جداً  
على شكل منحت . هدف .

آثار مرمدة أبو غالب  
تمثل العصر الحجري  
المتوسط

أما في أوروبا فأهم صناعة تنسب إلى هذا العصر هي الصناعة الآزلي  
نسبة إلى كهف «مادازيل» في مقاطعة «أريج»  
وذلك أن العالم «بيت» Piette وجد في هذا الكهف طبقة  
إحداها فوق الأخرى فيها كل مميزات الصناعة المجدلية وفوق هاتين  
الطبقتين بقايا ثقافة سماها هذا العالم العصر الآزلي . وقد وجدوا  
فيها أفراناً وأكواماً من بقايا أكسيد الحديد وعدداً عظيماً من عظام الترن  
(وليس من بينها عظام الوعل) كما وجدوا مهنياً من العهد المجدلي بكيات و  
وسكاكين وخطاطيف ومصاقل وعظاماً مهشمة تدل على أنه كان يوجد  
في هذا الأقليم الوعل ، والدب ، والخنزير ، وقلب البحر ، واقط البرى النع  
وقد عثر كذلك «بيت» Piette على قطع عدة من حجر الشيست على  
علامات باللون الأحمر . وعثر فوق الطبقة الآزلية على طبقة أثرية أخرى  
وفيها آلات مصقولة ومن ذلك استخلص أن العصر الآزلي هو الحاضر  
التي تربط بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث .

العصر الآزلي  
يربط بين عصرين

## العصر الحجري الحديث

على أن العصر الحجري الحديث نفسه مرتبط تمام الارتباط بالعصر  
الذي يليه وهو عصر بداية استعمال المعادن ولا يتميز العصر الحجري الحديث  
عصر بداية المعادن بوجود معادن مختلفة في كل فالواقع أن النظم

استعمال النحاس  
أدوات للزينة

والذهب كانا موجودين في كليهما غير أنهما كانا يستعملان في العصر الأول  
أحواث للزينة وبدرجة محدودة . أما في العصر الثاني فكانا يستعملان في  
أغراض شتى وبدرجة عظيمة وبخاصة النحاس فإنه كان يستعمل في صنع  
الألات بدلا من الفزان . ويعد علماء الجولوجية أن العصر الحجري الحديث يبتدىء  
في نهاية العهد البلوستيني وبداية العصر الهيلوسيني أى العصر الرابع في  
تكوين القشرة الأرضية . وهذا العهد هو في الحقيقة فجر الأزمان الحديثة  
لقد فيه أخذت أحوال الحياة العامة للإنسان تتغير تدريجيا عن أحوال الحياة  
التي يخضع لها بنو البشر في أيامنا هذه .

وتتفق بداية العصر الحجري الحديث مع عصر تقهر الجليد الذي ظل  
إلى يومنا هذا . ففي إفريقية الشمالية أخذ الجو يصير أكثر جفافا وأشد  
حولة من العصر السابق . وقد أخذ ذلك يظهر في الهضاب الصحراوية  
التي بدأت تتكون منذ العصر الحجري القديم الأعلى . والواقع أن قلة  
الأمطار وشدة التبخر سببا قصفا محسوسا في نظام المياه ولكن على الرغم من  
ذلك بقيت بعض جهات الصحارى معمورة وبخاصة الأماكن التي حول عيون  
والبحيرات التي تكونت من مجارى مياه ضئيلة . أما باقي الجهات فقد  
صارت فيها الغابات الياقة التي كانت تسبغ عليها بهجة وروحا إلى أراض عشبية  
لا يستطيع الإنسان أو الحيوان البقاء فيها ، وفي خلال هذه المدة أخذ  
النيل يتكون ببطء شكله الحالي وكذلك بدأ النهر يسير في النظام الذي  
هو عليه الآن . وقد كان هذا النهر في خلال تكوينه يترك رواسبه في

بداية العصر الحجري  
الحديث تتفق مع  
عصر تقهر جليدي

بداية تكوين  
الصحارى وتكوين  
وادي النيل

الوادي الذي يغطيه بالمياه ثم ينكش تدريجاً حتى أصبح على ما هو عليه الآن ؛ إذ كان في كل عام يفيض على جانبيه في تاريخ معين لمدة ثلاثة أشهر ويترك الغرين الذي يجلبه معه من منابه مما يكسب الوادي خصباً ، وعند انتهاء هذا الفصل ينكش مجرى النيل ثم يترك مجموعة من المستنقعات على حافة الصحراء حيث قد خلفت مياهه الجزء الأعظم من الغرين على السهل وفي هذه المستنقعات كانت تنبت بكثرة النباتات المائية وبخاصة القيقب ( البردى ) الذي كانت تأوى إليه الحيوانات الخطرة كجاموس البحر والتمساح أما باقي السهل فكان يغطى كل عام بنباتات يانعة تنعدم وتزول بسرعة في بداية تكوين الدلتا خلال تسعة أشهر التي كان الحر فيها مهلكاً . وكانت مخلفات هذه النباتات تؤوى الحيوانات والحشرات المؤذية . وقد تكونت في مصب النيل القديم المعروف بالدلتا طبقات غرين وكانت لانخفاضها مؤلفة من مستنقعات عدة مزدهجة بالبردى ولم تكن حدودها معينة . وذلك بسبب البرد التي تغمر معظمها .

أما مساكن الإنسان منذ بداية هذا العصر فإنها تلتشى مع التغيرات الجوية التي سببها . فقد هاجر إلى وادي النيل بجوار مجارى المياه الغزيرة التي لا تزال موجودة ، كل سكان وديان اليباء وصحراء العرب وهؤلاء كانوا البقية الباقية من قبائل أخذت تجوب في خلال الأزمان السالفة الجبال والهضاب التي كانت تغطيها الغابات البكر .

الهجرة إلى وادي النيل لتحول الصحراء

والواقع أن العصر الحجري الحديث هو العصر الحقيقي الذي أهلت فيه

مصر بالسكان .

أما القرى فكانت واقعة على المرتفعات البسيطة التي على حافة الوادى . وكان الجزء الخصب منه فى هذا الوقت أقل انخفاضاً واتساعاً مما هو عليه الآن بعد أن غمره الغرين مدة اثنى عشر ألفاً من السنين تقريباً . ولا شك فى أن هذه القرى قد غطيت الآن بالطبقات السميكة من الغرين الذى لا ينفك يزداد من قرن لقرن ويمكن العثور عليها لولا أن ارتفاع منسوب المياه فى الطبقات الأرضية ، الذى نلاحظه الآن ، يحول بيننا وبين الوصول إلى ذلك ؛ وهى موجودة غائرة فى سفح التلال أو المرتفعات الصناعية فى كل المدن المصرية التى ظهرت فى فجر التاريخ ، وتقع عادة بعيدة عن النيل وقرية من الصحراء . ويظهر لنا فيها أسس يرجع عهدها إلى العصر الحجري الحديث . ولحسن الحظ عثر على بعض قرى نيوليتية واقعة فى الصحراء أخطأها غرين النيل ، ونخص بالذكر قرية العمري وهى « رأس خوف » القرية من القاهرة . وقد سميت العمري نسبة إلى الأستاذ العمري الذى عثر عليها حديثاً وقد مات وهو فى ريعان شبابه وكذلك مرمدة بنى سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية ، ثم ديمة ، وكوم أوشيم ، وقصر الصاغة . والمواقع الأربعة الأخيرة فى مديرية الفيوم . أما فى الوجه القبلى فقد عثر على مدينة جديدة فى بلدة « دير طاسا » وفى طوخ والقطار والجبلين .

وأهم من هذه البلاد من الوجهة الأثرية المقابر التى من العصر الحجري

قرى هذا العصر  
مدفونة تحت غرين  
النيل

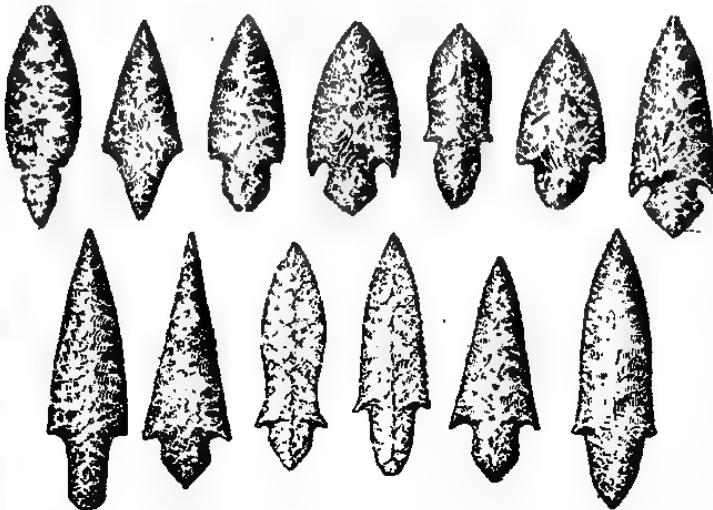
المشور على بعض  
قرى من العصر  
الحجرى الحديث

الحديث فانها محفوظة وواقعة على حافتي الصحراء على كلا جانبي النيل إذ  
بطبيعة الحال بعيدة عن الفيضان ، يضاف إلى ذلك ما يثر عليه مهمل  
على سطح الصحراء من بقايا الصناعات بالقرب من القرى والمقابر مما يظهر  
على الأماكن التي كان لا يزال الإنسان يصنع فيها الطران .

مقابر هذا العصر  
على حافة الصحراء

ويمتاز العصر الحجري الحديث بأنه عصر نهضة الصناعة . وقد  
ذلك نتيجة تحول الإنسان في ذلك العهد من عيشة الصيد إلى عيشة الرعي  
وفلاحة الأرض . ولذلك قامت نهضة حقيقية في صناعة الطران إذ خلق  
الأشكال المكروليتيية التي كانت في العصر الجفسي ، الأسلحة الكريمة  
من الطران . ويجب أن نشير هنا إلى أطراف الحراب والتصال المهدبة تهف  
جيلة من كلا الوجهين وكذلك سنان السهام المصنوعة برشاقة ودقة .

تقدم الصناعة في  
هذا العصر



رموس سهام من جيلة العراة

الآلة التي يتميز بها هذا العصر أكثر من غيرها حتى أن اسمها أصبح أحياناً يطلق على هذا العصر ففي الفأس المصقولة . وهي قطعة من الظران على شكل الكلى المستطيلة وهي منحنية من أحد طرفيها لتصير قاطعة . وقد كان يركب فيها مقبض ولذلك كانت تستعمل كفأس أو قدوم . وبجانب الظران كان يستعمل كذلك العظم في عمل أسنة الخطاطيف ، ولعمل آلات كالمنحت أو المنقش والأبر لشغل الجلود . ومن صناعة هذا العصر كذلك النسيج وعمل الحصر والفخار الذي لم يعثر على أى نوع منه قبل هذا العهد ومن المدهش أنه انتشر في هذا العصر بسرعة وأصبح استعماله متشراً انتشاراً عاماً . ففي مصر السفلى عثر في مرمدة بنى سلامة على أقدم فخار عمله الإنسان دون استعمال أية آلة في صنعه . وأول نوع ظهر لنا كان خشن الصنع وليس عليه أى نوع من الزخرفة ألهم إلا في القليل التادر فإنه كان يشاهد على حافة الأثاء أو مقبضه شريط محفور بالأصبع . وبجانب هذا الفخار ظهر نوع آخر دقيق الصنع لونه أحياناً أحمر وأحياناً أسود . وكان يصقل بكل اعتناء قبل حرقه وأشكال هذا الفخار متعددة وتشمل كل أنواع الأطباق والأكواب والجرار والأباريق . ويلاحظ أن بعض هذه الأواني لها أزرار بارزة ، أو ثقوب في جوانبها وذلك ليمتلئ فيها خيط تحمل به .

أما في الوجه القبلى فقد ظهر في بلدة « ديرطاسا » نوع من الفخار أسود لم يحرق حرقاً محكماً غير أنه يمتاز بأنه أول نوع من الفخار ظهرت عليه

الفأس المصقولة  
تميز صناعة هذا العصر

استعمال العظام في  
صناعة هذا العصر

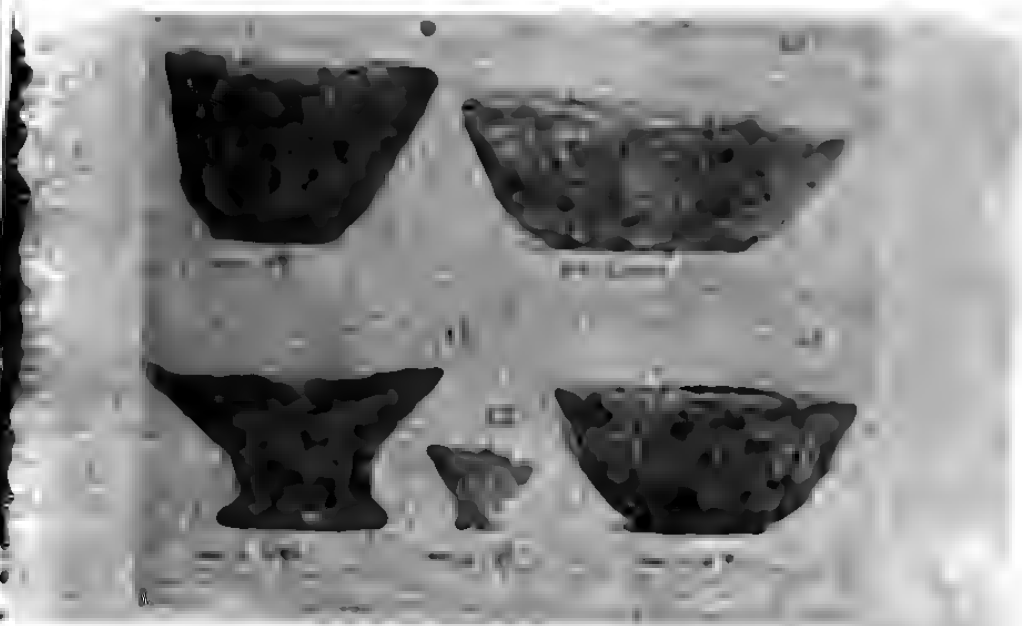
صناعة الفخار

الفخار الاسود  
وظهوره في (ديرطاسا)





عشار من طين العصر الحجري الحديث



عروة عشار من العصر الحجري الحديث

زخرفة مرسومة بالمعنى الحقيقي . وهذه الرسوم كانت هندسية في شكلها وقد صنعت بآلات وملكت تجاويها بمادة بيضاء بمثابة ترصيع . وأظهر هذه الأنواع التي وجدت في « دير طاسا » إناء قمره مستو ومفرطح على شكل السوسة .

بدأ الإنسان في هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين ، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلاً من مكان لآخر . وذلك يرجع لتغير حاله الجو في إفريقيا الشمالية وقد نشأ عن هذا الجفاف المتوالى في هذه الجهات بسبب قلة الأمطار أن اختفت النباتات والأشجار التي كانت تنبت على الهضاب المترامية الأطراف تدريجاً وكذلك أصبحت مناطق الصيد قليلة ومن أجل ذلك أخذت القبائل في الأقاليم التي كانت تسكن فيها أو تجول في أنحائها تنبه إلى خطر الجوع من قلة حيوان الصيد فبدأت تربي الحيوانات القليلة الخطر كالثور والخروف والماعز والخنزير لتكون ذخيرة لهم من اللحوم الحية . وكذلك أخذت القبائل تزرع الحبوب المغذية وخاصة القمح .

ولما ازداد جفاف تلك ، الهضاب الشاسعة ، ولم تبق منابع ماء في صحراء العرب أو في صحراء لوبيا ، أخذ أفراد القبائل النبوتية يجتمعون في قرى في وسط أراضيهم التي يعيشون منها برعى الماشية أو بالزراعة في وادي النيل ، وكانوا لا يزالون يحترفون صيد البر والبحر وذلك اقتصاداً لمواشيهم الأليفة من جهة وليقضوا على الحيوان البري المقترس ، وعلى الحيوانات المائية الضارة

الإنسان يسكن القرى

مثل جاموس البحر الذى كان يعد خطراً يهدد حياتهم على الدوام من جهة  
أخرى : غير أن الصيد لم يكن عندهم من الأمور الحيوية بل كان شيئاً  
ثانوياً . والواقع أن هذه القبائل أصبحت أهل فلاحه بالمعنى الحقيقى وكنتم  
قرى العصر النيوليتى مؤلفة من عدد من العشى المنفصل بعضها عن بعض  
ويحتمل أنها كانت مسورة بسياج مؤلف من الأوتاد حاية لها . وقد عثر  
على قرى من هذا العصر فى مرمدة بنى سلامة وهى على نوعين مختلفتين  
تمام الاختلاف فبعضها يشبه عشى الفلاحين الحاليين التى تقام فى وسط  
المزارع وقت الحصاد . وكانت العشة تتركب من جدران مصنوعة من  
الغاب يحفظها من التداعى أوتاد مثبتة فى الأرض . وإذا كانت العشة  
مبنية من جهاتها الأربع كانت تأخذ فى الغالب شكلاً يضيئاً منظر بعض  
الشيء . وأحياناً تكون هذه العشى على شكل ستارة مقوسة المنظر محككة  
القفل من الجهة التى ينب منها الريح وبخاصة الجهة الجنوبية الغربية أو الجهة  
الشمالية . ولا شك فى أن وجود مواقع فى هذه العشى وكذلك وجود  
اوان مصنوعة من الفخار يدل دلالة واضحة على أنها كانت تستعمل سكوناً  
للإنسان . وقد عثر بالقرب من هذه العشى على أسوار بيضية الشكل  
لا تزيد مساحتها عن متر فى نصف متر تقريباً ويحيط بها جدار لا يزيد  
ارتفاعه عن نصف متر ويستدل منه على أنه لم يكن فوقه مبنى آخر  
ولا يعد أنه كان يستعمل مخازن لحفظ الحبوب . وكانت جدران هذه  
المخازن تقام من طين معجون توضع كتل منه الواحدة فوق الأخرى على

مساكن هذا العصر  
وأشكالها

محازن غلال هذا  
العصر

غير نظام أما رقعة العشة فأنها كانت تغطي بطبقة من الطين المعجون ، وكانت تحفر بعض الشيء على شكل صحن وتجهز في الجزء المنخفض منها بأناء مقب مثبت في الأرض لجمع المياه وتصريفها . أما أساس العشة فكان يثبت في الأرض على عمق لا يزيد عن خمسة وعشرين سنتيمتراً . وكان يوجد في العشش المتأخرة قصبة ساق جاموس البحر مثبتة عمودياً في الجدار الداخلي لتكون بمثابة سلم لتسهيل الدخول فيها . وقد وجدت بقايا حصر كانت على أرض سطح العشة ولا ريب في أن هذه الأكواخ أو العشش كانت تستعمل مأوى لأهالي مرمدة القدماء يحتمون فيها من العواصف والمطر ويبيتون فيها ليلاً عند اشتداد البرد ؛ ومن المدهش أنه لا يوجد في هذه العشش أى أثر من آثار الإنسان ولا أية آلة من الآلات التي كانت تستعمل في الحياة المنزلية . أما سقف هذه العشش القليلة الارتفاع فكان يصنع من حصر سميك من الغاب يوضع أفقياً . وفي حالة واحدة عثر على مكان عمودين متقابلين في إحدى هذه العشش ومن المحتمل جداً أنها كانوا قد وضعا لأجل أن ينصب عليهما جلد حيوان لتغطية السقف وربما كان ذلك أول محاولة لعمل خيمة يحى الإنسان هذا العصر فيها نفسه من حر البرد وقيظ الحر .

بلدة مرمدة

أما في قرية العمري السالفة الذكر فأن عششها وجدت على شكل مستدير وسطها موقد . وعلى مقربة من هذه العشش كانت تقام سلات عظيمة من الحصر المجدول لها غطاء ومدهوكة بغرين النيل كانت تستعمل مخازن

المدينة العمريه

## لحفظ الجيوب .

أما المدافن النيوليتية فكانت كالتى فى مرمدة تحفر فى القرية نفسها على مقربة من الأكواخ . وكانت تحفر كلها فى مكان خاص - كما هو الحال فى العمرى وفى كل الوجه القبلى - بالقرب من القرية على حافة الصحراء بعيدة عن فيض النيل . وكان كل قبر على شكل حفرة بيضية المنظر كالكوخ فيه وكانت الجثة توضع راقدة على الجانب الأيمن غالباً فى قرى الوجه القبلى أما فى الوجه البحرى فكانت توضع على الجانب الأيمن مثبتة بحيث تقم الركبتان نحو الصدر فى معظم الأحيان ، أما وجه المتوفى فكان يتجه نحو المساكن . وقد عثر أحياناً على جثث موضوعة على حصير أو ملفوفة فى جلد أو حصير . وقد لوحظ فى مرمدة بنى سلامة أن يد المتوفى كانت توضع بالقرب من فيه وأحياناً شوهد أن إحدى أصابعه كانت فى أسنانه . وكذلك لوحظ أن حبواً من القمح كانت مبعثرة فى يده أو حول رأسه وفى بعض المقابر عثر ضمن محتوياتها على أوان عادية ولوحة لطحن ملح الزينة وعلى آلات من الظران . وهذه المقابر لم تكن فوقها مبان أخرى . هذا خلاف قرية العمرى التى كان يعلم فيها القبر بعدة أحجار مكومة بعضها فوق بعض . وقد استعمل كثير من هذه المقابر لدفن أكثر من واحد من أفراد الأسرة . وفى هذه الحالة كان يجهز مكان فى القبر للقادم الجديد وذلك بجمع عظام الموتى القدماء ووضعها بعناية فى جانب من القبر وهذه العادات المأتمية التى تدل على أن القوم كانوا يعتقدون بحياة أخرى

مقابر العصر النيوليتى  
ووصفها

هى المصدر الوحيد لدينا عن معتقدات العصر النيوليتى ولا يبعد قط أن تكون هذه العادات النيوليتية التى عثر عليها فى هذه القبور هى التى نهج على متوالها قدماء المصريين وبها يسرون عليها فى كل عصور التاريخ الفرعونى مع إدخال تحسينات عليها . أما من جهة دياتهم الحقيقية وأكثهم وعبادتهم فأنا لا نعرف عنها شيئاً قط وذلك أمر طبعى لأن الكتابة لم تكن معروفة بعد ومن المدهش أن روح الفن فى هذا العصر كاد يكون منعدماً وربما كان السر فى ذلك أن إنسان هذا العصر كان موجهاً كل همه إلى تحقيق الأشياء العملية فكانوا يصنعون الفخار ليستفيدوا منه لا للزينة ؛ وكذلك كانت حلهم كالقفلاند والاشاور التى تصنع من العظام أو الطين المحروق تادرة وساذجة ولا يظهر فيها أى ذوق فنى . ولكن رغم انعدام الروح الفنى فى هؤلاء القوم بالمعنى الحقيقى فأنا نجد الرشاقة الفنية فى بعض الأواني وبعض سنان الحراب مما كان يبشر باستعدادهم للذوق الفنى الذى نما فيهم فيما بعد . ومنذ ذلك العصر نشاهد بعض علامات منها نستخلص أن مدينة وادى النيل كانت تنقسم قسمين متميزين عن بعضها . وينحصر القسم الأول فى الفيوم والدلتا والثانى فى الوجه القبلى . وتمتاز مجموعة المدينة الشمالية بأنها أقدم من مدينة الوجه القبلى وأكثر تقدماً ، وهى التى ظهرت فيها سنان الحراب الفاخرة المهذبة على شكل « ورق الفار » الذى ورد ذكره فيما سبق وتمتد هذه السنان والبلط المصقولة التى توجد فى كل مكان الآلات التى يمتاز بها هذا العصر . وقد وجدت أدلة كثيرة فى بحوث

ديانة هذا العصر

روح الفن تكاد تكون معدومة فى هذا العصر

المدينة المصرية تنقسم قسمين فى هذا العهد



مجموعة آلات من الطران قتل العصر الحجري الحديث



آلات للطنن وبلط من العصر الحجري الحديث



أخرى تثبت هذه الحقيقة .

وليس من بين الأماكن الشاسعة التي يحتلها سكان مرمدة بنى صلاح ما يمكن مقارنته بمحطات الوجه القبلى حتى في عصر نقادة وذلك مما يحتمل على الظن بأن المدينة في الوجه البحرى كانت أكثر تقدماً ونمواً منها في الوجه القبلى ففي الوجه البحرى بدأ الإنسان في تربية الخنزير وجعله طعاماً ولم يكن وقتئذ معروفاً في الوجه القبلى . وكان إنسان الوجه البحرى يستعمل كثيراً من الأواني ذات الحامل المستدير وهذا النوع من التخت كان نادر الوجود في الوجه القبلى . وفي حين أن فخار الدلتا كان لون أحمر أو أسود كله وكثيراً ما يكون مصقولاً ، فإن الأواني المصنوعة من الطين الأسود والمزخرفة بمادة بيضاء وكذلك الأواني الحمراء والخضراء الحافة السوداء كانت خاصة بالوجه القبلى .

مدينة الوجه البحرى  
أقدم من مدينة  
الوجه القبلى

وقد أطلق علماء ما قبل التاريخ على مدينة العصر النيوليتى في الوجه البحرى اسم المدينة المرمدية نسبة إلى أهم موقع عثر فيه على صناعات هذا العصر . أما مدينة الوجه القبلى فيطلق عليها اسم المدينة الطاسية نسبة إلى بلدة « دير طاسا » القرية من البدارى وهى التى وجدت فيها آثار مصرية إلى الآن من هذا العصر . وهذه البلدة تمتاز بحضارتها وفى مصانعها وجدت البلطة والقندوم متشترتين أما أدوات الزينة فنادرة وينحصر ما وجد فى بعض محار وخرز مصنوع من العظام أو من الحجر الجيرى الأبيض . ويلاحظ أن بين هاتين المدينتين مدينة أخرى

المدينة المرمدية  
والمدينة الطاسية

التي عثر عليها في الفيوم . وهي في جوهرها تميل إلى مدنية الوجه البحرى غير  
أن لها بعض مميزات خاصة بها . فثلاً نجد أن مخازن الغلال تقام على مرتفع  
بعيدة عن المساكن ومجموعة في مكان واحد ، هذا إلى أن  
مخازن الفيوم لم توجد بالقرية لأنها كانت مفصولة عنها كما هو الحال في  
الوجه القبلى .

## عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة غطت على صناعة  
الظران وأعنى بذلك صناعة المعادن إذ وجدت في هذا العصر آلات  
صلى من النحاس والذهب في بادىء الأمر ، ثم عرف فيما بعد استعمال  
الحديد « البرنز » . وباستعمال المعادن أخذ الإنسان الأنثوليتى يستغنى  
عن صنع آلاته من الظران والأحجار الصلبة الأخرى التي  
كان يستعملها في العصور السابقة . على أن صناعة الظران لم تدرس جملة  
في بيت بعض الشئ حتى في العصور المصرية التاريخية ، وذلك لأن  
مصرى كان بطبعه عبداً للتقاليد والعادات فكان يستعمل الظران في أوج  
عنه سائناً للسهم وغير ذلك .

هذا العصر قد أطلق على العهد الذى سبق بداية التاريخ أى عهد  
الكتابة في مصر .

استعمال البرنز بكثرة  
بدلاً من الظران  
وبغيره من الأحجار  
الصلبة

والواقع أننا إلى الآن في كل بحثنا عن مدينة ما قبل التاريخ في مصر القديمة لم نجد مميزات بارزة يمتاز بها وادى النيل عن باقي ممالك العالم إلا بعض خصائص قليلة ، ولكن من جهة أخرى لاحظنا على وجه علم قديمية مدينة الوادى تتفق في مجموعها مع المدنات الأوربية في تلك العهود القديمة في القدم ، وكذلك تتشبه بوجه خاص مع عصور ما قبل التاريخ في إفريقيا الشمالية .

المدينة المصرية تتفق بوجه عام مع المدينة الاوربية ومدينة شمال إفريقيا

ومع أن عصر بداية المعادن في أوروبا يتفق مع عصر ظهور انجلترا في وادى النيل ، إلا أننا نشاهد من جهة أخرى أنه قد ظهرت فيه مميزات خاصة معلنة أخذت تزداد وضوحاً حتى أنها صبغت ثقافة هذا العصر بصيغة أصلية ، وأعطته لوناً خاصاً يميزه عن الممالك المجاورة . ويمكن تشبيه هذه الثقافة الخاصة بالنبثاق غصن ناشئ أبيض في أصل شجرة في شيخوختها فأزدهارها وأثمر ثماراً مختلفة أنواعها . وهذه الحياة الجديدة التي انبثقت في البلاد دلت دليلاً على ديمومتها في كل نواحي الفنون والصناعات ، كصناعة الفخار ، وفي حرفة النسيج والخشب ، وتهديب الطران وصنعه آلات بلغت الدرجة القصوى في الأتقان . ويرجع الفضل في إبراز هذه الثقافة المصرية من مكنها في بنائها إلى جهود العلماء الذين وقفوا حياتهم عدة أجيال على القيام بالحفائر التي أنتجت العناصر التي منها تتألف تلك الثقافة ، لذلك كان لزاماً علينا قبل أن نبدأ في درس هذه المدينة الأنثوية أن نمر سراعاً بكلمة موجزة على أعمال هؤلاء الباحثين في الحفر والتنقيب .

مميزات المدينة المصرية

وأول من فتح الطريق في هذا المضمار هو الأستاذ « فلندرز بترى » وذلك في عام ١٨٨٩ عندما قام بحفائر في اللاهون ( كاهون ) (١) ، وغيرها عند مدخل الفيوم ثم تابع أعماله في ميدوم ، فطوخ فالبلاص . وكذلك قام العالم « دى مرجان » ، « واملينو » الفرنسى ، ثم « ماك ايغر » ، « وجارستانج » ، بحفائر في قادة ، والعراة ، والكاب ، وغيرها من المواقع الأثرية . أما في بلاد النوبة فقد قام الأستاذ « ريزنر » بحفائر في المواقع التي كان يهددها تلية خزان أسوان . وقد وصف لنا البحائة « ستون كار » مصنعا عظيما عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فحمة الصنع وذات أحجام خلقة للحد المألوف . ويقع هذا المصنع في ( وادى الشيخ ) بالقرب من بلدة مغاغة بجوار الآبار القديمة التي كانت تحفر لاستخراج الطران .

وفي عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بدأ المستر « برنطون » بعمل حفائر في جبانة بالقرب من بلدة البدارى الحالية . وقد أماطت بحوثه اللثام عن حفرة جديدة في تاريخ ما قبل الأسرات في مصر . أما في الدلتا فقد قام « برشيا » العالم الأثرى الإيطالى بحفائر في كوم القناطر وهى أول حفرة كشفت من هذا العصر . وقفا أثره الأستاذ « ينكر » بحوث في تل يهودية بالدلتا أيضاً . وحديثاً كشف كل من الأستاذ مصطفى عامر والأستاذ « متجين » عن محطة هامة من العصر النيوليتى في المعادى بين القاهرة وحلوان أما الصحراء فإن الأبحاث لم تقم فيها على قدم وساق كما كانت في

بحوث الأستاذ  
« فلندرز بترى »  
وبغيره مما قبل التاريخ

بحوث المستر ( برنطون )

بحوث الأستاذ  
« مصطفى عامر بك »

الوادى نفسه ، ومع ذلك فان البعثات القليلة التى بحثت فيها قد أسفرت  
عن بعض نتائج ؛ فالبعثة التى قام بها الأمير كمال الدين فى الصحراء  
( جبل عوينات ) عثر فيها على محطات مما قبل الأسرات ؛ وجعلت  
فيها أسلحة وسكاكين عظيمة الحجم من الحجر التوحي ، وبالقرب منها عثر  
على أرحاء وأجران مصنوعة من حجارة ضخمة . وذلك برهان جديد على  
أنه كان يوجد فى هذه الجهات واحات ، ولكنها طبعاً قد اختفت بحيث  
العيون التى كانت تغذيها ؛ ولا مرأى فى أنها كانت يانعة فى هذا العصر  
ومن المحتمل جداً أنها كانت لا تزال آهلة بالسكان فى العهد الفرعوني  
وقد عثر حديثاً العالم « بوفيه لايير » على جبانة من نوع خاص  
فى صحراء العرب على مسافة قريبة من القاهرة تشبه فى أوربا ما يظن  
عليه اسم « دلمس Dolmens » . وكل واحد من قبورها يتألف  
من حجر عظيم مستوى السطح موضوع على حجرين عموديين ، وهو  
شئ من هذا النوع عثر عليه فى مصر . وهذه المقابر قد أقيمت على  
وادى التيه . ولما كان وجه الشبه بين هذه المقابر ومثيلاتها فى أوربا  
قد نسبها الأب « بوفيه » إلى العصر الأنبوليتى ؛ غير أنه يظن كذلك  
قد تكون صنعت فى عصر متأخر عن ذلك .

بنة الأمير  
كمال الدين

المقابر التى تسمى  
« دلمس »

ولما كانت الكتابة منعدمة فى العصر الأنبوليتى حتى ظهور الأس  
الأولى ، كان من الصعب على المؤرخ أن يضع تواريخ مؤكدة للمدن  
المتتالية التى مرت فيها مصر فى أقدم عهودها ، لذلك يجب أن نكتفى

الآن بأقل الفروض . إذ الواقع أن بداية هذه المدينة ترجع بنا إلى عهود يكاد مقدار ألف سنة فيها لا يعد بالشيء الخارق للعادة من حيث الزمن . ومما يؤسف له أن نهاية هذا العصر الذي هو في الواقع بداية العصر التاريخي لم يتفق عليه بصفة قاطعة للآن بين علماء الآثار ، بل الأمر متخبط ذلك في النزاع حتى أن كل تأريخ قبل عام ١٥٨٠ ق.م. في التواريخ المصرية موضع شك ، ولا أدل على ذلك من أن السير « فلندرز بترى »

عمر الحضارة المصرية قدر عمر المدينة البدائية بنحو ١٠.٠٠٠ إلى ١٣.٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، على حين أن آخرين آخرين قدروا عمرها بنحو ٥.٠٠٠ سنة . على أن مثل هذه التواريخ لا تخرج عن أنها محض تخمين ولا تركز على أساس علمي . ومع أنه كان من المتعذر وضع تاريخ مؤكد لبداية عصر ما قبل الأسرات أو نهايته ، فإنه من الممكن أن يقتفى الإنسان تتابع الخطوات المختلفة التي حدثت في خلال هذا العصر . وهذا الأماكن قد نشأت نتيجة بحوث التي قام بها المستر « فلندرز بترى » في (ديوسبوليس برفا) (١) ، لتابع التاريخي خاص في أنواع الفخار كشفت عنه حفائره . وذلك أنه لاحظ نوعاً خاصاً من أواني الفخار كان يحدث فيه انحناءات منظم ، وذلك أن العوز الذي كان في الأصل بمثابة يد الأثناء ، أخذ في التلاشي تدريجاً حتى أصبح لا يزيد عن خط متموج لا معنى له حول رقبة الأثناء . وهذا الانحناء في الأثناء صعبه تدهور مشابه له في شكل الأثناء العام . ولذلك كان

« فلندرز بترى »  
والتتابع التاريخي

من الممكن أن يضع الإنسان تنابعا تاريخيا لكل الأواني التي من هذا النوع . وبالوصول لهذا الترتيب كان من السهل أن يجد الإنسان أدوات أخرى من نوع هذه الأواني ، وقد تدرجت في التغير وقد اتخذ أساسا للتغير في هذا النوع من الفخار فترات معينة تبعد برقم واحد وتنتهي برقم مائة . وقد ترك الفترة من رقم ١ - ٢٩ خالية لماعدا أن يكشف من فخار أقدم من الأنواع التي عثر عليها في قبور قديمة أما الفترة بين ٣٠ - ١٠٠ فأنها تمثل ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات . وقد صار من الممكن أذن أن يضع الإنسان في الفترة المتابعة مجموعة هذا النوع من الفخار حسب طبقته المختلفة في القدم فإذا كشف قبر مما قبل الأسرات ، ولم يكن من الممكن وضع تاريخ محدد له ، فإن مكاته في التأريخ التابى يمكن الوصول إليها في ذلك بمقارنة الفخار الذي عثر عليه فيه بالطبقة المقابلة للفخار الذي اتخذ أساسا .

وهذا النظام للتأريخ التابى ، كما يطلق عليه ، برهن على أنه أداة قيمة إلى أبعد حد لتحديد الآثار التي وجدت في عصر ما قبل الأسرات . نزاع في أن هذا النوع من التأريخ لا يمكن أن يعطينا فترات متساوية الزمن في كل طبقة ، إذ من الجائز أن تكون طبقة أطول أو أقصر جذا التي تلبها مباشرة . ولكن على أية حال يمكننا بواسطة هذا التأريخ أن نحدد ما سبق وما لحق بالنسبة لترتيب الحوادث الحقيقي .

تقسيم عصر ما قبل  
الاسرات إلى ثلاثة  
عهود

وعلى هذا الأساس ينقسم عصر ما قبل الأسرات إلى ثلاثة عهود  
(١) عهد ما قبل الأسرات القديم وتأريخه التتابعى من ٤٠ - ٣٠  
(٢) عهد ما قبل الأسرات المتوسط من ٤٠ - ٦٠ (٣) عهد ما قبل  
الأسرات الحديث من ٦٠ - ٧٨ وعند هذا الرقم يتبدى العهد الأول للأسرات  
وذلك بظهور الأسرة الأولى التى بدأ التأريخ فيها بالكتابة .

وقد عثر حديثاً على مقابر أقدم من التى وجدها « فلندرز بترى » ونعنى  
بذلك المقابر التى كشفها المستر « برنطون » فى البدارى وقد عثر فيها على  
أنواع جديدة من الفخار وقد خصص لها « بترى » التأريخ التتابعى من  
٢٠ - ٢٩ . وسنشرح ذلك فى حينه .

مدينة الوجه البحرى . لقد ظلت البحوث العلمية عن عصر ما قبل  
التاريخ فى مصر موقوفة على الوجه القبلى إلى زمن غير بعيد فلما من العلماء  
على كل المدينة القديمة أصلها من الوجه القبلى إلى أن أقام الأستاذ « ينكر »  
بحوثه المشهورة عن عصر ما قبل التاريخ فى جهة مرمدة بنى سلامة ،  
وانسفرت بحوثه عن مدينة يرجع عهدها إلى العصر النيوليتى ، وقد تكلمنا عن  
هذه المدينة فى حينها . وقد قام بعده الباحثون فى هذا الميدان فى الوجه  
البحرى . فوفق أخيراً العالمان مصطفى بك عامر والأستاذ « منجيز » إلى  
كشف محطة جديدة فى المعادى يرجع عهدها إلى عصر ما قبل  
الأسرات الحديث . ومن ذلك يتضح لنا أنه توجد فجوة عميقة بين عصر  
بنى سلامة الذى بدأ فى أوائل العصر الحجري الحديث وبين عصر

مدينة الوجه البحرى



المعادي الذي يشرف على حافة التاريخ أو بعبارة أخرى يحتم به  
بداية المعادن . ولا يبعد أن تملأ هذه الفجوة العميقة بكشف جديد  
هذا المضمار في السنين المقبلة . وقد كشفت آثار من هذا العصر في  
البحرى في طرخان ، وطره .

مدينة الوجه القبلى : ومن جهة أخرى نجد أن المدينة الأنبوليتية  
الوجه القبلى معروفة بدرجة كبيرة . وتبتدى بمصر البدارى الذى جاء مباشرة  
بعد عهد « دير طاسا » .

والبدارى كما ذكرنا بلدة تقع بالقرب من « قاوالكبير » فى إقليم أسبوط  
وقد كشف فيها عن موقع أثرى موضعه فى التاريخ التابعى الذى اخترع  
« فلندرز بترى » بين ٢٠ - ٢٩ . وهو أقدم تاريخ عرف إلى الآن فى  
عهد ما قبل الأسرات . وقد عثر على الصناعات البدارية فى بلاد النوبة .  
أما العصر الذى يلي عصر البدارى فيطلق عليه العهد النقادى نسبة إلى  
بلدة نقادة القريبة من قوص . وقد قام بحفائر فيها الأستاذ « بترى »  
والمستر « كويل » عام ١٨٩٥ . وأهم مواقع ما قبل الأسرات فى الوجه  
القبلى طوخ ، وبلاص شمالى الأقصر ، ثم « ديوسبوليس برفا » بالقرب من  
نجع حمادى والعامرة ، ونجع الدير والمحاسنة وبيت خلاف ، وجزرة ، وأبو  
صير الملق وحرجة عند مدخل الفيوم .

عصر نقادة

البدارى : كان أهل عصر البدارى بحكم طبيعة البلاد زراعاً للأرض .  
وذلك بعد أن انعكش الوادى وأصبح محاطاً بالصحراء على كلا حافته

وكان أنسان البدارى قصير القامة ضئيل الجسم طويل المجبة ويمكن مشاهدة هذه الخواص فى المصرى الحالى الذى يظن أنه من نسلهم . والظاهر أنه كان يختلط بدمه بعض دم الزوج .

وقرى هذا العصر كانت مجموعة من الأكواخ البيضية الشكل أو المستديرة وكانت مصنوعة من مواد خفيفة مثل البوص والأخشاب، ولم تجد فيها المساكن التى تشبه بيوت أهل مرمدة بنى سلامة، وهى التى كانت تحتوى على حجرات مقبية مصنوعة من الطين المعجون . وقد استعملها السكان غرقاً للنوم . على أن هذا النقص فى البدارى قد يكون لمجرد الصدفة ؛ ولكن من المحتمل جداً أنه يدل على أن هذا التقدم فى بناء المساكن فى هذا لم يكن قد أدخل على مبانى الصيد إلى هذا الوقت . وكان يوجد فى وسط الكوخ حفرة تقوم مقام الموقد . أما المواد الغذائية فكانت تحفظ فى سلة . وتدل الآثار التى عثر عليها فى هذه الأكواخ على تقدم عظيم فى أسباب الراحة ، إذ كان أثاث المنزل يحتوى على حصير ، بسل وعلى أسرة من الخشب كانت توضع عليها وسائد من القماش أو من الجلد محشوة بالقش .

وقد أخذت أسباب الراحة فى المساكن تزداد فى خلال عصر ما قبل الأسرات . فثلا فى عصر ما قبل الأسرات القديم فى بلدة « الحامية » كانت الأكواخ المستديرة الشكل لا تزال مستعملة بجانب المساكن البيضية الشكل القامة من الطين المعجون، وتشبه ما عثر عليه فى ( مرمدة بنى سلامة )

وليس بينهما خلاف إلا أن كتل الطين التى بنيت بها مساكن الحمامية ،  
كان لا يوضع بعضها فوق بعض مباشرة ، بل كانت بين كل  
صفي من كتل الطين رباطان من البوص . والظاهر أن حوالى التآرج  
التابعى ٤٠ حدث تغيير فى شكل الكوخ . إذ نشاهد أن اليت  
المستدير الشكل قد أهمل وحل محله الشكل المستطيل . وحوالى التآرج  
التابعى ٤٥ لوحظ أن العيش التى كانت تقام من مواد خفيفة أخذت  
مكاتها العيش التى كانت تصنع من الطين المعجون . ويدل وجود الموقد  
فى أحد الأكواخ فى « حمامية » على أن هذا النوع من المساكن قد خلف  
النوع السابق .

مدينة « حمامية »

وفى خلال عصر ما قبل الأسرات الحديث ظهر تقدم محسوس فى  
فن البناء عثر عليه فى الوجه البحرى فى محطة المعادى التى كشفها الأستاذ  
مصطفى عامر بك ، إذ أن القرية التى أبيض اللثام عنها فى هذه الجهة تتألف  
من منازل ذات شكل مستطيل . وقد استعمل فى بنائها الطوب المجفف أى  
الطين ، الذى خلف كتل الطين غير المنتظمة فى الشكل ، وقد كانت تستعمل  
دون أن تجفف . وهذا التقدم العظيم فى فن المعمار لا بد أنه قد حدث  
فى الدلتا فى خلال العصر الطويل الذى يفصل عصر مرمدة عن عصر ما  
قبل الأسرات الحديث . وهذه الفترة مجهولة لنا تماماً فى تاريخ الدلتا .  
أما مخازن القوم التى كانت تصنع أولاً من سلات مجدولة تدهك بالطين  
بعد ذلك ، فكان يستعمل بدلا منها فى عهد المعادى أوان عظيمة الحجم

أول بناء بالطين فى  
عصر ما قبل الأسرات

مصنوعة من الفخار المحروق .

أما مقابر عصر بداية استعمال المعادن في الوجه القبلى فأنها كانت تقام على مسافة من القرى كما كان الحال في خلال العصر الحجري الحديث ؛ ففي عهد البدارى كان القبر لا يزال حفرة بيضية أو مستديرة الشكل ؛ محفورة في الأرض نفسها على بعد بسيط دون أى كساء أو طلاء من الداخل . أما المتوفى فكان يكفن في حصير أو في جلد ماعز وعادة كان يوضع في تابوت ويغطى بالأعشاب . وقد عثر بجانب بعض المتوفين على ملابسهم اليومية وحليهم . وكانت رأس الميت تستند على مخدة كأنما يريد النوم ، وقد لوحظ أن وجهه كان متجهًا نحو القرية وفي أغلب الأحيان كانت يده ترفع نحو فمه . وقد كان يوجد بجانبه أثناء وبعض آلات من النحاس ومن الطران والعظم ، وأحيانًا وجدت لوحة من الأردواز لطحن التوتية مما يدل على أن تجميل العين والوجه كان شائعًا ؛ ووجدت في بعض قبور هذا العصر دمي تمثل سيدات صنعت من العاج أو من الطين ، والظاهر أنها كانت تقدم هدية للمتوفى . وقد فسر بعض علماء الآثار وجودها بأنها تمثل آلهات أو أنها تحمل محل زوجة المتوفى في قبره .

والظاهر أن التابوت المصنوع من الخشب أو من الفخار لم يكن

معروفًا في مقابر البدارى ولكن من ناحية أخرى عثر على صندوق من الخشب المجدول مما يدل على أن الإنسان كان قد بدأ يفكر في هذا العصر في محاولة صنع تابوت ما . وتدل بقايا البوص التي عثر عليها في هذه

مقابر الوجه القبلى  
في هذا العصر  
ومحتوياتها

أول محاولة لصنع  
تابوت للمتوفى

المقابر أنه كان يقام فوق الجثة مبنى من المواد الخفيفة ليحيطها من التراب الذى كان يهال على المتوفى بعد الدفن ، وليكون له بمثابة غرفة تحت الأرض . وقد لوحظ أن كل قبر كان مستقلاً عن القبر بجواره ، ومن الأشياء الهامة التى عثر عليها فى هذه المقابر الأمشاط المصنوعة من العاج وكانت تزين بزخرفة ، وكذلك عثر على دبابيس من نفس المادة كانت تستعمل لشبك الملابس . وعثر على خرز أنبوبى الشكل مصنوع من النحاس وعلى خرز مطلى بالطين من حجر الكورتس ومن أحجار أخرى كانت تلبس للزينة . أما أصداف البحر الأحمر فأنها كانت تستعمل فى عمل الأحزمة والأساور والقلائد .

وفى خلال عهد نقادة تقدمت طريقة الدفن بسرعة فأصبح شكل اللحد سواء أكان بيضياً أم مستديراً يشبه شكل العشة ولما تغير شكل الكوخ وأصبح مستطيلاً تغير كذلك شكل القبر وأصبح شبه مستطيل وكان هذا النوع الأخير صغير الحجم فى أول الأمر ولكنه كان يكبر حسب ثراء المتوفى . وقد عثر على مقبرة نموذجية لهذا النوع من الدفن فى « العمرة » ومحتوياتها لا تقل عن ٢١ أناء عظيماً مصفوفة على مقاعد على جوانب ثلاثة من حفرة الدفن . وكذلك عثر على قبر لفرد من طبق القوم يحتوى على ١٢ أناء كبيراً مصفوفة صفين على إحدى جوانب القبر وذلك عدا اثنى عشر أناء أخرى أحدها فخار مصقول من طرفيه . وهذا الثرى لم توضع جثته فى تابوت بل فى شبه التابوت ،

تقدم طريقة الدفن  
فى نقادة

حاول أن يصنع لنفسه صندوقاً مركباً من ألواح مربوط بعضها ببعض بحبل وهذا الصندوق يرتفع عن سطح رقعة القبر بنحو ٢٥ بوصة . وكان القبر من جهة أخرى مستوقفاً بمعنى دهكت بالطين . وهذا مثل من الأمثلة التي يظهر فيها الفرق بين طبقات الشعب .

أما الخطوة الثانية في شكل إقامة المقابر فنتيجة للرق الطبيعي الذي نشأ من الشكل السابق . وذلك أنه لما كثر عدد القربان فأن البروز الذي كانت توضع عليه أواني القربان في القبرين السالفين قد صار عرقاً أخذ يكبر تدريجاً حتى أصبح صاحب المقبرة يشعر بأنه سيضايقه في مضجعه الأخير . ومن أجل ذلك بدأت المقابر تأخذ شكلاً جديداً في عهد ما قبل الأسرات الحديث فصار شكل كل المقابر مستطيلاً ، وفي وقت قصه أخذ استعمال بناء القبر ينتشر وذلك لتدعيمه وجعله صلباً ، وتقدم فن المعمار الأول أدخل بناء الجدران بالطين وكذلك استعملت الطين في المقابر وأصبح من السهل عمل التحسينات اللازمة ، فأضيفت حجرات صغيرة لحجرة الدفن الأصلية خصصت للمثونة والقربان ، هذا إلى أنه صنع في القبر سلم للنزول والصعود بوساطته . وسواء أكان القبر في هذا العهد مستوقفاً أم غير مستوقف فإنه لم يظهر منه أى جزء على سطح الأرض فوق بوساطته أين يرقد المتوفى ، وربما كان ذلك خشية أن يسطو اللصوص على محتوياته . ومن العادات الغريبة التي ظهرت في أواخر هذا العصر دفن المتوفى تحت إناء عظيم منكرس . وقد أخذت عادة لف الجثة في طرق دفن المتوفى

استعمال القباب في  
المقابر

طرق دفن المتوفى

حصير أو جلود تختفي تدريجاً وأخذ يحل محلها وضع الجثة أولاً في  
 من البوص المجدول ثم توضع بعد ذلك في تابوت حقيق مصنوع من  
 الفخار أحياناً وغالباً يكون مصنوعاً من ألواح كما سبق . وكانت عادة  
 عدد عظيم من الأجسام في حفرة واحدة ؛ محصورة في عهد ما قبل  
 الأسرات القديم وقد لوحظ أحياناً أن الصياد كان يدفن بجانبه كلاب صغيرين  
 وكان المتوفى سواء أكان غنياً أم فقيراً يوضع في القبر مرفصاً على  
 جانبه الأيسر اللهم إلا بعض شواذ كما شوهد في العمرة حيث وجد  
 بعض الأجسام موضوعة على الجانب الأيمن لسبب مجهول ؛ وفي العادة  
 كانت توضع الأجسام متجهة من الشمال إلى الجنوب أى في الجهة المولقة  
 لسير ماء النيل . وفي أغلب الأحيان كانت الرأس توضع في الجهة الجنوبية  
 وهناك بعض شواذ كثيرة لهذه القاعدة . وقد فسر بعض علماء الآثار  
 سبب وضع الجثة مطوية في القبر بأنها الحالة الطبيعية التي ينام بها الإنسان  
 عادة وقد فسرها آخرون بطريقة علمية مقبولة أكثر من السابقة هو أن  
 الجنين يكون بهذا الوضع في بطن أمه ولكن الظاهر أن المصرى لم يكن  
 لا في هذا التفسير ولا في ذاك بل الواقع أن المصرى ربما كان قد تم  
 دفن الجثة من بادية الأمر في مكان ضيق اقتصاداً ثم أصبحت عند  
 عادة دفن الجثة بهذا الشكل فلم يتخل عنها حتى بعد أن أصبح  
 المكان متسعاً والمصرى في كل أطوار حياته عبداً لعاداته . وقد لوحظ  
 بعض ظواهر غريبة في بعض المقابر يجدر بنا الإشارة إليها . ومن ذلك

هيئة وضع المتوفى  
 في القبر

عثر على عدد من الأجسام منفصلة عظامها وليست موضوعة في ترتيبها  
لطبي مع أن كل الدلائل تدل على أن القبر لم يس منذ الدفن وقد فسر  
بعض العلماء ذلك بأن هذه الأجسام مزقت بعد الموت أو قبل الدفن ، وقد أنكر  
بعضهم تلك العادة على المصريين ، ولكن من جهة أخرى عثر في «دشاشة»  
التي يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات الحديث على مقابر سليمة لم تمسها  
يد إنسان ووجدت فيها الأجسام منفصلة عظامها عن بعضها ثم لفت في  
مكان الذي وجد أنه لم يس بعد في العصور التي تلت ، وذلك مما  
يعمل على أن فصل العظام كان شائعاً في عصر ما قبل الأسرات ، ومن  
المتبع جداً أن لحما كان يأكله الإنسان كما ادعى بعض العلماء .

وربما كان أغرب ما أظهرته لنا مقابر ما قبل الأسرات وجود عدد  
لا يستهان به من الأجسام ؛ فيها الجزء الأمامي من عظم الساعد  
مكسور . وقد ذهبت العلماء في تفسير ذلك مذاهب شتى ولم تقتصر هذه  
المناهج على الرجال بل وجدت في النساء أيضاً والتفسير الذي يقبله العقل  
بشيء أنه ربما كان هناك سبب جنازى يدعو لهذا الكسر الذي  
كان يحدث بعد الموت بلا شك ، أما السبب الذي دعا للكسر فسيبقى  
موجوداً لتفسير على الأقل الآن .

وتدل نتائج الحفائر التي عملت في عصر بداية المعادن أو عصر ما قبل  
الأسرات على أن المصري كان قد بلغ شأواً بعيداً في المدنية وأنه قد  
وصل إلى درجة جعلت بينه وبين عصر الوحشية هوة سحيقة ، ومهما نظرنا

كسر عظم الساعد  
قبل الدفن



إلى صناعته في أى عهد من عصر بداية المعادن فانا نجد أنه قد  
 إلى مستوى يجعله في مصاف المتعدين فقد كان في هذا العهد كما  
 أجداده في العصور السالفة من أمر الصناع والفنانين في عمل الطرقات -  
 كان عصر بداية المعادن يمتاز باستعمال الطران والنحاس لصنع الآلات  
 جنباً إلى جنب . وتدل البحوث على أن صناعة الطران كانت  
 الاستعمال في عصر البدارى وفي عهد ما قبل الأسرات القديمة  
 عهد التابع التاريخي ٤٠ ، وأحياء هذه الصناعة التي بدأت في العصر  
 استمر راسخ القدم بظهور السكاكين ذات الوجهين والسكاكين  
 ذات الطرف المستدير ؛ هذا إلى ظهور رموس الحراب ذات  
 وكانت تصنع من شظايا غير منتظمة الشكل . ولكن بعناية :  
 النحاس في هذا العهد لا يزال مادة نادرة الوجود ولا يستعمل إلا في  
 الآلات ذات الحجم الصغير كاللدبايس التي كانت تستعمل لشبك  
 بعضها ببعض ، والأبر والكلاليب ، والخطاطيف والمقاشط والمقصات .  
 يكن هذا المعدن يستعمل في حالته النقية بعد ، أما الآلات التي  
 تصنع منه فكان يحصل عليها بالطرق .

استعمال النحاس  
والطران جنباً لجنب

ومنذ التاريخ التالي ٤٠ أخذت صناعة الطران تتفكر أمام  
 النحاس ، التي بدأت تزداد تدريجاً حتى أصبحت معظم الآلات  
 يستعملها الإنسان في حياته اليومية تصنع من هذه المادة .

سيادة استعمال النحاس  
منذ التاريخ التامى  
٤٠

والواقع أن أهم ظاهرة بارزة في مدنية ما قبل الأسرات هي

معدن النحاس واستعماله في معدات الإنسان في معظم مرافق الحياة وذلك على الرغم من وجود الذهب والفضة وأن كانت الأخيرة نادرة ، هذا إلى أن الحديد المطروق قد ظهر كذلك في هذا العصر واستعمل في صنع خرز أنبوبي الشكل ولكنه كان نادراً أيضاً . ولذلك كانت قيمة عظيمة لدرجة أنه كان ينظم في القلائد الغالية مع جبات الذهب . ولكن النحاس كان في هذا العصر « ملك المعادن » . ولذلك تتساءل من أين أتى هذا المعدن وكيف كشفت مادته أولاً ؟ والظاهر أننا مدينون بكشف النحاس واستعماله لأول مرة إلى إنسان مصر في عهد ما قبل الأسرات . على أن طريقة كشفه ليست واضحة لدينا ولا تتركز على أساس تاريخي ، والمحتمل بعداً أنها جاءت بطريق الصدفة المحضة إذا قبلنا إحدى النظريتين اللتين عرضهما كل من الأستاذ « إليت سميث » والأستاذ « برستد » . وقد حاول كل منهما السبب في كشف معدن النحاس إلى استعمال المصري مادة تتوتية ( تترات النحاس ) التي سبق أن تكلمنا عنها وهي مادة كانت توجد في معظم القبور المصرية في هذا العصر ومعها لوحة من الأردواز لتطحن بها قطع التوتية وكان يستعمل لطحنها حصاة كبيرة من الحجر الصلب . لكن الغرض من وجودها مع المتوفى أن تكون مادة للزينة ودواء للعينين لحفظهما من تأثير أشعة الشمس في الصحراء وقد استعمالها الرجل والمرأة على السواء .

ظهور الحديد  
في هذا العصر

كيف اكتشف  
معدن النحاس

أما نظرية الأستاذ « برستد » في اكتشاف النحاس فإنه تصور المعدن

المصرى فى شبه جزيرة سينا قد وضع رحله فى مكان ؛ واتفق أنه أوقد ناره على قطعة من النحاس الغفل ( التوتية ) الذى كان مبعثراً بكثرة هناك ، وفى الصباح عندما كان يريد كنس بقايا موقده وقع نظره على قطع صغيرة من مادة لها بريق ولمعان . وبالطبع كانت هذه القطع الصغيرة ما أنتجه اختلاط النار بالمعدن الغفل . ومن هذه اللحظة علم المصرى أنه يمكنه الحصول على هذا المعدن بصهر حجر التوتية فى النار . وبهذه الكيفية يقول الأستاذ ( برستد ) إن الإنسان المصرى تعلم لأول مرة فى حياته كيف يمكنه أن يحصل على معدن أصبح بوساطته يضرب بسهم صائب فى الصناعات وفى الهندسة .

أما الأستاذ « اليت سميث » فإنه يعزو هذا الكشف إلى زوج المعدن فيقول أن المعدن قد جلب معه حجر التوتية من شبه جزيرة سينا إلى بيته ، واتفق صدفة أن زوجته كانت تستعمل عجينة من هذا الحجر لتجميل وجهها ، ولكن حدث أن سقطت هذه العجينة من يدها وهى أمام الموقد فى النار ، والظاهر أن ناره كانت متأججة فلم يمكنها إقناذ عجيتها . وفى اليوم التالى عندما كانت تنظف بقايا نار أس فى الموقد لتجهز الإفطار ، وجدت لدهشتها أن قطعة عجينة التوتية التى سقطت منها بالأس قد اختفت ، ولكنها فى الوقت نفسه وجدت بعض قطع صغيرة من معدن لونه أحمر جميل مما جعلها تنسى خسارة أس ، لأنها وجدت بدلا منها مادة أخرى جديدة تخلفت من حرق التوتية يمكنها أن تستعملها فى صنع أدوات زينة جديدة .

نظرية الأستاذ  
« اليت سميث » فى  
اكتشاف النحاس

وقد كان من نتائج هذا الكشف العظيم ، أن أخذت صناعة الطران منذ تأريخ التابع ٤٠ تقهقر أمام صناعة النحاس التي أخذت في الانتشار والتحسين السريع ، فأصبح يصنع منها معظم الآلات التي كان يستعملها أنسان هذا العصر ، ومن المدهش أنه كلما كان يقل استعمال الطران في مهام الحياة كلما أخذ الصانع في تحسين الآلات التي كان يستخرجها منه ، وربما كان السبب في ذلك أنها كانت تعد في هذا الوقت أدوات زينة وكاليات . وبجانب هذا الطران الفاخر المثقن الصنع كانت تستعمل حصوات معينة الشكل (الزلط) يهذب أحد طرفي الواحدة منها ويرهف ، ولكن في العصر نفسه أخذ النحاس يحل محل الطران بكثرة مضطردة في عمل آلات الحرب ، ورغم النهب المنظم الذي حدث في مقابر هذا العصر للحصول على المعادن والأشياء الثمينة ، فإنه عثر فيها على مقصات ، وقدم وأزاميل ، وخناجر ، وخطاطيف من النحاس ، وقد عثر كذلك على فأس ذات وجهين يرجع عهدها إلى الرقم ٨٠ من تأريخ التابع مما يثبت استعمال المعادن بدرجة عظيمة في هذا الحين .

سبب تحسين آلات  
الطران

شروع استعمال  
النحاس في صنع  
الآلات

صناعة النسيج

أما صناعة النسيج التي ظهرت بوادرها في العصر النيوليتي ، فإنها أخذت تنمو وتتقدم منذ بداية عصر استعمال المعادن ، وبقايا الأقمشة التي عثر عليها في مقابر البداري لا تزال خشنة الصنع ساذجة ، ولكنها في الوقت نفسه كانت صلبة منظمة النسيج . وهذه الأقمشة كانت تصنع ملابس ، هذا إلى أن صناعة الجلود أخذت في التقدم . أما صناعة النجارة الدقيقة في هذا

العصر، فلم يبق منها إلا بقايا لا تكاد تذكر ، ولكن رغم ذلك فإن آثار  
أخشاب الأسرة التي عثر عليها في البدارى ، وبقايا توايت عصر ما قبل  
الأسرات المتوسط والآلات النحاسية التي ظهرت خلال رقم ٥٥ من  
التأريخ التالى ، كل هذه الأشياء تدل على انتشار هذه الصناعة لتزيين  
مساكن عصر بداية المعادن .

ومن أهم مميزات عصر بداية المعادن صناعة الفخار، إذ بلغت قمتها  
في مصر . ولم يكن هناك منافس للفخار في هذا العهد إلا الأواني التي  
كانت تصنع من الأحجار الصلبة ، غير أنها لم تكن منتشرة بل في الواقع  
كانت نادرة وذلك لأنها ثمينة . وفي الحق كان أنسان هذا العصر يصنع  
أواني من الفخار غاية في الدقة تدل على سلامة الذوق والمهارة الفائقة .  
وقد كان نمو أشكال هذا الفخار وتعدد زخرفته المتنوعة الأساس دعامة  
بنى عليها « فلندرز بترى » نظريته التي أطلق عليها التتابع التأريخي كما أسلفنا .  
وقد جاء اكتشاف جبانة البدارى منذ عهد قريب مكملاً للحلقة الناقصة في  
هذا التتابع .

صناعة الفخار

ويمتاز فخار البدارى الذي حدد « فلندرز بترى » رقم ٢٠ - ٢٩  
بوجود خطيطات متوازية تكون أحياناً دقيقة الصنع وأحياناً تكون خشنة  
وهذه الخطيطات تغطي سطح الأثناء . ومعظم الأواني التي وجدت في هذه  
الجهة حاقها سوداء . وكان يصنع الأثناء باليد من غرين النيل المحلوط بالرمل  
ثم يوضع منكفئاً على موقد فحم متأجج ، فكان الجزء الخارجى من الفطاء

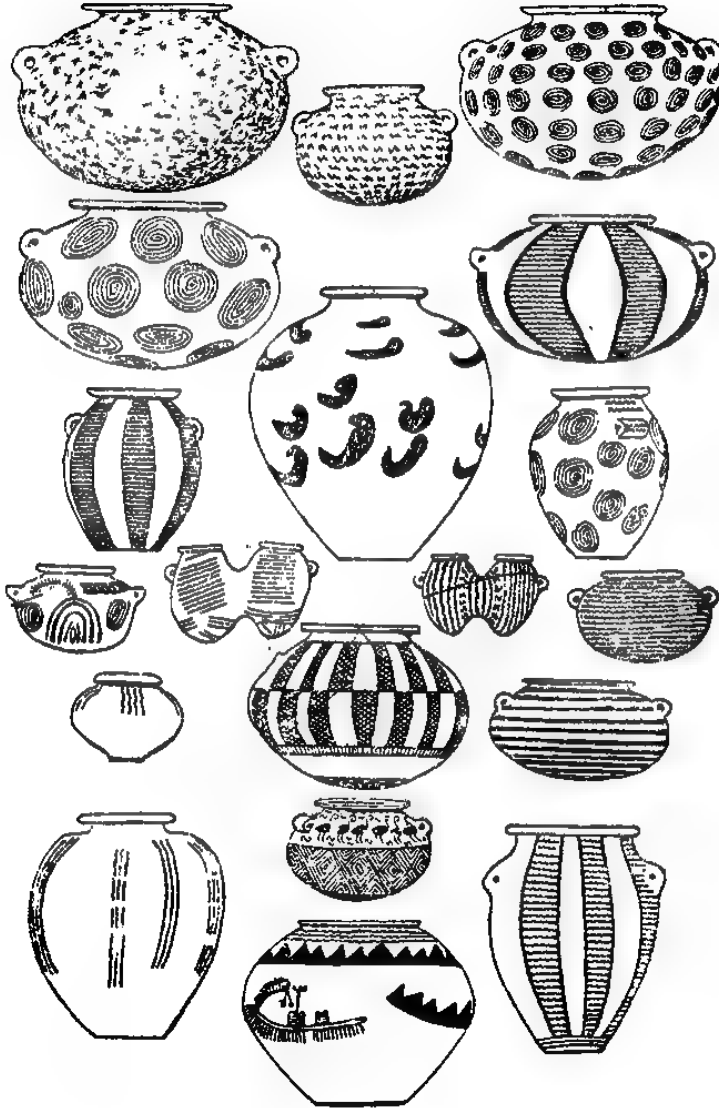
كيفية صناعة الفخار  
ذى الحافة السوداء

المدفون في الفخم المتقد ، وكذلك الجزء الداخلي من الأثناء يتغير لونها من  
فعل غاز الأكسيد إلى أسود لامع جميل ، ولم يوجد من فخار البدارى  
أنواع متعددة متنوعة كما وجد في « مرمدة » ، إذ أن الأنواع التي  
عثر عليها إلى الآن تنحصر أشكالها في بعض أقنح طويلة أو قصيرة ذات  
حافة مستقيمة أو مستديرة أو بيضية ، أو ذات قعر مسطح . ويشاهد في  
بعض الأواني النادرة حزنه في الحافة يشعر بأن إنسان هذا العصر أخذ  
يفكر في صنع أناء ذي عروة . وقد استمر استعمال الفخار ذي الحافة  
السوداء في جهات أخرى غير البدارى إلا أنه أخذ في التلاشي ، كما أخذت  
أشكاله تستطيل حتى رقم ٤٠ من التأريخ التابى . أما الفخار الجميل ذو اللون  
الأحمر المصقول الذي أخذ يحل محله ، فقد أضاف شكلاً جديداً إلى سلسلة  
الأواني ، وهو الأثناء ذو الرقبة الضيقة والقعر المستوي وهو في شكله يشبه  
الزجاجة الحالية . وحوالى الرقم ٣٥ من تأريخ التابع ظهرت الجرة ذات  
الوسط المفرطح والعروة المتموجة والرقبة ذات الحافة . وهذا النوع من  
الفخار كان ظهوره بين ٣١ - ٣٥ من التأريخ التابى . ويمتاز بأنه كان  
يزخرف برسوم ملونة بالأبيض تدل على حلية هندسية الشكل تشبه الفخار  
الأسود الذي ظهر في عصر « ديرطاسا » ، ولكن ظهرت عليه بعض  
أشكال آدمية ساذجة الصنع ، وأشكال حيوانات ونباتات . وحوالى الرقم ٤٠  
من تأريخ التابع ، ظهر نوع جديد من الفخار يطلق عليه اسم الفخار  
للزخرف . وكان يصنع من عجينة تقيّة ذات لون صاف . ويمتاز بفرطحة

أشكال أواني الفخار  
في عصر البدارى

رسم الإنسان  
والحيوان على الفخار

وسطه وقصر رقبته ، وفي معظم الأحيان تكون له حافة . أما قعره فستو .  
وكانت رقبته مزخرفة بخطوط بنفسجية شديدة السمرة . وكذلك كانت

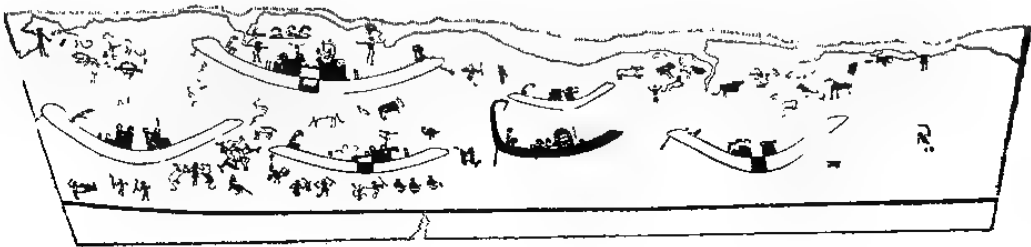


نخار ملون من طلوع ( الوجه القبلي )

ترسم عليه أشكال حلزونية . ربما كانت تقليداً للأشكال الطبيعية التي تساهد على الأواني الحجرية الصلبة . وكان يرسم عليها كذلك أشكال شجر ، وجماعات من الناس . وحيوانات من ذوات الأربع . وطيور طويلة السيقان ،



نخسار ملون من عصر ما قبل الاسرات

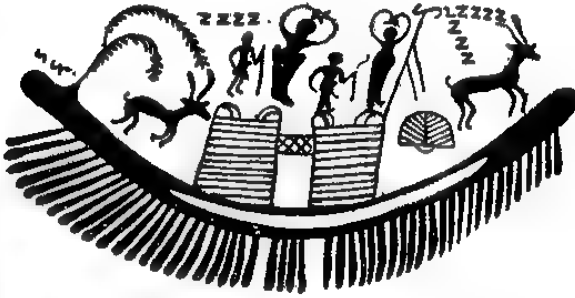


منظر ملون عثر عليه في السكاب بالوجه القبلي يرجع إلى ما قبل الاسرات

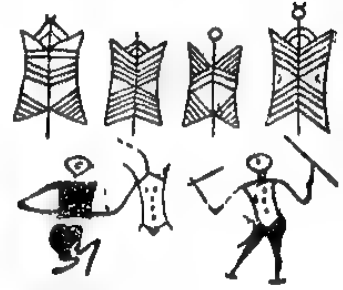


وخطوط متموجة تمثل المياه . وقوارب مجهزة بمجاديف ، في وسطها حجرتان  
عليهما شارة ؛ وهذا النوع من الفخار استمر حتى الرقم ٦٥ من تأريخ  
التابع . وباختفائه انتهى عصر الفخار الذي كان يتخذ للزينة وكاليات الحياة  
في مصر أما نوع الفخار الذي أعقبه فكان من النوع العادي ، ولكنه في

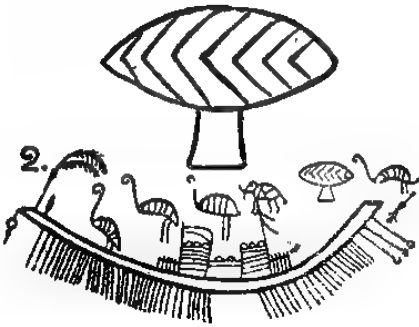
رسم السفن على  
الفخار



صورة على فخارة ملونة من  
مقابر ما قبل الاسرات



رسم على فخار ملون يمثل جنوداً  
بسلاتهم وزردهم من عصر ما قبل الاسرات



فخارة ملونة رسم عليها مركب  
وطيور من نقادة بمصر العليا



أنا، من الفخار على شكل حيوان (طير)  
من عصر ما قبل الاسرات

الوقت نفسه أخذ في التدهور شيئاً فشيئاً حتى أصبح لا يختلف عن فخار

العصر التاريخي العادي الصنع .

أما صناعة المينا الزرقاء والخضراء فترجع إلى أول عصر بداية المعادن وكانت تصنع بمخيط من البلور الصخري المطحون والجير والبوتاس ، و كربونات النحاس . وكانت كل هذه المواد تخطط ببعضها حامية ثم تسحق في الماء وبعد ذلك تصب على القطعة التي يراد طلاؤها ، ثم توضع في الفرن . وهذه الطريقة لم تكن مستعملة في عهد البدائي إلا لطلاء قطع صغيرة من الخرز المصنوع من البلور الطبيعي . أو من حجر ستايتيت . وفي عهد ما قبل الأسرات القديم اخترع للمينا مسند خاص ؛ به يمكن الحصول على ما ما يطلق عليه خطأ القيشاني المصري ( فيانس ) . وذلك بأن يؤتى بكية من الصوان والرمل أو الكورتس المطحون طحناً ناعماً . ثم تغطى هذه المعينة بطبقة سميكة من المينا . وأقدم قطعة من المينا طليت على طبقة من الرمل عثر عليها في قفازة . ويرجع تاريخها إلى الرقم ٣١ - ٣٩ من تأريخ التابع . وهذه القطع عبارة عن خرز وتعاويد صغيرة الحجم على هيئة طيور . وقد استعملت الطريقتان جنباً إلى جنب . غير أنهما لم تستعملا في أخراج قطع هامة إلا في العهد الطيني ، ولم تستعمل في عصر بداية المعادن إلا في صناعة القطع الصغيرة ، أو تزئینها بلمصق المينا عليها . وذلك منذ عهد ما قبل الأسرات للتوسط ، ولم يكن ذلك قاصراً على حجر الكورتس ، وحجر ستايتيت ، ولكن تخطى ذلك إلى العاج ، والعظم ، وحجر الشيست ، والحجر الجيري ، وعلى العموم كان يستعمل مع كل المواد التي كانت تستخدم في

ظهور المينا وكيفية  
صناعتها

كيفية صناعة القيشاني  
واستعماله

فن النحت .

ولما كانت المينا من الأشياء الكالية . لم يستعملها المصري قط في  
الفخار الذى كان يعد في نظره مادة حقيرة . وقد بقى الحال كذلك حتى  
عهد الرومان ، إذ ظهر وقتئذ استعمال المينا مع الفخار .

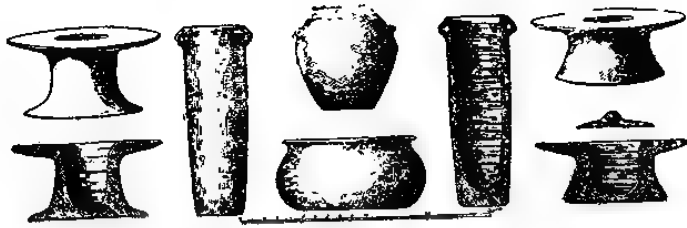
استعمال المينا في  
الفخار في العهد  
الرومانى فقط

وكان كشف صناعة المينا الزجاجية أول خطوة نحو صنع الزجاج  
الذى لم تختلف صناعته عن صناعة المينا إلا بعدم استعمال مسند تصب عليه  
المينا . والواقع أن المصريين عرفوا الزجاج في العهد الفرعونى . ولكنهم لم  
يعرفوا قط صناعته إلا في حالة عجينة مطحونة . ولم يعثر على قطع من  
الزجاج إلا بعض خرزات ، وقطعة واحدة مطحونة يرجع عهدها إلى ما  
قبل الأسرات . وهذه القطعة عبارة عن دلالية « بندتيف » زرقاء اللون  
تشبه اللازورد . ويرجع عهدها إلى الرقم ٤١ من تأريخ التابع .

معرفة الزجاج

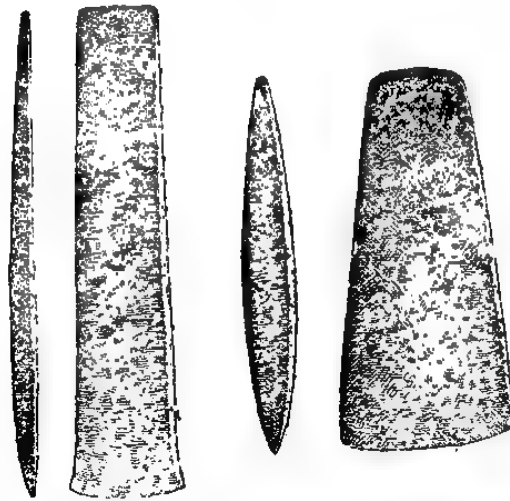
وفى هذا العصر أخذت صناعة الأواني الحجرية تتقدم تقدماً محسوساً .  
وقد عثر فى الوجه البحرى على أوان من الحجر يرجع عهدها إلى عصر  
مرمدة بنى سلامة بعضها مصنوع من حجر البازلت على هيئة هاون ، ولم  
يعثر على مثلاً قط فى عصر البدارى ، ولكنها ظهرت فى عهد ما قبل  
الأسرات القديم . فكشف عن أوان أسطوانية الشكل ذات قعر مستدير .  
وأوان أنبوية ذات قعر مستو . وعلى أقذاح عظيمة ذات جدران منخفضة  
مصنوعة من الحجر الجيرى اللين . ومن المرمر والبازلت والجرانيت الوردى . .  
وهذه الأواني كانت نادرة فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، ولكنها

استعمال الاواني  
الحجرية وأشكالها



أوان من الحجر عثر عليها في العمرة ( الوجه القبلي )

أخذت تزداد في العدد على مر الأيام ، وربما كان السبب في ذلك كشف  
الحاس الذي كانت تعمل منه الآلات اللازمة لتفريغ هذه الأواني .



بلط نحاس من عصر ما قبل الاسرات عثر عليها في مصر

ولقد كان الصانع المصرى يصنع أوانيّه من حجر الديوريت وحجر البرفير ،  
وحجر البريشية التى تعد من أصلب الأحجار وأعصاها . بقلب فرح متدوقا

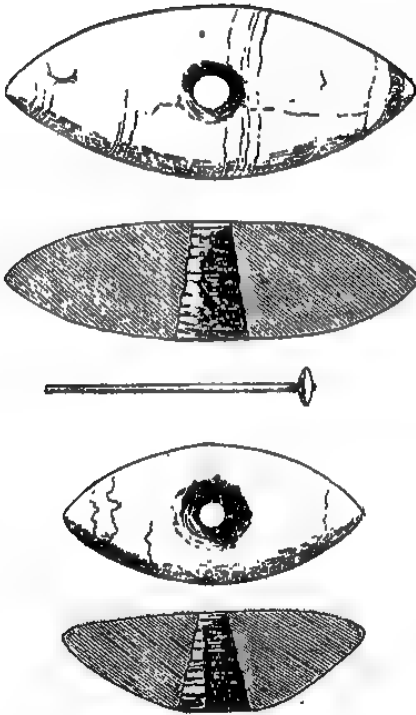
عمله حتى أنه كان لا يعد للزمن الذى يصرفه فى إنجاز عمله حساباً . ويظهر من الصبر درجة تضعه فى مصاف مهرة العمال . ولقد كانت النتائج التى وصل إليها تضارع المشاق التى تحملها ، وكانت أشكال الأوانى الحجرية التى أخرجتها يده مقلدة أشكال أوانى الفخار المعاصر ولم تكن الأخيرة بلغت من حسن الشكل والذوق أكثر مما كانت عليه فى هذه الفترة . ولم تكن عجلة صانع الفخار معروفة بعد . ولكن مع ذلك كانت الأوانى التى تعمل باليد على درجة عظيمة من حسن الشكل والدقة ، ولذلك كانت الأوانى الحجرية التى نحتت على هيئتها آية فى الجمال . هذا إلى أن جمال الحجر الطبعى ولونه كان يظهر فى بهجة خلافة عند ما كان الفنان ينجح فى صقل سطح الأنا ، وعند ما كان يرقق جدران الأنا حتى يصبح شفافاً . وعلى العموم فإن هذه الأوانى الحجرية ربما تعد أجمل الأشياء التى بقيت لنا من عصر ما قبل الأسرات ، وتمتد شاهداً فصيحاً على المهارة الفنية للجنس الذى أنتجه وعلى ذوقه السليم .

تقليد أوانى الفخار  
فى الأوانى الحجرية

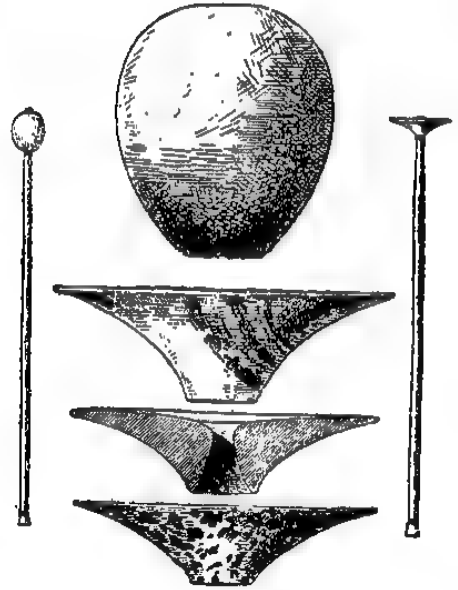
وفى التاريخ التالى ٤٠ ظهرت أشكال جديدة من الأوانى الحجرية تقابل أشكال الفخار كالأوانى المنمجة الوسط . والبيضة ، والمستديرة ، والأقداح العميقة ذات الحافة المنحنية انحناء خفيفاً من أعلى . وهذه الأشكال الجديدة ليس لها حوامل ( أرجل ) . بل قعرها إما مستدير أو مستو . وقد أخذت صناعة الأوانى من الحجر الصلب تزدهر وتتقدم كما سبق ذكره حتى وصلت القمة فى عهد الأمرة الأولى . ولم نعر فى القبور التى من

صناعة أواني الحجر  
قضت على صناعة  
الفخار

قبل الأسرات المزودة بأوان من الحجر على أوان من الفخار . إذ كانت  
تعد في نظر القوم من الأثاث الرخيص . ومنذ ذلك العهد يمكننا أن نفهم  
أن تقدم صناعة أواني الحجر قد قضت على صناعة الفخار المزخرف حوالى  
نهاية عصر ما قبل الأسرات .



رءوس دبائيس من المرمر - عثر عليها في العمرة  
« الوجه القبلى »



رءوس دبائيس من الحجر الصلب عثر عليها  
في العمرة « الوجه القبلى »

ويتبع صناعة أواني الحجر الصلب صناعة رءوس الدبائيس التى كانت  
تستعمل في الحرب ، وكانت كذلك من الحجر الصلب . وهذه الرءوس  
كانت تثبت في مقابض مصنوعة من قرون الحيوان أو من العاج . وأقدم

نوع من هذه الرؤوس عثر عليه في الوجه القبلى ، وكانت على شكل أقراص ، واختفت في عهد الرقم ٤٠ من تأريخ التابع ليحل مكانها النوع الجديد الذى جاء على هيئة كثرى ، ولا شك أنه جلب من الوجه البحرى إذ كان معروفاً في عصر مرمدة ، وبعض هذه الرؤوس قد أحكم صنعها فوصلت إلى درجة عظيمة من الأتقان الفنى ، حتى أنها لم تقم مقام سلاح مفيد لحشب ، بل كانت في ذاتها قطعة فنية آية في جمال الصنع .

صناعة رؤوس  
الدبابيس

## ديانة عصر بداية المعادن

من العبث أن يحاول المؤرخ رسم صورة صادقة للديانة المصرية في عصر بداية المعادن ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن المصادر التاريخية الصادقة كانت لا تزال تعوزنا في هذا الوقت ، هذا إلى أن ما دوّن كتابة في فجر التاريخ المصرى لم يشر إلا بإشارات خفيفة لتلك الأزمان السحيقة . وأهم مصدر وصل إلينا في هذه الناحية هي متون الأهرام التى دوّنت على جدران أهرام سقارة في خلال الأسرتين الخامسة والسادسة ، وذلك في داخل حجرات الدفن للملوك فحسب . ورغم أن هذه المتون تشير إلى ديانة ما قبل الأسرات ، غير أنها تنحصر في ديانة الوجه البحرى التى ألفت فيه المتون المذكورة هذا إلى أنها كانت خاصة بالملوك لا بعامّة الشعب وستكلم عن ذلك بأسهاب في حينه .

الإشارة في متون  
الأهرام إلى ديانة ما  
قبل الأسرات في  
الوجه البحرى فقط

أما المصدر الثانى الهام الذى نركز عليه فى استنباط ديانة هذا العصر، فهو الكشف الأثرى فى الوجه القبلى وفى الدلتا .

وما كشف من الآثار إلى الآن يدل على أن مدينة الوجه البحرى أعرق فى القدم من مدينة الوجه القبلى .

وإذا كانت الأمور تقاس بأشباهاها فإن محتويات المقابر التى كشفت فى هذا العصر بمقارنتها بما كشف فى العصور التاريخية ، يدل على أن القوم كانت لهم معتقدات دينية تركز على أساس متين . ولا أدلّ على ذلك مما عثر عليه فى جبانة عصر البدارى من الحيوانات التى عنى بدفنها بعد تكفينها كما كان يحدث فى العصر التاريخى . فمثلا وجدت أولاد آوى ، وثيران ، وكباش ، وغزلان ، ملفوفة فى حصير أو فى نسيج من التيل ، مما لا يترك مجالاً للشك فى أنها كانت قدس ، وتعبد ، وأن أهل هذا العصر قد تقلدوا عبادتها إلى العهد التاريخى . وكذلك وجدت فى مقابر البدارى تعويذات مصنوعة من العظم تمثل رؤس غزلان ، وجاموس بحر ، كما وجد فى عهد قادة بعض أعلام مرسومة على أواني فخار ويحمل كل منها صورة حيوان أو شجاراً ؛ كان لا بد يستعمل بمثابة صورة أو رمز لأله خاص . ومن المحتمل جداً أن هذه الرموز الدينية تدل على أقسام سياسية للبلاد فى هذا العصر .

ومن أهم الأدلة على اعتقاد القوم فى هذه الأزمان السحيقة بأن الإنسان سيعيش كرة أخرى فى قبره ما يلاحظ فى ترتيب الأدوات التى

عبادة الحيوان فى  
عصر البدارى

وجود تماويذ فى  
مقابر هذا العصر  
وكذلك رموز دجا  
كانت لآلهة



الاثاث المأثى يدل  
على البعث ثانية

كانت توضع معه ، ويمكننا أن نستنتج أن المواد الغذائية التي كانت توضع بالقرب من الجثة ، وكذلك بعض أدوات الزينة وبعض الآلات ، كان لا بد للمتوفى أن يستعملها في حياته الثانية في القبر كما كان يستعملها في حياته الدنيا بكل مظاهرها ولوازمها .

كيفية وضع المتوفى  
في القبر

وقد ذكرنا فيما سلف أن جثة المتوفى كانت توضع في لحدها ورأسها متجهة نحو كوخ أسرته التي غادرها ، وربما كان الباعث على ذلك رغبته حسب اعتقادهم في أن يرى باستمرار أملاكه الدنيوية وأخلافه من بعده ، ويمرر هذا الرأي ما نشاهده في قبور العصر التاريخي ، إذ نجد أن المتوفى في خلال الأسرة السادسة كان يرسم خارج تابوته الخشبي عينين تدلان على مكان وجود رأسه ، وكان في مقدوره أن يرى كل ما يحيط به في العالم الدنيوي بهما .

استعمال السحر في  
هذا العصر

في خلال هذا العصر عثر كذلك على بعض دمي لنساء وخدم ، وحراس نصبت خلف جدار القبر ، هذا إلى مراكب صغيرة معها شبكها ، ومعداتها ، وحيوانات متوحشة وأليفة . كل هذه الأشياء قد أهدبت للمتوفى ووضعت معه في القبر ليستعملها في حياته الآخرة بوساطة رقى سحرية ، ولا نزاع في أن إنسان هذا العصر كان يستعين بالسحر لاستخدام هذه التماثيل الصغيرة فيقلبها إلى حقيقتها ، وهذا بالضبط ما وجد في العصر التاريخي في معتقدات القوم الجنازية :

على أن هناك عادات في الدفن عثر عليها في عصر ما قبل الأسرات ،

ولكننا لم نعثر عليها في عادات العصر التاريخي إلى الآن ، ولذلك ستظل سرا غامضا إلى أن نعثر على نظائرها ، فمنها أنه عثر على هياكل عظمية في مقابر لم تمس بعد ، لم تكن مدفونة بحالتها الطبيعية ، وقد ظن بعض العلماء أن الأجسام التي وجدت بهذا الشكل ، قد فصل عظام كل منها عن بعضها بعد الموت أو قبل الدفن ، حتى أن بعضهم ظن أن لجما كان يحول ، ولكن ذلك الرأي لا يخرج عن مرتبة الخرافة المحضة .

وقد عثر في دشاشة في مقابر لم تمس بعد من الأسرات الأولى على بعض أجسام مفصولة عظامها عن بعضها ثم لفت فيما بعد في نسيج من الكتان ، ومن المحتمل جداً أن هذه العادة قد ورثها أهل الأسرات من قديم ما قبل الأسرات ، ولم يعرف تفسيرها حتى الآن .

على أن أغرب عادة وصلت إلينا من عصر ما قبل الأسرات هي كسر ساعد المتوفى ، وقد وجدت هذه الظاهرة في النساء والرجال على السواء ، ولا شك أن ذلك يرجع إلى اعتقاد ديني لا نعرفه ، ولا ندري لماذا تفعل . لنا أرض مصر في جوفها من مثل هذه العادات والمعتقدات التي لا يمكن أن نضل إلى حلها إلا بنظائرها في العصر التاريخي .

عادة كسر ساعد  
المتوفى

### الدين

من الأمور البديهية في حياة الأمم ، أن الفرد يهتم أولاً بالحصول على

حاجياته الضرورية، ثم بعد ذلك يتطلع للكاليات واقتنائها، فلا غرابة إذن :  
إذا كنا نجد أنسان العصر الحجري الحديث منصرفاً بكل قواه لأتشاء  
الصناعات اللازمة لحياته المنزلية، ولم يفكر في التفنن في صنعا ، لذلك نجد  
أن حلى أهل هذا العصر الساذج كانت خالية من كل ذوق فنى . ولما  
دخل في عصر بداية استعمال المعادن وارتقى في معيشته بعض الشيء ، بدأ  
يتفنن في صنع متاعه وحليه . ولا غرابة في ذلك ما دامت قراه ومدنه التى كانت  
تزخر بالمعدات ، قد أخذت الكاليات تجد محلا بين سكانها ، ومن هنا نشأ الفن .  
ومن المحتمل جداً أن تكون أول فكرة فنية قد نبئت في الوجه البحرى ،  
وظواهر الأمور تشجع على احتمال هذه النظرية ، ولكن للأسف تموزنا هنا  
المستندات كلية حتى الآن . أما في الوجه القبلى فالأمر على عكس ذلك ،  
إذ أظهرت لنا حفائر البدارى حلياً تدل على بداية ذوق فنى أخذ يتحقق  
على مر الأيام تدريجاً ، إذ عثر هناك على قلائد منظومة في خيوطها حبات  
من الفيروز يتخللها على مسافات متساوية قطع كبيرة من العقيق ، وحجر  
اليشب وحجر الحية وعثر كذلك على أحزمة مؤلفة من عدة خيوط  
منظومة فيها حبات زرقاء وأخرى خضراء ، ووجدت أسورة ذات حجم  
عظيم من العاج ، وأمشاط للشعر محفورة في رقعة كل منها رموس طيور .  
أما أدوات الزينة التى وجدت بمجوار جثث سراة القوم في مقابرهم فأنها  
محفورة في العاج ومعظمها نماذج آوان للعطور وملاعق مستديرة أو مستطيلة  
الشكل ذات أيد أسطوانية ، وتنتهى كل يد برأس حيوان أو ما يشبهه ،

كيف نشأ الفن

التطلع الفنية التى  
وجدت في مقابر  
هذا العصر

ورغم سداجة هذه الأدوات وبساطتها فأنها تدل على ذوق حقيقى .

ولم يفكر المصرى فى عمل التماثيل إلا لضرورة ملحة ، وذلك أنه كان يعتقد فى حياة ثانية بعد الموت . فكان يحتاج إلى وضع دى سحرية معه فى القبر ، وأولى ما عثرنا عليه منها كان فى مقابر البدارى ، وكانت على شكل تماثيل صغيرة لنساء عاريات . فوجد هناك تماثيل صغيرة من العاج ودميتان من الطين فى قبور فقراء القوم . وهذه الدمى بلا شك خشنة الصنع ، وبخاصة أنا وجدنا تمثيل الوجه فيها مختصراً فالعين ممثلة مستديرة . أما اليدان والرجلان فأما صورت ممسوخة مشوهة ليس فيها من الفن شئ . ولكن لوحظ رغم ذلك أن جسم دمييتين تدلان على صدق التعبير الفنى وعلى المرونة فى التصوير ، كما لم يفتق أى جسم آخر فى خلال عصر بداية استعمال المعادن .

وإذا قارنا الدمى المصنوعة من العاج بالدمى المصنوعة من الطين الصلصال ، نجد أن الثانية تقليد للأولى ، وكان يستعملها عامة الشعب . ولا نزاع فى أن أول من فكر فى صنع هذه الأشياء فى ذلك العصر هم سراة القوم وعظماؤهم ، ومن ذلك نعلم أن الفن بدأ فى الطبقة الراقية ، ثم قلدهم عامة الشعب . والواقع أن هذا كان طابع الفن المصرى فى كل عهوده ، حتى القدر ، ولذلك نشاهد أن منتجات الفن لم تكن على وتيرة واحدة متساوية فى الصنع والقيمة . على أن ذلك لا يعنى أن الدمى التى انتجها الفن المصرى فى هذا العهد لم تكن فى أصلها مشبعة بالروح الشعبية ، بل الأمر

سبب عماء الدمى

الفن يبتدىء فى الطبقة الراقية أولا

على عكس ذلك في بعض الدمى المصنوعة من الطين التي يرجع عهدها إلى زمن سحيق . وقد وجدت أمثلة من هذا النوع في العصر التاريخي . ومع ذلك فإن هذه الدمى التي لا تشف عن روح فنية معينة لا تشغل حيزاً في مضمار الفن المصرى اللهم إلا مجرد فكرة . ومن أجل ذلك لا يمكننا أن نعدها من القطع الفنية التي يجدر بنا أن نعيدها اهتماماً .

( وفي الحق يجب على الذى يريد أن يتناول البحث فى الفن المصرى، أن يبدأ أولاً بفحص الأدوات الكهالية والتحف التى عثر عليها فى هذا الوقت، إذ هى المظهر الحقيقى الأول للفن المصرى. وفى خلال عصر بداية استعمال المعادن كانت المواد التى تصنع منها الأدوات الكهالية وأدوات الزينة، منحصرة فى العاج والأحجار الصلبة؛ على أن صناعة الأحجار لم تكن بعد منتشرة؛ لصعوبة نحتها، ولذلك كان يقتصر صنعها على الأوانى الثمينة جداً، ومنذ ظهرت أخذت تؤثر فى صناعة الأوانى الفخارية التى كانت شائعة الاستعمال فى ذلك العهد، وهذا ينطبق كذلك على الأوانى المعدنية فأنها أثرت على صناعة الأوانى الحجرية، بل وعلى الفخار أيضاً .

الفن يظهر الأدوات الكهالية

( ومما لا شك فيه أن العاج كان فى هذا العصر المادة التى تصنع منها القطع الفنية، ثم تدرج بعد ذلك إلى استعمال العظم فى صنع الدمى. وقد عثر على دمية نساء عاريات وأذرعتهن ملصقات على طول الجسم أو موضوعة على الصدر تحت الثديين المتدليين . وقد وجدت دمية للرجال عارية إلا من الكيس الذى كان يستر عضو التذكير، وكذلك عثر على أقزام ممسوخة

الدمى العارية تصنع من العاج وغيره

الشكل وعلى ذكور مفوفين في عبااتهم ولم لم الحى، ومن المحتمل أن الدمى الأخيرة كانت تمثل آلهة أو ملائكة. والظاهر أنها كانت تستعمل غالباً لزخرفة التعاويذ الكبيرة الحجم التى كانت على شكل قرف .

وقد كشف عن دمي تدل على تقدم فى محسوس وبخاصة فى صنع العين إذ نجد فى النذر اليسير الذى أخطأه التدمير والتلف أن العين بدأت تمثل على شكل اللوزة مما يقرب من الحقيقة ، غير أن الجسم الذى كانت توضع فيه كان لا يزال ينقصه مظاهر النوق الفنى، إذ كان يصنع على طريقة ثابتة معينة متفق عليها من قبل ، لكل الأجسام تقريباً، وذلك مما يظهر لنا الفارق العظيم بينها وبين دمي العاج التى عثر عليها فى البدارى. وهى التى يلاحظ فيها الإنسان الروح الفنية . وفى هذا العصر أخرجت صناعة

تقدم صناعة الدمى

صناعة أمشاط  
مختلفة الاشكال  
من العاج

عاج أمشاطاً عظيمة الحجم للزينة لها أسنان طويلة ومحلاة برسوم بارزة تمثل على أشباح غزلان وطيور، أو رأس آدمى له لحية، هذا إلى مشابك قشر رهوسها مزخرفة بصور كالتى سبق ذكرها . وهذه الأمشاط كانت تستعمل خاصة فى عهد ما قبل الأثرات القديم . والظاهر أن صنعها انقطع حوالى تأريخ التابع ٤٤ .

وفى هذا العصر كثرت صور الحيوانات فكانت تمثل بقطيعها فى الألواح الآردوازية الخضراء، وقد ذكرنا أن هذه الألواح كانت تستعمل لطحن الكحل (التوية) لتجميل العين، وقد حلت مكان الألواح المستطيلة الشكل التى كانت مستعملة فى عهد البدارى بدون أية زينة .

الناظر التى تمثل على  
الواح الآردواز

أما الحيوانات التي كانت تمثل بأرزة على هذه الألواح فكانت عديدة مختلفة الأنواع، أهمها الأبل، وجاموس البحر (١)، والطيور والسطحفاة والسماك. وكانت الألواح في الغالب يخزم فيها ثقب ليتمكن أن تعلق منه. وتدل البحوث الأثرية على أن استعمالها قد بطل في نهاية عصر ما قبل الأسرات القديم. ومن ثم أخذت أشكالها تتغير تدريجاً حتى أصبحت ولا يمكن تعرفها. ولقد بلغ من غرام فناني هذا العصر بالأشكال الحيوانية أنهم أدخلوها في زخرفة الفخار، وبوساطتها أمكن تحديد عمر سلسلة من الأواني التي على أشكال حيوانات مثل جاموس البحر، والطيور والأسماك. وقد كان تصوير كل نوع من هذه الحيوانات يمثله وهو في حاله الطبيعية مما أعطى لها رونقاً خاصاً، غير أنه لا يمكن مقارنتها بالدمى المصنوعة من غرين النيل، التي عثر عليها في المقابر التي كان الغرض منها أن تقوم مقام حظية المتوفى أو خادمتها، وهذه كانت توجد بكثرة في هذا العصر غير أنها كانت خشنة الصنع في أحوال كثيرة، إذ نجد في معظم الأحيان رأس الدمى تمثل بكتلة من الطين لا شكل لها. على حين أن الأعضاء الأخرى كانت لا تخرج عن كونها إشارات بسيطة تدل على مكانها في الجسم. ولم نجد القنذلين متصلين ببعضهما. ودمى النساء ذات الأوراك الغليظة والقدم الضخمة كانت تمثل على وتيرة واحدة بطابع واحد في كل الأجسام. ويجب ألا ننظر هنا إلى هذه التماثيل نظرة فنية إذ هي

تظهر الاشكال  
الحيوانية على الفخار

تماثيل الدمى المختصرة  
الصنع هي طلائع  
التماثيل الجنائزية في  
العهد التاريخي

في الواقع تماثيل مائتة عملت لتسد فراغاً خاصاً ، ولكنها في الوقت نفسه مقدمة لطلائع التماثيل الجنازية التي ستوضع في العصر التاريخي مع المتوفى . وقد وجد من بينها قطع من آيات الفن تزين الآن متاحف العالم ، مثل حاملات القرايين ، والراقصات وصانعات الجمرة في الأواني : وبحارة السفن ، وحيوانات القرايين وأنواع الطيور ، الخ .

وقد عثر في نفس مجموعات هذه القبور على تماثيل حيوانات أرجلها نيت منفصلة عن بعضها ، أما جسمها فيتركز على عمودين من الطين .

وحوالي تاريخ التسابع ٤٠ نلاحظ أن التغير الذي ظهر أثره في كل

مرافق الحياة قد أثر على فن النحت في العاج ؛ فنجد مثلاً أن الأمشاط المزخرفة ذات الأسنان الطويلة أخذت تختفي حتى انعدمت جملة وحل محلها أمشاط للزينة ذات أسنان قصيرة كان بعضها يثبت في مشبك طويل أسطواني الشكل ليسك به الشعر ، وما ذلك إلا محافظة على التقاليد القديمة في استعمال المشط .

وظهر كذلك نوع جديد من الملاعق تتكون الواحدة منها من جسم للعلقة نفسها . وكان إما يضي الشكل أو مستديره وينتهي بيد بسيطة على شكل عصا وقصارى القول أن الزخرفة الفنية التي كانت شائعة في العصر السابق ، أخذت تختفي . ومن الغريب أن هذا العصر انتهى قضى فيه على زى الزخرفة ، قد اتفق مع الاختفاء الذي يكاد يكون كياً لصناعة دمي العاج ودمي الطين . فلم

اختفاء زى الزخرفة  
في هذا العصر



يبقى لنا من مخلفات هذا العصر الآدمي إلا الرجل الملتحي أو للقفوف في عبادته . ومع ذلك فإنه كان مصنوعاً صنفاً هندسياً مختصراً ليس فيه ما يشعر بالذوق الفني . وتدل ظواهر الأمور على أن ما كانت شائعاً من المظاهر الأولى في فن عمل التماثيل أصبح لا فائدة منه ، وأن تلوين الأواني المزخرفة التي كانت توضع بجوار جثة المتوفى قد ضمن لأصحاب القبور بواسطة السحر ، الخدم والنساء وحيوان الصيد والقوارب التي كان يصنعها الإنسان إلى هذا العهد على شكل تماثيل بأثمان غالية .

وقد ظهر كذلك إهمال فن الزخرفة بالنحت في ألواح الأردواز التي من عصر ما قبل الأسرات المتوسط ، لذلك نجد أن أشكال الحيوانات المرسومة عليها ، أخذت في التدهور حتى لم يبق منها إلا ظل لا يكاد يميز الإنسان منه حيواناً معيناً . غير أن نوع الألواح التي كانت على شكل طائر قد أخذت شكلاً جديداً ؛ فاللوح البيضاوي الشكل أو الذي يمثل جسم الفأس أصبح يزخرف في الجزء العلوي منه برأس طائرين بشكل جانبي مقطوع في الأردواز ، وفي هذا العصر أخذت الرق التي كادت تكون معدومة في العصر السابق ، تظهر وتنتشر . وكانت تصنع من الأردواز أو العاج أو العظم ، غير أنه كان يظهر في شكلها الطابع المختصر الخاص بكل نحت هذا العصر ، أما الأواني التي على شكل حيواني فإنها استمرت في هذا العصر أيضاً ولكنها كانت خالية من الذوق الفني ويصعب تمييز بعضها عن بعض .

ظهور الرق في هذا  
العصر

وبحلول عصر ما قبل الأسرات الحديث قامت نهضة فنية حوالى تاريخ السابع ٦٠ . فلاحظ تجديداً فى التقاليد الفنية التى كانت مزدهرة فى عصر ما قبل الأسرات القديم ، وذلك بطرق فنية تتدرج نحو الكمال ، حتى أنها أصبحت فيما بعد المنبع الذى نشأ منه الفن الفرعونى . من ذلك أن فن نحت العاج نجحاً بارزاً بقى صاحب المكانة الأولى فى التقدم ، فى مصانع العاج ظهرت أشكال الحفر البارز بطريقة حقة وعنه أخذت النماذج التى استعملت فى مواد أخرى . وفى هذا العصر تجد استعمال نوع دى للمرأة واقفة عارية الجسم ذراعها ملصوقان بجسمها ، ولكن بجانب هذا النوع الذى كان شائع الاستعمال ، ظهر نوع آخر من دى للمرأة رشيقة ذو ثديين ناهدين . وكذلك ظهر نوع الدى الذى كان يمثل أمّاً تحمل ولدها على ذراعيها أو فى حجرها ، وظهرت دى شخصيات كانت تمثل متشحة بعباءة ، ولكنها كانت تستعمل فى تمثيل المرأة .

وفى هذا العصر ظهر كذلك تمثيل الحيوانات فى العاج وغيره ، وبخاصة الأسود التى كانت تستعمل أحجاراً للعب ، وتزخرف بها مقابض ملاعق هزينة . وقد ظهر من بين هذه القطع ما يدل فى صناعته على مرونة فنية ، نحت أنها ليست عنواناً للفن المصرى الناضج إلا أنها كانت بعيدة عن خشونة والسذاجة .

ولم يقتصر نحت الأجسام فى هذا العصر على العاج كما كان المتبع ، بل تعدى إلى مواد أخرى ، ولكن لم تظهر فيها المهارة التى كانت تظهر فى العاج ؛

ظهور نهضة فنية  
فى عصر ما قبل  
الأسرات الحديث

النحت فى العاج

وذلك لأن الفنان لم يكن قد تعود استعمالها بعد ؛ أو لصلاية مادتها ؛ فكان يستعمل الأحجار الجيرية أو قطع المينا ذات اللون الأخضر أو الأزرق ، وحجر الأردواز والبازلت . وحتى الجرانيت الأسود والأحمر ؛ وقد توغل الفنان في هذا الطريق إلى أن أخذ يجرب عمل التماثيل الكبيرة الحجم ، ولكن يظهر أنه لم ينتج إلا قطعاً قليلة العدد حسبما كشف عنه حتى الآن ، ومع ذلك فإن الإنتاج في هذه الناحية يدل على الجهد الفنى والخشونة في الذوق . ولا أدل على ذلك من تمثال الرجل ذى اللحية الموجود الآن بمتحف أكسفورد ، فقد نحت في حجر الأردواز ومثل عاريًا ، إلا من الكيس الذى يستر عضو التذكير . وظاهر في شكله الجود ، فليحته مفرطحة ، وذراعه ملصوقان في جسمه ، وكان طوله نحو نصف متر قبل كسر ساقه .

ظهور النحت في  
الأحجار وغيرها  
من المواد الصلبة

ظهور نحت التماثيل  
الساذجة

وفي متحف برلين كذلك يوجد السبع الرابض المصنوع من الجرانيت الأسود . وهو ساذج الصنع جامد الملامح ويزيد طوله على أكثر من ٣٠ سنتيمتراً ، وهذه أول محاولات حقيقية عرفها الفن في إبراز التماثيل الكبيرة . ومن أهم مجددات الفن في هذا العصر النحت الفائر على العاج ثم الأحجار فيما بعد . وقد كان لهذا النوع من الحفر شأن عظيم في تاريخ الفن في مصر القديمة . والظاهر أن فكرة نقش الأشكال غائرة في العاج قد أخذت من رسوم الأشكال التى كانت على الفخار المزخرف الشائع الاستعمال في هذه الفترة ، أى في عهد ما قبل الأسرات المتوسط ، وأكبر

النحت الفائر

دليل على صواب هذه الفكرة أن كل الرسوم التي كانت على الفخار قد عثت بفصها ونصها، ثمنها وغشاها، صوابها وخطئها . وهذه الرسوم قد استعملت في زخرفة الأمشاط أو مقابض السكاكين الفاخرة . وهي التي كان سلاحها لا يزال يصنع من الطران الأشقر اللون . وقد جرب الفنان أولاً حفر صنف من الحيوانات التي تشاهد على الفخار الملون . والواقع أن أقدم قطعة عثر عليها من هذا النوع زخرفت بهذه الطريقة . أما المثل الأعلى لهذا النوع من الحفر فجاء في الواقع بعد أن قام الفنان بعدة تجارب، هي سكينه جبل العرق المحفوظة الآن بمتحف اللوفر ويرجع عهدها في التاريخ التابع

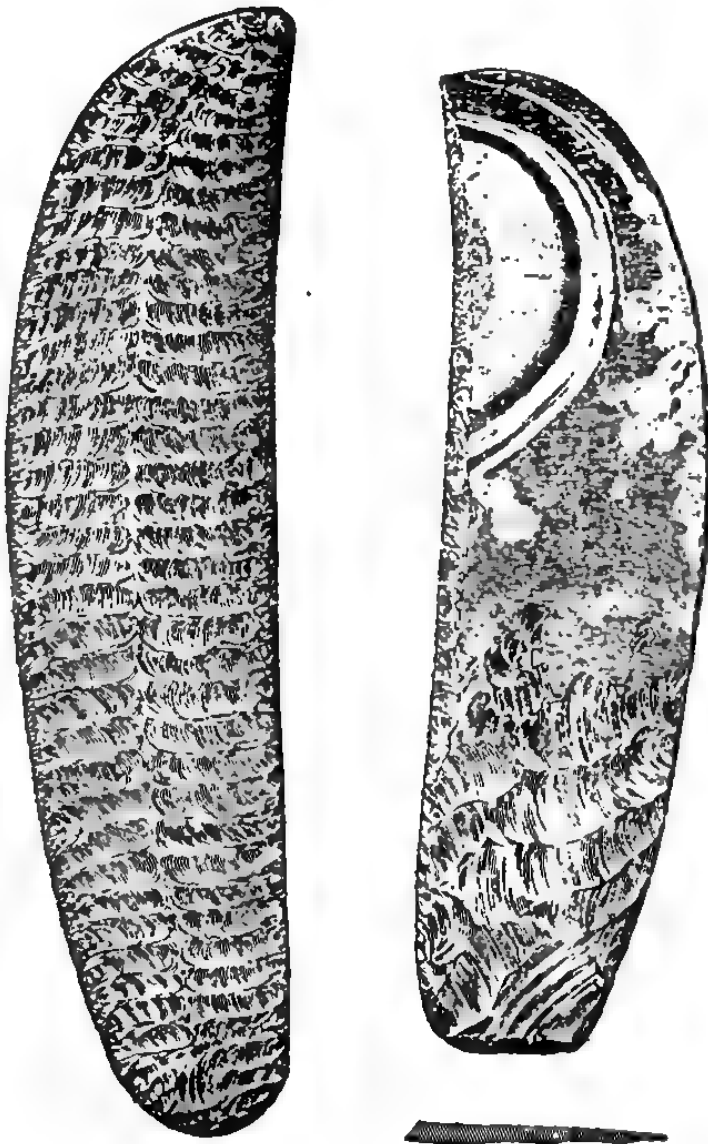
إلى الرقم ٦٠ على أن نبوغ الفنان في إبراز صور هذه السكين لا يمكن تقديره إلا عند مقارنته بما أخرجه على حجر الأردواز في نفس العصر . إذ نرى فرقاً شاسعاً في الحفر الغائر في كل منها ففي مقبض السكين نرى روح الفن ودقة الصنع وفي الأردواز يلاحظ لأول وهلة السذاجة وعدم المقدرة الفنية .

وربما يرجع السبب في اختيار الفنان حجر الأردواز الأخضر مادة للحفر

باعتبار، أن هذا النوع من الأحجار يجمع بين الليونة وبين تماسك حياته الحقيقية، لذلك كان يعد من بين الأحجار التي تقارب العاج في سهولة النقش الغائر عليها . على أن الأردواز كان منذ زمن بعيد يستعمل في إخراج ألواح الكحل التي كانت تمثل عليها أشكال حيوانات بالتفريغ، وقد عثر على بعض ألواح من هذا النوع عليها بعض حفر غائرة مما

سكينه جبل العرق  
قطعة فنية

سبب استعمال الأردواز  
للحفر عليه



سلاح من الظران على شكل قرن من عليه في جبل طرف



سكة من المرق



يدل على أن الفنان بدأ في هذه النهضة الجديدة يفكر في اتخاذ هذه المادة أدواته في إبراز صناعته الحديثة، ولا يبعد أن يكون هذا هو السر الذي دعا الفنان إلى إخراج نوع جديد من هذه الألواح خاص بالزينة، ولكن بحجم عظيم، ولأجل ألا ينسى استعمالها الأصل حفر في وسط اللوح حفرة صغيرة تشعر بأصل استعمالها وهو المكان المخصص لوضع الكحل.

وهذا النوع الجديد من الألواح كان في الواقع يستعمل لحفر مناظر جنائزية على سطحها لحفظ ذكرى الصيد والحروب. وكانت تودع المعابد العتيقة لهذا الغرض، وقد عثر على معظم ما كشف في خرائب هذه المعابد من أول عصر ما قبل الأسرات الحديث حتى فجر التاريخ الفرعوني. ويرجع الفضل إلى هذه الألواح في إمكان تتبع تاريخ النقش الفائر من بدايته حتى الوقت الذي أخذ فيه فن المعمار يرتقى وأصبح يستعمل هذا النقش على جدران المعابد.

ألواح الازدواج  
تستعمل لحفر مناظر  
جنائزية وغيرها

وقد اختفت الرسوم التي كانت تزين الفخار حوالي الرقم ٦٠ من التاريخ التابى، وأصبحت الأواني خالية من أية زخرفة. ومن المحتمل جداً أن تلوين المقابر وزخرفتها في هذا العصر يدل على أن المتوفى أخذ يحمل هذه الزخارف والرسوم محل رسوم الفخار الذي كان يوضع معه في قبره. ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يوجد أى تحسين في زخرفة القبر أكثر مما كان على الفخار. على أن القبر الوحيد الذي عثر عليه من هذا النوع في هذا العصر هو قبر هيراكنبوليس « الكاب »

تلوين المقابر وزخرفتها  
حل محل الادوات  
التي كانت توضع مع  
المتوفى

ويرجع تاريخه إلى الرقم التالى ٦٣ تقريباً . وتبلغ مساحته ٥ ر ٤ فى ٢ فى ٥ ر ١ متراً . وقد صنع من اللبن ثم كسيت جدرانه بطبقة من غرين النيل ثم غطيت هذه بطبقة ثانية من الطفل الأصفر القاتم يرسم عليها المناظر المراد تمثيلها . ويلاحظ أنه قد حدث بعض تقدم فى استعمال الألوان فى رسم الأشكال ؛ فبدلاً من لون واحد استعملت ثلاثة وهى الأحمر القاتم ؛ والأسود ثم الأبيض ، يضاف إلى ذلك أن عدد الأشكال ازداد وتوعدت موضوعاتها ؛ فمثلاً نجد حول القوارب التى نصبت عليها أعلام مناظر صيد ، أو حرب بين البحارة ، وبعض راقصات ، ولكن رغم ذلك نجد عدم الانسجام وقلة الوحدة فى تأليف الرسوم لا يزال كما كان على أوانى الفخار فى عصر ما قبل الأسرات المتوسط . ومع ذلك كله فإن هذا الرسم له أهمية عظيمة فى تاريخ فن النقش إذ هو فى الواقع المنبع الذى استقى منه فن الفرسكو فى العصر التاريخى والحلقة الموصلة بينه وبين الأوانى الفخارية التى أسلفنا الكلام عنها .

أهمية مقبرة  
ميراكنبوليس  
( السكاب )

وقد ظهرت ثانية فى هذا العصر كذلك الأوانى التى على شكل حيوانات ، ولكن فى ثوب جديد ويمكن تمييزها تماماً . وهذه الأوانى فى الواقع كانت بمثابة قطع للزينة نحتت فى الحجر الجيرى ، والأردواز ، وحجر البرشيه المختلف الألوان . وكذلك أعيد استعمال الدمى من الطين بشكل جديد . ومع أنها كانت نادرة الوجود بالنسبة لما كانت عليه فى عهد ما قبل الأسرات القديم ، إلا أنها من ناحية أخرى كانت متقنة الصنع ،

ظهور الاوانى التى  
على شكل الحيوانات

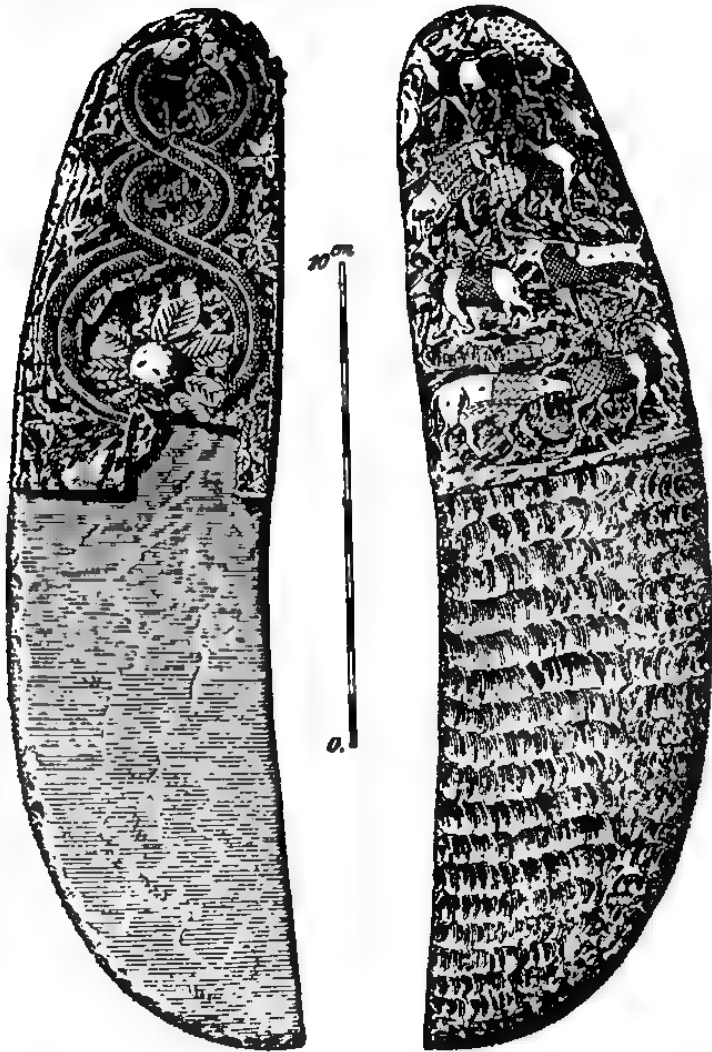


هذا إلى أنها كانت تصنع من مواد أخرى ثمينة غير الطين . وأهم الأشكال التي كانت تصنع هي القردة ، والضفادع مع صفارها .

أما صناعة الطران التي كانت آخذة في الاختفاء تدريجاً ، فقد كان لها رغم ذلك نصيب من هذا التجديد الذي قام في هذا العصر ؛ فقد صنعت منه أشكال حيوانية وفاقاً للزى الشائع . ونخص بالذكر منها : صنع أشكال حيوانية من الطران الغزلان والطيور والتماسيح ، وكانت تمثل على شكل دمي مستوية الجسم ، ولا يعلم كنهه استعمالها إلى الآن ؛ ولكن يدل صنعها على عناية فائقة .

ولا بد من أن نشير هنا إلى ازدهار صناعة الصباغة وتقدمها كما يدل على ذلك العدد القليل من القطع التي أخطأها الذهب والسلب مما أودى بكل الكنوز التي كانت مودعة مقابر هذا العصر .

ومن أهم القطع التي بقيت لنا دالة على فن هذه الفترة مقبضان لسكيتين من الطران : واحدة منهما في متحف القاهرة وهي ورقة رقيقة من الذهب منقوش عليها منظر صيد يذكرنا بالمنظر الذي على سكية جبل العرق . أما الثانية فقد نقش عليها سفينة ومجموعة شخصيات على نمط ما كان يرسم على أواني الفخار من عصر ما قبل الأسرات المتوسط وهاتان السكيتان يرجع عهدهما إلى العهد الطيني الفرعوني أي عصر التاريخ الحقيقي .



سكينة من الطران الفاتح اللون مزينة يدها بورقة من الذهب مطروفة  
عثر عليها في جبانة ساحل البقيلة

## المدينة في عهد بداية استعمال المعادن

تدل الكشف التي تمت إلى يومنا هذا على أن المدينة في مصر قد بدأت في الوجه البحرى في خلال العهد الحجرى الحديث وأنها كانت تفوق المدينة التي ظهرت في الوجه القبلى ثم استمر الحال كذلك بشكل جلى واضح في عصر- بداية استعمال المعادن ، وأن الحضارة في الوجه البحرى كانت تدرج في مراقي التقدم بخطى واسعة ، على حين أن المدينة في الوجه القبلى كانت خطأها وثيدة وفي حالة متأخرة .

مدينة الوجه البحرى  
أقدم من مدينة الوجه  
القبلى

ولاجل أن نصل إلى سر تفوق الوجه البحرى على الصعيد يجب أن نبحث طبيعة أرض كل منهما وموقعه الجغرافى .

الدلتا : تتألف أرض الدلتا من سهل مترامى الاطراف لايتخلله جبال وهو منفصل عن الصحراء تمامًا . ولذلك كانت الفرصة سانحة لسكانه الاول ليكونوا أهل حضر . ويمكّنهم أن ينمووا ويتقدموا وينعموا بحياة العمل فى عقر دارهم ، دون أن ينتجعوا مكانًا وآخر طلبًا للرزق ؛ وقد ساعدهم على ذلك أن أرض الدلتا تمتاز بخصب تربتها وطيب جوها ؛ هذا إلى أنها تقع على مفترق طرق أفريقية وآسيا ؛ مما سهل لها الاتصال بالممالك القريبة منها ، فتجلب إليها خيراتها الزراعية ، وتحف صناعاتها وفنونها . وبذلك تضيف إلى مدينتها الأصلية مدينة جديدة . ولا غرابة إذن فى أن نرى أرض الوجه البحرى فى كل عصور التاريخ أعرق مدينة من الوجه القبلى وأكثر تقدمًا .

الامباب التى جمعت  
الدلتا تدرج فى المدينة  
بسرعة

أما الوجه القبلى فهو قطر طويل محصور بين سلسلتين من الجبال القاحلة . وهذا القطر متصل بالصحراء من كل مكان . وفى هذا البلد لم تكن أرض الصحراء غنية بالزراعة ، إذا قرناها بأرض الوادى الضيق منه . وكل ما نعلمه أن أرض الصحراء الحالية كانت شبه مجذبة ، فكانت تمش فيها الحيوانات الوحشية ، وحيوانات الصيد مما جعلها ميدان صيد وقص لأهل الوادى الذين كانوا يعيشون فى مدن وقرى ؛ ولما كان سكان هذه المدن قبل تكوين هذا الوادى يعيشون على الصيد قحبا ؛ فقد بقوا يحترفون الصيد لأن ذلك فى طبيعتهم منذ قديمهم . والواقع أن أهل الصعيد كانوا منفصلين عن باقى العالم بهذه الصحارى المترامية الأطراف ؛ فلم يكن أهلهم يختلطون إلا بالبقية الباقية من جو الصحراء الجوالين ، وهم قوم لا ثقافة ولا مدينة لهم ، يضاف إلى ذلك قس المسافة بينهم وبين أهل الدلتا كانت بعيدة ، فلم يكن فى مقدورهم الاختلاط التام بهم ، حتى يستفيدوا من مدينتهم . وكذلك كانت الأراضى الزراعية التى فى متناولهم قليلة المساحة بالنسبة إلى الدلتا ؛ فلم يكونوا زراعا على الحقيقى . ولا غرابة إذن ، إذا عددناهم جيلين بالنسبة لأهل الدلتا حضريين .

وأعظم عمل قام به المصرى فى عصر بداية استعمال المعادن ، سواء كان فى الوجه البحرى أم فى الوجه القبلى ، ينحصر فى إعداد أرض وادى . قبل الخصبة للزراعة . وقد حدث ذلك فى الوقت الذى أخذت فيه

يشتهر الوجه القبلى لم  
تهد له المدينة بسرعة

أحوال البلاد تتغير من جهة الجو تدريجاً ، وقد حدث هذا عندما أخذت القبائل الجواله التي كانت تتركن في معظم معيشتها على الصيد والقنص وتربية المواشى تحط رحالها وتسكن القرى والمدن . وإذا كانت الأراضي الخصبة المجاورة للصحراء بما فيها من مراعي طبيعية ضئيلة قد كفت لمدة ما في عصر بداية المعادن حاجة الرعاة الذين كانوا يعيشون بمجوار مياه الوادي ، فإنها بعد فترة أصبحت غير كافية لسد حاجات سيل السكان الذين كانوا يتدقون من الصحراء القاحلة إلى شواطئ النيل ، وقد كان ذلك سبباً في أن حتم على هؤلاء النازحين أن يستغلوا أرض وادي النيل الخصبة الدسمة . ولكن العوائق الطبيعية قامت في وجههم وجعلتهم يفكرون في التغلب عليها لحاجتهم الملحة إلى طلب العيش . وتفسير ذلك أن النيل كان يغمر أرض الوادي الخصبة كل عام بفيضانه المنتظم ، ويترك مياهها راكدة في الأراضي المنخفضة تتألف منها برك ومستنقعات ، على حين أن الأراضي المرتفعة كانت تجف مياهها بعد اقضاء بضعة أسابيع من اختفاء الفيضان . فحتمت الحاجة الملحة على إنسان هذا العصر أن يسوى بين على هذه الأراضي وسافلها ، حتى تصبح في مستوى واحد صالح للزراعة ، ثم رأى أنه كان لزاماً عليه بعد ذلك أن ينظم ماء الفيضان نفسه ، حتى يتمكن أن ينتفع به وقت التحريق . فقام بإنشاء الترع والسدود التي كانت بمثابة الخزانات الآن ليصرف منها الماء عند الحاجة حتى لا يحدث قحط . وهذا العمل العظيم يعد أكبر فتح قام به الإنسان الأنثوليتي في وادي النيل أمام الطبيعة

بداية زراعة وادي النيل

ثمود أرض وادي النيل للزراعة وإنشاء الترع والسدود

الغاية ، والواقع أنه ما كاد ينبثق فجر التاريخ حتى كان الإنسان الذى سبق هذا العصر قد تطلب على كل الصعاب التى مهدت السبيل لنمو المدينة المصرية . ولا شك فى أن هذا العمل العظيم يعد من أكبر مفاخر الإنسان الأنثوليتى ، وستبقى أسماء هؤلاء الذين نفذوا هذه الأعمال العظيمة سرّاً غامضاً أبداً الآبدى .، والواقع أن مثلهم فى هذا الميدان مثل الجنيدى المجهول فى ساحة الوغى ، ومن المرجح جداً أن أول من فكر فى تنظيم مياه النيل وتوزيعها هم أهل الدلتا لأنهم كانوا بطبيعتهم أهل حضرة وزراعة . أما أهل الصعيد فأنهم كانوا أقرب إلى البداوة . ولا يبعد أن تكشف لنا مدنيات جديدة فى أرض الدلتا - كما حدث منذ زمن قريب - تثبت هذه الفكرة ، هذا رغم أن معظم مدنيات الوجه البحرى قد طوى عليها الماء لارتفاع منسوباته فى كل قاعها ، اللهم إلا أجزاء بسيطة لا تكاد تذكر يقبى إلى أرض الصعيد التى لم يمسها فى أماكن كثيرة ماء الفيضان وبخاصة على حافة الصحراء التى كانت تتخذ مدافن فى كل عصور التاريخ المصرى ومنها نستقى معظم ما نعرفه عن المدينة المصرية

يحتل أن أول من  
فكر فى توزيع مياه  
النيل هم أهل الدلتا

## مراجع فصل ما قبل التاريخ

تقسم المصادر التي اعتمدنا عليها في تأليف فصل ما قبل التاريخ المصرى وما قبل الأسرات ، إلى مصادر عامة ومصادر خاصة ؛ أما المصادر العامة فتشمل الكتب التي تبحث عن تاريخ هذا العصر بوجه عام في مصر وغيرها ، وهذه الكتب قد تتناول أقسام كل عصر ما قبل التاريخ ، أو تتناول فترة طويلة منه ، وتبحثها بحثاً مستفيضاً سواء أكان في مصر أم في العالم أجمع . أما المصادر الخاصة فهي التي تبحث في مصر قبل التاريخ فقط أو في عصر معين من تاريخها في هذا الوقت ، وبخاصة في عهد ما قبل الأسرات .

وسنذكر هنا أولاً المؤلفات العامة التي تبحث عما قبل التاريخ في كل العالم أو في جزء منه حتى يتسنى للقارئ أو الباحث أن يرجع إليها عند ما يريد المزيد في أى موضوع خاص من المواضيع المتعلقة الفهم أو عند ما يرغب في دراستها وبحيثا لفرض معين ، وبعد ذلك نذكر المصادر الخاصة بمصر مع شرح بسيط لتعريف كل مصدر . وقد فضلت ذلك عن ذكر كل مصدر في أسفل الصحيفة .

## المصادر العامة

(1) J. De Morgan. Prehistoric Man. London. 1925

(١) هذا المؤلف هو مختصر عصور ما قبل التاريخ الثلاثة في العالم وقد أشار إلى مصر في قط عدة . وقد وضع باللغة الانجليزية رغم أن مؤلفه فرنسي وكتب كل مؤلفاته الأخرى بلغته الأصلية .

(2) La Préhistoire Orientale, 3 vol, Paris. 1925 - 1927.

هذا المؤلف كتبه العالم « دى مرجان » كذلك ، وقد بحث فيه بحثاً مستفيضاً عن عصر ما قبل التاريخ في إفريقيا الشمالية ومصر وآسيا . وذلك نتيجة أبحاثه وحفائره الخاصة . وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه .

(3) Burkett., The Stone Age. London 1933.

وقد بحث فيه مؤلفه تاريخ العصور الحجرية المختلفة بحثاً مختصراً سهل الطول ، ويعتبر من الكتب المدرسية السهلة .

(4) Minghin. Welt Geschechte Der Steinzeit. Wien. 1931.

هذا الكتاب يعد العدة في بحث عصور ما قبل التاريخ الثلاثة وقد حلاه بالرسوم والصور المتقنة .

(ب) نذكر بعد ذلك الكتب العامة التي بحثت فيما قبل التاريخ المصرى خاصة . وأهمها ما يأتي :

(1) J. De Morgan. Recherches sur les Origines de l'Egypte, 2  
Paris 1896 - 7.



وضع العالم « دى مرجان » فى هذا الكتاب كل نتائج بحوثه وبحوث من سبقه فى دراسة ما قبل التاريخ فى مصر . ولكنه غير كثيراً من آرائه فى كتبه التى ظهرت فيما بعد .

( 2 ) A. Scharff Grundzuge des Agyptischen. Vorgeschichte  
Leipzig 1926.

هذا المؤلف يعد من أمتن الكتب وأعقبا بحثا فى عصور ما قبل التاريخ وبخاصة عصر ما قبل الأسرات فى مصر . وقد شرح الموضوع بطريقة سهلة ظاهرة .

( 3 ) Bovier Lapierre. L'Egypte Préhistorique dans (Precis de l'histoire d'Egypte) Page 1 — 56.

يعد هذا العالم « بوفيه لايير » من أكبر علماء ما قبل التاريخ فى مصر ، وقد كتب هذا الفصل المتع وبحت بحثا فياضا كل مسائل ما قبل التاريخ فى مصر وبخاصة فى المهدىين الحجريين القديم والحديث .

( 4 ) Hermann Junker. Vorlaufigen Bericht Über die Grabung des Akademie der Wissenschaften in Wien, auf der Neolithicen Siedlung Vog Merimde Benisalama. Anzeigen der Akademie der Wissenschaften in Wien. Hist. Klasse, 1929, 1930, 1932, 1933, 1934.

قام الأستاذ « ينكر » العالم الألمانى لأول مرة بحفائر منظمة فى الوجه البحرى فى منطقة مر مدة بنى سلامة القرية من وردان للبحث عن عصر ما قبل التاريخ فعثر على مدينة العصر الحجري الحديث فى هذه الجهة

وليس لدينا مصادر أخرى في الدلتا من هذا العصر . وقد كتب عدة  
قارر هامة عن نتائج الحفر في أعوام متتابعة .

( 5 ) Flinders Petrie, Prehistoric Egypt, London 1920.

بحث الأستاذ فلندرز بترى عن مدينة ما قبل الأسرات في مصر ،  
وقد جمع فيه كل آرائه وبحوثه المبعثرة في تأليفه الأخرى .

( 6 ) Jequier, Histoire de la Civilisation Egyptienne.

كتب المؤلف في كتابه هذا فصلا عن مصر في عهد العصرين الحجري  
القديم والحديث وعصر ما قبل الأسرات باختصار ( من صفحة ٥٣ - ٩٤ )

( 7 ) Capart. Les débuts de l'Art en Egypte, Buxelles 1904.

بحث المؤلف في كتابه كل الفنون والصناعات التي كانت متداولة في  
مصر في عصور ما قبل الأسرات وزينه بالرسوم الجميلة والصور الواضحة .

( ح ) كتب بعض علماء ما قبل التاريخ المصرى بعض مقالات هامة لبحث  
غامضة في بعض المجالات نذكر هنا أهمها فيما يأتى ! :

( 1 ) Stations Humaines. Bovier Lapierre, Les Paléolithique  
tifique des environs du Caire. L'Anthropologie. Vol. XXXV 1925

في هذا المقال بحث هذا العالم عن بقايا الحيوان والصناعة في ضواحي  
مصر في العباسية وحدد عصور العهد الحجري القديم بوساطة بايا وجدت  
بمصر بعضها فوق بعض تحدد عمر كل أثر وجد تحديدا تاريخيا

- ( 2 ) M. Edmond Vignard. Une Nouvelle Industrie Lithique le Sebilien Bultin I. F. A. O. Vol. XXII. 1923 (P. 1 — 76)

بحث هذا العالم فى مقاله الحضارة التى أطلق عليها السيلية نسبة الى بلدة السيل القريبة من نجع حمادى وقد درس كل الآلات وبقايا الحيوان التى ظهرت فى المنطقة وقارنها بمثيلاتها فى أوروبا وإفريقية الشمالية . وترجع إلى العصر الحجري .

- ( 3 ) Revue Scientifique 1928. Les Gravures rupestres du Djebel Ouenat. Prince Kamal-el-Din.

وهذا المقال ملخص رحلة قام بها الأمير كمال الدين فى الصحراء وقد أحضر معه بعض رسوم من التى على الصخور فى وادى عوينات وكذلك جمع بعض آلات من العصر الحجري القديم .

- ( 4 ) Bovier Lapierre. Une Nouvelle Station Neolithique (El Omari au Nord de Helouan) Congrès Inter. de Geographie. Le Caire 1925 Tom. IV.

يبحث هذا المقال فى الطران الذى عثر عليه المرحوم الأستاذ العبرى فى محطة من العصر الحجري الحديث . وقد سماها العلماء باسمه بعد أن مات قبل أن ينشر أبحاثه .

( د ) منذ حل رموز اللغة المصرية قام علماء الآثار بحفائر هامة فى مختلف عصور التاريخ المصرى . وقد قامت حفائر عن عصر ما قبل الأسرات فى جهات مختلفة من القطر . ووضعت المؤلفات الخاصة بها . وسندكر هنا أهم

## هذه المؤلفات

- (1) Brunton and Caton Thompson. The Badarian Civilisation and Predynastic remains near Badari. London 1928.

وقد شرح المؤلفان فى هذا الكتاب نتيجة البحث والحفر فى منطقة البدارى . وتعتبر أقدم مدينة مصرية عثر عليها للآن فى الوجه القبلى بعد المدينة الطاسية التى عثر عليها فى دير طاسة القريبة من البدارى .

- (2) Chronologie. Petrie Diospolis Parva, The Cemetries of Abadiyah and Hu 1898 - 1899. London.

بحث « فلندرز بترى » فى هذا الكتاب نظريته عن تاريخ التابع مستندا على محتويات المقابر التى وجدها من عصر ما قبل الأسرات وبخاصة الفخار

- (3) Petrie & Quibell. Nagada and Ballas. 1895 London 1896.

وفى هذا الكتاب بحث نتائج الحفائر التى قام بها فى هاتين الجهتين من عصر ما قبل التاريخ ، وقد ظن أنه عثر على جنس جديد من الناس فيها . والمدينة التى وجدت فى هذه الجهة تأتى بعد مدينة البدارى فى القدم .

- (4) Quibell Hierakoupolis Part I and II London 1900.

وقد ناقش « كويل » فى مؤلفه هذا كل الآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة ( الكاب الحديثة والكوم الأحمر ) ومعظمها يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث .

- (5) Minghin and Mustapha Bey Amer The Excavations of the Egyptian. University in the neolethic Site at Maadi vol. I.

(6) Mostapha Bey Amer vol II

وقد بحث في هذين المؤلفين مدينة هذا الموقع التي يرجع عهدها من العصر الحجري الحديث إلى عصر ما قبل الأسرات الحديث . وقد عثر في هذا الموقع القريب من المعادى على بعض آلات وأدوات من الفخار والظران غريبة في بابها . وهنا عثر على أول مباني باللبن كما شرحنا ذلك في مكانه .

(6) Randal - MacIver and Mace El Amrah and Abydos 1899 - 1901, London 1902.

وقد بحث في هذا المؤلف النتائج التي وصل إليها هؤلاء الأثريون في هذه المنطقة التي يرجع عهدها إلى ما قبل الأسرات كما أشرنا إلى ذلك في حينه .

(7) Hermann Junker Bericht Über die Grabungen der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien Auf Dem Friedhof in Turah (1913)

بحث الأستاذ « ينكر » في هذا التقرير نتائج حفائره التي عملها في الموقع الذي حفر فيه بالقرب من طره ويرجع إلى عصر ما قبل الأسرات وغيره .

(8) Scharff. Die Archeologischen Ergebnisse des Vorgeschichtlichen Graberfelds Von Abusir-el-Meleq Leipzig 1929.

نتائج أعمال الحفر في منطقة أبو صير الملق ويرجع عهدها إلى عصر

ما قبل الأسرات وقد عثر فيها على بعض أدوات وأشكال حيوانات غريبة  
منها تمثال للجمال (٩)

- (٩) Caton Thompson & Miss Gardner The Desert Fayum  
2 Vpl. 1926

وقد بحث في هذا المؤلف مدنية الفيوم من أقدم عصورها التي ترجع  
إلى العصر الحجري القديم وعلاقتها بالمدينت الأخرى التي ظهرت في مصر.  
وكذلك بحث في هذا الكتاب مسألة بحيرة موريث وأصلها .  
(١٠) ويوجد نوع آخر من المصادر اعتمدنا عليه في بعض النقط نخص  
بذكر منه ما يأتي :

- (١) A Study of the Badarian Crania recently excavated by the  
British School of Archeology in Egypt, Biometrika  
Vol XIX (1927 P. 110 — 150)

بحث في هذا المقال الجاجم التي عثر عليها في حفائر البداري وقد  
أصل القوم الذين كانوا في مصر في هذا الوقت إلى الجنس الحامي .

- (٢) Morant. A Study of the Egyptian craniology from prehistoric  
to Roman times, Biometrika Vol XVII (1925 P. 1 - 3)

وقد تكلم المؤلف في هذا المقال عن الجاجم التي عثر عليها في الحفائر  
من أول ما قبل التاريخ إلى العصر الروماني .

- (٣) Geology [of Egypt. Hume, Cairo, Vol I 1925 Vol II  
Vol III 1937.

تبحث هذه الكتب في جولوجية مصر وتركيب قشرتها الأرضية وتكوين نهر النيل ، ثم صخورها ومعادنها وأحجارها شبه الكريمة ، وغيرها من أنواع أحجار مصر الكثيرة العدد والمختلفة الأنواع . وهذا الكتاب يعد أكبر المصادر التي يعتمد عليها الأثرى في بحث تركيب البلاد الطبيعي وصخورها ومعادنها .

وقد اقتصرنا هنا على أهم المصادر الأصلية التي اعتمدنا عليها في تأليف هذا الفصل ، تاركين المصادر الثانوية التي أخذت عن المصادر الأصلية التي ذكرناها .

## هل رموز اللغة المصرية القديمة

بقيت اللغة المصرية القديمة سرا من الأسرار نحو ١٤٠٠ عاماً إلى أن جاء « شمليون » سنة ١٨٢٢ وكشف عن أسرارها بحل رموز الهيروغليفية ؛

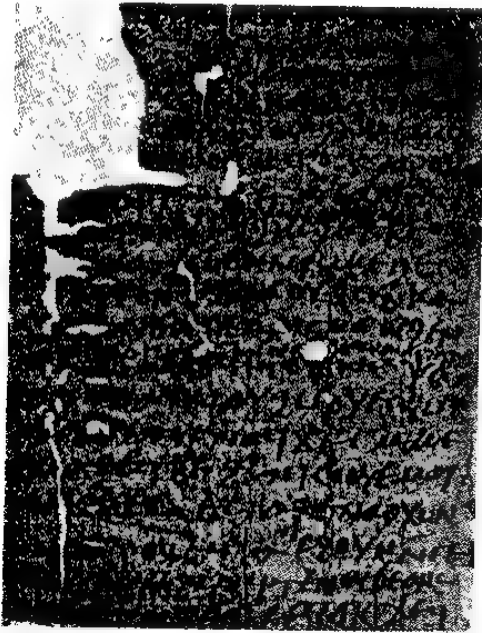


نص هيروغليى ويقرأ من اليمين إلى اليسار

على أن لغة القوم نفسها لم تتح من البلاد خلال تلك المدة ، بل بقيت في شكل آخر هو اللغة القبطية ، وذلك أن الهيروغليفية منذ فتح الاسكندر الأكبر لمصر أخذت تكتب علاوة على كتابتها بالاشارات المصرية ، بحروف إغريقية بعد إضافة سبعة حروف ديموطيقية لم يكن لها مثل في اللغة اليونانية . ومنذ ذلك المهد صار يطلق على اللغة المصرية القديمة اللغة القبطية أى المصرية . وقد كانت الكتابات المتداولة في البلاد على ثلاثة أشكال مختلفة إلى أواخر عهد الرومان في مصر ؛ وهى الكتابة الهيروغليفية أى الكتابة التقليدية للبلاد ، ثم الكتابة الاغريقية ، ثم الكتابة القبطية . وقد اختفت الكتابة الهيروغليفية في أواخر القرن الرابع الميلادى باختفاء الوثنية من البلاد ، ولم تعد كتابة القوم لغة اللغة الاغريقية فقط على تداولها بعد الفتح العربى مباشرة ، بينما بقيت الكتابة القبطية لغة القوم في بعض أماكن في الوجه القبلى في الصلوات



والعبادات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر، ثم انحصرت بعد ذلك في الصلوات الدينية المحضة إلى يومنا هذا ولا يحيد معرفتها إلا نفر قليل .  
ومن ذلك نرى أن اللغة القبطية وهي لهجة من اللغة المصرية قد حفظت لنا مكتوبة بحروف يونانية وتوجد لها أجرومية وقاموس باللغة العربية وباللغة اليونانية . وفي أواسط القرن السابع عشر فهم الأب اليسوعي « كشر » أن اللغة القبطية تحفظ في ثناياها اللغة المصرية القديمة مكتوبة بحروف يونانية .



نص مكتوب بلقبطية

وقد أخذ يقوم ببحوث علمية في هذه اللغة . غير أنه لما أراد أن يرجع باللغة القبطية إلى اللغة المصرية لم يفلح قط . وقد تساءل عن اللغة المصرية هل هي حروف ،

أو أصوات ، أو معان ؟ وكيف يمكن قراءتها ؟

على أنه لم يصلنا من الأقدمين عن اللغة المصرية إلا تعاريف نادرة غامضة . والاسم نفسه ( الهيروغليفية ) ينبئ عن القموض إذ معناه ( الكتابة المقدسة ) كما قال « هيرودوت » و « ديودور » .

وقد ذكر « كليمنت » الاسكندري الذي عاش في أواخر القرن الثاني الميلادي أنه رأى بعض القوم يتكلمون اللغة المصرية ويكتبونها بالهيروغليفية ، وقد أخبرنا « هيرودوت » ومن بعده « ديودور » أنه يوجد في مصر نوعان من الكتابة : أحدهما الكتابة المقدسة ولا يعرفها إلا الكهنة ، والثاني الهيوطيقية أى لغة عامة الناس . ولكن تفسير هذه الكتابات بقى سرا غلصاً إلى أن كشف صدقة أحد جنود « نابليون » حجر رشيد عام ١٧٩٩ ، وذلك أن الحملة الفرنسية التى قادها « نابليون » إلى وادى النيل لم يكن غرضها الوحيد الاحتلال العسكرى ، بل كان كذلك لبحوث علمية عن

الديوطيقية

حجر رشيد

انه انا - كتاب اوردى آسدى وبارك الله -  
 و ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -  
 ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ - ١٨٦٩/١٨٦٩ -

نص الكتابة الديوطيقية

المدينة المصرية . ولذلك جاءت معه طائفة من أهل العلم . وقد ساعده  
الحظ بأن كشف صدقة أحد ضباط المدفعية المسي « بوشار » في أغسطس  
١٧٩٩ أثناء الحفر في قلعة رشيد . قطعة من حجر البازات منقوشة بثلاث  
كتابات مختلفة . كانت ثالثها وهي السفلية بالنسبة للحجر مكتوبة باللغة  
الاغريقية . وعبارة الكتابة مرسوم ملكي أصدره بطليموس  
الخامس عام ١٩٦ ق . م وقد ذكر في النص الاغريقي أنه نفس المتن  
المكتوب بالكتابتين الآخرين وهما الهيروغليفية ( الكتابة المقدسة )  
والديموطيقية ( كتابة الشعب ) .

نص حجر رشيد ومن ذلك نرى أن حجر رشيد كان مكتوبا بكتابتين مصريتين وبذا  
يحتوى على مفتاح السر للكتابة الهيروغليفية ؛ إذ أن معانى كل الكلمات  
المنقوشة على هذا الحجر موجودة في النص الاغريقي . وأول من حاول  
فك رموز هذا الحجر هو « سلفستر دى ساسى » عام ١٨٠٢ وكان عالماً  
باللغة العربية ، وقد كانت محاولته منصبة على القسم الديموطيقى ، ظناً منه  
لتشابه هذا الخط بالكتابة العربية الرقعة وجود علاقة بينهما . غير أن جهوده  
و « أكريلاد » لم تغلح إلا فى معرفة خرطوش « بطليموس »

ومنذ عام ١٨١٤ حاول الدكتور « توماس ينج » الانجليزى أن  
يحل رموز هذه اللغة من النص الهيروغلىفى . وقد كان يعلم من جهود من  
سبقه أن الأسماء الملكية مثل بطليموس لا بد أن تكون موضوعة داخل  
خراطيش ، وعلى ذلك رتب العلامات التى وجدت فى الخرطوش كحروف

« سلفستر دى ساسى »

« أكريلاد »

« توماس ينج »

١٨١٤



حجر رشيد المكتوب بثلاثة نصوص الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية

تحتفظ بطليموس ، وقد توصل فعلا لمعرفة مجموعة الحروف التي تكون  
سر بطليموس ، غير أنه لم يتمكن من معرفة الحروف الصغرى بالصبط التي  
تكون هذا الاسم ، ولذلك فإنه لما أراد أن يعلق الحروف للأبجدية التي

استخلصها خطأ لم يمكنه أن يصل إلى أية كلمة قبطية لها  
نطق مماثل .

وفي الوقت الذي كان يشتغل فيه الدكتور « توماس ينج » بهذا الموضوع  
كان هناك شاب في مقتبل العمر اسمه « جان فرنسوا شمبليون »



جان فرنسوا شمبليون

« شمبليون »

( ١٧٩٠ - ١٨٣٢ ) يدرس علم التاريخ في جامعة « جرينوبل »  
وقد أخذ على عاتقه حل رموز هذه اللغة ، وقد كان مغرماً منذ نعومة  
أظفاره بالتاريخ المصري ، وقد تعلم كل ما تركه لنا السلف من العصور  
القديمة عن هذه اللغة واللغة القبطية أيضاً . وقد عرف من أعمال « دى ساسي »  
والدكتور « ينج » أن أسماء الأعلام الاغريقية يجب أن تكتب بحروف  
أبجدية مصرية ، وعلى هذه القاعدة بنى أساس أبحاثه التي أخذت تسير

في طريق النجاح منذ عام ١٨٢١ .

وأول عمل قام به « شبلون » في هذا الصدد أنه بحث موضوع اختلاف الكتابات المصرية القديمة وبرهن أن الكتابة الهيروغليفية هي اختصار للكتابة الهيروغليفية ، وعلى ذلك تكون الكتابة المصرية القديمة واحدة غير أنها تكتب بثلاثة أشكال كاللغة العربية مثلا فهي تكتب بالرقعة والنسخ والثالث . وعلى ذلك لابد أن يوجد في الكتابة الهيروغليفية كما في الديموطيقية إشارات لها قيمة صوتية وأبجدية .

الابجدية  
الهيروغليفية

وقد لاحظ « شبلون » من جهة أخرى عندما كان يحسب الاشارات الهيروغليفية التي على حجر رشيد أنها أكثر في عددها من كلمات المتن الإغريقي المقابل ، وعلى ذلك استخلص أن كل إشارة هيروغليفية لا تمثل فكرة ولا تمثل كلمة . وعلى هذا الأساس ابتداء « شبلون » في بحث خراطيش حجر رشيد ثانية ، وفي عام ١٨٢٢ وصلت إليه نسخة لخراطيش جديدين تم قشا على مسلة صغيرة وجدت في « الفيلة » وقد كان مكتوبا على قاعدة هذه المسلة مقدمة باللغة الأغريقية لبطليموس وكليوباترة ، وقد برهن « شبلون » أن الخراطيش الأول من هذين الخراطيشين هو لبطليموس إذ فيه تماما خراطيش حجر رشيد والثاني يجب أن يقرأ كليوباترة ؛ وذلك أن هناك خمسة حروف مشتركة في كلا الاسمين : ب ، ت ، ل ، و ، ي .

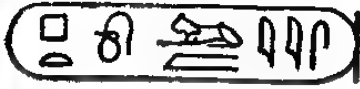
خراطيش  
بطليموس

خراطيش  
كليوباترة



اسم كليوباترة بالهيروغليفية

والواقع أن هناك خمس إشارات متشابهة كل في موضعها المنطقي في كلا الاسمين الهيروغليفين ، ومن جهة أخرى فالتا لا نجد حرف « س » في اسم الملكة على حين أنه يوجد فيه إشارات جديدة هي ق ، أ ، ر ، ولا توجد في الملك بطليموس .



والخلاصة : حيث أن هناك إشارات  
 متشابهة في هذين الاسمين وتعتبر في كل منها عن نفس الصوت ، فلا بد أن تكون حروفاً صوتية محضة ، وقد مكث « شميلون » بضعة أسابيع يطبق الحروف الأبجدية التي وجدها على كل أسماء البطالسة والقيصرة التي كانت موجودة في كتاب ( وصف مصر ) الذي وضعته الحملة الفرنسية ، فتوصل إلى قراءة ٧٩ خرطوشاً أخرى جديدة وصل في خلال قراءتها إلى معرفة حروف أبجدية جديدة . وبذلك أمكنه أن يعمل جدولاً بالحروف الأبجدية الصوتية . وقد أثبت هذه النتيجة الباهرة في خطاب أرسله إلى « داسيه » أمين السر الدائم للمجمع العلمي الفرنسي في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ، وفيه أعلن أنه يمكن قراءة الخراطيش الهيروغليفية .

على أنه إلى هذه اللحظة لم يكن قد تمكن إلا من قراءة أسماء الملوك الاغريق وقيصرة الرومان . والآن كيف يمكنه أن يحل رموز الكتابة في العصر الفرعوني وهي التي تحتوى على نفس العناصر الصوتية ؟ على أنه قد أعلن في خطابه بأنه واثق من نجاحه قريباً في قراءة خراطيش الفراعنة كما قرأ خراطيش البطالسة والقيصرة .

والواقع أن « شبلون » قد وصلته نسخة من خراطيش مصدرها معبد أقدم

من المعابد الاغريقية . وقد تعرف في أحد



خرطوش  
رمسيس

خرطوش رمسيس

الخراطيش في نهاية الاسم على الاشارتين المقوستين

وكل منها يمثل الحرف الأخير من اسم بطليموس

الموجود على حجر رشيد فقرأها س «س» ، وفي أول الخرطوش شاهد

القرص المستدير وهو الذي كان يرمز به للشمس ويقرأ في المتون الاغريقية

والقبطية بلفظة « رع » ، أما الاشارة المتوسطة 𐤠 فقد رآها « شبلون »

على حجر رشيد كما هي مكتوبة هنا ومتبوعة بحرف س ، وتقابل في الاغريقية

« يوم الولادة » ، للملك ، فاستنتج أن هذه الكلمة التي ليست بحرف

تجدي تقابل الكلمة القبطية « مس » أى يلد أو « مس » أى طفل ،

فترتب « شبلون » هذه العناصر مع بعضها فأصبحت « رع - مس - س »

في رمسيس ، وقد ذكر هذا الاسم « ماينتون » و « تاسيت » ؛ على أنه

لم يتمكن من قراءة الاسم فحسب ؛ بل فهم معناه وترجمه ، فعلى حسب

قبطية معناه : « رع » يلد أى ابن « رع » .

وقد ثبت من طريقته في الحال بقراءة الخرطوش الثاني إذ وجد

فيه أن الطائر أيس 𐤠 قد حل محل رع . ٥ في بداية

الخرطوش السابق ، وفيه الاشارتان التاليتان متفتتان في كلا الخرطوشين ،

فنحن نعلم في الاغريقية أن الطائر « أيس » كان يرمز به للاله

تحتوت ( وعلى ذلك يجب أن يقرأ الخرطوش الثاني



« تحوت - مس - س » والواقع أن « مانيتون »



قد ذكرنا اسم الفرعون تحوتمس وعلى حسب

تحوتمس

القبطية يفسر تحوت يلد له أى : « ابن تحوت » .

ومن ذلك الوقت فطنت عبقرية « شمليون » إلى أن الكتابة التي على الآثار الفرعونية قبل العصر الاغريقى الرومانى لم تكن حروفاً أبجدية محضة كما فى خراطيش بطليموس وكليوباترة ، ثم إنها لم تكن إشارات رمزية فحسب ، كما كان يعتقد الناس من قبل ، بل إنها فى الواقع كانت تحتوى على :

(١) إشارات رمزية أو تصويرية مثل « رع » و « تحوت » .

شناصر  
الهيروغليفية

(٢) وإشارات صوتية قد تكون أحيانا مركبة من مقطع مثل « مس » وأحيانا من حروف أبجدية مثل حرف « س » .

والحقيقة أن الخطأ الذى وقع فيه أسلاف « شمليون » والذى كان هو نفسه يشاركون فيه إلى يوم وصوله إلى هذه الحقيقة هو الاعتقاد بأن الكتابة الهيروغليفية أحيانا تصويرية بأجمعها أو صوتية بأجمعها ، ولكن الواقع أن نظام هذه الكتابة هو كما شاهدنا نظام مركب إذ أنها كتابة تصويرية ورمزية وصوتية ، ونشاهد ذلك فى جملة واحدة بل فى كلمة واحدة كما سبق شرحه .

وبعد ذلك تقدم شمليون فى خل الرموز ، ففرض فيها بسهم صائب مجهود « شمليون » ووضع لها قاموسا وأجرومية ، ثم جاء إلى مصر وقام فيها بسياحة علمية ووضع مؤلفا جمع فيه كثيرا من النقوش المصرية سماه « آثار مصر وبلاد

النوبة « ولما عاد إلى بلاده عين أستاذا لكرسى الآثار المصرية ، وقد أنشئ له خصيصاً في كلية فرنسا ، ولكنه كان قد أنهكه النصب في عشرة الأعوام التي قضاها في البحث المضى مما قضى على صحته . فمات في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ تاركاً وراءه للخلف من الباحثين أجروميته وقاموسه في اللغة المصرية القديمة .

وبعد أن وضع «شبليون» النواة الأساسية لحل رموز اللغة جاء بعده علماء من مختلف الجنسيات تقدموا كثيراً في دراسة اللغة وعلم الآثار ، ولم يقفوا عند حد دراسة الظاهر منها بل قاموا بحفائر كشفت عن كثير من النقوش والآثار الجنازية مما ساعد على فهم عصور التاريخ وحضارة المصريين ، ولا تزال هذه الجهود رغم مضي أكثر من قرن عليها تتقدم من يوم إلى آخر ، وما زالت هذه الحفائر والأبحاث تطلعننا كل يوم بمعلومات جديدة تزيد في معرفتنا عن تاريخ مصر ، وتثير الكثير من عصورها الغامضة ؛ كما أنه من شأنها أن تصحح الكثير من الأخطاء والنظريات التي أتى بها العلماء السابقون .

والآن نلقى نظرة سريعة على جهود العلماء من مختلف الجنسيات الذين كان لأبحاثهم وأعمالهم أثر ممتاز في تقدم علم الآثار المصرية :

« أولاً » الفرنسيون . ظهر بعد « شبليون » العالم « أمانويل دي روجيه » « دي روجيه » وقد قام بنقل الكثير من النقوش ، وبدأ في وضع بحث منظم عن تاريخ مصر أساسه نقوش آثارها ؛ كما وضع مؤلفاً قيمياً عن

جغرافية الوجه البحرى . وفى أيامه ظهر العالم العظيم « ماريت » الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس المتحف المصرى ومصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٥٧ ، وقد كان أول من قام بحفائر على غط كبير ، وكشف عن المعابد والجبانات ، وكان من أهم مراكز أبحاثه منطقة سقارة حيث كان أول مكتشف لمقابر العجل « أيس » المعروفة « بالسرايوم » ولكثير من مقابر الدولة القديمة هناك . وقد كان للعلماء الفرنسيين فى هذا الوقت نشاط كبير فظهر منهم الكثيرون ، وأسس إلى جانب مصلحة الآثار المصرية المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية ومقره القاهرة ، وقد قام المعهد منذ إنشائه بطبع الكثير من الأبحاث الثمينة ، وتأتج حفائره المستمرة فى كثير من حفات القطر . ولعل أبرز هؤلاء العلماء هو المرحوم « جان ماسيرو » الذى تولى إدارة مصلحة الآثار المصرية مرتين ، وقد خلف لنا المئات من أبحاثه فى اللغة والآثار وبخاصة فى منطقة سقارة حيث فتح بعض أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ووجد جدران حجرات الدفن فيها مغطاة بنصوص وتقوش دينية وهى المعروفة لنا تحت اسم ( متون الأهرام ) ، وسيأتى ذكرها فى موضع آخر من هذا الكتاب . وجاء بعده الكثير من العلماء الفرنسيين أمثال « لوريه » و « دى مرجان » و « لاکو » و « موريه » و « شاسينا » .

« ماريت »

( ثانيًا ) الألمان . أول من ظهر من علماء الألمان وقام بعمل عظيم هو « ريتشارد لبيوس » الذى جاء إلى القطر على رأس بعثة ( من عام ١٨٤٢ - ١٨٤٥ ) لدراسة آثارها على نفقه ملك بروسيا فى ذلك الوقت ،

« لبيوس »

وقد قامت هذه البعثة بدراسة آثار مصر والنوبة دراسة علمية منظمة ، ولم تكف بنقل النقوش فقط ؛ بل استلزلت أبحاثها عمل الكثير من الحفائر فى مصر والنوبة ، وقد ظهرت نتيجة أبحاثها فى المؤلف الخالد المعروف باسم « لبيسوس دنكيلر » وقد طبع عام ١٨٤٩ فى اثنى عشر جزءاً ، وما زال إلى الآن مرجع كل مشتغل بالآثار . بعد لبيسوس تألق نجم عالم آخر هو « هنري بروكش » الذى نلج عام ١٨٤٩ فى قراءة الكتابة الديموطيقية ، وقد فاق معظم العلماء فى ذكائه ونشاطه ويستحق أن يوضع فى صف « شمليون » فى مقدار إنتاجه ، وقد وضع قاموساً فى اللغة المصرية القديمة ، وقاموساً آخر للجغرافية مصر وأجرومية للديموطيقية . ثم جاء بعده سنة ١٨٧٨ العالم « أدولف أرمين » وكان أكبر عمل له أن وضع أجرومية للغة المصرية القديمة ، وكذلك لكل ما أمكن من المتون المصرية القديمة ، واستعان ببعض تلاميذه فى ترجمتها ، واستخلص منها قاموساً للغة المصرية . وكذلك كتب مؤلفاً قيماً عن الحياة المصرية يعد من أحسن ما أخرج للناس فى هذا الموضوع .

وقد تخرج على يده عدد من العلماء لهم شهرة عالمية نلخص بالذكر منهم الأستاذ « شتيندورف » الذى وضع أجرومية للغة القبطية ، والأستاذ « زيت » الذى جمع متون الأهرام وترجمها ، وأصبح بذلك العمدة الوحيد فى كل العالم فى تفسيرها ، والأستاذ « ينكر » الذى يمتاز بمعرفة المتون المصرية فى كل عصورها معرفة لا يضارعه فيها أحد ، واختص فى عصر

« بروكش »

« أرمين »

« شتيندورف »

« زيت »

« ينكر »

البطالسة حتى أصبح المرجع الوحيد فيه ، والأستاذ « شيجلبرج » الذى اختص بالديوطيقية والأستاذ « شيفر » وهومن أحسن العلماء فى علم الآثار والفن المصرى .

« شيجلبرج »  
« شيفر »

(ثالثًا) الأنجليز . وقد قام علماء الانجليز بقسط وافر فى النهوض باللغة المصرية القديمة وآثارها ونخص بالذكر منهم العالم « برش » و « ولكسنون » صاحب كتاب العادات والأخلاق فى مصر القديمة ، ثم الأستاذ « جرفث » صاحب التأليف العدة فى الديوطيقية وتراجم المتون المصرية القديمة ، والأستاذ « جردنر » الذى وضع كتابا فى أجرومية اللغة المصرية . ويعد أكبر عمدة الآن فى هذا الباب ، وكذلك ساعد بأبحاثه العدة على تقدم قراءة الخط الهيرواطيقى ، والأستاذ « جن » الذى وضع كتابا قيما فى إعراب اللغة المصرية ، وأخيرا الأستاذ « نيوبرى » وله أبحاث دقيقة فى علم الآثار .

« برش »  
« ولكسنون »  
« جرفث »  
« جردنر »  
« جن »  
« نيوبرى »

وبجانب هؤلاء العلماء ظهر علماء آخرون من جنسيات أخرى ساعدوا على النهوض بهذه اللغة . ونخص بالذكر منهم الأستاذ « جولنشىف » الروسى صاحب الأبحاث العدة فى اللغة ، وقد ترجم كثيرا من المتون المصرية . والأستاذ « ريزنر » الأمريكى الذى قام بحفائر منظمة فى مصر وبلاد النوبة منذ ١٩٠٣ ، ولا يزال إلى الآن يتقب فى منطقة الجزيرة غربى الهرم الأكبر ، ومن أهم مؤلفاته كتابه عن « منكاورع » باني الهرم الثالث .

« جولنشىف »  
« ريزنر »  
« برستد »

أما أكبر عالم خدم التاريخ المصرى القديم فهو الأستاذ « برستد » الذى جمع كل المتون التاريخية واستخلص منها تاريخًا لمصر يعتبر رغم قدمه

من أكبر المراجع في التاريخ المصرى القديم إلى الفتح الفارسى .

المصريون  
« أحمد كمال باشا »

أما المصريون فلم يقوموا بدراسة لغة بلادهم وآثارها إلا منذ عهد قريب وعلى رأسهم المرحوم أحمد كمال باشا الذى ألف عدة كتب بالفرنسية والعربية، ثم جاءت النهضة المصرية الحديثة وقام بعض أبنائها بالحفر والتنقيب ووضع بعض الكتب، وقد أسس فى مصر معهداً لدراسة الآثار المصرية بالجامعة منذ عدة سنوات وينتظر منه خير كثير، وكذلك أرسلت البعثات لدراسة لغة المصرية، والأمل كله معقود على هؤلاء الشبان المصريين فى النهوض بآثار بلادهم وإخراج المؤلفات عنها وإظهار عظمة مصر ومجدها القديم، وهم أولى الناس بهذا الشرف العظيم .

## مصر وأصل المصريين

أصل الاسم

مصر ، وطننا العزيز ، تعد بلا نزاع أقدم أمم العالم ، وهى تكون الجزء السفلى لوادى النيل ؛ وتحد بالشلال الأول جنوباً ، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، والصحراء العرية شرقاً ، وصحراء لوبيا غرباً ؛ وقد كان يطلق عليها قديماً اسم « كى » وقد بق محفوظاً إلى أن جاء الاغريق فاسموها « أجيتيوس » ولم يفسر أصل اشتقاق هذا الاسم تفسيراً شافياً إلى الآن ، وأفضل هذه التفاسير « حا - كا - بتاح » أى مكان نفس الأله بتاح . الذى كان يعبد فى بلدة منف عاصمة الديار المصرية فى عهد الدولة القديمة ، ولفظة « كى » معناها الأرض السوداء ، وكانت تطلق على الوادى الخصب المزروع ، أما الأرض التى كانت تحيط به من الشرق والغرب فكانت تسمى « تا - دشر » وتعنى بالمصرية البلاد الحمراء أى الصحراء . ولا شك أن مصر مدينة بحياتها لنهر النيل ، وقد أصاب المؤرخ « هردوت » عند ما قال - قلا عن المؤرخ « هيكاته » الذى عاش فى عهد بطليموس الأول - « إن مصر <sup>(١)</sup> منحة النيل » ، والواقع أن هذا النهر العظيم يفيض على البلاد بخيره العسيم طول العام ، إذ أن الرشح الذى يتسبب من مائه يمد الطبقة المائية التى تحت الأرض وهى التى لا مندوحة عنها لنمو النبات وتغذيته أثناء التحريق . أما فيضان النيل السنوى فانه يكسب الأرض خصباً ونماء بالغرين الذى

النيل

(١) فى النص الاغريقى أريد بمصر « الدلتا » فقط

حاربه كل عام ، ويتركه على سطح الأراضى المنزرعة لنمو الأشجار والنباتات والحيوان . ومن ذلك نرى أن البلاد المصرية بدون نهر النيل تصبح صحراء قاحلة ، والحياة فيها مستحيلة ، وبخاصة عند ما نعلم أن الطبيعة قد حرمتها ماء الأمطار تقريباً ، وجعلتها ترزح تحت عبء شمس محرقة مدة طويلة من السنة .

سكان الصحراء

ولذلك فإن القوم البائسين الذين يسكنون الجهات القاحلة « أى الأرض الحراء » كانوا يعيشون فى شظف من العيش فيتصيدون حياتهم مما تنتجه الأمطار الضئيلة التى كانت تجود بها السماء من وقت لآخر ، ومن بعض الآبار القليلة المبعثرة فى أنحاء تلك الصحارى المجدبة . وعلى ذلك كان المصريين الذين يعيشون فى رغد من العيش فى وادى النيل البانع ينظرون إلى هؤلاء القوم نظرة ازدراء ، ويمدونهم هجاء .

البلاد الاجنبية

ولما كان المصريون القدماء يعتقدون أن النيل يستمد ماءه من صخور الشلال الأول عند أسوان والفتين ، فانهم كانوا يمدون كل البلاد الواقعة جنوبي هذه الصخور بلاداً أجنبية عن مصر تماماً ، وقد كانت مصر مسكونة عند عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى يقال إنه نشأ من البلاد كلها أى إفريقى الأصل ، وينسب إلى لويى إفريقية الشمالية المسمين الآن بالبربر ، وإلى السكان الحاميين من إفريقية الشمالية الشرقية « الصوماليين » هؤلاء مرءاء فى أن الحاميين المصريين يمثلون أقدم مدينة معروفة فى وادى النيل ، وعلى ذلك تكون مصر جزءاً من مجموعة المدينيات الحامية الافريقية

الجنس المصرى



الأخرى ، غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد بعض التغير أخذ يدخل على هذا الشعب الحامى الجنس الناشئ من طيبة البلاد نفسها . والظاهر أن هذا التغير جاء عن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يظهر أنها من أصل أسوى ، وكانت لها مميزات خاصة تختلف اختلافا يينا عن الشعب الأصلى ؛ وهؤلاء الأسويون قد اختلطوا شيئا فشيئا بالسكان الأصليين واندجوا فيهم .

الاجناس  
المهاجرة

أما موضوع دخول هذه القبائل الأسوية إلى مصر والجهة التى دخلوا منها البلاد واستولوا عليها والعصر الذى دخلوا فيه بالتحديد ، فإنها أشياء لم يجمع فيها العلماء على رأى قاطع ؛ فمن قائل إن المهاجرين أو الفاتحين جاءوا إلى مصر من شبه جزيرة بلاد العرب ودخلوها عن طريق البحر الأحمر من جهة « قفط » ، أو عن طريق أعالي وادى النيل . ومن قائل إن الغزاة أتوا من سوريا ، ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسينا فشرقي الدلتا ، ومن ثم انتشروا فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى . ومن هنا تظهر أمامنا مشكلة عويصة لم يمكن حلها إلى الآن ، وهى : هل المدينة المصرية الفرعونية نبتت فى الشمال أم فى الجنوب ؟ أى هل الحضارة المصرية بدأت فى الدلتا أم فى الصعيد ؟

والواقع أن هناك حجبا تعزز كلا من النظريتين ، فإن الذين يميلون إلى الرأى القائل بأن القوم النازحين أتوا من الجنوب ، فذلك لأن كل معلوماتنا عن هذا العصر السحيق مستمدة فقط من بعض حفائر عملت فى

الوجه القبلى، مع أن هناك مناطق أثرية أقدم من تلك واقعة فى الدلتا، ولم يكشف عليها إلا عن بعضها منذ زمن قريب جداً كنقطة المرمدة، ولم تعطنا كل المعلومات التى يجب أن نستند عليها فى تكوين رأى قاطع . وكذلك نجد أن عبادة الإله « حور » ، الذى كان يعد من أقدم عبادات المصرية ، قد دخلت مصر من الجنوب عن طريق بلاد النوبة ، أو على وادى النيل أو بطريق وادى حمامات عقب غزو القوم المسمين على الآثار « أتباع حور » كما يزعم بعض المؤرخين ، على أننا من جهة أخرى نجد أن بعض المميزات البارزة فى تكوين الديانة المصرية ونموها قد ظهرت فى الوجه البحرى، فمثلاً نرى أن أشهر العبادات التى انتشرت فى طول البلاد وعرضها تدريجاً هى عبادة الإله « أوزير » ، ويرجع أصلها إلى بلدة « أبوصير » القريبة من سنود وجادة إله الشمس « رع » ويرجع أصلها إلى بلدة عين شمس القريبة من القاهرة . يضاف إلى ذلك أن كثيراً من بلاد الوجه القبلى كانت تسمى بأسماء مدن مأخوذة من الدلتا أقدم منها ، وعلى ذلك يكون من المحتمل جداً أن الجنس الجديد قد زحف على البلاد من شمالى سوريا عن طريق فلسطين وسينا ، فحضر معه مدينة أرقى من مدينة الجنس الأصيل الحامى الذى لم يعرف الآلات والأواني الحجرية . أما الفزاة أو النازحون ، فيقال إنهم أدخلوا البلاد معرفة المعادن وخاصة النحاس ، وأدخلوا كذلك عبادتهم للأسموات وحياتهم وكتاباتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ، ولا شك فى أن دخول هذا الجنس إلى البلاد قد أتى تدريجاً من غير عنف . ومهما تكن الحقيقة

عبادة « حور »

عبادة « أوزير »

اللوحة  
الاردوازية

أول حكم موحد

قوة الطابع  
المصرى

هجرة  
الاسيويين

فى أمر هذا الجنس الجديد فإن هناك أمرا ثابتا ؛ ذلك أن التزلاء قد  
توصلوا إلى الاستيلاء بنجاح على البلاد شيئا فشيئا . وأهم الوثائق التاريخية  
التي وصلت إلينا من هذا العهد هي الألواح الإردوازية المنقوشة ، وقد وصلت  
إلينا هذه النقوش على أشكال مختلفة ، ومن الصعب الاهتداء إلى حلها ،  
على أنها هي الذكرى الوحيدة لدينا لهذا الفتح الطويل ، الذي كانت نهايته  
على ما يظهر اتحاد كل البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت  
صولجان ملك واحد . وقد اتفقت كل المصادر التاريخية على أنه هو الملك مينا .  
ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر فى أقدم عهودها وبين آسيا  
كانت موجودة ، غير أنه لا يلزمنا أن نبالغ فى أهمية انتشار الجنسية  
الآسيوية فى مصر ؛ إذ الواقع أن حضارة البلاد من أساسها إفريقية ،  
ولذلك نرى أن الجنس المهاجر اندمج على مضى الزمن فى أهالى البلاد ،  
وبذلك نجد اللغة والزراعة والديانة التى نمت وترعرعت فى البلاد مصبوغة  
بصبغة أهلها الأصليين منذ أقدم عهودهم ، ولم يؤثر النازحون فى تغيير شئ  
كبير منها ، بل كان كل تأثيرهم سطحيا ، ومع ذلك فإن مالدنيا من  
المعلومات عن هذا العصر لا يسمح لنا بأن نجزم بشئ ؛ هذا ويجب أن  
تتخيل أن النازحين لم يكونوا إلا عددا ضئيلا بالنسبة إلى السكان الأصليين .  
إذ الواقع أن الفئات النازحة المسيطرة كانت تلبس المدنية التى وجدتها زاهرة  
فى البلاد مع إدخال بعض إصلاحات وتحسينات عليها بقدر الإمكان .  
على أنه ليس لدينا من المعلومات ما يثبت لنا إذا كانت المدنية المصرية

مدينة للأسويين الفاتحين بإحضار الحيوانات المنزلية كالثور والخنزير  
والحمار والماعز ؛ وكذلك باستحضار أقدم الحبوب مثل الشعير والقمح ، أو  
أنه بالعكس كانت هذه الحيوانات والحبوب قد وجدت في وادي النيل  
هذ وجد الجنس الإفريقى الأصلى . وكذلك لا نعرف إذا كانت لغة  
القبائل النازحة قد أثرت في اللغة المصرية القديمة ومسحتها بمسحة أسيوية  
وهى التى نجد ظواهرها في عدة ألفاظ في لغة القوم . ومنذ بداية العصر  
التاريخى نجد الاندماج بين الجنسيتين المكون منها السكان عظيم جداً  
حتى أنه أصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشئ من الدقة الفوارق  
بينهما .

## نحو توحيد البلاد

اندماج الجنسين

لا ريب في أن الشكل الذي وجدنا عليه اندماج الجنسين بمضاهي بعض  
كما نشاهد في عصر « مينا » وهو العصر الذي ظهرت فيه الكتابة  
المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معاً زمناً طويلاً قبل أن  
يحدث هذا الاندماج الكلى . هذا على أننا نجعل تقريباً كل الأمور التي  
تربط في النمو الاجتماعى والتي تبدى بالمعيشة الطبيعية ، ثم تكوين  
الجماعات إلى قبائل تحت حماية معبود في شكل وثن ويحكمها مجلس مكون  
من شيوخها ، ثم الملكية المحلية ، ثم اتحاد المقاطعات معاً . وفى النهاية  
الملكية الفرعونية المطلقة .

باكورة الاتحاد

والواقع أننا في هذه الحالة ليس أماناً إلا الفروض المحضة ، وسنستعرض  
بعض الإيضاح التعليلات التي مرت على العصر الذى يسميه المؤرخون عصر  
ما قبل الأسرات أى قبل ظهور الكتابة إلى أن اتحدت البلاد تحت حكم  
« مينا » ، وسنتبع في ذلك أحدث النظريات .

نشأة القبيلة

كانت الجماعات في البداية في وادى النيل مثلها في البلاد الأخرى على  
حالتها الفطرية ؛ إذ كانت الجماعة أو القبيلة في حالتها الساذجة تلتف حول

المعبودات

صورة حيوان أو نبات سواء أكان حقيقياً أم رمزياً ، وكانت تتخذ ذلك

قيام المدن

لها بمثابة إله أو وثن تعبده ، وبعد ذلك أخذت القبائل تتجمع وكونت  
مدناً لكل منها حكومتها . أما شارات هذه المدن الأولى سواء أكانت

تكوين المديرات

وثما أم حيوانًا فأصبحت كأكلمة تحمى هذه المدن ، وبعد ذلك تكونت  
مديريات من هذه المدن مع القبائل التي تعترف بسلطان إله المدينة ومما  
يجاورها من الأقاليم ، وكانت تعرف كل من هذه المديريات باسم المقاطعة .  
وهذه المقاطعات كانت في بادئ الأمر مستقلة وإن كان حكامها لم يطلق  
عليهم الملوك . والظاهر أن عدد هذه المقاطعات كاد يكون متساويا  
في الوجهين القبلى والبحرى ، وبعد مضى زمن قامت حركة اتحاد في البلاد  
وذلك حينما تجمعت مقاطعات الوجه البحرى إلى مملكتين الأولى في الغرب  
وعاصمتها « بجدت » ، وربما كانت دمنهور الحالية ، والثانية في الشرق  
وعاصمتها « بوسير » بالقرب من سمنود الحالية . وكان إله المملكة  
الأولى « حور » وإله الثانية « غزقى » وقد صار « أوزير » فيما بعد .  
وبعد فترة من الزمن اندمجت هاتان المملكتان في مملكة واحدة أطلق  
عليها : الوجه البحرى ، وكانت العاصمة لتلك المملكة الجديدة في بادئ  
الأمر « سايس » صا الحجر الحالية في الغربية مركز كفر الزيات ، وكانت  
للإله الرسمية « نيت » ثم أصبحت العاصمة فيما بعد « بجدت » دمنهور ،  
وكان الإله الرسمى فيها « حور » . وفى الوقت الذى اتحدت فيه الدلتا إلى  
مملكة واحدة تكونت مملكة أخرى في الوجه القبلى مؤلفة من  
اتحاد عدة مقاطعات عاصمتها بلدة « نقادة » على مسافة قريبة من  
شمالى الأقصر ، وكان الإله المعترف به هو « ست » مناهض  
للإله « حور » .

اتحاد الوجه  
البحرى

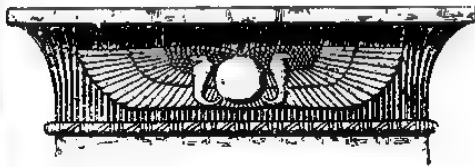
اتحاد الوجه  
القبلى

والظاهر أن الدلتا كانت أقوى من الصعيد ، ولذلك كان ملوك الدلتا أول من فكر في اتحاد كل مصر تحت سيطرة حاكم واحد ، على أن حاضرة المملكة المتحدة الجديدة لم تكن بلدة « حور » « دمههور » ، ولكن بلدة ( بوصير ) ، وهى بلدة إله شرقى الدلتا المسمى « أوزير عنزقى » ؛ وتدل

أول ثورة مصرية

شواهد الأحوال على أن الثورات المتوالية قد قامت فى الوجه القبلى فى قيادة وامبوس ( البلاص الحالية ) احتجاجا على تسلط الدلتا ، وكانت النتيجة أن تفرق شمل البلاد وانقسم عرى اتحادها ، وانفصل شطراها عن بعضها ، فأصبح الوجه البحرى للإله « حور » ، والوجه القبلى للإله « ست » . وبذلك هدمت مملكة « أوزير » ، ولم تعد « بوصير » عاصمة للوجه البحرى بل انتقلت العاصمة إلى دمههور التى كانت حاضرة البلاد القديمة ، وبعد ذلك أصبحت مملكة « حور » أكثر بطشا من ممكة « أوزير » حتى أنها توصلت إلى إخضاع مملكة « ست » فى الوجه القبلى ، وقامت بتنظيم وحدة البلاد متخفة عين شمس عاصمة للملك ؛ ولا شك فى أن مركز العاصمة الجديدة كان

« أوزير » و « حور »



قرص الشمس ذو الجناحين

اختياره موقفا إذ كانت واقعة على حدود القطرين حتى يمكنها الاشراف على كل منهما ؛

ومن المحتمل أن حدود هذه المملكة المتحدة الجديدة كان جبل السلسلة أى بين أدفو وكوم أمبو ، وكانت شارتها الجديدة قرص الشمس ناشرا جناحيه اللذين يمثلان نصفى مصر - الوجه البحرى والوجه القبلى - وهو

رمز إله الشمس الذى كان مركز عبادته عين شمس . وهذا الرمز يشاهد كذلك كثيرا على الآثار المصرية ، ولا بد أن فى وقت هذا التغير كان بعض الآلهة فى الوجه البحرى مثل «أوزير» و «حور» قد انتقلوا حاملين معهم اسم محل عبادتهم إلى الوجه القبلى ، ولذلك نجد اسم المدينة مكرراً فى القطرين ، فنجد مثلاً بلدة عين شمس فى الوجه البحرى ( هليوبوليس ) وبلدة عين شمس أخرى فى الوجه القبلى ( أرمنت ) وهكذا .

السنة المصرية

ويظهر أن فى هذا الوقت قد ظهر حساب السنة المصرية أيضاً . ثم قامت عين شمس بدورها لتطغى نار ثورة دينية قامت فى الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد كان الغرض من هذه الثورة أن تحل عبادة إلهها محل عبادة الشمس . ثم ظهرت مملكتان مستقلتان من جديد فى البلاد ؛ الأولى فى الوجه البحرى وعاصمتها «بوتو» المعروفة الآن بتل الفراعين فى شمال دسوق ، والثانية فى الوجه القبلى وعاصمتها ( قفط ) ثم «نخن» ، وهى المعروفة الآن بالكوم الأحمر تجاه الكاب ( الحاميد ) ، غير أن «حور» بن «أوزير» وهو الذى أخضع نهائياً الوجه القبلى متغلباً على «ست» أصبح الإله الرسمى لكل من هاتين المملكتين .

الملك مينا

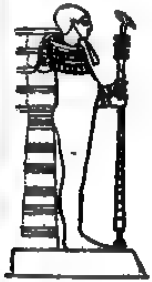
وقد وجدت البلاد من جديد للمرة الثالثة والأخيرة تحت سلطان عظيم من عظماء أهالى طيبة بالقرب من العراة المدفونة مركز البلينا ، وقد جاء ذكر هذا العظيم فى جدول الملوك الذى كتب فى عهد الدولة الحديثة باسم «مينا» ، وقد أطلق عليه اليونان لفظة «مينيس» ، والأرجح أنه إما



الملك «عما» (المحارب) أو أنه الملك «نعرمر» ، وقد وجد كل منها منقوشاً على الآثار . ولكننا لا نعلم إذا كان توحيد القطرين قد حدث بطريق السلم ، إذ المحتمل أن «ميناً» ملك الجنوب قد وورث عرش الشمال عن أمه أم بطريق الحرب .

وعلى أية حال فإن التقاليد تنسب إلى موحد القطرين بناء عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس العاصمة القديمة ، وقد سماها «من - نفر»

العاصمة الجديدة



(البناء الجميلة) وهي التي أطلق عليها اليونان اسم «منفيس» (البدرشين وميت رهينة) . ولما تولى «اتوئيس» زرع (؟) بن «ميناً» الحكم حصن هذه الحاضرة فأقام قلعة ضخمة سماها الجدران البيضاء ، وهذه الحاضرة الجديدة بقيت نحو عشرة قرون نامية زاهرة خلال حكم الأسرات الثمانية الأولى، أما الأكله

«منف»

فاح

الرسمي الجديد فلم يكن أحد أكلة الدولة السابقين مثل «أوزير» و«حور» و«رع» ولكنه كان الأكله المحلي للعاصمة الجديدة واسمه الأكله «بتاح» .

أما الملوك الذين سبقوا «ميناً» وحكموا البلاد فإن المصريين يعدونهم أشباه الالهة الذين أتوا بعد أسرات أكلة لم نعرف عنهم شيئاً . ولم يذكر المصريين إلا أن ملوك الوجه القبلي كانت عاصمتهم في «نخن» (الكوم الأحمر) ، وعاصمة ملوك الوجه البحرى كانت «بوتو» ، ويعرفون كذلك أن ملك الوجه القبلي كان يلبس التاج الأبيض ١٢ وكانت تحميه الإلهة «السر» ١٣ «نخت» وملك الوجه البحرى كان يلبس التاج الأحمر ١٤ وتحميه الإلهة «الصل»

تاجا الملك

«وزيت» أى الثعبان  
وقد حفظت لنا الآثار أسماء  
تسعة الملوك الذين سبقوا  
«ميناء» فى الدلتا. وقد وجدت  
أسماءهم محفورة على قطعة  
من حجر يرجع تاريخه  
إلى الأسرة الخامسة  
ويحتمل فى عهد الملك  
«نوسرع» وهذا الحجر  
يعرف بحجر «بلرم»  
وذلك لأنه محفوظ فى  
بلرمو عاصمة صقلية .



جزء من حجر «بلرم»

وقد عثر على أربع قطع أخرى منه موجودة الآن بالمتحف المصرى .  
وعلى هذا الحجر دونت أسماء الملوك منذ عصر ما قبل الأسرة الأولى ،  
وذكر ملخص أهم الحوادث فى عهد كل ملك ، وأحياناً الأعمال العظيمة التى  
قام بها . ولو أن هذا الحجر وصل إلينا كاملاً لعرفنا ملخص تاريخ مصر  
من أقدم العهود إلى الأسرة الخامسة ، كما رواه المصريون أنفسهم .

حجر «بلرم»

## تنظيم نتيجة السنة الشمسية

تسجيل الفيضان

عد علماء الآثار المصرية والمؤرخون المختصون في علم الفلك والتاريخ إلى إيجاد طرق حساية غاية في الحنق للوصول إلى تحديد العصر الذي ابتداء فيه التاريخ بالسنة الشمسية<sup>(١)</sup>، فابتدوا بسنة ١٣٩ م، ونحن نعرف بالضبط أول يوم في السنة الشمسية اتفق تماماً مع اليوم الذي ظهر فيه نجم الشعرى اليمانية «سوتيس» وهو اليوم الذي بدأ فيه فيضان النيل، وقد اتخذوا هذا التاريخ نقطة ثابتة، ورجعوا إلى الوراء به مدة ثلاث مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية «سبد» بالمصرية في ساعة واحدة، ويحدث هذا مرة كل ١٤٦٠ سنة بحساب فلكي ثابت، وبذلك ظنوا أنه يمكنهم أن يحددوا سنة ٤٢٤١ ق.م بالسنة التي ابتداء فيها المصريون يحسبون بحساب السنة المصرية الشمسية. وقد قال بعض المؤرخين إن هذا التاريخ هو أقدم عهد في تاريخ العالم.

أول فيضان

(١) وقد كتب الاستاذ « Neugebauer نوى جيور » مقالا ممتاً في مجلة :

Acta Orientalia Vol XVII Paris III 1938 P.P. 169 - 195

تحت عنوان :

Die Bedeutungslosigkeit der Sotisperiode. Für die älteste ägyptische Chronologie

وقد دحض فيه نظرية الاستاذ « ادورد مير » في استنتاج تواريخ محددة لمعرفة بداية التاريخ المصرى قائلا أن كل نظريته لا تركز على أساس علمي وأن نظرية الحساب بواسطة ظهور النجم « سيد » عند الصباح فهذا لا علاقة له بالحساب المصرى بل خاص بالفلك الاغريقى ولذلك يحتاج الموضوع إلى بحث جديد .

وقد استنتج هؤلاء المؤرخون من هذا التاريخ السحيق في القدم نتائج هامة  
فنه عرفوا مقدار تقدم المصريين في الحضارة في هذا العصر العتيق إذ كان  
في مقدور المصرى أن يلاحظ ظهور النجوم ، ويتمكن من تحديد مدة  
السنة الشمسية . ومن جهة أخرى استنتجوا الأنظمة التى كانت عليها البلاد  
فى ذلك العصر ، غير أن هذه الاستنتاجات لا تتركز على حقائق ثابتة  
فى التاريخ ، وإن كان ما يكشف من الآثار يبنى بتأصل المصريين فى  
المدينة المتوغة فى القدم .

ومهما يكن من الأمر فإن إنشاء السنة الشمسية قد ظهر فى عصر قديم ،  
وأنه كان من الأشياء الضرورية القصوى لسكان وادى النيل ؛ وذلك  
لأن السنة القمرية بشهورها المختلفة فى الطول بين ٢٩ و ٣٠ يوما لم تكن بالشىء  
محقق للمصريين الذين خلقوا بطبيعتهم زراعا للأرض ، هذا على خلاف  
السنة الشمسية التى تبدى فى وقت حادثة معينة للفلاح المصرى ، وهو  
مقيضان النيل المنظم العظم لحياة الفلاح المصرى . ولما كان المصرى لا يلتجئ قط  
لإضافة ربع يوم « السنة الشمسية بالضبط  $\frac{1}{4}$  ٣٦٥ يوم » أى بإضافة يوم  
واحد كل أربعة أعوام ليكمل عامه يتفق مع العام الشمسى ، فانه استعمل  
فى الواقع طوال مدة تاريخه سنتين مختلفتين : الأولى السنة المدنية . والثانية  
سنة الثابتة أى الشمري المالية ، وهاتان السنتان لا تبدآن معاً فى يوم واحد إلا  
كل ١٤٦٠ سنة ( ٣٦٥ فى ٤ ) سنة شمسية أو كل ١٤٦١ (  $\frac{1}{4}$  ٣٦٥ فى ٤ ) سنة مدنية .

السنة القمرية

اختلاف السنتين

## مينا وتوحيد البلاد

أول تاريخ  
الاسرات

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي بدأ فيها «مينا» حكم مصر المتحدة فتمهم من يرجع بنا إلى سنة ٤٣٢٦ ق . م . ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك . ويضع تاريخ هذا الحادث في نحو سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد .، وهناك مؤرخون من جهة أخرى يميلون إلى التاريخ القصير ويؤرخون هذا الحادث بعام ٢٩٠٠ ق . م .، أو عام ٢٧٠٤ ق . م . غير أن الآراء أصبحت الآن متفقة على اتخاذ طريق وسط بين هذين الحدين فجعل ٣٢٠٠ ق . م .، وهذا التاريخ الذى بدأ فيه ملوك مصر المتحدة يحكمون البلاد يعرف ببداية التاريخ المصرى عند «مانيتون» .

أهمية « منف »

والظاهر أن ملوك الأسرتين الأولى والثانية لم يتخذوا «منف» عاصمة للملكهم . ولم يفكروا قط فى نقل مقر ملكهم إليها ، وإذن يحتمل أن منف لم تكن يوما من الأيام عاصمة المملكة المتحدة ، والظاهر أن الدور الذى لعبته فى تاريخ البلاد كان أقل من ذلك أهمية ، فلم تتمدد كونها مقعلا للبلاد فى الجهة الشمالية أى أنها كانت قلعة حصينة ، أما الملوك فإنهم استمروا فى إقامتهم فى الجنوب الأقصى متخذين بلدة «نخن» مقرا لهم ولذلك كانت أهمية منف الأشرف على بلاد الدلتا التى فتحت حديثا وضمت إلى ملك الصعيد . وقد كان لقرب منف من هذه البلاد التى ضمت حديثا أهمية أخرى ، إذ جعلتها مركزا سهلا لإدارتها ، ولا شك فى أن منف كانت

«لينا» وأخلافه مركزاً حرياً هاماً لصدد غارات اللوبيين الزاحفين من  
 الجهة الغربية من الدلتا ، وهؤلاء اللوبيون قد خضعوا بعد أن هزموا هزيمة  
 منكرة ؛ غير أن توحيد البلاد لم يكن قد تم ، إلا بعد أن توصل أحد  
 أتخلاف مينا إلى التغلب على الجزء الجنوبي الأقصى من بلاد النوبة ، وهو  
 الواقع بين السلسلة والشلال الأول ، ويطلق عليه «تاسقى» ، وقد كان هذا  
 الإقليم خارجاً عن حدود المملكة المصرية «الوجه القبلى» طوال مدة عصر  
 ما قبل الأسرات ، ولم يكن مسكوناً بالجنس الأسود كما هو الآن ؛ بل  
 كان يقطنه فرع من الجنس الحامى سكان البلاد الأصليين . والظاهر أن  
 السود الذين يسكنون نوبيا العليا والسودان لم يظهروا فى مصر إلا بعد  
 عدة قرون ، أى فى عهد الأسرة الثالثة وبخاصة فى نهاية الدولة القديمة ،  
 وذلك بعد التدهور الذى لحق البلاد بعد الأسرة السادسة .

ولقد حافظت مصر المتحدة فى كل عهودها منذ حكم «مينا» على  
 ذكرى انقسامها إلى مملكتين ، ولم يكن فى وسع إحداها على مر الزمن  
 أن تهضم الأخرى ، بل بقيتا على قدم المساواة ، ولذلك نجد أن ملك مصر  
 للتحدة لا يحمل لقب ملك مصر بل ملك الوجه القبلى وملك الوجه  
 البحرى ، وكذلك كان يحمل لقب «رب الأرضين» وسيد (نسر) الجنوب  
 وسيد (صل) الشمال ، وكان فى أول الأمر يحمل التاج الأبيض الخاص  
 بالجنوب ، والتاج الأحمر الخاص بالشمال ، ولم يحمل التاج المزدوج إلا فى  
 بؤواسط حكم الأسرة الأولى ، وكذا نشاهد هذا التمييز فى المصالح الحكومية ؛

فثلاً نجد أن الخزينة مزدوجة ، أى خزينة الوجه القبلى وخزينة الوجه البحرى وهكذا .

لوحة « نعرمر »

ومما يؤيد ما ذكره « مانيتون » من أن « مينا » هو أول ملك وحد الأرضين ما جاء على الآثار المعاصرة لهذا الملك وبخاصة لوحته التذكارية الإردوازية التى وجدت فى « هيرا كنبوليس » بالقرب من العرابة وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ( هذا إذا سلمنا بأن « نعرمر » هو مينا ) ولهم اللوحة وجهان محفوران حفرًا بارزًا يشهد لصانها بالدقة والمقدرة ، والجزء الأعلى من كلا الوجهين يحمل اسم « نعرمر » ( مينا ) مكتوبًا بالهيروغليفية بين رأسى بقرتين تمثلان الإلهة حاتحور ، وأحد الوجهين يشمل منظرين



وجه لوحة « نعرمر »



ظهر لوحة « نعرمر »

أما الوجه الآخر فيحوى ثلاثة مناظر ؛ فالمنظر العلوى على الوجه الأول

يمثل الملك لابساً التاج الأبيض ( تاج الوجه القبلى ) متبوعاً بحامل نعليه وقابضاً يده اليمنى على دبوس له رأس على شكل كثرى يضرب به عدوه المراكم أمامه ، بينما أمسكت يده اليسرى شعر هذا العدو المسمى « واش » ، وقد ذكر فوقه ما يبنى أن « حور » قد أحضر للملك أسرى من الدلتا ( أرض نبات البردى ) ، والمنظر السفلى يمثل عدوين عاريين فارين . أما الوجه الثانى فالمنظر العلوى منه يمثل الملك لابساً التاج الأحمر ( تاج الوجه البحرى ) متبوعاً بحامل نعليه ومسبوقاً بأربعة من حملة الأعلام ثم بوزيره أيضاً ، وأمام هؤلاء عشرة أسرى قطعت رؤوسهم ووضعت بين أقدامهم ، وقد كتب فوقهم أسماء البلدان التى فتحها « مينا » ، أما المنظر الثانى فيمثل حيوانين عجيبين بينما يمثل المنظر السفلى ثوراً ينطح قلعة وهذا كناية عن انتصار الملك على أعدائه .

## مصادر التاريخ المصرى القديم

الواقع أنه لم يصلنا أى كتاب خاص كتبه المصريون أنفسهم عن تاريخ بلادهم ، فكل ما نعتد عليه فى تأليف تاريخ مصر هى النقوش التى وجدت على الآثار ، وهذه تنحصر فيما يلى :

( أولاً ) أخبار الحروب التى قام بها الملوك ، ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ، ثم المراسيم الملكية التى كانت تنشر فى طول البلاد وعرضها من عدة نسخ ، وكانت تكتب على الحجر فى



معظم الأحيان وتوضع في المعابد والمدن .

(ثانيا) الأوراق البردية التي كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وخلافا لهذه المصادر فإن كل ما عثرنا عليه متشابه وعلى وتيرة واحدة وأعنى بذلك النقوش التي عثرنا عليها في المقابر والمعابد ، وكانت ترمى إلى غرض شخصي ؛ فمثلا لم يكتب الملك على جدران معابده انتصاراته على أعدائه في حروبه إلا ليظهر قوته وسلطانه ، ولم ينقش معاهدة صلح إلا ليظهر ما كسبه من أعدائه ونفوذه عليهم ، وكذلك لم يسرد فرد من عظماء القوم تاريخ حياته إلا ليظهر ما ناله من الخطوة عند مليكه لما قام به من الأعمال الجليلة له . أما باقى النقوش التي عثرنا عليها وهى الجزء الأكبر فكلها دينية محضة ، وذلك لأنه لم يصلنا شئ من الكتابات الدنيوية إلا النزر اليسير ، وسبب ذلك أن المصريين قد أقاموا فى ( الوجه القبلى ) مقابرهم ومعابدهم فى الجبال وعلى حافة الصحراء ، وشيدوها من الحجر الصلد أو نحتوها فى الصخر فبقيت لنا إلى الآن بما فيها من نقوش ، أما مدنهم التي كانت تقام فى الوادى المنزرع ، والتي كانت تبنى باللبن فانها قد محيت آثارها إلا بقايا قليلة جدا ، وانمحي معها كل ما خلفوه من الكتابات التي كانت تدون على البردى إلا بعض أوراق نعث عليها من وقت لآخر .

قائمة الكرنك

ومن بين الوثائق الهامة فى التاريخ المصرى التي عثرنا عليها قوائم أسماء الملوك ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة . وأقدم هذه القوائم يرجع عهدها إلى حكم الملك « تحتمس الثالث » ، وقد عثر عليها فى المبنى العظيم

الذى أقامه بالكرك في مدينة الأقصر ويطلق عليه اسم « قاعة الأعياد » ، وهذه القائمة مكتوبة على جدران حجرة يطلق عليها الآن حجرة الأجداد ، وأحجار هذه القاعة محفوظة الآن في متحف اللوفر. وقد وجدت فيها أسماء ملوك لم تظهر على القوائم التي عثرنا عليها في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن قائمة « تحتمس الثالث » لم تكن أقدم وثيقة ، بل نعلم أن هنالك قوائم أخرى مشابهة لها . وهناك تواريخ أخرى أقدم ، وهذه التواريخ قد كتبت على لوحات من الحجر ونصبت في أماكن عامة وبخاصة في المعابد ، وقد حفظ لنا جزء من لوحة من هذه الآثار وهي تعرف بحجر بلرم . ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة كما أسلفنا .

وأهم من قائمة تحتمس الثالث قائمتا العرابة المدفونة « أيديوس » وسقارة ، ويرجع تاريخ الأولى إلى عهد « سبتى الأول » أى في أوائل الأسرة التاسعة عشرة ، والثانية من عهد « رعسيس الثاني » .

وقد أراد سبتى الأول أن يخلد ذكرى أجداده في إحدى قاعات معبده الذى شيده في العرابة المدفونة - وهو لا يزال حافظا لجزء عظيم من رونقه القديم - فبنى حجرة خاصة كتب على جدرانها قائمة بأسماء الملوك ، وفي هذه القائمة تنتظم أهم ملوك مصر مبتدئة بالفرعون « مينا » ، ويلاحظ في هذه القائمة أن في أسماء الملوك الذين ذكروا فيها قبل الأسرة الرابعة بعض الأخطاء ، ولكن من بداية الأسرة الرابعة نجد الأسماء المذكورة على القائمة متفقة تمام الاتفاق مع الأسماء التي ذكرت في القوائم الأخرى . أما قائمة سقارة الملكية المحفوظة الآن بمتحف القاهرة ، فإنها أقيمت في قبر الكاتب الملكى « تونورى » ، وهذه القائمة لا تبتدىء باسم

حجر « بلرم »

قائمة  
العرابة المدفونة

قائمة سقارة

« مينا » بل باسم خاس أخلافه « مربابا » أو « مربابن » وهو الذى يطلق عليه اليونان اسم « ميس » فى كتاب « مانيتون » ، وهذه القائمة قد نقلت عن ورقة بردية ، غير أنه لم يراع فيها الترتيب التاريخى لكثير من الأسر المالكة . وبجانب هذه القوائم المكتوبة على الأحجار ، قد وصلت إلينا وثيقة أخرى يطلق عليها اسم ورقة « تورين » ، وهى من عهد الأسرة التاسعة عشرة ، ولم يكتف فيها كاتبها بذكر أسماء الملوك ، بل ذكر السنين والشهور والأيام التى حكمها كل ملك ، على أنه مما يؤسف له أن هذه الوثيقة لم تصل إلينا سالمة ، ولو أنها وصلت كذلك لكنت تعد أهم وثيقة وصلت إلينا فى هذه الناحية ، بل حدث أنها مزقت إلى قطع عدة ، ولم يتمكن العلماء إلى الآن من وضع كثير من قطعها فى مكانها الأصلى من الورقة ، وبرغم الفجوات التى نجدها فى ورقة « تورين » ، فإنه قد ذكر فيها عدد عظيم من الملوك النكرات ، لم يهتد العلماء إلى وضعهم فى مكانهم التاريخى ، وبخاصة الملوك الذين جاء ذكرهم فى هذه الورقة بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثامنة عشرة . ومن الأسف أن القوائم الأخرى قد ذكرتهم بطريقة مختصرة . ومهما يكن من شئ فإن أمثال هذه الورقة وغيرها من القوائم هى التى استعملها « مانيتون » السنودى فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وكذلك « أرسطوسين » .

ورقة «تورين»

المصادر الخارجية

وهناك مصدر آخر وهو ما عثر عليه من آثار فى الممالك المجاورة لمصر سواء أ كانت هذه الآثار مصرية الأصل نقلت إلى هذه البلدان ، أم كانت آثارا خاصة بالبلاد التى وجدت فيها ، وذكر فيها شئ عن مصر والمصريين .



وآخر ملك ٣٤١ جيلا من الناس ، وإن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام ،  
 أى أن تاريخ البشر عندهم يبلغ نحو ١١٣٤٠ عاما . وقبل هؤلاء الملوك  
 كان يحكم الآلهة مصر . وقد أضاف « هردوت » إلى ماسمه ما شاهده بنفسه .  
 والواقع أن وصفه جاء صورة حية للحياة الاجتماعية والآثار التى شاهدها .  
 ويمكن الاعتماد عليها فى معظم الأحيان . وفى أوائل عهد البطالسة ظهر  
 المؤرخ « هيكاته الأبدرى » فى بلاط بطليموس الأول ووضع كتابا غير أنه  
 لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها « ديدور » فى كتاباته .

« مانيتون السنودى » وفى هذا العصر كان يعيش كذلك « مانيتون » السنودى وهو أهم  
 المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى يوسف  
 « جوزيف » أن مانيتون كان مصرى الجنس وكان كاهنا عظيما وكتبا  
 فى المعابد وماهرا فى لغة بلاده ، وفى اللغة الإغريقية أيضا . وقد أمر  
 بطليموس فيلادولف ( الثانى ) أن يضع مؤلفا عن مصر ، فقام مانيتون  
 بذلك وحاول أن يضع أمام الإغريق صورة حقيقية عن تاريخ مصر متفولا  
 عن النقوش المصرية ، ويرجع عهد كتابة هذا التاريخ إلى ما قبل عام  
 ٢٧٠ ق م . ومما يؤسف له أن هذا التاريخ قد وصلت لنا منه أجزاء مختصرة  
 عن طريق المؤلف يوسف اليهودى « جوزيف » الذى ولد عام ٣٧ م  
 فقد ألف مقالا للرد على « أيون » النحوى الاسكندرى الذى كان ينفذ  
 اليهود من أعماق قلبه ، وهو الذى ينسبهم إلى أنهم من أصل أبرص  
 ومن منشأ دنس نجس وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى عليه

السلام ؛ فرد عليه يوسف بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف . وقد دخلوا مصر فاتحين ولبسوا عبيدا ، ولكي يؤيد رأيه قل حرقيا بعض المقطعات عن « مانيتون » في الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وشفع ذلك بجدول يحوى أسماء الملوك من عهد تحتمس الأول إلى عهد رمسيس الرابع وعددهم ٢١ اسما مع ذكر سنى حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه ، ومن المحتمل جداً أن يوسف لم ينقل ذلك مباشرة عن « مانيتون » .  
 نفسه ، بل يحتمل أنه نقله عن المختصر الذى وضعه المؤرخون قلا عن مانيتون .  
 على أن هذا المختصر أخبرنا على الأقل أن مانيتون قد وضع جدولا تاماً لأسماء ملوك مصر من أول « مينا » إلى عهد البطالسة ؛ مع ذكر تواريخ مضبوطة لحكم كل منهم ، ولذلك بقى مختصر مانيتون - وهو لا يزيد عن جدول بأسماء الملوك والأسرات مع ذكر بعض حقائق مختصرة - المصدر الأصيل لكتاب العصر المسيحى عن تاريخ مصر إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية ، وأهم هؤلاء الكتاب ، « سكستس جوليوس أفريكانوس » .  
 Sextus Julius Africanus وقد قل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه حوالى عام ٢٢٠ م ، ويأتى بعده « يوزيب » Eusebe « ٢٧٠ - ٣٤٠ »  
 « يوزيب »  
 وله كتاب تاريخ محفوظ باللغة الإغريقية والأرمنية ، وقد قل عن المختصر من بداية الأسرة السابعة عشرة ، ولكن من نسخة أخرى تختلف عن تلك التى قل عنها سكستس الإفريقى .

وحوالى أوائل القرن التاسع الميلادى ألف « جورج » المسمى « سينسل »  
 كاتم أسرار بطريق الاسكندرية تاريخاً نقله عن مختصر « يوزيب » ،  
 و« سكستس » الافريقى . وقد رأى هذا المؤلف أن كتاب « مانيتون »  
 ينقسم ثلاثة أقسام وأن الملوك كانوا مقسمين إلى ٣١ أسرة كل منها  
 تنسب إلى جهة معينة فى البلاد حسب أصل كل منها : الأسر الطينية  
 والمنفية والالفنتية والاهناسية والطيبية الخ . والمتن الأصلى يعطينا السنين  
 والأشهر والأيام التى حكمها كل ملك ولا يذكر المختصر إلا الملوك المشهورين ،  
 وقد بقى ترتيب الأسرات الذى وضعه « مانيتون » الأساس الذى يعتمد  
 عليه كل مؤرخ حديث فى الكتابة عن مصر رغم الكشف الحديثة .  
 ويأتى بعد « مانيتون » مؤرخ عظيم اسمه « ديدور الصقلى » الذى ألف كتاباً  
 عن مصر لم تمتد إليه يد الضياع ، وقد وضع تاريخاً عاماً . وعند كتابته  
 عن أصل العالم قاده البحث إلى مصر التى تعد مهداً للآلهة ، لأن المصريين  
 يقولون إن بلادهم هى مهد بنى الإنسان . على أننا نجد فى كتاباته روح  
 « هيكاثة الأبدى » و« هردوت » يضاف إلى ذلك أنه زار وادى النيل حوالى  
 عام ٦٠ ق . م مما جعل مؤلفه ذا قيمة ؛ ويلاحظ فى كتاباته ميله إلى  
 الأفكار الفلسفية والدينية . وقد جاء إلى مصر كثير من الجغرافيين الاغريق  
 وبحثوا فى بلاد النيل فى عهد البطالسة ، ومن أهم هؤلاء « أرسطوسين السيرينى »  
 الذى كان يعيش فى الاسكندرية « ٢٧٥ - ١٩٤ ق . م » .  
 والظاهر أنه وصل إليه من محفوظات كهنة طيبة قائمة بأسماء ٣٨ ملكاً

من ملوكهم ترجعها من المصرية القديمة إلى الإغريقية ، وحفظها لنا جورج  
شلال . وهذه القائمة تشتمل على أسماء ملوك من الأسرة الأولى إلى الأسرة  
العشرين . غير أن هذه القائمة لها ميزة خاصة ، إذ أنها تضيف إلى كل اسم علم  
سجل تدل على معناه .

وفي عام ٢٧ م زار « استرابون » مصر ووصل إلى الشلال الأول ،  
وقد وصف في الفصل السابع عشر من جغرافيته هذه الزيارة وصفاً ممتعاً ؛ غير أن  
ما كتبه عن التاريخ لا يتخطى عصر البطالسة إلا نادراً ، وكثيراً ما كان  
يقتل عن سبقه من المؤرخين وينسب لنفسه مشاهدة ذلك .

أما المؤرخ « بلوتارخ » ( ١٢٠ م ) فإنه كتب عن مصر كتاب « إزيس وأوزير »  
وهو الكتاب الوحيد الذي وضع أمامنا بحثاً منظماً عن الديانة المصرية ، وبخاصة عن  
إزيس وأوزير ومعناها الحقيقي . والواقع أن معلوماته كانت مستقاة من  
مصادر جديدة بالاحترام ؛ إذ أنها تطابق في معظم الأحوال مادون على  
نقوش المصرية القديمة .



## الألقاب الرسمية للفرعون

مبدأ الألقاب

كان من نتائج توحيد البلاد وجمع السلطان في يد حاكم واحد أن صار للملك مجموعة ألقاب وأسماء رسمية تطلق عليه بمجرد اعتلائه عرش الملك وقد أكتمل تكوين هذه الأسماء والألقاب في أواخر عهد الأسرة الرابعة وقد حفظتها التقاليد إلى عصر البطالسة والقيصرية الرومان ، وكانت هذه الألقاب لا تتجاوز الثلاثة في العهد الطيني ، أى في الأسرتين الأولىين وهذه هي الألقاب :

لقب حور

١ - لقب « حور » : ومعناه أن الملك بمجرد اعتلائه عرش الملك كان يلقب باسم « حور » أى أنه صورة حية من هذا الإله تعيش على الأرض ، وهذا اللقب كان ينقش داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكي ، وعلى قته صورة صقر وهو الطائر الذى يرمز به للإله « حور » . وفى خلال حكم الأسرتين الأولىين كنا نجد أحيانا الإله « ست » ، وهو الملك القديم للوجه القبلى يذكر

بجانب « حور » . على أننا نجد بعض الملوك مثل ( مريابن ) ( ميبس ) اللقب الحورى أحد ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك « خسنخوى » آخر ملوك الأسرة الثانية قد مثل كل منهما بصقرين أى أن أحدهما يمثل « حور » والثانى « ست » .

لقب العقال والصل

٢ - وهناك لقب آخر يمثل ( نسا ) و ( صلا ) كل منهما يرتكز على



سلة رمزاً للملكية . وهذان الحيوانان هما رمزان لمعبودى مدينة « نخب » فى الوجه القبلى و « بتو » فى الوجه البحرى وقد أصبحا فيما بعد الإلهتين اللتين تعبدان فى عاصمتى الوجه القبلى والبحرى « نخت ووازيت » ؛ فنسر الجنوب وصل الشمال هما السيدتان « نبتى » أى التاجان الأبيض والأحمر .

لقب النبات والنحلة

٣ - ويأتى بعد ذلك لقب الملك يثل نبات ونحلة ويسميان « نيسوت - بيتى » أى صاحب النبات « سوت » (نوع من السقى ربما كان البوص ) وصاحب النحلة ، ويدل ذلك على ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى . وهذا اللقب كان يطلق فيما بعد على الملك فى اليوم الذى يتوج فيه على مصر بصفته الاسم الرسمى . ونشاهد أن ملوك طيبة كانوا ينعنون باسم حور فقط وفى أحوال نادرة



باسم ( بيتى ) أو باسم « نيسوت - بيتى » ، ويلاحظ أن الخرطوش الذى كان يكتب فى داخله اسم نيسوت بيتى كان فى بادىء الأمر مستديراً ؛ غير أن هذه الدائرة التى ظهرت منذ الأسرة الأولى ، كان لا بد من تغييرها إلى شكل أسطوانى يكبر طوله كلما كثر عدد الإشارات التى يتكون منها اسم الملك فى داخلها .



خرطوش فارغ

وقد أخذ هذا الخرطوش شكله الذى نراه عليه فى عهد الملك « سنfro » هكذا .

لقب « حور القاهر »

٤ - وكذلك فى عهد الملك « سنfro » ظهر لقب جديد للملك ، وهو لقب ( حور القاهر ) « حور - نب » . وذلك إشارة إلى أن حور تغلب فى

شجاره المعروف على عدوه « ست » الذي كان يقطن بلدة امبوس ومضى

بلدة البلاص الحالية . وقد وضع هذا اللقب بين الأسماء



الرسمية الملكية في المنزلة الثالثة، وبذلك جعل لقب « نيسوت

بيتى « فى المنزلة الرابعة .

٥ - وأخيراً في عهد حكم الملك « منكاورع » ، أى فى أواخر الأسرة

الرابعة . قدمت الألقاب الملكية الرسمية ، وبقيت كذلك إلى أواخر



عهد الحكم الروماني، وذلك بعد أن أضيف لقب خامس ⑤

« ابن الشمس » وكان يوضع في خرطوش مثل لقب

« نيسوت بيتي » وهذا اللقب كان يحمله الملك منذ ولادته ، لقب ابن الشن

وكان يلقب به وهو أمير كما كان يلقب به وهو ملك .




اسم الملك «متو حب» مكتوباً بجميع القاب الخفية

## مقاطعات القطر المصرى

منذ أقدم العهود

فى عصور ما قبل التاريخ لم تدلنا الآثار دلالة واضحة على أن القطر المصرى كان مقسماً إلى قبائل متميز بعضها عن بعض ، ولكننا نشاهد من ناحية أخرى عند انبثاق فجر التاريخ وظهور الكتابة ما يدل على أن القطر المصرى كان مقسماً إلى مقاطعات معلمة ، وبقيت على حالتها الأولى لم يدخل عليها تغيير جوهري منذ بدء نشأتها ، اللهم إلا من العصور المتأخرة والعهد الاغريقى الرومانى فقد حدثت تغييرات محسوسة .

وكان المصريون يسمون المقاطعة فى لغتهم « سبات » وهذه اللفظة مشتقة من فعل « سب » أى يقسم . وهذا الاسم المصرى . يقابله لفظه « نوم » التى أطلقها اليونان على المقاطعة . ومن ذلك يتضح أن كلمة مقاطعة معناها فى الأصل « قسم » وهو فى الواقع إقليم من الأرض مستطيل الشكل ، ويعبر عنه فى اللغة المصرية بشكل مستطيل مقسم بخطوط متقاطعة تكون زوايا مستقيمة هكذا  .

وما يدهش فى التاريخ المصرى أننا نرى نظام القبائل غير موجود عند انبثاق فجر التاريخ فى الوقت الذى يسود فيه نظام المقاطعات فى البلاد . وهنا يجب أن نغيز بين القبيلة والمقاطعة ، فالقبيلة مجموعة من الناس تربطهم صلة القرابة وتمجيد الجد الأسمى ، ثم السيد ، والرمز الدينى . وأفراد القبيلة قد يكونون من البدو الرحل أو من أهل الحضرة وليس من الضرورى أن يكون

معنى كلمة ( مقاطعة )  
فى الميروغليانية

الفرق بين القبيلة  
والمقاطعة

ساكن الإقليم متنسباً إلى قبيلة ما في نفس هذا الإقليم . أما المقاطعة  
فعلى العكس من ذلك مساحة معينة محدودة من الأرض ، وليست مجموعة  
من السكان ، وكثيراً ما يكون سكانها خليطاً من الناس . ومنذ ظهر تقسيم  
البلاد المصرية إلى مقاطعات لم نجد فيها أثراً ظاهراً لنظام القبائل الذي كان  
بطبيعة الحال سائداً آنحاء القطر . ومنذ بداية التاريخ نجد أن كل طائفة من  
السكان كانت تجتمع على رقعة من البلاد لتستثمرها ؛ فكان لزاماً أن يقسم  
الوادي إلى مناطق استغلال آلت فيما بعد إلى نظام المقاطعات . وقد أصبحت  
المقاطعة - أو بعبارة أخرى المكان المعين الذي يستغل - مقدمة عند السكان  
على أى اعتبار آخر من عصبية أو نسب أو غير ذلك ، ولا شك أن السبب  
في تلاشي نظام القبائل في البلاد يرجع إلى النزاع الذي كان قائماً بين الوجهين  
القبلي والبحري ؛ وهو الذي نشأت من أجله حروب طاحنة اشتملت ناراها مئات  
السنين وانتهت أخيراً بتوحيد القطرين تحت سلطان ملك واحد ، وكان في  
ذلك القضاء المبرم على نظام القبائل وتلاشيها ، وإن كان بعض آثارها  
الطفيفة لا يزال باقياً على نحو ما في المقاطعات كما سنفسر ذلك في حينه .  
وتحتوى كل مقاطعة على إقليم من الأرض له حاضرتة ، ولم تكن الخواضر  
وقتش تمتاز عن البوادي ، فلا تخرج عن كونها مكاناً مخصصاً يسكنه الفلاحون  
والرعاة والصيادون الذين يعيشون على ما تخرجه الأرض ، ويقضون سحابة  
يومهم في الحقول ثم يعودون كل مساء إلى منازلهم ، كما يسكنها  
الصناع والتجار وأصحاب الحرف ، ورجال الإدارة والموظفون

تقسيم مصر  
إلى مقاطعات

والحكام على اختلاف أنواعهم .

وكانت المدينة « نوت » في عرفهم في ذلك الوقت تتألف من مبان تقام عند ملتقى الطرق ، كما تشير إلى ذلك العلامة التي يرمز بها للمدينة في لغة الصوم ، وتحيط بسياج مستدير وتتألف من عدة أكواخ من الطين واللبن ، يأوى إليها الحراثون والرعاة والمسافرون في المساء خوفا من مباغطات أهل البادية الرحل الذين احترقوا هذا العمل واتخذوه مهتهم طول حياتهم . وكانت تقام في المدينة مخازن عظيمة الحجم للفلال ، وأخرى تحفظ فيها الآلات الزراعية ، وحظائر للماشية ، ومصانع لأصحاب الحرف والصناعات وكذلك كانت تنى فيها حوانيت للتجارة حول ميدان عام لتكون بمثابة سوق يعرض فيه التجار مالههم من السلع والمحاصيل والمأكولات التي تنتجها الأرض .

وفي المدينة يشيد مبنى عظيم شامخ الجدران يشرف على ما حوله ، ذلك هو قصر الآله « حت نتر » وهو ما يسمى بالمعبد . وكان يقام خاصة لآله المقاطعة ، ويشمل داخله الرحب المخازن المقدسة ومسكن رجال الدين . وهناك قصر آخر فسيح الأرجاء شامخ البناء بالنسبة لما حوله من بيوت عامة الشعب ، أقيم خاصة للفرعون أو لحاكم المقاطعة وذلك حسب المصور التاريخية . يضاف إلى هذا دور حكومة الفرعون ، أو حاكم المقاطعة الذي نصب للفصل في أمور الناس وللمراقبة الضرائب وشئون الزراعة ، ومخازن الحكومة وخزائنها ، والسجون وغير ذلك ؛ فكانت تقام في جهات

قصر الآله « حت نتر »

مختلفة في المدينة حسباً تقضى به الحال .

وكان الفرعون أو الحاكم عند ما يريد تأسيس مدينة جديدة يفصلها عن جارتها ويضع لكلّ حدودها بإقامة لوحة ثابتة كالسما ، كما يعبر عن ذلك المصرى نفسه ، وكذلك يحدد مياه كلّ حسباً جاء في كلامهم ، ويقسم المياه والحقول والغابات والرمال حتى حدود الصحراء وكلما ازداد عدد السكان في هذا الأقليم وامتدت فيه الأراضى الزراعية كلما فكر العمال في إقامة مدن صغيرة ثانوية أو قرى تقام فيها قصور وتنصب عليها حكام يدينون بالطاعة لحاكم المقاطعة . ومن مجموع هذه الأراضى والقرى والبلدان والعاصمة كانت تتألف المقاطعة ولم تكن مساحة المقاطعة في الواقع كبيرة إذ كانت تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ميلاً في الطول أما عرضها . فكان يتوقف على البقعة التى تقع فيها بالنسبة للوادی وخصبه ؛ فإذا كان ضيقاً فإن المقاطعة تمتد على كل شاطئ النيل من صحراء العرب إلى صحراء لوبيا ، أما إذا كان الوادى متسعاً فإن المقاطعة تنحصر في شاطئ واحد ويكون آخر حدودها بجرى النهر نفسه . وكانت لذلك تحد بخط وهمى يمر وسط مجرى النيل .

كيف توضع حدود المدينة

مساحة المقاطعة

أما معلوماتنا عن أسماء المقاطعات فمستقاة من قوائم أسماء المقاطعات التى عثرنا عليها في معابد البطالسة والرومان في مصر ، وهذه بلا شك قد نقلت عن أصول قديمة . ومنها نعلم أن البلاد كانت مقسمة إلى مقاطعات محدودة لا تختلف كثيراً عن القوائم التى عثرنا عليها . ومن هذه القوائم والتفسيرات الملحق بها يمكننا أن نستخلص معلومات طريفة في بابها عن النظم الإدارية

قوائم أسماء المقاطعات

في المقاطعة، وعن الإقليم نفسه . فمن الوجهة الإدارية نعرف (أولا) الاسم الرسمي للمقاطعة (ثانيا) اسم العاصمة (ثالثا) اسم الإله الذى يسكن سيد المقاطعة . ثم نقف بعد ذلك على معلومات عن معبدها الرئيسى ولقب كهان الأعظم ، والكهنة الآخرين ، واسم سفينة الإله ، واسم الشجرة مقدسة التى كانت تقدر فى المدينة ، وقائمة بأسماء الأعياد المحلية ، واسم كل ما حرم عمله ، ثم اسم الثعبان المقدس الخاص بكل مقاطعة .

أما عن طبيعة المقاطعة نفسها فتذكر لنا القوائم (أولا) اسم القناة أو تروية التى تروى المقاطعة (ثانيا) الأقليم الذى يشتمل على (١) المنطقة الزراعية «وو» وتتألف من حقول وكروم تزرع ، وهى أراض تروى ، بعضها مرتفع وبعضها منخفض ، حسب موقعها من النيل (ب) الأراضى الواقعة على حدود المقاطعة عند حافة الصحراء ؛ وتشتمل على مناطق للرعى ولصيد البر ولصيد الأسماك ، لأنها غالبا تكون مستنقعات . وهذه التقاسيم الرسمية تمكنا من فهم ما يعنى به المصرى من لفظة مقاطعة ؛ إذ هى فى الواقع منطقة تستغل زراعى من جهة ، ومن جهة أخرى تصرف منها الأمور الإدارية حيث كانت سلطة التقليدية فى يد إله العاصمة ويحمل لقب (رب) «نب» المدينة ، ويدير شئون حكومة هذا الإله الفرعون أو حاكم المقاطعة حسب الأحوال السياسية فى البلاد . والواقع أن السلطة كانت فى جوهرها دينية . وكان الإنسان فى هذه الحالة يمثل سلطة الإله . وقد يخيل للإنسان أن هذه فكرة الخاصة بالأدارة كانت وقتها على العصر المتأخر . ولكن الحقيقة أنها

لقب «نب»



ترجع إلى عهد الفراعنة الأقدمين ؛ إذ دللتا النقوش منذ عهد الأسر المنفية على أن استثمار الأراضي الزراعية كان بنفس الطريقة التي وجدناها في العصر المتأخرة . وكذلك الآلهة كان يطلق عليها ( أرباب ) المدن في النقوش المصرية في القدم . وعلى هذا يمكننا أن نقرر أن النظام الزراعى والدينى فى المقاطعات يرجع عهده إلى الأزمان المتوغلّة فى القدم ، وظل ثابتا فى مصر إلى نهاية العصر الرومانى .

الآلهة تسمى  
( أرباب ) المدن

## تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم

والآن بعد أن استعرضنا هذه التعاريف يمكننا الحكم بأن البلاد كانت فى بادىء الأمر مؤلفة من قبائل ثم مقاطعات ، وانمحت الأولى وبقية الثانية ، فى العصور التاريخية ؛ وقبل أن نتكلم عن رموز المقاطعات وآلهتها رأينا أن نستعرض رأى الأستاذ « لوريه » فى أصل تقسيم البلاد المصرى إلى أربعة أقاليم معينة ، يعتقد أنها هى الأساس ، الذى تألفت منه البلاد منذ أقدم العهود . والواقع أن نظريته فى ظاهرها خلافة ويظهر فى عرض أنها قد تكون صحيحة فى جملتها إذ يرى أنه أتت قبائل وشعوب من بلاد لوبيا ، ومن آسيا الصغرى ، ومن جنوب مصر ، واختلط بعضهم ببعض وتجاربوا وأخذت الواحدة منهم تحل مكان الأخرى ثم تحالفوا فيما بينهم ، واتت النحلة وبأن تألفت منهم أربع طوائف عظيمة - ( النحلة ) ، و ( البوصة )


رأى الأستاذ  
« لوريه »



النحلة والبوصة

و(الثعبان) ، و(النسر) ، ثم تألفت من النحلة والبوصة مملكة ، ومن الثعبان والنسر مملكة أخرى . وفيما بعد وفد على البلاد قوم من آسيا من طريق بلاد العرب والصومال ، ونزلوا نحو الشمال وتوغلوا في البلاد حتى الوجه القبلى ، وهذا الجنس الجديد ذو المواهب العظيمة ؛ تأصل في البلاد . وكوّن مملكة ثالثة . مملكة (الصقر) ؛ وبعد قرون عدة اقتضت في حروب ومحالفات متتالية ، بين تلك الممالك الثلاثة ؛ تغلبت في النهاية مملكة (الصقر) . ومن ذلك العهد أصبحت تلك الممالك الثلاثة ، موحدة تحت سلطان صولجان واحد . وقد أصبحت المملكة الفرعونية ، منظمة تحت سلطان ملك واحد وهو « بر إيسن » آخر ملوك الأسرة الثانية .

الملك « بر إيسن »

وهذه الحقائق مستقاة ، من دراسات دقيقة للأثار العتيقة ، ومن العناصر المختلفة التى تتألف منها ألقاب الفراعنة . التى منها لقب « حور » . « ونبتى » « ونسوت يتى » . ويمتد الأستاذ « لوريه » أنها شارات رمزية يقصد منها أولا طوائف القبائل الأولية ؛ وفيما بعد رؤساء هذه الطوائف .



النحلة  ، وهى حسب رأى لوريه رمز النسب للوجه البحرى ، وهى الرمز الهام للقبائل الذين يسكنون الدلتا ، وهذا هو السبب الذى من أجله قد انتخبت هذه الحشرة لتدل على كل إقليم الوجه البحرى .

وبيت النحلة  هو المعبد الرئيسى لمدينة « سايس » . ويذكرنا اسمه بالدور الذى لعبته لبعته شارة  النحلة فى عاصمة مملكة الدلتا .

البوصة وهى حسب رأى « لوريه » ، الشارة التى تدل على طائفة

ألقاب « حور »  
« نبتى »

مدينة « سايس »

من القبائل تسكن مصر الوسطى ؛ ويقصد بذلك الوادى من بداية بحر يوسف إلى بداية فرعى الدلتا ، وعاصمة هذا الأقليم «هراكليوبوليس» (إهناس المدينة) «هراكليوبوليس» ويكتب اسمها  على حجر ( بلرم ) ، ومعناه أطفال البوصة ؛ يضاف إلى ذلك أن الإله المحلى « حرشف » لقبه الرئيسى  ومعناه بوصة الأرضين ، وكأهنة الأكبر يسى البوصة  أما الثعبان الرمرى  فهو ليس «وزيت» بلدة «بوتو» ولا يدل كما هو المشاع على الوجه البحرى ؛ بل هو «وزيت» ثعبان المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى «افروديتوبوليس» وعاصمتها «افروديتوبوليس» ، وهى اليوم (كوم أشقاو)  وأخيرا النسر  «نخيت» ، ويدل على الرمز أولا ؛ ثم على الإلهة لبلدة (الكاب) الحالية . وعلى ذلك يظهر حسب رأى «لوريه» ، أن النسر والثعبان لعبا دورا بالنسبة للملك (الكاب) و «افروديتوبوليس» ، كما لعب الصقر «حور» بالنسبة للملك الحوريين ؛ أو بعبارة أخرى ، أن شكل رمز القبيلة ، قد استعمل فى الحالات الثلاث ليدل على رئيس القبيلة نفسها ؛ فكما يقرن لقب «نسوت يتي» ( ملك الوجه القبلى والبحرى ) بلقب «نوبتى» فإنه يستعمل ، كما يدل الأخير للدلالة على السيطرة على طائفتين ، وهما فى الواقع «هبتا نوميا» أى ( مصر الوسطى ) والدلتا . ويجب أن نلاحظ هنا كذلك فى ترتيب الألقاب الملكية . أن الممالك القديمة كانت مؤلفة من مجموعتين ؛ النسر والثعبان من جهة ، والبوصة والنحلة من جهة أخرى . أى أنها كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا ، مبتدئة من الجنوب إلى

«هراكليوبوليس»

الإله «حرشف»

«وزيت» وبلدة

«بوتو»

«افروديتوبوليس»

«نخيت»

«هبتا نوميا»

(مصر الوسطى)

و الدلتا

الألقاب الملكية

مرتبة ترتيباً جغرافياً

الشمال ؛ ومن المحتمل جدا أن فتح البلاد قد تم على هذا الترتيب . أى  
 فن النسر انتصر على الثعبان ، والبوصة انتصرت على النحلة . أما اللقب  
 « حور » الذى يأتى على رأس كل هذه الألقاب ؛ فيدل على أن حور ،  
 أو بعبارة أدق القبيلة الحورية ؛ قد انتصرت على أعدائها ؛ بأن بدأت من  
 الجنوب حتى الشمال . وهذه هى النظرية التى اتبعت فى العهد المتأخر فى  
 أسطورة « حور » ؛ على معبد أدفو . على أننا نجد آثار تقسيم البلاد  
 إلى ثلاثة أقسام . النسر ، والثعبان ، والبوصة ، فى تقسيم الوجه القبلى إلى  
 ثلاثة أقاليم وهى الأقليم الطبى الأعلى ، والأقليم الطبى الأسفل . ثم إقليم  
 « هبتا نوما » . وفى الواقع نرى أن الوزير « رخمارع » فى عهد « تحتمس الثالث »  
 كان يمتد نفوذه على الوجه القبلى الأعلى . مبتدئاً من الشلال إلى نهاية أسيوط .  
 ولكن ذلك كان مقسماً إلى قسمين . واحد منها جنوبى فقط ، والثانى  
 شمالها .

وفى العهد العربى كانت مصر العليا مقسمة إلى ثلاثة أقاليم ؛ كان الجنوبى  
 منها يمتد من أسوان إلى قفط . وبالاختصار كانت مصر العليا منذ الأسر  
 الأولى ؛ تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية .

(١) إقليم النسر : ويبتدى من الحدود إلى قفط ؛ وعاصمته « أليتيا » إقليم النسر وعاصمته  
 « أليتيا » (الكتاب الحالية )

(٢) إقليم الثعبان : من قفط إلى أسيوط ؛ وعاصمته « أفروديتو بوليس » إقليم الثعبان وعاصمته  
 « أفروديتو بوليس » (كوم إشقوا) .

(٣) إقليم البوصة : من أسيوط إلى بداية تفرع الدلتا ، وعاصمتها قليم البوصة وعاصمتها « هراكليوبوليس »  
 ومن ذلك يتضح أن تسع المقاطعات التي ذكرت في نقوش « نى عنخ يبي » مدير الرسائل في عهد أحد ملوك الأسرة السادسة تنطبق تمام الانطباق على قسم البوصة (نصر الوسطى) . وإياه لمن المدهش أن نجد مذكورا في الأسرة السادسة (١) أحد الأقسام الأربعة ، التي كانت تنقسم إليها البلاد منذ القدم ؛ والظاهر أن هذا التقسيم لم ينسه المصريون طوال تاريخهم حتى في عصرنا هذا .

## رموز المقاطعات وأسمائها

وأول قائمة وصلت إلينا بأسماء مقاطعات من العصور القديمة يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة حوالى ٢٤٠٠ ق . م . وذلك قلا عن مرسوم ملكي أصدره أحد فراعنة الأسرة الثامنة إلى وزيره ؛ وقد قرر فيه أن يتولى إدارة الاثنين والعشرين مقاطعة التي كان يتألف منها الوجه القبلى وقد ذكر أسماء هذه المقاطعات حسب ترتيبها الجغرافى الذى نعرفه فيما بعد . يضاف إلى ذلك أننا وجدنا على جدران أهرام الأسرة السادسة ، وعلى جدران بعض مقابر العهد المنفى أسماء بعض مقاطعات متفرقة . أما مقاطعات الوجه البحرى فليست لدينا قوائم رسمية بأسمائها ولكننا نجد بعض الأسماء المذكورة

(1) Alexandre Varille, memoire De L'institut. Français Tome LXX  
 (La Tombe De «Ni - Ankh - Pepi» à zaouyet El Mayetin P 35 - 38 )

على الجدران الداخلية لأهرام سقارة أو على جدران مقابر العصر نفسه .  
وأقدم المصادر التي استقينا منها أسماء مقاطعات ينسب إلى العهد  
الطيبي . ومن المحتمل أن الوجه القبلي والوجه البحري كانا قد قسما إلى  
مقاطعات منذ أكثر من ٣٢٠٠ ق م . وكان عدد المقاطعات في كل  
منها متقاربا ، فكان الوجه القبلي يتألف من اثنين وعشرين مقاطعة والوجه  
البحري من عشرين مقاطعة . وفي كل هذه المتن كانت تعرف المقاطعة  
وتكتب بإشارتها أو رمزها الخاص . وكان هذا الرمز حيوانا أو شجرة أو  
شيئا موضوعا على حامل مثبت على الإشارة التي تدل على معنى كلمة مقاطعة .

وكان كل من هذه الأشكال الرمزية يطلق اسمه على المقاطعة التي  
يسيطر عليها . وهذه الرموز كانت في الواقع تدل على آلهة المقاطعات ،  
وقد استمرت حتى اقراض المدينة الفرعونية . وبعض هذه الأشكال استعملت  
رموزا مرفوعة فوق القبائل التي كانت قبل التاريخ كأنها أعلام خفاقة . على  
أن كل هذه الرموز لم تبق بعد في أماكنها الأصلية ، فثلا نجد أن قرص  
الشمس ، والوجه الأنثى ، والعقرب والفيل وبعض نباتات قد اختفت  
من المقاطعات التي كانت رمزا لها . ونجد من جهة أخرى ، في الوجه القبلي  
صقرا يظهر رمزا لمقاطعة غير مقاطعته ورأس الثور وهي أصل الصاغات  
المصنوعة على شكل رأس بقرة موجودة في المقاطعة السابعة ، والصاعقة  
ترمز للمقاطعة التاسعة ، والصقر المحلق يرمز للمقاطعة الثامنة عشرة . وقد عثر  
على بعض فخار العصر « النيوليتي » قد رسم عليه بعض أشجار ترمز لبعض

أقدم المصادر لأسماء  
المقاطعات

الأشكال الرمزية  
تدل على آلهة  
المقاطعات

القبائل فيحتل مثلا أن شجرة ( البطم ) التى على هذا الفخار ترمز للمقاطعة الثالثة عشرة وشجرة النخيل قد تكون رمزا للمقاطعة العشرين .

أما فى الوجه البحرى فنجد الصقر يظهر كشارة للمقاطعة الثالثة . والسهمين المثبتين على جلد حيوان فى هيئة صليب يرمزان للمقاطعة الرابعة . وقد حفظ الخفاف فى المقاطعة السابعة رمزا لها . والجبل ذات القمم الثلاثة رمزا للمقاطعة السادسة . ولا يمكننا تفسير هذه الرموز إلا بأنها شارات ترمز لقبائل جائلة ثم أصبحت فيما بعد رموز المقاطعات عندما استقر بها المقام .

ولا يبعد أن يكون ملوك الأسرة الأولى الطينية قد أحضروا معهم عند غزومهم للقطر بعض قبائل جديدة كل منها تحمل رمزا الخاص بها ، مثلا الحيوان الدال على الأكله « ست » والنسب ، والطائر « إيس » . صقر الشرق ، وسيكة ، وهى رمز الشرق ، وقطعة لحم ، كل هذه قد أصبحت رموزا أو آلهة لمقاطعات ، ومن ذلك نعلم أن عددا محددا من هذه الرموز التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ ، أو إلى عصر المملكة الطينية قد بقى إلى ما بعد هذه العهود ، حينما استقر المقام بالقبائل وأصبحت متوطنة فى الحدود الإقليمية والإدارية . ورغم أن الوثائق التاريخية لا تزال تعوزنا من هذه الناحية ، فإنه فى استطاعتنا أن نصرح بأن نصف مجموع مقاطعات القطر عامة قد اشتقت أشكال رموزها وآلهتها من القبائل القديمة التى كانت تسكن وادى النيل الخصيب . ومن المحتمل أن رموزا أخرى يرجع أصلها إلى قبائل عاشت فى عصر ما قبل التاريخ ، وبخاصة فى

بقاء الرموز إلى العهد التاريخى

الأحوال التي لا يمكن إرجاعها إلى اشتقاق تاريخي .

آلهة من العصر  
التاريخي

ومن جهة أخرى توجد آلهة في كل عاصمة من المقاطعات ، يرجع  
عدها إلى العصور التاريخية ، ولكن بعضها لا يظهر إلا في عاصمة مقاطعة  
واحدة ، وبعضها مثل الإله « حور » والإلهة « حتحور » ، والإله « خوم » ،  
والإله « أوزير » والإله « تحوت » يظهر في عدة عواصم يعبد فيها .  
والآن تسأل ما العلاقة التي تربط آلهة العواصم برموز المقاطعات ؟  
والأجابة على ذلك تنحصر في أمرين .

العلاقة بين آلهة  
العواصم ورموز  
المقاطعات

الأمر الأول : أننا نجد إله العاصمة يمزج برمز المقاطعة ، أو تكون  
له علاقة ما به لا تقبل الجدل ؛ فمثلا في المقاطعة الثانية من الوجه القبلي  
نلاحظ أن الصقر يحكم الأقليم بصفته الإله « حور » ، وفي الوقت نفسه نجد  
معنى رمز المقاطعة ( عرش حور ) والإلهة « حتحور » تسيطر على المقاطعة  
السابعة ورمزها رأس البقرة . والإله « مين » يقطن المقاطعة التاسعة ، وبينما  
تدل الساعة على هذا الإله فإنه يرمز بها في نفس الوقت للمقاطعة .

وفي المقاطعة السابعة عشرة نجد ( ابن آوى ) يرمز به في آن واحد للإله  
« أنوب » وللعاصمة أيضا . وفي الوجه البحري نشاهد أن السهمين المتقاطعين  
يرمزان للآلهة « نيت » في ( سايس ) بلديتها ويستعملان كذلك رمزا  
للمقاطعتين الرابعة والخامسة . والبطائر « إيس » والآله « تحوت » إله المقاطعة  
الخامسة عشرة ورمزها في نفس الوقت . ففي كل هذه الأحوال نشاهد  
أن رمز المقاطعة قد بقي لنا منذ الأزمان التي قبل التاريخ أو العصر الطيني .



وقد حفظ لنا نظام مدن المقاطعات في الأماكن التي سردناها الإله الذي انتخبته الجماعة الأكثر قدما ؛ أما رمز القبيلة ففي رمز إله المدينة ، وقد أخذ الرمز في وظيفته الجديدة يظهر في هيئة آدمية ، فكان المعبود في العادة يأخذ شكلا آدميا ، وهذا المظهر الجديد يمكن رؤيته بشكل مادي على بعض الآثار الطينية فنشاهد الحيوان الذي يمثل الإله « ست » والذي منح اسم « عش » وقد تحول إلى رجل برأس حيوان يشبه الكلب السلوقي (١) ، ونرى الحية « وزيت » قد صارت صلا برأس إنسان ، وفي ذلك ما يشير إلى أصل هذه الأشكال غير الطبيعية التي تمثل لنا الإله في شكل إنسانى مستخلص من الحيوان القديم الذي كان يعد رمزا للمقاطعة . ولكن هذا الحيوان يكون جزءا من الإله ، أى أن هذا الإله يمثل : إما بجسم إنسان ورأس حيوان أو بالعكس ، وقد بقيت أشكال هذه الآلهة تمثل بهذا الوضع حتى اقترضت الديانة المصرية القديمة من البلاد جملة (١) . فثلاث نجذ (الصقر) مع أنه يمثل وحده الإله « حور » للمقاطعة الثانية . فإنه غالبا يمثل على شكل إنسان برأس صقر . ولكنه في رمز المقاطعة بقى صقرا غصب . وكذلك الطائر « إيس » تحوت إله المقاطعة الخامسة عشرة فإنه يرسم على شكل إنسان برأس الطائر إيس ، وعندما يراد به رمز المقاطعة لا يرسم إلا « إيس » فقط . ونجد في المقاطعة الخامسة الإلهة « نيت » وترسم على شكل امرأة إلهة قابضة في يدها على سهمين في هيئة الصليب وهما الرمز القديم للمقاطعة . والأولى أن نفرض أن هذه الحيوانات وهذه الأشياء قد فقدت مدلولاتها الأصلية

رمز القبيلة صار  
إله المدينة

تصوير الإله

(١) لا نزاع في أن تمثيل الإله بهذا الشكل من اختراع الكهنة حتى يسهل على الإله أن يتسلم من الملك الغرابين أو يسلم عليه . أى أن هذا الشكل للإله قد اخترع للتقريب بين الإنسان ومعبوده بطريقة عملية

في أعين عامة الشعب ولذلك نرى من الصعب جدا أن يتصور دهاء الناس أن الصقر أو الطائر « إيس » الذي يرمز به لهذه المقاطعة أو تلك هو جد القبيلة أو سيدها ، أو رمزها ، ولكنهم في الوقت عينه لا يمكنهم أن يعتبروه رمزا مغنويا ، بل يقدونه الصورة الحية على الأرض للإله أى الحيوان الذي تقص فيه الإله كذا . وكذلك السهان المتقاطعان فإنها يمثلان معبودا ، أو صورة ظاهرة تقص فيها الإلهة أو شكل آخر مادي . ومنذ عهد الأسرة الثانية الطينية حوالى ( ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق م ) نرى الأشكال الإلهية المركبة ( رأس حيوان وجسم إنسان أو بالعكس ) تفسر لنا مجلاء ووضوح انتقال الرمز إلى إله يعبد . ولا يبعد أن يكون هذا التحول نتيجة تغير القبيلة إلى مقاطعة . وكذلك للسبب الذي ذكرناه آنفا . الأمر الثانى : نشاهد لإله العاصمة متيزا عن رمز المقاطعة .

وقد ذكرنا فيما سلف أن بعض الرموز سواء أكانت من عصر ما قبل التاريخ أم من العهد الطينى ، لا توجد فى المقاطعات ، ومن جهة أخرى نرى هنا متناقضات صارخة ، فمثلا فى الوجه القبلى نشاهد أن الصقرين ( رمز المقاطعة الخامسة ) هما للإله « مين » الذى لا يمثل بطائر بل يمثل بإنسان ويرمز له برسم صاعقة ، وكذلك المقاطعة السادسة ويرمز لها بالتمساح فإنها مقاطعة الإلهة « حتحور » ( البقرة ) ثم المقاطعة الخامسة عشرة ويرمز لها بالأرنب البرى مع أنها مقاطعة « إيس » الإله « تحوت » ، وكذلك نلاحظ أن المقاطعتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة يرمز لهما بشجرة « البطم »

الحيوان هو الصورة  
الحية للإله على  
الأرض

كيفية انتقال الرمز  
إلى إله

على أن إله أولاهما هو الذئب « وبوات » وإلهة الثانية البقرة « حتحور »  
 أما المقاطعتان العشرون والحادية والعشرون فيرمز لكل منهما بالنخلة مع أن  
 إله الأولى الكبش « حرشف » وإله الثانية الإله « حور » والكبش « خنوم »  
 وظاهر جدا من كل هذه الأمثلة أنه ليس هناك ارتباط بين رمز المقاطعة  
 وإلهها وبمعنى أوضح « الرمز لا يدل على الشكل الظاهر للمعبود » ، يضاف  
 إلى ذلك أن كلا من الرمز والإله يكتب بشكل مخالف للآخر . وهذا  
 التضارب الصارخ نجده بين رموز المقاطعات وبين الإلهة في الوجه البحرى  
 أيضا ، وعلى هذه الحال نشاهد فيما يقرب من نصف مقاطعات القطر ، إلهين  
 في مقاطعة واحدة أقدمهما يحتمل أن يكون الرمز القديم المحلى وقد فقد  
 مكانته ، ولكنه رغم ذلك بقى رمزا للمقاطعة تقديرا له واحتراما لمكانته وأصبح  
 يقدس كأنه حيوان إلهى أو صنم وقد استمر تقديسه من قيل التقليد  
 وتمسك بأهداب القديم . أما الإله الجديد الذى كان رب العاصمة وسيدها  
 فإنه يظهر على شكل حيوان أو صنم على شكله البشرى . وهذان الصنفان  
 من الآلهة يعيشان على وئام جنبا لجنب رغم أن كل منهما بقى منعزلا عن  
 صاحبه ومميزاً عنه تمام التمييز . ومتون الاهرام تفصل بجلاء بين كل آلهة  
 المقاطعات وكل آلهة المدن .

الرمز لا يدل على  
 الشكل الظاهر  
 للمعبود

والواقع أنه عند ما يختلف إله المقاطعة عن إله العاصمة فإن ذلك فى  
 غلب الأحيان يكون نتيجة تخلى جد أو إله مهزوم عن سيادة الأقليم  
 الفعلية لخلف له ، أو أن الإله الجديد جاء إثر حدوث انقلاب اجتماعى أو

سياسي ، فحل محل إله العاصمة ، ولكن ذلك في الوقت نفسه لم يقض على عبادة الأخير جملة .

وهذه السيادة التي يتمتع بها إله العاصمة على المقاطعة قد توطدت باسم العاصمة . وتفسير ذلك أن كل مدينة عظيمة كان لها اسم متداول لم يكن مدلوله محدوداً بشكل قاطع ، على الأقل لنا ، والأمثلة على ذلك لا تعوزنا مثال ذلك : طينة ؛ و«زبقي» ؛ وساشتب ( شطب الحالية ) واسيوط الخ . وإن كان بعض العلماء قد وضع لها تفسيراً على وجه التقريب ؛ وهذه الأسماء قد حلت محلها سلسلة أسماء مقدسة وذلك بعد أن استقر في كل مدينة آلهة تاريخية . فكانت العاصمة تسمى ( البيت ) « بر » أو القصر « حت » أو المدينة « نوت » أو الهيكل « زبات » أو المحراب « سخم » أو العمود « إيون » أو الصولجان « واست » للإله كذا . وبحاصة نجد أن اسم المبد الكبير للمدينة يتغلب ويطلق على المدينة كلها فيصبح علماً عليها . على أن العواصم في القطر تمت ( بيت ) الإله كذا ؛ مثال ذلك : « بوزريس » معناها « بيت أوزير » ( أبوصير الحالية ) وبواسطه ( تل بسطه الحالي ) معناها بيت الإله « باست » القطة الخ . وهذه الأسماء المقدسة أخذت تطنى شيئاً فشيئاً على الأسماء الأخرى ، وكذلك أسماء المقاطعات ولذلك نرى في عصور مختلفة أن القوم يسمون المقاطعة كلها باسم عاصمتها أي باسم المبد ، وهذه الطريقة أصبحت شائعة الاستعمال بعد احتلال الإغريق لمصر ، ولا يبعد أن يكون القوم الفاتحون من الإغريق قد

عاصمة المقاطعة  
تسمى ( بيت الآله )

المقاطعة كانت تسمى  
باسم العاصمة أي  
باسم المبد

اتخذوا هذه الطريقة قلا عن قلم من المصريين ، أى أن هذه الطريقة كانت قد أدخلت فى التقاليد الإدارية فتطلق على الأقاليم أسماء الحواضر بصقتها ممتلكات للإلهة المصرية ، وقد بحث الإغريق عما يقابل هذه الأسماء فى علم الحرافات الإغريقية وأطلقوها على أسماء المقاطعات : فمثلا المقاطعة الثانية للإله « حور » أطلق عليها : صاحب مدينة « أبولون » ( الأبولونيتى ) . وكذلك سميت المقاطعات « ديسبوليت » ، و « أفرديتوبوليت » ، و « هرموبوليت » نسبة إلى مدينة الإله « زيوس » ( آمون طيبة ) والإلهة « أفرديتى » ( حثور دندره ) و « هرمس » ( تحوت فى الأشمونين ) وهكذا كان آخر حد فى الطغيان الديوى للإلهة المدن على معبودات المقاطعات .

تغيير أسماء المقاطعات  
المصرية بأسماء  
يونانية

وتوجد مدن قد نشأت على أرض بكر ، خلفها تقهر النيل ولم تكن قد استعمرت بقبيلة قديمة ، أو لم يقطنها ( أتباع ) الإله فمثلا نجد عند بداية الدلتا أرضا كانت مغمورة فى الأزمان السالفة بمياه النيل ولكن استردت من النهر بإقامة سد ضخم ، فعلى هذه البقعة يقال إن « مينا » أسس المدينة المسماة ( الجدار الأبيض ) « انب - حز » وهى التى أصبحت فيما بعد « منف » أو « من - نفر » ، قد أطلق على الإقليم المجاور اسم المدينة ودون مثل ( الجدار الأبيض ) على رأس مقاطعات الوجه البحرى .

« مينا » أسس  
الجدار الأبيض  
فيما بعد

على أن الإله « فتاح » الذى كان يسيطر على مقربة من هذه المدينة لم يطلق اسمه لا على المدينة ولا على المقاطعة بل على العكس عندما

الإله « فتاح »

انضم هذا الإله إلى منف وصار يعبد فيها أصبح يوصف هكذا « فتاح في جنوب جداره » أى الإله « فتاح » الذى يوجد معبده خارج جدران المدينة « منف ».

والظاهر أن الحال كانت كذلك بالنسبة للمقاطعة الرابعة فى الوجه القبلى . وذلك أن مدينة ( الصولجان ) ، « واست » ( وهى طيبة فيما بعد ) قد أطلقت اسمها على مقاطعتها ثم إليها « متو » ( إله الحرب ) على مدينة مجاورة وهى « هرمنتس » ( بيت الإله متو ) أرمنت الحالية .

وفى أحوال أخرى تكون المقاطعة قد وجدت لأسباب إدارية ، ولكن كان من الواجب على الإنسان فى هذه الحالة أن يحسب حساب التقاليد الدينية التى كانت مرعية فى البلاد منذ الأجيال المتعاقبة : فمثلا تقل الظواهر على أن المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى لم تكن فى حيز الوجود قبل الأسرات المنفية فلما أنشئت هذه المقاطعة لأسباب إدارية محضة أطلق عليها اسم « تاست » أى أرض الإلهة « ست » وذلك على الرغم من أن مركز هذه الإلهة الأصلى كان فى جزيرة ( سيل ) الواقعة فى جنوب المقاطعة . والخلاصة أنه كان لابد من نسبة المقاطعة الجديدة إلى معبود ما بأى شكل كان محافظة على التقاليد . أما عاصمة هذه المقاطعة فكانت فى « أبو » أى مدينة الفيل ( الفنتين الإغريق ) وربما قد حفظ فى ثنايا هذا الاسم ذكرى قبيلة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ وهى التى نعرف رمزها الحيوانى ( الفيل ) أما الإله الذى أدخل فى

« فتاح » فى معبده  
خارج مدينة « منف »

إنشاء المقاطعة  
لأسباب إدارية

« أبو » فكان الكباش « خنوم » الذى اتخذ « ساتيت » فى جزيرة  
سهيل إلهة خلية . وهذا الترتيب الذى نشاهده فى المقاطعة الأولى نفهم  
من تغييراته ثلاثة عناصر مميزة ويحتمل أن تكون ثلاث مراحل فى تكوين  
المقاطعة وتاريخها كما ذكرنا .

أطوار تكوين  
المقاطعة

## آلة المقاطعات

تكلنا في الفصل السابق عن أصل منشأ المقاطعات وكيفية تدرجها وورقيها من الوجهة الإدارية ، وكذلك تكلنا عن أصل العبادات فيها وتقلباتها في كل مقاطعة . والآن سنتحدث عن آلهة هذه المقاطعات وعن الأسباب التي أدت إلى هديس هذه المعبودات على اختلاف أنواعها بقدر ما تسمح به الأحوال .

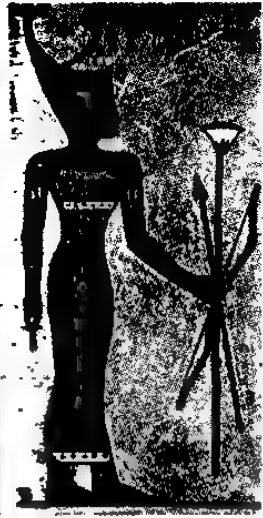
وسنبداً بآلهة الوجه البحرى متبعين مواقع نفوذ كل إله أو إلهة حسب طبيعة الإقليم الذى نشأت فيه تلك العبادات . والحقيقة التى لا مرأى فيها أن الفكرة الدينية الأساسية كانت واحدة في كل أنحاء القطر ، ولكن الخلاف في كيفية عبادة كل إله في كل مقاطعة ، ولذلك لا نكون مغالين إذا قلنا إنه يوجد في مصر على وجه عام ديانات بقدر عدد المقاطعات .

ويجب أن نقرر هنا بادية الأمر أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن يكون اعترافنا بتقسيم الوجه القبلى إلى ٢٢ مقاطعة والوجه البحرى إلى ٢٠ مقاطعة ، كما وصل إلينا من القوائم القديمة المختلفة ، دالاً على أنه كان في مصر في تلك العصور ٤٢ حكومة مستقلة ؛ بل الواقع أن كثيراً من هذه المقاطعات قد نشأ لأسباب إدارية ، هذا إلى أن حدود هذه المقاطعات كانت تتغير حسب العصور ، ولا يمكننا الآن أن نبحث في أصل كل مقاطعة وكيفية نشأتها ، والوثائق لا تعوزنا لهذه البحوث في الوجه القبلى ، ولكنها قليلة هزيلة وغامضة أحياناً بالنسبة للوجه البحرى ، ولذلك سنقتصر في بحثنا في ديانة مقاطعات الوجه البحرى على ما تسمح به الوثائق التى بين أيدينا .

الفكرة الدينية  
واحدة في كل المقاطعات

تقسم مصر إلى  
مقاطعات





الآلهة «نيت» سيدة (سايس)

وأهم المعبودات التي ذاعت عبادتها في غربي  
الدلتا الإلهة « نيت » إذ كانت تقدر في المقاطعتين  
الرابعة والخامسة وكان مقر عبادتها بلدة « سايس »  
صالحجر الحالية وهي عاصمة المقاطعة الخامسة . وقد  
انتشرت عبادة « نيت » في كل البلاد المصرية  
منذ بداية الأسرة الأولى . وكانت الإلهات في  
ذلك الوقت هن الحق في وراثة الملك كما كان  
للرأة في الشرائع الديوية . وقد جاء في النصوص  
القديمة عن هذه الإلهة ما يأتي :

عبادة الآلهة « نيت »  
في المقاطعة الرابعة  
والخامسة

( « نيت » الأم العظيمة للإله « رع » وقد ولدت في الأول . في  
الوقت الذي لم يكن قد ولد فيه أحد ) . وقد أصبحت فيما بعد على رأس الثلاث  
الذي كان يتألف من « أوزير » الزوج في منديس ( تل الربع ) ، ومن ابنيها  
« أرى - حس - نفر » الذي كان يمثل على شكل أسد وديع . وقد قامت بأدوار  
أخرى سنتكلم عنها في حينها . وفي شمالي هاتين المقاطعتين توجد مقاطعة الخطاف (١)

(١) وهناك (بوتو) أخرى ( في الجهة الشرقية ) من الدلتا موقعها الحالي (تل نبيشة) القرية من  
القنطرة وجنوبي تانيس ( وهي عاصمة مقاطعة الخطاف الشرقية التاسعة عشرة ) حسب رأى الأستاذ  
« زيت » على أن هناك بعض المؤرخين يجعل مقاطعة الخطاف الشرقية هي هرونبوليس  
وعاصمتها بتوم (تل المسخوطة الحالي) ومقاطعة الخطاف الغربية هي ميتليس . ولكن يرجح رأى الأستاذ  
« زيت » وقد دلت الاكتشاف الحديثة على أن مقاطعة هرونبوليس لا بد أن يكون موقعها بجوار  
منطقة أبوهاول الحالية إذ كان يعبد فيها الآلهة ( حورون ) الذي كان يمثل أبأهول في عهد  
الحديثة وهو إله فلسطيني على شكل صقر . وقد اختلط بأبأهول لانه كان يمثل في عهد الاس  
الثامنة عشرة وما بعدها بالآله ( حورأختي ) أو ( حرمخيس ) وهو الاسم الذي عرف به أبوهاول  
وتوارثه القوم حتى العصر الإغريقي في مصر . وقد عثر على اسم مدينة «حورن» في منطقة أبي الهول

الغربية ( المقاطعة السادسة <sup>(١)</sup> ) وتشمل بحيرة البرلس ، وسكانها يمتنون  
 صيد الأسماك وعاصمتها بوتو « بر - وزيت » ( إبطو الحالية ) . وموقعها  
 الحالي تل الفراعين ، حيث كانت تعبد إلهة تتقمص ثعباناً ساماً يطلق عليه اسم  
 «وزيت» . وفي الجهة الغربية نجد المقاطعة السادسة عشرة وعاصمتها بلدة «منديس»  
 ( تل الربع ) وكانت تسمى بالمصرية « بر - با - نب - زد » . أى بيت روح  
 سيد « زد » . وهى مقر عبادة إله على شكل تيس يعبد باسم « خنوم » ( غنم )  
 ثم جاء فى العصور المصرية فيما بعد أن الإله « أوزير » كان يتقمص هذا  
 التيس ، ومن ثم أصبح يطلق عليه روح سيد « زد » ، وكذلك يقال إن مومياها  
 كانت مدفونة فى هذه البلدة . ومما يلاحظ أن هذا الإله لم يصور قط على شكل  
 آدمى بل بحجم بشرى ورأس تيس ، وربما كان ذلك دليلاً على أن عباده  
 لم يمكنهم أن يتخلصوا من الفكرة الأولى التى عبدوا بمتضاها هذا الإله .  
 ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه المقاطعة أنه كان يرضى لها باسم إلهة على  
 شكل سمكة الدرفيل «حات - محيت» ، وتقديس هذه السمكة فى تلك الجهة  
 دليل على أنها كانت تدرج فى النيل إلى هذه النقطة ، أى أن الماء المالح الذى  
 تعيش فيه هذه السمكة كان يصل إلى هذه الجهة وتوجد فى دمياط إلى  
 يومنا هذا ؛ وجنوب هذه المقاطعة نجد بلدة « زدو » ( أبوصير ) وهى عاصمة  
 المقاطعة التاسعة وهى مسقط رأس إله النباتات العظيم « أوزير » الذى حل محل  
 إله قديم يدعى «عنزى» ، كما تبثنا متون الاهرام . والإله « أوزير » هذا هو

عبادة « خنوم »  
 ( التيس ) فى المقاطعة  
 السادسة عشرة

سمكة الدرفيل  
 كانت تسمى فى النيل  
 حق تل الربع

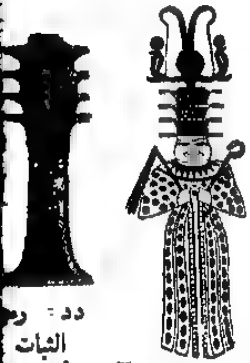
أبو صير موطن عبادة  
 « أوزير » إله النبات

(١) ويطلق على الظن أن مقاطعتى الحطاف الشرقية والغربية قد سميتا بهذا الاسم لانهما فى  
 سوانح يكثر فيها صيد الأسماك الأولى بجوار بحيرة المنزلة والثانية بجوار بحيرة البرلس .

بكر إله الأرض « جب » . ويسكن في أعماق الخصب فيخرج الزرع والأشجار وكل الثمرات المختلفة الألوان . وهذا هو المظهر الذي تتمثل به روحه على سطح الأرض . أما الرمز الذي تنمضه روحه في هذه البلدة فهو جذع شجرة قد شذبت فروعه فأصبح على هيئة وتد ( أنظر الشكل ) . ويرى علماء اللاهوت في هذا الرمز أنه يمثل العمود الفقري لهذا الإله ومن أجل ذلك كان رجال الدين يحتفلون سنوياً بعيد عظيم لإقامة هذا الرمز وجعله منتصباً في المبدئ يرون في ذلك ضماناً للثبات الأبدي للعالم .

عيد إحياء « أوزير »

ولهذا السبب يرمز هذا الرسم في المتوب والتعاويز التي تعمل على شكله إلى معنى الثبات ؛ وعند ما كان يفيض ماء النهر ويطفو على الأراضي ويغطيها ، كان ذلك يسبب غرق الإله الذي يسكن الأعماق ، ولكن زوجته الإلهة « إزيس » والإلهة « نفتيس » كانتا تخلصان جثته من الغرق كما تقول



ددو  
النبات  
( ددو ) رمز الإله « أوزير »  
ببلايس الاحتفال الديني

الأساطير . وبذلك ينتعش « أوزير » ويحيى حياة جديدة بفعول السحر من جهة ، ولأن والده إله الأرض « جب » قد أمر بذلك من جهة أخرى ، ومنذ ذلك العهد « أوزير » عاملاً فعالاً في نمو النباتات وجعلها مشروباً يانعة وهو مع ذلك في أعماق قبره ، ولذلك يعتبر إله النور كما جاء في متون الأهرام . وهذه الأطوار في حياة



الإلهة « نفتيس »

« أوزير » كانت تمثل في احتفال ديني عظيم يفرد لهذا الغرض . فيحتفل فيه بذكرى وفاته وعودته للحياة ثانية . وكان يقام في بلدة العراة المدفونة حيث يقال إن رأسه كان مدفوناً هناك .



وقد جاء في الأساطير أن « أوزير » حكم في سالف الزمان على الأرض ونشر في أرجائها أعماله الطيبة ، ولكن أخاه « ست » الشرير اغتال حياته خلسة في مؤامرة دبرها له هو وأتباعه . ومنذ ذلك العهد

التلوث حوريس و أوزير و إزيس

أصبح مقره الأبدى القبر ، بعد أن جمعت أختاه « إزيس » و « نفتيس » أشلاءه من الأمكنة التي وجدت فيها ، ورغم ذلك فإن هذا الآله الميت أو كما يعبر عن ذلك المصريون ( الذي لا يدق قلبه ) ، يمكن أن يعود إلى الحياة ثانية ويمنح قوة التناسل بمفعول السحر . وقد نتج عن عودته للحياة ثانية أن ولدت له إلهة السماء « إزيس » ابنة ( حور ) ولكن أمه قد هربت به خوفاً من اضطهاد عمه وشروره فذهبت إلى المناقع التي في غرب الدلتا بالقرب من « بتو » . ولما اكتملت رجولة « حور » انتقم لوالده وفتح ثانية مملكته .

وذلك بفضل مساعدة جده « جب » إله الأرض الذي نصبه وارثاً

مؤامرة « ست »  
على قتل أخيه  
« أوزير »

« حور » يحكم بعد  
والده في جبه  
متعددة في مصر

على ملك والده . ولقد كان من نتائج هذا أن أصبح « حور » يعبد في بلدة « بوتو » التي كانت تعد مسقط رأسه وكذلك انتشرت عبادته في مواطن أخرى كثيرة في الدلتا فكان يعبد في « بوتو » بصفته حور



الطفل « حوربوخراد » ، وفي جنوبي تشعب النيل في بلدة « ليتوبوليس » المقاطعة الثانية ( أوسيم ) كان يعبد بصفته كهل « حور الكبير » وكان يعبد في هذه الجهة كأنه أخ للاله « أوزير » وللإله « ست » . وفي المقاطعة العشرين ( الغرب ) عند الحدود الشرقية في منطقة فاقوس ( صفت الحنا ) امتزج الإله « حور » في العصور المتأخرة بالاله المحلي « سبد » سيد الشعوب الأجنبية الشرقية

الاله « حور » بن « زيس » وحاميها . وأصبح يعبد هناك على هيئة صقر جاثم على سرير . وهناك آلهة أخرى كثيرة غير من ذكرنا يرجع منشؤها إلى بلاد الدلتا ، وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ ديانة القوم فيها الإله « تحوت » ( هرمس ) وكان مقر عبادته بلدة هرموبوليس « بحدت » عاصمة المقاطعة الثالثة وهي ( دمنهور الحالية ) ويرى الأستاذ « إدورد مير » أن هناك مقاطعتين باسم هرموبوليس واحدة منها في الشمال الغربي والثانية في الشمال الشرقي من الدلتا ويعتبر الأستاذ « زيته » أن الأولى هي المقاطعة الخامسة عشرة أم الثانية فهي المقاطعة الثالثة ومقرها « بحدت » ( دمنهور الحالية ) . على أن

الاله « تحوت » يعبد في المقاطعتين الثالثة والخامسة عشر من الوجه البحرى

هناك بعض العلماء يظن أن مقاطعة العجل «أيس» هي المقاطعة الثالثة  
ويحمل عاصمتها «أمو» أو «بر - نب - أمو» — (بيت سيد الأمو)  
هذه المقاطعة على الحدود اللوية (١) . وهي أقدم من هرموبوليس  
في الصعيد (الأشمونين) . وكذلك الإله «سبك» (التمساح) الذي  
كان يعبد في منافع غربى الدلتا في بلدة «سايس» ، وكان يطلق عليه  
الإله «نيت» كما ورد في متون أهرام الملك «وناس» آخر ملوك  
الأسرة الخامسة . وقد بقي اسم هذا الإله محفوظاً إلى الآن في أسماء  
بعض القرى المصرية في الدلتا إلى يومنا هذا مثال ذلك (سبك الأحد)  
(سبك الثلاث) . وكان الاعتقاد السائد في هذه الجهات أن هذا الإله  
يأخذ على نمو الثبات على كلتا ضفتي النيل ؛ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن  
التمساح يرى ملقى على شاطئ النهر وينسب إليه خصب الشاطئين . يضاف  
إلى ذلك أنه باعتباره ابن الإله «نيت» التي كانت تعد إلهة مائة أيضاً ،  
يتم يضحك عند ما يحمل ماء الفيضان ، ومن أجل ذلك كان لا حرج في  
تمثيل هذه الإلهة وهي تعطى ثدييها إلى تمساحين دفعة واحدة .

سبب شيوخ عبادة  
البقرات والنيران

(الثور العظيم) يعبد  
في هريط المقاطعة  
الحادية عشرة

ومن الحيوانات التي شاعت عبادتها في الدلتا البقرات والثيران ، وهذا  
هو طبيعي لأن طبيعة أرض هذا الأقليم وخصبه تستدعى وجود هذه  
الحيوانات لحاجة الفلاح لها ؛ فكان الثور يعبد في المقاطعة الحادية عشرة  
عاصمتها «شدنو» (هريط الحالية) وكان يطلق عليه اسم (ثور شدنو العظيم)

وقد كشف حديثاً له عن مدافن في جبانة عظيمة موقعها ( تل أبويسن الحال )  
وتدل الآثار التي كشفت على أن هذا المكان كان مدفناً للعجول والطيور التي  
كانت تقدر في هذه الجهة وبخاصة الصقر الذي وجد منه عدد عظيم محط  
ومدفون في مكان خاص بعناية زائدة وكثرة عظيمة وربما كان من آثار  
عبادة الصقر في هذه الجهة بقاء ذكره في بلدة ( كفر صقر ) القرية من  
قرية أبويسن هذه . وتدل مدافن هذا النوع من العجول على أنه كانت  
معتنى به كثيراً في العصور المتأخرة حوالى الأسرة الثلاثين ، والنقوش التي  
وجدت على توابيت هذه العجول ليس لها مثيل في تاريخ الديانة المصرية  
وخاصة أنها تكشف لنا عن صفحة جديدة في منازل القمر وأوجه وعبادة  
في هذا العصر ، أما في المقاطعة العاشرة فكان الثور يعبد فيها قديماً على  
يظهر باسم الثور الأسود . وقد بقي الثور رمزاً على اسم المقاطعة وعاصمتها  
« أتريب » ( تل أتريب ) وهو بنها الحالية ( ١ ) . أما في منطقة منف  
فكان يعبد بصفته العجل « حابي » أي ( أيس ) والظاهر أن تقديسه كان  
قديماً ولكن عبادته لم تتم إلا فيما بعد .

أهمية النقوش التي  
كشفت حديثاً في  
أبي يس

الثور يعبد في المقاطعة  
العاشرة ( بن قديماً )  
وإلى منف ( ميت رهينة )

البحرات تنقص شجرة  
الجزير ولذلك أصبحت  
الجزيرة مقدسة

أما البقرات فكانت تعبد في منطقة « منف » ( البدرشين ) وتقصص  
روحها شجرة الجزير .

وكانت الجزيرة في هذه الجهة تسمى شجرة جزيرة الجنوب . وكان

( ١ ) وكان يعبد فيها الآله « حور » وبنمت « حور — خنتي — خت » أي حور الذي يشر  
على الجسم ( الآله ) والظاهر أنه كان يعبد في هذه الجهة ( ثلاث ) يتكون من الثور الابن  
بصفته الاب والبقرة السوداء الام والابن هو « حور خنتي خاني »

عندئذ جسم الإلهة «حتحور» (البقرة) الحى على الأرض. وكانت الإلهة سم نسي سيدة شجرة الخبز الجنوبية.



تنوى وزوجه أمام شجرة الخبز ووسطها الآلهة «نوت» يتقبلان الخبز والماء للحياة الأخرى .  
وكثيراً ما يشاهد على الآثار المصرية رسم شجرة الخبز والآلهة مظلة من  
عصانها على شكل امرأة ويدها أبريق تصب منه الماء للسابلة والأموات  
في وسط الجبانة . وقد بقي احترام الخبزة باقياً للآن إذ تزرع بجوار المقابر  
ينظّل بفيثا وتروى ظلاً الأموات كما هو الاعتقاد السائد الآن بين عامة  
القب وبعيد قطعها من الأمور المحرمة ، أما في المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها  
«زبات - ثر» (سمنود الحالية) ومعناها معبد الإله فكان يعبد فيها  
إله «أونوريس» (انخور) فكان يمثل إله الشمس في شكل إنسانى

عبادة الآله «أتحور»  
في سمنود



« أوزير » مخطئاً ويقال في الأساطير أنه هو الذى أحضر عين الشمس من بلاد النوبة، وقد حل محل الإله « شو » إله الهواء فى أماكن مختلفة ، والظاهر أن عبادته كانت حديثة فى هذه الجهة .



مزارع يقدم القران إلى  
شجرة الجيز

أما أعظم الآلهة المحلية التى كانت تعبد فى الدلتا فهو الإله « آتوم » الإله الخفى للمقاطعة الثالثة عشرة ومقرها عين شمس . والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن أصل نشأة هذا الإله لأن الكبة وحده مع الإله « رع » ملك الكون . وكان يمثل « آتوم » عبادة الآلهة (آتوم) أو « تم » فى شكل حيوان يشبه (فار فرعون) الخالى لأنه كما جاء فى الأساطير كان يتلع الثعبان الذى يريد أن يقض على « آتوم » ( الشمس عند الغروب ) ويبتلعها عند غروب الشمس . والحقيقة أن هذا

الحيوان لا يظهر إلا عند الغروب ويسطو على الثعابين . وكذلك كل من يمثل على شكل رجل متوج يحمل شارات الملك ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه ملك الآلهة . أما عند كانوا يمثلون « رع » إله الشمس



مركب الشمس فى طريقها الى الغرب

فكانوا يرون فيه قرص الشمس الأحمر الذى يسبح فى السماء فى سفينة .  
وقد كان الخيال المصري أحيانا يصوره فى صورة غريبة فكان فى  
إحدى الجهات يمثل إله الشمس على هيئة « جل » تلك الحشرة التى  
يخرج أمامها قرص الشمس فى أنحاء السماء كما يدحرج الجمل الأرضى  
• كور الروث » التى تشتمل على بويضاته وتلد نفسها بنفسها دون أن  
تحتاج إلى أنثى . وفى جهة أخرى تمثل الشمس على هيئة عجل من الذهب  
ولهته إلهة السماء . وفى خلال النهار يكبر ويصبح ثورا ويسى « كاموتف »  
فى ثور أمه لأنه يلقح البقرة لأجل أن تضع شمساً جديدة لليوم التالى .  
أما إذا مثل الإنسان السماء على هيئة امرأة فإنها تلد الشمس على  
هيئة طفل يكبر كذلك خلال النهار ليغيب فى السماء كرجل مسن فى  
عالم الآخرة ، وتمثل الشمس على هيئة رجل مسن كان يعبد بصفته (آتوم)  
فى عين شمس . أما الجمل « خبرى » فكان يعتبر شمس الضحى .  
وهكذا كان يفرق القوم بين مظاهر الشمس الثلاثة : « خبرى » فى  
الصباح و « رع » وقت الظهيرة و « آتوم » عند الغروب على أن هذا  
الترتيب لم يكن متبعاً بصفة قاطعة فى كل الجهات .

وعندما تترك الدلتا صاعدين فى النيل فأول ما يواجهنا منطقة « منف »

فى فى المقاطعة الأولى للوجه البحرى ونجد فيها عدة آلهة تعبد جنباً لجنب  
ونخص بالذكر منها : أولا الإله « سقر » ومنه اشتق اسم بلدة (سقارة) ،  
وهو إله كان يمثل على شكل إنسان يحمل رأس صقر ، ويعبد إلهها الموتى

الآله « رع » إله  
الشمس ومظاهره  
المختلفة

الآله « سقر » إله  
الجبانة فى « منف »  
ومنه اسم (سقارة)

وذلك لأن اسم المنطقة أو الجبابة التي كان يسيطر عليها، كانت تعتبر في نظر المصريين الباب الذي يؤدي إلى الآخرة «رؤستاو».. ثانياً الإله «فاتح» «تاتنت» ومعناه الأرض التي ترفع ويعد مظهرًا من صور الإله «فاتح» الذي كان يعتبر من أهم معبودات هذه الجهة أيضاً وكان يمثل علي هيئة رجل مزفل في اللثاف كأنه مومياء برأس صلعاء عارية عن كل لباس وليس في حالته وشكله ما يشير إلى وظيفته أو هو في الحقيقة يمثل إله الفن والنحت، واليه ينسب خلق العالم. وكان ينعت «فاتح» بصاحب الوجه الجميل. ثالثاً: العجل «أيس» كما ذكرنا كان يعبد في هذه الجهة ولكن أهميته لم تصبح ذات شأن إلا عندما صارت «منف» عاصمة الدولة ومن المدهش أن هذا العجل كان يحفظ في معبد الإله فاتح مع أنه ليس هناك أية علاقة تربطها اللهم إلا في عهد الدولة الحديثة إذ كان القوم وقتئذ يعتقدون أن روح الإله فاتح قد تقمصته.

الإله «تاتنت»  
مظهر من مظاهر  
الإله «فاتح»  
آله الفن والجمال

العجل «أيس»  
تقمصه روح الإله  
«فاتح» في الدولة  
الحديثة

وأول ما يواجهنا في طريقنا من مقاطعات الوجه القبلي المقاطعة الثانية والعشرون وعاصمتها «بر-حت» (بيت البقرة) وموقعها إطفيح الحالية، وقد أطلق عليها اليونان «أفروديتو بوليس» الشمال. وكانت البقرة تعبد في هذه الجهة بصفتها إلهة السماء وعلى الضفة اليسرى توجد مقاطعة النخيل العليا وهي المقاطعة العشرون وعاصمتها «هراكليو بوليس» (إهناس المدينة الحالية) وفيها معبد للإله «حرشف» (الذي على بحيرته) وتقمص روحه كبشا. وكان عباده يعتقدون فيه أنه إله عالمي وأن عينيه هما الشمس والقمر، ومن أنفه

عبادة البقرة في  
(إطفيح)

عبادة الإله «حرشف»  
في (إهناس)



الآلهة «نوت» تمثل السماء يرثها الآلهة «شو»

يخرج الهواء ؛ أما اسمه الذى على بحيرته فتفسيره أن معبده يوجد عند مدخل  
فيوم حيث توجد بحيرة . أما المقاطعة الحادية والعشرون وتسمى مقاطعة  
النخيل السفلى ) فهي واحة الفيوم نفسها التى سكنها المصريون منذ فجر  
التاريخ وعاصمتها « شدت » ( الفيوم الحالية ) وكان يعبد فيها الإله « سبك »  
الذى يمثل على شكل تمساح وقد أقيم له معبد آخر عظيم فى بلدة  
« أمبوس » ( كوم أمبو الحالية ) . وفى هذه الجهة كانت يحتفل كل عام  
بفيضان النيل وهو فى الواقع إله الماء . وهذا هو السبب الذى من أجله  
قد مثل فى لوحة نائماً على قضيب من الرمل فى مقصورة صغيرة شأن  
كل الآلهة المقدسة التى يجب أن تحترم فى كل مكان على النيل . ولقد  
يلج من احترام هذا الإله عند اتباعه أن وصفوه « بجميل الوجه » ، على

عبادة التمساح فى  
الفيوم

أن الدافع الحقيقي لعبادة هذا الإله في الأصل هو الخوف أو الفزع مما عساه أن يحدثه هذا الحيوان الجبار من الضرر بالإنسان . وبعد إقليم الفيوم جنوباً يواجه الإنسان إقليماً عظيماً يمتد من الوادي إلى سفح الجبل الشرقى المتاخم للنهر ويشمل ثلاث مقاطعات ، الأولى مقاطعة « سبا » وهي الثامنة عشرة والثانية مقاطعة « كينوبوليس » وهي المقاطعة السابعة عشرة . أما المقاطعة الثالثة فيطلق عليها جبل الثعبان وهي المقاطعة الثانية عشرة وعاصمتها ( هيراكنبوليس ) ( بلدة الإله حور ) ثم « انتيوبوليس » وموقعها « قاوا الكبيرة » الحالية . وفي هذه المنطقة تسود عبادة الإله « أنويس » وبخاصة في المقاطعة السابعة عشرة ، وفي مقاطعة جبل الثعبان ( ١٢ ) كان يعبد الإله « حور » وإلهة على هيئة لبؤة تسمى « ميتيت » وهي أم الإله « حور » أي أنها هنا تمثل الإلهة « إزيس » .

عبادة « أنويس »  
في المقاطعة الثانية  
عشرة

وكانت عبادة الإله « أنويس » الذي يمثل على شكل ابن آوى عظيمة في هذه المنطقة ، وذلك لأنه في بادئ الأمر كان يعبد رهبة وخوفاً منه ؛ إذ أن هذا الحيوان كان بطبعه يحوم ليلاً على حافة الصحراء بالقرب من الجبال فكان القوم يخافون منه على أجسام موتاهم ، ولكن الكهنة فيما بعد ألبسوا عبادته ثوباً آخر وأصبح يعبد بصفته حامى الموتى والمشرف على تخطيطهم وإعداد جنازهم ، ومن المحتمل أنه أخذ هذا المركز في العبادة بسبب الدور الذى لعبه في أسطورة الإله « أوزير » إذ هو الذى قام بتخطيطه وإقامة شعائره الدينية وبخاصة عند تمثيل عيد إحيائه .

سبب عبادة  
« أنويس »



الاله « أنوبيس » يشرف على تحنيط جثة « أوزير »

وبين المقاطعتين السابعة عشرة والثانية عشرة على الضفة اليسرى للنيل المقاطعة السادسة عشرة (مقاطعة المهي) وعاصمتها «جنو» (زاوية نيتين الحالية) ، والمقاطعة الخامسة عشرة ويطلق عليها اسم «هرموبوليس» وعاصمتها (الأشمونين الحالية) . وكان يعبد في المقاطعة الأولى الإله «حور» قاهر «ست» ولذلك كان يمثل «حور» ممتطياً ظهر غزال وهو الحيوان الذي كان يتمصه الإله «ست» وكذلك

الاله « حور »  
يعبد في المقاطعة  
السابعة عشرة



كانت تعبد آلهة أخرى في هذه

المقاطعة منها الإله «خنوم» وكان

يمثل على هيئة كبش ، والإلهة

« حكت » ( الضفدعة ) والإلهة

« حثحور » والإلهة « باخت » ،

وكانت تمثل على شكل لبوة

مفترسة . أما في المقاطعة الخامسة

عشرة فكان يعبد الإله « تحوت »

الذى كان يمثل على شكل الطائر

« إيس » . وهو إله العلم والمواقيت

النخ . وقبلالة المقاطعة الثانية عشرة

مقاطعتا ( شجرة البطم <sup>١</sup> ) وهما الثالثة عشرة « ليكوبوليس » وعاصمتها

( أسيوط الحالية ) ، والرابعة عشرة وعاصمتها « جسا » وهى ( قوص الحالية )

وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة موطن عبادة الإله المحارب « وبوات »

ويعتقد حيواناً أصبح من المحقق أنه الذئب . ومعنى « وبوات » قاتل

الطريق . وهذا الإله يعبد كذلك فى العراية المدفونة فى مقاطعة طية

( الثامنة ) وقد لعب هذا الإله دوراً فى أسطورة « أوزير » فى الحرب

التي شنها على خصمه « ست » . ويلاحظ عند تصوير هذا الإله على

الآلهة « خنوم »

و « حكت »

و « حثحور »

الآله « تحوت »

يعبد فى المقاطعة

الخامسة عشرة

الآله « وبوات »

يعبد فى أسيوط

عاصمة المقاطعة

الثالثة عشرة

(١) الشجر الذى يستخرج منه زيت النفض.



الآلهة « باخت »

القراءة وأوجه  
الشبه التي بين  
الآله « وبوات »  
والآله « أنوبيس »



الآله « ست »

لآثار أنه يرسم مزدوجاً أى أن صورته كانت  
ترسم مرتين كل منها مواجهة للأخرى ، وكان  
يشمل كل منهما ومعه دبوس حرب وقوس ، وكانا  
ينعتان بأنهما مسلحان بسهام ... وأعظم انتصاراً  
وأشد قوة من الآلهة وقد أطلق على هذا الآله  
فتح مصر المنتصر ، ولهذا السبب كان يحمل  
أمام الملك علم عليه صورة الآله « وبوات »  
ليفتح له الطريق في وسط الأعداء ، ولا نزاع في  
أن قرب الآله « أنوبيس » والآله « وبوات »

من بعضهما في المكان والعصية لدليل ظاهر على  
وحدة هذه المقاطعات في الأزمان السالفة ، ولا غرابة  
في ذلك فإن كلا منهما كان لا يحى في الحقيقة  
الأحياء من أهل المقاطعة التي يعيش فيها معهم فحسب ،  
على كان يحى الأموات أيضاً ، فنجد أن « وبوات »  
يفتح الطريق في ديار الأرواح كما أن « أنوبيس »  
يمنحهم جنازاً فخماً وحياة سعيدة في عالم الغرب

( الأموات ) . ومما سبق يمكننا أن نلاحظ بكل وضوح الفكرة الأولى  
عن عالم الآخرة عند المصريين ، وهى أنه بعد أن يموت الإنسان تذهب  
روحه لتنضم إلى الآلهة الذين كانوا حماه على الأرض ، وأن هذه الأرواح

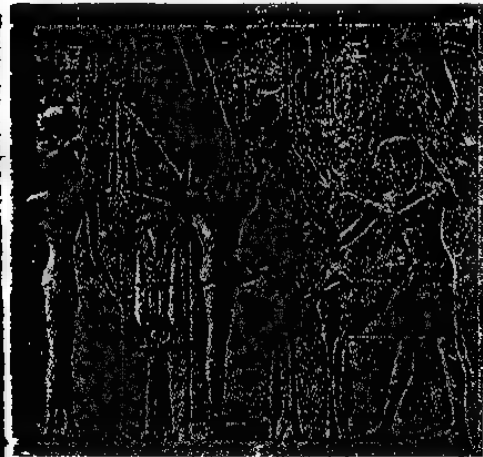


كانت متمصة شكلا حيوانياً يظهر الآلهة في هيئة للناس ويعيشون متمصينها في وسطهم . على أننا نجد مثالا مثلها لما ذكرنا في الإقليم الذي يضم المقاطعة التاسعة وعاصمتها « أبو » ( إخم الحالية ) والمقاطعة الخامسة الملاصقة لها وعاصمتها ( قفط ) . ففي هاتين المقاطعتين كان يعبد الإله « مين » رب القوة التناسلية والخصب في مصر ويرمز له برسم الصاعقة . وقد عثر منذ أزمان سحيقة على صور لهذا الإله من الحجر في ( قفط ) وهو ممثل على شكل ضم ضخم له رأس ملتحية وقناة تناسلية قد استقامت كأنها تلقح . ثم مثل فيما بعد على شكل إنسان يلوح في يده اليمنى زخعة ويلبس على رأسه ريشتين عظيمتين . وبجوار هذا الإله كان يعبد الإله « آمون » في بلدة طيبة في المقاطعة الرابعة ؛ وقد عثر له على أشكال عدة ممثلاً بمضو

الآله « مين » يعبد في المقاطعتين التاسعة والخامسة

الآله « آمون » يعبد في طيبة

التذكير المستقيم وكان كذلك يعبد على شكل كبش في كثير من معابد القطر ، كما كان يمثل على شكل إنسان يحمل ريشتين عظيمتين . ولا شك في أنه كانت توجد عصبية بين هذين الآلهين



لما بينهما من أوجه الشبه العدة . الآله « آمون رع » ممثل على شكل الآله « مين » معبود ( قفط ) أما على الشاطئ الأيسر للنيل في المنطقة الواقعة بين قفط والعراة

فكانت تقع المقاطعتان السادسة والسابعة . وكانت العبادة السائدة فيها لإلهة عظيمة تنقص بقرة يطلق عليها اسم « حتحور » ( دندرة ) وتعتبر إلهة السماء . والواقع أن إلهة السماء كانت « نوت » ولم تكن عبادتها منتشرة تماما . أما عبادة « حتحور » ( بيت حور ) فكانت على العكس ذات أهمية عظمى . ولا نزاع في أن اسمها يشير إلى الفكرة القديمة وهي أنها سكن « حور » صقر السماء ؛ على حين أن صورتها تحمل من البقرة قرنيها وأذنيها . وأحيانا ترسم رأسها على هيئة رأس بقرة حقيقية . وتنسب للبقرة اسمالوية . والواقع أن « حتحور » قد فقدت صفاتها الأصلية تدريجيا . إذ لم

فهم على وجه التحقيق الشئ .  
الذى تحمله البقرة بين قرنيها .  
هل هو الشمس أو كما يعبر  
عنه المصريون أنفسهم عين  
الشمس ؟ على أن  
المصريين كانوا يسمونها عين  
الشمس ، وهو الوصف المعتاد  
الذى كانت توصف به .  
وكذلك نجد أنها قد تخلت  
دائما عن مرتبتها الأولى بين  
الإلهات ، وقد أصبحت فيما



البقرة « حتحور » سيدة السماء

« حتحور » إلهة  
السماء

« حتحور » إلهة  
الغرب

« حتحور » إلهة  
الحب والطرب  
والجمال

بعد تسمى إلهة الغرب ، وذلك لأنه كان يعتقد أنها تقف بجانب الجبل الغربي وتسمح للشمس وللأموات عند الغروب بأن يدخلوا في الأقاليم السفلية ( عالم الأموات ) ؛ وكذلك أصبحت تدعى إلهة الحب والآلهة المرحبة الطروب بين النساء ، ومن أجل ذلك كن يسميها « الذهبية » ، ولم يخطئ اليونان عند ما سموها باسم إلهتهم « افروديت » ومن أجل ذلك نجد أن النسوة كن يخدمنها ويحتفلن بها بإقامة حفلات الرقص والغناء والعب على الصاجات والشخشة بقللدهن ، وبالعرز على الدفوف . ولها أدوار أخرى سيأتى ذكرها عند المناسبات . وفي المقاطعة الثالثة « هيراكنبوليس » وعاصمتها « نخب » ( الكاب ) الحالية ، ثم إننا فيما بعد ، كانت تعبد إلهة على هيئة أنثى نسر ضخمة تسمى « نخب » والحقيقة أن اسم هذه الإلهة ليس « نخب » بل اسمها نسبة من البلد الذى عبدت فيه « نخب » وهى العاصمة القديمة للوجه القبلى . وكانت الحامية لرب هذه الجهة وتحلق فوق رأسه ولذلك كان يوضع رسمها على تاج



الآلهة « عنقت »

الملوك والملكات .

أما في المقاطعة الأولى « الفتين » ( أسوان الحالية ) الواقعة عند الحدود الجنوبية للقطر المصرى ، فكان يعبد فيها غير الإله « سبك » سيدة

« أمبوس » إله آخر يدعى « خنوم » كان يتمص كبشا في معابد  
الفتنين وكان يعبد بجانبه كذلك الإلهتان « ساتيت »<sup>(١)</sup> و « عفت » (ص. ٢٠٨)  
في جزر الشلال .

وكان يتكون من  
الثلاثة ثلوث هذه  
الجهة غير أنه في  
هذه الحالة كان  
الإله خنوم  
متزوجا من اثنتين  
بدلا من الأب  
والأم والابن .

وكان الإله  
« خنوم » يعد أنه  
الإله الذى يخلق  
الإنسان ويصوره  
كالإله فتاح في  
منف ، وكان



آلهة « سات » تقدم الفرعون امينوفيس الثالث الى الآله « خنوم »

(١) وهذه الآلهة « ساتيت » كانت تعرف باسم « حكات » وهى الضفدعة التى يعتقد المصريون  
تخلق من طين النيل الذى تركه الفيضان ولذلك كانت رمزا للبعث وقد نقلت هذه الفكرة  
معتقدات مسيحية مصر ، ولهذا السبب نجدتها كثيرا ممثلة على مصابيحهم .

يسوى المخلوقات على عجلة كصانع الفخار فيكان كل طفل يولد  
من صنع يده وإليه ينسب حسن تركيب أجسام المواليد ، ولكن  
يعرف كذلك بأنه رب الماء العذب (١) الذى ينبع من هذه البقعة ولكن  
يعتقد المصريون أن حدود بلادهم جنوباً تنتهى عند هذه النقطة بل والملا  
كله كذلك ، ولذلك ظنوا أن النيل ينبع من هذه البقعة .

ومما يسترعى النظر من بين معابد هذه الآلهة المنتشرة فى الوجه القبلى  
معابد الإلهين « حور » و « ست » ، إذ كانت لها أهمية عظيمة فى طول  
البلاد وعرضها . وهنا يجب أن تنبه الأذهان إلى أن هذين الإلهين لم تكن  
لها علاقة فى الأصل بالآله أوزير أو الآله « ست » بل فى الحقيقة  
كانا أخوين متخاصمين . فكان « ست » يمثل الظلمة الدامسة والهلاك ، على  
حين أن الآله « حور » كان يمثل النور الذى يسطع بين نجوم السماء  
ويخلق فى الفضاء على هيئة صقر عينا الشمس والقمر . وهو يقوم بحرب  
أبدية ، على الآله « ست » دون أن تسفر انتصاراته المتوالية عن القضاء  
على خصمه . وعندما يحدث خسوف القمر يرى المصريون فى ذلك أن  
الآله « ست » قد اقتلع عين « حور » غير أن الأخير ينتقم لنفسه بابتزاع  
خصيقتى عدوه ، ثم ينزل الآله « حور » بعدوه « ست » هزائم دموية ،  
ثم نطالعا الأساطير بعد ذلك بأن الآله « تحوت » إله الأشمونين (هرمس)

المعصم بين « حور »  
و « ست »

(١) والعلاقة بين جهتي « خنوم » التى تمثلها أحدهما صانعا الخلق من طين مثل صانع الفخار ،  
ومثله الأخرى ربا للماء ، أن صانع الفخار لا يستطيع أن يقوم بمهنته إلا فى الأماكن التى يفيض فيها  
الماء على الأرض ويترك الطينة لينة قابلة للتشكيل والتصوير وبذلك يكن أن تنشر صناعته وتكثر  
وبخاصة فى إقليم فيه طين النيل والطفل كثير لصنع كل أنواع الفخار الجليل .

يظهر في هذه الآونة على المسرح ممثلاً إله القمر ويشفى جروح المتخاصمين ؛ ومن ثم يذهب كل منهما ليحكم في ملكه فيقسم وادى النيل بينهما فيكون الوادى الخصيب من نصيب الآله « حور » ، أما الصحراء القاحلة ( الأرض الحمراء ) فتقع من نصيب الآله « ست » . ويتصل بهذه الأساطير التي نجدتها مذكورة بصور مختلفة في تاريخ الديانة حسب المذاهب ؛ بعض قط ترجع بها إلى العبادات المحلية كما سبق وأشرنا إليه في أساطير الدلتا وبخاصة ما يشير منها إلى الآله « حور » الذى نشأ في منافع الوجه البحرى وتدل الأحوال على أنه كان في الأصل صقراً . ولا نزاع في أن مثل هذه الأمور العرضية التي تظهر في ديانة المقاطعات ، نلاحظ أن صفة الأسطورة العالية تمتحى تماماً أمام ما ينسب إلى الآلهة المحلية في هذه المقاطعة أو تلك ، لأن القوم كانوا فيها يعتبرون إلههم المحلى أعظم الآلهة . على أن هناك حقيقة يمكن استخلاصها بكل جلاء ووضوح ، وهى أن الآله « ست » منذ فجر التاريخ كان يعد بين الآلهة الرئيسية التي كانت تحبس في الصعيد . وكانت عاصمته بوجه خاص هى بلدة « امبوس » الواقعة قبالة قفط ، بين جبانة نقادة القديمة وقرية البلاص الحالية أى أنها كانت موجودة في قلب أقدم مدينة مصرية . وكان يلقب في هذه الجهة رب بلاد الجنوبية ويعبد على هيئة حيوان خرافى لا وجود له في مصر ، ويحتمل أنه هو العقاب الذى عثر عليه في أعلى نهر الكنفو ، ولا يبعد أنه كان من حيوانات مصر في ذلك العهد ثم تدهور . وكذلك كانت عبادته منتشرة .

الاسم « ست »

من الآلهة الرئيسية  
التي تعبد في الصعيد

في المقاطعتين الحادية عشرة والثامنة عشرة . وعاصمة الأولى « شحطب »  
 ( شطب الحالية ) والثانية مقاطعة « أكمرنكس » ( البهنسة ) جنوبي مقاطعة  
 « إهناس » . وكان الحيوان المقدس في هذه الجهة سمكة ذات فم مدبب ( القنومة ) .  
 أما الإله « حور » فكان مقره أدفو عاصمة المقاطعة الثانية . وكان  
 الصقر يمثل إله الشمس وصار يرمز له بقرص الشمس ذات الجناحين القويين ،  
 ويتدلى من كلا جانبيه « صل » ( ثعبان ) وكان القوم يعتقدون أنه يولد كل  
 يوم في الأفق ثم يتوالد بنفسه من جديد في رحم أخته وزوجته « برة دندرة »  
 التي تحولت إلى إلهة السماء ومن أجل ذلك أطلق عليها اسم « حتحور »  
 ومعناه بيت الإله « حور » أي الشمس ، ولذلك كان يرسم قرص الشمس  
 ناشرا جناحين عظيمين تذكرا لأصل الفكرة . على أن اتشار عبادة « حور »  
 لم تقف عند هذا الحد بل كانت أعظم شأنًا من ذلك . إذ نجدها سائدة  
 في المدينة التي ستصير فيما بعد العاصمة الملكية « نخن » ( الكوم الأحمر ) ،  
 وتقع على الضفة الغربية من النيل قبالة مدينة الكاب « نخب » ، بل وفي  
 المقاطعة الخامسة التي عاصمتها « قفط » وقد رمز لها بصقرين . وكذلك  
 في مقاطعة . المهى « السادسة عشرة » وفي مقاطعة جبل « الثعبان »  
 ( ١٢ ) . ولا جدال في أن نفوذ هذا الإله قد امتد إلى هذه الدرجة  
 لأسباب سياسية ، إذ الحقيقة أن الإله « حور » مدين بآتشار عبادته في الوجه  
 القبلي لغزو هذه البلاد وفتحها على يد أتباع « حور » . وتدل الأحوال  
 على أن مقر هذا الإله الأصلي بلدة « بوتو » ابطو ( تل الفراعين الحالية )

الآله « حور »  
 يعبد في المقاطعة  
 الثانية ويرمز له  
 بقرص الشمس المجنح

الآله « حور » يعبد  
 في المقاطعات  
 ٣ وه و ١٢ و ١٦

بلدة « بوتو »  
 مقر الآله « حور »

وأطلالها بالوجه البحرى ، بالقرب من دسوق ومن المحتمل أن عبادته قد  
 نقلت فى هذه الفترة إلى الوجه القبلى ، وذلك لأن « حور » كان إله  
 الهولة ، ثم توحد فيما بعد مع الإله المحلى لأدفو واسمه « حور » أيضا ، وقد  
 تكلمنا عنه من قبل . وقد حدثت تغيرات وحوادث مثل هذه فى أمر  
 انتشار عبادة الإله « ست » فى الوجه القبلى غير أن المصادر تعوزنا للوقوف  
 على حقيقتها . ولا شك فى أن كيفية عبادة هذين الإلهين قد حدث  
 فيها تغير وتحوير وذلك يرجع إلى أن عباد « حور » قد انقسموا فى  
 الوجهين القبلى والبحرى ، ومنذ ذلك العهد أخذت الأساطير الشكل الذى  
 عرفناه فيما بعد . ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حدث مثل هذه  
 الحال فى أمر الإله « ست » ، فتكون عبادته قد نقلت إلى الدلتا ،  
 ولم يكن معروفا من قبل فيها إلا بالدور الذى لعبه فى قصة « أوزير » ؛  
 ولم تكن له فى الدلتا أية عبادة خاصة قائمة بذاتها . وقد دلت الأبحاث  
 الحديثة على أن الإله « ست » كان يعبد فى الدلتا منذ الأسرة الرابعة ،  
 ولا يبعد أنه كان يعبد فيها من قبل فى نفس الأقليم الذى يحمل فى  
 ثمايه اسمه « سوتريت » وموقعه الآن بالقرب من بلدة « تانيس » ( صان الحالية )

انتشار عبادة « حور »  
 فى الوجهين القبلى  
 والبحرى

عبادة الإله « ست »  
 فى الدلتا



## نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية

تكلمنا فيما سبق عن أصل المقاطعات وكذلك بحثنا فى موضوع بعض الآلهة التى كانت تعبد فيها ببعض الاختصار . والآن نعود فتكلم عن الديانة المصرية عامة وعلاقتها بعبادة آلهة المقاطعات ؛ إذ فى الواقع نجد أن ديانة القوم أساسها ديانات المقاطعات المختلفة ، وذلك أمر بديهي لأن القطر كان يتألف من وحداتها . ولا جدال فى أن كل إله كانت له منطقة نفوذ ثابتة محدودة فى بادئ الأمر ، وكان سلطانه فيها هو السائد . وكان كل إله مقاطعة يطلق عليه فى معبده أو مدينته اسم رب المعبد أو رب المدينة حسب الأحوال . ومن ذلك يتضح لنا أنه لم تكن المنطقة التى يسيطر عليها الإله تتألف من قبيلة ذات عصبية واحدة بل من أهل المنطقة التى كان يوجد فيها هذا الإله ومن يحتمون فى سلطانه . وبجانب هذه الآلهة الرئيسية عدد عظيم فى كل مكان من الآلهة الأخرى ذات الأهمية النسبية غير أنها كانت تشاطر الإله الأعظم العبادة بصفقتها إما زوجة له أو ابناً ؛ وأحياناً كان لها عبادة مستقلة وسلطان ، وسنذكر هنا بعض الأمثلة مؤثرين أكثرها أهمية وأرفعها مقاماً فى منطقة العراية مثلاً نجد الآلهة « حكت » التى كانت تقمص صفدعة لها أهمية عظيمة بصفقتها إلهة السحر وإلهة الولادة والبعث . إذ كان يعتقد أنها تحضر ولادة الشمس كل يوم على رأى أحد المذاهب الدينية . وفى المقاطعة الثانية عشرة كان

ديانات المقاطعات  
أساس الديانة المصرية

إله المقاطعة يسمى  
« رب »

الآلهة الثانوية فى  
للمقاطعات ووظائفها

الصفدعة تمثل الآلهة  
« حكت » إلهة  
الولادة والبعث

يعد الطائر مالك الحزين الذي سماه اليونان « الفنكس » واسمه بالمصرية « بنو » . وكان مقر عبادته وتقديسه « عين شمس » وكهنة هذه الجهة كانوا يرون فيه إما الإله « أوزير » أو روح الإله « رع » . والفكرة الأخيرة كانت السائدة في عين شمس ، وما نعلمه عن هذا الإله على وجه التحقيق أنه يلد على شجرة في معبد عين شمس ، ومن المحتمل أنها شجرة القديمة المقدسة التي كان الآلهة يكتبون على أوراقها أسماء الملوك تخليداً لذكراهم ويقال إن الشجرة التي تزار الآن بجهة « عين شمس » هي من نسل هذه الشجرة المقدسة . وكذلك نجد في طيبة الإلهة العظيمة « موت ورت » أى الأم العظيمة وتقدس بصفتها زوجة للإله آمون وكذلك نجد « خنسو » ( القمر وهو ابن موت وآمون ) . ومنهم جميعاً تحت ثلاث طيبة يضاف إلى هذا إله الحرب « متو » وكان يعبد في هذه الجهة وأصبح له شأن عظيم في التاريخ المصرى . وكان في هذه الجهة كذلك إلهة على هيئة جاموس البحر ( توريس ) . ويعتقد أنها للإلهة التي تساعد الحامل على الوضع وربما كان هذا هو السبب في تصويرها بهيئة تشعربذلك . وفي أماكن أخرى نجد الإلهة « سلكت » التي كان من وظائفها المحافظة على أحشاء المتوفى وترسم على شكل امرأة رقيقة عقرب . وقد جاء ذكرها على مقابر أشراف الأسرة الرابعة في منطقة الأهرام .

عبادة « الفنكس »  
( مالك الحزين )  
في عين شمس

عبادة الآلهة « موت »  
والآله « خنسو »  
في طيبة

« متو » إله الحرب

الآلهة « نواريت »  
( جاموس البحر )  
تساعد الحامل على  
الوضع

الآلهة « سلكت »  
( على شكل عقرب )  
تحافظ على أحشاء  
المتوفى

على أن وجود هذه الإلهة وتأثيرها في الديانة كان ينحصر في

معايدها وفي شكل عبادتها، ومن ذلك يمكننا أن نحدد ماهية كل إله ولا نزاع في أن أهم عمل كان يقوم به الإله نحو أتباعه هو أن يمنحهم أو يحرمهم الأشياء الضرورية للحياة العامة ؛ أما الملوك فكانوا يتطلبون منه الحياة والصحة والثبات والنصر والسعادة . والواقع أن كل الآلهة نشأت من طينة واحدة ولا يختلف بعضها عن بعض إلا بمعابدها وبالرمز الذي كان يخص لكل وبالرسيمات التي كانت تعمل لكل عند إقامة الشعائر الدينية . وبالأعياد التي كان يحتفل بها ؛ وفي النهاية بالأسماء والألقاب التي تميز كل إله عن غيره ؛ على أنه يلاحظ أن أسماء الآلهة كانت في الواقع تعد شيئا ثانويا ؛ إذ كثيرا ما يكون اسم الإله مشتقا من صفات الإله أو منسوباً للمدينة التي يعبد فيها . وقد وجدنا من بين آلهة المصريين آلهة لم يصل المصري إلى وضع أعلام لها ، قائمة بذاتها ، ولذلك كان ينسبها كما ذكرنا إلى المكان الذي كانت تعبد فيه ، فيقال مثلا « التابع لتانت » وهذا اسم إله بالقرب من منف ويعبد مظهرا من مظاهر الإله « فتاح » ويقال تيس « زدد » وهو إله يعبد في بلدة منديس ( تل الربع الحالية ) ويرسم على شكل تيس كما ذكرنا آنفا . وكذلك يقال « التابعة لنخب » « نخب » وهي إلهة على هيئة مؤنث النسر ويقال للإله « حرشف » ( الذي على بحيرته ) وللإله « أوزير » الذي في ( زيتوته ) . كما يقال للإله الموتي « خنتي امتي » أي الأول بين الذين في الغرب ( وهو إله من فصيلة الكلب بينه وبين الإله أنويس قرابة عظيمة ) . وأخيرا

وظيفة الآلهة

الآلهة كلها  
من أصل واحد

أسماء بعض الآلهة  
مشتق من المدن  
التي تعبد فيها

الإله العظيم ( في الغرب ) . وهذان الآلهان الأخيران قد وحدا فيما بعد مع الإله « أوزير » .

وكذلك الإله « وبوات » ( فاتح الطرق ) فإن اسمه ليس باسم علم حقيق لأن واحدا من هذه الآلهة التي على شكل الذئب كان يطلق عليه اسم « ست » ولكنه اختفى منذ الأزمان الأولى من بين حيوانات القطر . والآلهة عند قدماء المصريين كانت معينة معروفة اتخذ كل منها

شكلا ثابتا باقيا لا يتغير وقد انفصلت هذه الآلهة عن عالم الأشباح أو الأرواح التي يخطئها العد . وهذه الأرواح أو الأشباح ( الجن ) تلعب دورا هاما عظيما في مظاهر الديانة المصرية . وتبرز بدورها الهام في السحر الذي كان له تأثير خطير جداً في العقائد الدينية في كل عصور التاريخ في البلاد . ومن بين المظاهر العدة المحسوسة التي تتجلى فيها هذه الأرواح

أو الأشباح المقدسة الحيوانات ، وهي إما منزلية أليفة تعيش مع الإنسان وتقوم له بخدمات عظيمة لا تقطع ، أو متوحشة ضارية تفتك به فيخاف شرها وبأسها ؛ وأهم حيوانات النوع الأول وأجدرها بالذكر الثور والبقرة ، واليس . والكبش . والظاهر أن الإله كان في العادة ينتخب ذكر هذه الحيوانات ليقيمه . وأحيانا كان الإله يتمص بعض الطيور كالأوزة كما

شاهد في حالة « جب » إله الأرض فإن روحه تمصت أوزة لما أهم حيوانات النوع الثاني فهو الأسد والتمساح وجاموس البحر ، والثعبان الهام ، والأفعى ، وكان الإنسان يسعى لاتقاء خطر هذه الحيوانات

الفرق بين الآلهة  
والأشباح والأرواح  
المقدسة

روح الآلهة تنقسم  
الحيوانات الليفة  
والمتوحشة

سبب عبادة هذه  
الحيوانات

والحشرات التي كان يقع بصره عليها في البر والبحر . والظاهر أنه كان يرجع سبب قوتها وفكها بمنحه إلى أن الإله قد حل فيها ، وأنه إذا استعطفها وقدم خضوعه وقرب إليها القربان نجما من مخالبا وشرورها . فمثلا نرى الذئب يعبد لأنه كان يسكن البقاع الجبلية القريبة من الجبابة وكان يعيش على نبش القبور فإذا قرب له الإنسان القرايين عدل عن أكل موته ، وأكبر جبانة من هذا النوع جبانة أسوط ، كما كان يعبد ويقرب له القربان لسبب آخر هو ألا يسطو على غنم القوم ، وهكذا كان الحال مع ابن آوى الذي كان يعبد باسم الإله « أنويس » ؛ على حين أن الكلب يعد حارساً للعاشية ولذلك كان يقدس . وكان هناك صنف آخر من الحيوان مثل القطط وغيرها كان لا يضر ولكنه كان يعبد لأن فيه قوة سحرية خاصة وسرية . وأهم هذه الحيوانات القردة والأسماك والطيور ونخص بالذكر منها الطائر إيس «أبو منجل» ، ومالك الحزين «الفنكس» . والصقر والنسر والضفدعة ، والجعل إلخ وسيتأتى الكلام عن كل في حينه . على أن عبادة الأشجار لم تكن نادرة في مصر فمثلا نجد شجرة الجوز كانت مأوى للإلهتين «نوت» و «حتحور» وكذلك شجرة السرو كان يحل فيها روح الإله «مين» <sup>(١)</sup> وقد كان وجود أى شجرة من هذه الأشجار في مكان ما يجعلها موضع تقديس لأن روح الإله الذي هو رمز له كانت تسكن فيها .

سبب عبادة الفطة

عبادة الاشجار

(١) الشجرة التي توجد مرسومة مع الآلهة مين هي الخس وتعتبر رمزا لنماء القوة الحيوية التناسلية عندها



وهكذا كان الحال مع كل أنواع الحيوانات أو الحشرات التي كانت تظهرها الروح المقدسة ، وكان على الإنسان أن ينتخب واحدا من نوع خاص مميز ويضعه في المعبد حيث يعنى به ويخدم بصفته الحيوان الحقيقي الذي قمصه الإله . وهذا ما شاهدته بين بنى الإنسان . إذ عندما يتوفى الملك كان القوم يقدسون إنسانا آخر معينا مكانه وبذلك يصبح مهيأ تلك القوة للقدسة التي تعيش في البلاد وتحكمها مهما كانت صفاته . ولا غرابة إذا كانت هذه الطريقة بعينها متبعة في الحيوانات المقدسة فكان عندما يفنى واحد منها تنتقل الروح الإلهية إلى حيوان آخر يتعرفه الإنسان من بين حيوانات هذه الفصيلة بعلامات وإشارات خاصة ويقاد إلى المعبد ؛ أما موضوع تقييد فصيلة الحيوان الذي كان ينتخب منه الإله أو تقديس البعض منه فإن هذا يتوقف على أحوال الحياة وضرورتها التي كان لا مناص منها . غير أن علماء اللاهوت المصري قد وصلوا إلى حل هذا المشكل بطرق مختلفة ففي كثير من الأحوال ، وبخاصة في العصر المتأخر من التاريخ المصري كان يعتبر مثلا قتل أى حيوان من النوع المقدس ضربا من القسوق والعصيان والكفر بالإله . ويعاقب المجرم بالقتل وكذلك كان ينطبق هذا الحكم على آكلة لحوم هذه الحيوانات فثلا كان محرما أكل لحم القطط أو الكلاب . ولكننا من جهة أخرى نجد أن القوم كانوا يفيمون الخراف والماعز والثيران . أما البقرة التي كانت تدر اللبن فكان محرما ذبحها ، وهذه الطريقة متبعة في الهند . يضاف إلى ذلك أننا لم نسمع

كيف كان ينتخب  
الحيوان المقدس

معاملة فصيلة  
الحيوانات التي ينتخب  
منها الإله

عن تمساح قتل في الأماكن التي كان يقدس فيها هذا الحيوان . وبخاصة في العصور المتأخرة . على حين أننا من جهة أخرى نعرف أن التمساح كان صيده محبباً للأهلين فكانوا يطاردونه بكل شغف وحماس في المقاطعات التي كان لا يقدس فيها . ومن المدهش أن الأسد رغم تقديسه في بعض جهات القطر كان يصاد من غير تحجج في طول البلاد وعرضها .

العناصر التي يتركب منها الآلهة والانسان

ولكن الآلهة كانت لا تقيد قط بهيئة واحدة من أشكال الطبيعة بل كانت في الحقيقة كالإنسان لكل منها روح مثله على هيئة طائر  « با » وهو عنصر حي يسكن الجسم مدى الحياة . وكذلك كان له قرين ( كا ) يمثله المصريون على هيئة ذراعين مرفوعين  . وكانت وظيفة هذا « القرين » أن يمد الجسم المادى بالحياة والقوة

ويقف خلفه ليحميه بعد الموت وكان من الضروري وجوده مع الإنسان في قبره وإلامات أبدىا وبمكتنا هنا أن نغيز بين القرين « كا » وبين

الروح ممثلة بطائر « با » تنزل الى غرفة دفن المتوفى لتزور جسده ثم تصعد ثانية إلى السماء.

الروح « با » فالأول يسكن مع الجسم في القبر وتمنحه الحياة بالقرابين التي يقدمها أهل المتوفى له على مائدة قربانه بواسطة كهنة تسمى خدام القرين وقد كانت تحبس عليهم الأوقاف الشاسعة من أجل ذلك . أما « البا » فهو الروح الذي يصعد إلى السماء بعد وفاة الإنسان . ومن ذلك يمكننا



أن نستخلص أن الإنسان كان له روح مادية ( كا ) تسكن معه في القبر وروح نورانية تصعد إلى السماء وهى « با » غير أن الآلهة كانت تختلف فى ذلك عن بنى الإنسان وذلك أن الإله يمكنه فى كل لحظة أن يترك الجسم الذى يسكن فيه وينتقل إلى جسم آخر كما يريد لأنه لم يكن عرضة للموت ( يستثنى من ذلك الإله أوزير ) وفى إمكان الإله أن يوجد فى كل مكان يريد أن يشعر فيه بقربه أو بقوته ، ولذلك يمكنه أن يتمص أشياء مختلفة جدا فى وقت واحد ، فيسكن الحيوانات والأحجار والأوتاد من الخشب ، والأمثلة لدينا كثيرة ونكتفى منها بذكر الإله « مين » والإله « أوزير » . ويرجع السبب فى ذلك أن الإله حسب قول المصريين له عدد عظيم من القرائن « كاو » وعدد عظيم من الأرواح « باو » تروح وتغدو حرة طليقة حتى عندما يكون الإله متمصا ضمنه أو تمثاله الأعظم . ورغم هذا كان من المستطاع أن يسحر الإله ويقتنص فى شئ محسوس بواسطة التعاويذ . وبذلك يصبح ولا قوة له ولا حول ، وذلك هو السر فى أننا نجد فى كل معبد مصرى غير الحيوانات المقدسة شيئا سريا يحفظ فى صندوق يكون فى معظم الأحيان تمثالا صغيرا من الحجر أو الفخار . ويعتبر هذا الصندوق المكان الحقيقى للإله وبعبارة أفصح للسكن الذى حبس فيه الإله بقوة السحر فى الزمن القديم أيام تكريس المعبد .

ومن جهة أخرى نجد صورا عدة لشكل الإله الذى يتمص الحيوان وكذلك للشكل الذى تظهر به روحه . فكان يمثل أحيانا بجسم إنسان يعلوه

الفرق بين الانسان  
والاله

قوة السحر فى الآلهة

صور الإله التى  
يظهر بها



رأس حيوان وأحيانا بالعكس . وهذه الصور والتماثيل الإلهية كانت تعتبر كأنها ملوك مرتدون ملابسهم ومعطرون ومحلون بعدد عظيم من التعاويذ . وكانت تطلع في الأعياد العظيمة على الشعب « وبخاصة صندوق الإله السرى » وتوضع في سفينة تبنى خصيصا لسياحتها ، ويحملها خدامها من طائفة الكهنة على أعناقهم . وكانت هذه الأعياد والاحتفالات تنمو وترتقى في القفوس والعدد ، كلما تقدمت المراسيم الدينية في البلاد وتنوعت شعائرها ، وذلك حسب ثراء البلاد وعظم فتوحها في عصور التاريخ المصرى .

أما الرموز الإلهية المقدسة التى كنا نبحثها بجانب رموز المقاطعات فلا يمكننا أن نعتبرها عريقة فى القدم ، وذلك لأنها تحل صورة الحيوان المقدس أو إشارة مقدسة أخرى ، وتقدم القوم فى المواكب فى ساحات القتال . وكان الإله يظهر عظمته وبطشه وجبروته فى كل أمور الحياة الظاهرة التى لم يكن فى مقدور الإنسان أن يتغلب عليها ولذلك كانت الآلهة تعمل كأنها رؤساء أو ملوك فى آن واحد ، وذلك حسب أهوائهم ومزاجهم ولكن ذلك كان لا يمكنهم من الخروج عن اتباع قوانين الطبيعة وسننها ولذلك نجد أنه كان للآلهة المصريين طبيعتان . فكانوا من جهة يظهرون بأنهم إرادة حرة خالدة ومن جهة أخرى كانوا قوى طبيعية خاضعة لدورة الفلك وظواهره . وعلى ذلك كانوا فى الوقت عينه قوة إيجابية وسلبية . فكانت الحياة تسير فى دائرتها حسب قوانينها الطبيعية مثال ذلك تلقيح الخصب بماء النهر وطلوع النباتات ونضوجها وموتها ثم البذر ، والحياة التناسلية ،

مظاهر قوة الآلهة

الآلهة قوة سلبية وإيجابية فى آن واحد

وتلقيح الحيوان والإنسان ؛ أو كما في حالة الإلهين « حور » و « ست »  
 وهما اللذان يتعاقب منهما النور والظلام وكذلك تقلبت النجوم المنيرة ؛  
 وأخيرا بوجه خاص الحرب بين القوة المعمرة والقوى الشريرة المخربة . ومن  
 كل هذا نجد أن حياة الآلهة تمر في سلسلة متصلة الحلقات من الصراع  
 والتغيرات التي تحدث بنظام عاما بعد عام . ومن أجل ذلك نشاهد أن  
 القوم كانوا يهتمون بحظ هؤلاء الآلهة المتقلب ، إذ عليه مدار حياتهم وسعادتهم ،  
 فكانوا يسعون لمساعدتهم بقدر ما في وسعهم ، وذلك هو السر في الاحتفال  
 بالأعياد التي كان يحتفل بها القوم في كل مقاطعة في مواقيت ثابتة بحكم  
 التقاليد الموروثة . فكان يعتقد أن هذا الإله أو تلك الآلهة قد ولدت  
 في يوم خاص من السنة ولذلك كان يحتفل به . فمثلا نجد أن أعياد  
 الآلهة « أنوبيس » و « وبوات » و « تحوت » و « مين » وغيرهم  
 قد لعبت دورا هاما بإثباتها على آثار الأسرة الأولى . يضاف إلى ذلك  
 أنه كان هناك أعياد أخرى تقام احتفالا بانتصار الإله على أعدائه أو قهرهم .  
 وأنه وصل بعد ذلك إلى الملك ليطلع مشعا بكل بهائه أمام الشعب  
 محمولا على أعناق الكهنة في سفينة المقدسة ؛ وقد مثل الإله « سوكر »  
 في عهد الأسر الأولى بهذه الكيفية ، وكذلك الآلهة الأخرى نجد  
 لها صورا تدل على نفس الفكرة .

أما الإله « أوزير » الذي كان يسكن في جوف الأرض منذ  
 وفاته ، والذي كان يعيش ويحيا هناك رغم موته بقوة سحر قريته « كا »

مثال ذلك تعاقب  
 النور والظلام

سبب الاحتفال  
 بأعياد الآلهة

التي تنقص أجسام الموتى . فإن حادث وفاته كان له أكبر أهمية لأنه  
منه نشأت قوته وسلطانه ، ولذلك كانت تقام له محافل عظيمة تمثل كل  
أطواره في بلدة العرابة المدفونة .

تمثيل حياة « أوزير »  
وموته في العرابة

وعند الاحتفال بأعياد الآلهة المحلية يسير سكان المقاطعة صفًا  
خشعًا في موكب يرأسه حاكم المقاطعة أو الملك حسب الأحوال ، وبصحبه  
الذين يعرفون الطقوس ، وخدام الآلهة ، الذين يحيون طلعتهم ويقدمون له  
الخشوع والخضوع ؛ وعند نشوب صراع بين الآلهة كان أتباعه يحاربون  
من أجل إلههم بالأسلحة والعصى ويتحجبون عند هزيمته وموته ويمثلون  
غين « حور » بالقرابين ويحيون ظهور الآلهة ثانية أو ميلاده ويجلسون  
تمثاله على العرش أو ينصبون عمود « أوزير » ، أو يقودون الآلهة عند  
ما يتزوج بالآلهة مجاورة أو يحضرون له امرأة إلى المبد .

نظام عبادة الآلهة  
المحلية

ورغم هذه التغيرات الخطيرة والحوادث المتعاقبة بنظام فإن الآلهة مع ذلك  
كانت تمثل في نظرهم قوى أبدية ، باقية دائماً وعاملة سواء أخضعت هذه  
القوى أو ماتت ، أو دب فيها الحياة من جديد وولدت ثانية ؛ على أنه  
لا توجد لحظة يمكن الإنسان أن يستغنى فيها عن حماية الآلهة ؛ إذ أنهم  
كانوا يقفون على الدوام بالقرب من أتباعهم متمتعين بكل سلطانهم وقوتهم  
ولذلك كان في مقدور الإنسان أن يدعوهم لمساعدته ويلتمس عطفهم  
ورضاهم . على أن الاعتقاد الديني لم يؤثر على التناقض بين هاتين الفكرتين  
لأن العقيدة دائماً مرتبطة بوقت الحاجة الملحة التي تخلفها الظروف دون

المصري يعتقد أن  
الآلهة قوة أبدية

الإنسان دائماً في  
حاجة لمساعدة الآلهة

البحث في أى تناقض أو تضارب ؛ على أن هذا الاختلاف يؤدي رغم ذلك إلى النتيجة الآتية .

وهي أن الحوادث التي لها ارتباط بالأعياد سببها في الواقع الظواهر الطبيعية التي تضمنها أمانا طبيعه ولكن خيال المصري كان يرجع بها إلى أزمان سحيقة ويمزوها إلى ظهور الإله لأول مرة وأخذ الشكل الذي ظل باقيا عليه فيما بعد ؛ ومن ثم تحولت هذه الحوادث التي وقعت في أزمان معينة إلى أعياد تشيد بذكرى الأعمال العظيمة أو الآلام الشديدة التي تحملها الإله لصالح المجتمع الإنساني ورفاهيته ، والتي يتوقف عليها نظام الكون . وشعائر هذه الأعياد التي يصحبها كثير من الآلات والطقوس المقدسة ، والرموز المختلفة تحتاج كذلك إلى تفسير ؛ فهذه الحوادث التي تكون وليدة اللحظة التي وقعت فيها تحدث غالبا عند ظهور أمور خارقة للعادة فتبقى عليها الطقوس الدينية من غير ما تبصر ولا روية ، حتى بعد أن يتضح أنها غامضة لا تفهم ، ومن ثم تأخذ صبغة سرية غامضة لها مفعول عظيم وتحاط بشئ من الرهبة والتقديس . ومن مثل هذه الأمور سبب نشأة الاساطير جاءت الضرورة لخلق الأساطير الدينية التي يدعى رجال الدين أنها تفسر هذه الأشياء الخارقة للعادة ، وكذلك تفسر لنا صور الآلهة وأخلاقهم بحوادث وقعت في الأزمان السحيقة في القدم ، ثم تناقلها عباد الإله كأنها أسرار مقدسة ، ومن ثم أخذ الإنسان يشترك فيها بإقامة الشعائر واتباع الطقوس الدينية اللازمة لذلك . وبخاصة مراعاة قواعد النظافة وطهور الجسم

الحوادث التي لها  
ارتباط بالأعياد  
سببها ظواهر طبيعية

سبب نشأة الاساطير

الشعائر الدينية التي  
يجب اتباعها

والأطعمة المنصوص عنها كما فرضتها الشريعة عندهم . وكذلك يراعى اجتناب كل رجس مثل النجاسة التى تحدث من اختلاط الجنسين . وأن يكون الشخص محتوناً وذلك كله كان من أقدم شعائر الدين عند المصريين . وكان من يعرف هذه الأساطير . والمعلومات التى لها أساس بالآله وطبائهم

يصبح فى يده قوة سحرية تمكنه من أن يجعل الآلهة تحت سيطرته ويجبرهم على خدمته لقضاء أغراضه السحرية . ولا شك أن الأساطير تمدنا بمعلومات أبعد عمقاً عن الآلهة أكثر مما نعلمه عن شكلها الظاهرى .

قوة السحر فى اخضاع الآلهة

وكذلك عن الحيوانات المقدسة التى تتقمصها وعن الأعياد الخاصة بها . وكان كل إله يتمتع بين طائفة عبادته بنفوذ عام، ولكنه مع ذلك كانت له مناطق نفوذ محدودة حيث كانت تظهر فيها آثار أعماله بكل قوة وسلطان وهذه المناطق كانت وفقاً عليه وحده . وذلك هو السبب الذى من أجله نجد أن

نفوذ الآلهة فى منطقته ووظيفة كل إله

ديانة كل مقاطعة بقيت مختلفة عن ديانة المقاطعة المجاورة لها . فمثلاً نجد الإله «مين» ( أو آمون ) هو الإله الخاص بالتناسل ، والخصب . والإلهات

بعض الآلهة لها عمل خاص



الآلهة « باست » رأس قطة

«حتحور» و « باست » إلهتا حياة

« الحب والغزل » والإلهان « وبوات » و « نيت » إلهما الحرب والإله  
 « أنوبيس » ، إله الجنائز والتحنيط وحارس الجبانة والإله « تحوت »  
 الذى يمثل القمر كان إله العلم والمواقيت ( العلم نور ) . والإله « حور »  
 مظهر إله الشمس وهكذا . على أن هناك صنفا آخر من الآلهة له عمل  
 محدود معين فى نطاق خاص مثال ذلك الإلهة « رنتوت » وهى إلهة  
 المصاد خاصة والإله « خنتى امنتى » الذى يحكم فى عالم الأموات  
 ( صورة من الإله أوزير ) .

ومن كل ما تقدم ترسم أمامنا صورة تخطيطية لعلم اللاهوت المصرى  
 إذ نجد بجانب الآلهة المحلية أرباب المقاطعات آلهة أخرى يمكن أن تقوم  
 بأعمال خاصة فى أزمان وأحوال معينة . وهذه الآلهة قد تكون أحيانا  
 خاضعة للآلهة المحلية ومن هنا نشأ تأليف مجاميع كاملة من الآلهة تتكون  
 من أغلب الأحيان من تسعة آلهة ( يستثنى من ذلك مجموعة آلهة الأشمونين  
 التى تتألف من ثمانية ) وعلى رأسهم إله المقاطعة الأعظم وفى بعض الأحيان  
 تتجاهد أن هذه الآلهة تعمل مستقلة عن آلهة المقاطعات وهذا هو السبب  
 فى جعل السبل سهلا لآلهة المقاطعات لتمد سلطانها إلى جهات بعيدة  
 جدا خارجة عن منطقة نفوذها الأصلى . ويرجع الفضل فى ذلك أحيانا  
 إلى حوادث سياسية أو إلى قيام فروع عبادة لهذه الآلهة فى مناطق غريبة  
 من دائرة نفوذها وهناك عامل قوى ساعد على نشاط هذا التقدم والرقى الدينى ،  
 هو أن المصريين قد اعترفوا إلى جانب آلهتهم المحلية بسلطان القوى

التاسع الآلهة  
 وتأليفه

سبب مد نفوذ إله  
 المقاطعة الى غيرها  
 من المقاطعات

الطبيعة العظيمة التي تعمل بطرق منظمة في كل الكون وتشمل كل الكواكب وعلى رأسها إله الشمس. « رع » ثم إله القمر « أعج » ( ويعرف في مدينة طيبة باسم « خنسو » ( أى السائح ) ثم النجوم ونخص بالذكر منها « نجم الأبرق » من مجموعة الشعري اليمانية « سبد » ثم نجم الصباح « ساحو » . وعندما كان يظهر نجم الأبرق في الفجر في نهاية شهر يوليه ، كان ذلك بشيرا بوصول ماء الفيضان . وكذلك كان ظهور نفس النجم يعد بشيرا بالسنة الجديدة . ويحمل معه النباتات الجديدة . أما مجموعة نجوم الجوزاء التي كان أظهر نجم فيها نجم الصباح « ساحو » فكان يلعب دورا ماثلا لسابقه إذ يبشر بفصل جمع الكروم الذى يحل في شهر يوليه أيضا ، وبقدومه تحل السنة الجديدة . ولهذا السبب يعد كان منها كائنا مقدسا وقد أصبحا فيما بعد إلهين عظيمين وذلك عندما تخلى المصرى وجود مملكة الموتى في السموات العلى فكان المتوفى ترتفع روحه إلى السماء وتعيش بين جيش النجوم وهم الأموات السعداء الذين يسهرون خلال الليل بالقرب من مصايحهم ، على أن نجم « ساحو » الجوزاء أصبح إله الموتى « أوزير » . أما الشعري اليمانية « سبد » التي كانت بجانب أوزير فقد أصبحت زوجته « إزيس » وابنها هو « حور » وقد اتخذوا مكانا في السماء بالقرب من الرب الأكبر . وتتألف مجموعة أخرى إلهية من الأجرام الكونية من السماء والأرض . فكان إله الأرض « جب » في عرف المصريين يعد مذكرا أما إله السماء فيعتبر

القوى الطبيعية  
صارت آلهة مثل  
الشمس والقمر

الشعري اليمانية  
« سبد »

نجم الصبح « ساحو »  
أصبح الآله « أوزير »

الشعري اليمانية  
أصبحت « أوزير »



الآله «شو» يفصل بين إلهة السماء «نوت» وإله الأرض «جب»

وسمى الإلهة «نوت» وعلى العكس من ذلك نجد أن الماء الأزلى «نون» هي خرجت منه آلهة القبة الزرقاء . مذكرا . وقد وضع إله الأرض «جب» بذرتة في أخته «نوت» ويعد «جب» أمير الآلهة . ولكن منذ ذلك العهد اضطجع «جب» أى الأرض تحت قدمى «نوت» بحيث لأن الإله «شو» إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانا يوضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه كاتتا رتقا ففتقناهما ) وهذه الفكرة بعينها نجدها مفصلة فى أسطورة إله حيت «أوزير» وزوجته إلهة السماء «إزيس» وهما ابنا الإله «حب» والإلهة «نوت» ؛ وقد أعقا بدورهما الإله «حور» الذى يطلق عليه اسم «حور أختي» أى «حور» الأفق . وهناك أساطير تفسر كيف اتحدت السماء مع إله الشمس ؛ فيقال أن السماء ولدت الشمس

أسطورة اتحاد السماء  
مع الشمس «رع»



من بطن « نوت » كما جاء ذكر ذلك في متون الأهرام فيخرج « رع » ماشيا ، ثم تلد « رع » كل يوم ، ولكن بعد ذلك يرتفع إلى الشمس في جلاله وعظمته ، ويلقي إلهة السماء فينتج نفسه في فرج أمه . وكثيرا ما تخيله المصري كذلك على هيئة ( جمل ) « خبر » ، وكانت هذه الحشرة كما يعتقد المصري تنفس صغارها دون أن تحتاج إلى أنثى ، ويحدث هذا بواسطة كرة الروث التي نشاهدها تدرجها أمامها كما يدرج الإله بيضته أي الشمس أمامه في السماء . وقد ظهرت نفس الفكرة كذلك في الأسماء التي تعبر عن إلهات السماء « كحتحور » ( بيت الإله حور ) ، « وإيزيس » ومعناها مقعد إله الشمس . وهاك ما يحكى عن الإله « رع » كان الإله « رع » بن « نون » المحيط السماوى . قد ظهر أولا في هراكليوبوليس ( إهناس المدينة ) وفي رواية أخرى في « هرموبوليس ( الأشمونين ) على ربوة من الغرين ارتفعت من الماء الأولى ، وقام بحرب ضد أعدائه ، وبخاصة ضد ثعبان مارد يطلق عليه اسم « أبوبى » وأهلك في إهناس القوم العصاة بمساعدة الإلهة « سخمت » ( على هيئة امرأة برأس لبؤة ) ، ثم أعاد الخلق من جديد ، وتقص الأسطورة علينا بعد ذلك أنه عينه أصبحت بعد ذلك الحادث إلهة مستقلة موهوبة بقوة سحرية . وقد وحدها الكهنة فيما بعد بالإلهة « ختخور » والإلهة « تفتوت » الخ ، وقد ذهبت إلى بلاد النوبة وتوجه الإله « رع » إلى هذه البلاد ليجث عن ويحضرها . وأخيرا حكم « رع » الأرض سنين طويلة حتى أصبح طاع

لماذا يقدس المصري  
الجمل ( الجعران )

أسطورة الإله « رع »  
وكيف رفع إلى السماء

في السن وعندئذ طلب إلى ابنه « شو » أن يرفعه في الهواء على ظهر البقرة  
 . ية العظيمة ، وبذلك أصبح يسبح في الفضاء كل يوم في سفينته ، وسبعود  
 إلى هذه الأسطورة مرة ثانية في مناسبتها . وقد ألف كهنة هرموبوليس خرافة  
 أخرى لم نفهم كنهها للآن وذلك أنهم تصوروا أن العالم قد خلقته ثمانى  
 قوى إلهية على شكل قردة ، وقد عدم الكهنة زوجا وزوجا وكل زوج  
 من أنثى وذكر ، واعتبروها كأنها قوى طبيعية معنوية لا تحس ، وهى الماء  
 الأولى ، والأبدية ، والظلام ، والقوى ، ومن مجموع هذه الأزواج الإلهية  
 الأربعة اشتق اسم مدينة « خنمو » ( الإشتومين الحالية ومعناها مدينة الثمانية ) .  
 وعلى رأس هذه المجموعة الإلهية وضع إله المقاطعة « تموت » وهو إله  
 القمر الذى أنشأ مقاييس الزمن وإليه ينسب كل المقاييس والأنظمة ،  
 وكذلك اخترع اللغة والكتابة والرسم ، والتلوين ووضع القوانين وطبقها ، وكذلك  
 كان يعرف بأنه وزير الإله « رع » وزوج الإلهة « معات » ( العدل ) .  
 ومن آلهة الطبيعة كذلك « حمى » أى إله النيل ويمثل على هيئة رجل  
 ممتلئ الجسم ذى لحية وثديين عظيمين ومتوج بالأزهار وحول وسطه  
 حزام يشبه ما كان يلبس فى عصور ما قبل التاريخ . وربما كان تمثيل النيل  
 بمرجل عامل دليلا على اعتقادهم فى أن النيل خطط طريقه وجسوره كأنه  
 مهندس ماهر رسم لنفسه ما يكفل لمصر وأهلها وأراضيها الخير الكثير فى العهد  
 فرعونى فقط . ولا يبعد أن يكون السبب فى عدم قيام عبادة منظمة له  
 وحبس الأوقاف عليها يرجع إلى أن القوم كانوا لا يعبدونه أولا إذ

الإله « تموت »  
 واسطورة كهنة  
 الإشتومين

آله النيل « حمى »  
 وكيف نشأ

كانوا لا يستفيدون منه ، ولكنه عندما نظمت مياهه أخذ القوم فى عبادته ، غير أن الآلهة الأخرى قد أخذت المحل الأولى فى المقاطعات ، ولذلك لم تؤسس له المعابد من أول الأمر ؛ ومع كل ذلك فإن المصريين فيما بعد قدسوه وتمدحوا بخيراته فى قصيدة عظيمة ربما يرجع تاريخ أنشائها إلى عهد الهكسوس .

وهناك عقيدة دينية نبتت من طائفة لاهوتية أخرى تقول بأن الآلهة وبخاصة « رع » و « إزيس » قد جعلوا ماء النيل ينبع من منبعه السرى عند دوامات الشلال الأول ويأتون بهاء الفيضان فى ميقاته .

وإذا كانت الآلهة فى اعتقاد المصريين لم يخلقوا العالم لأن المادة

الآلهةم الذين نظموا  
سير الفلك

كانت دائما موجودة وليست من صنع قدرة إلهية فإنهم من جهة أخرى على الأقل هيئوا فصول السنة ونظموها ، وكذلك رتبوا سير الفلك وحياة النبات وبنى الإنسان . واتخذوا مصر مركزا عاما للعالم لأنها كانت المسرح الذى يمثلون عليه أدوارهم العظيمة الأثر ، وجوطوها بالصحراء التى يسكنها أقوام من الهمج ، وبالبحر الذى يحقق بكل العالم . وكان يرتبط بهؤلاء الآلهة القائمين على نظام الدنيا - وهم الآلهة العظام أجداد الأسرة الإلهية - الجهم العفير من الآلهة الذين يعبدون فى طول البلاد وعرضها ، وكذلك الأساطير التى أوحدها . ولما كان النور يأتى من الجهة الشرقية فقد اعتقد القوم أنها موطن الآلهة ومسكنهم . على حين أنهم اعتبروا الغرب وهو مملكة الظلام موطن « أوزير » ومقر أرواح الموتى على أن هذه العقائد

الشرق موطن الآلهة  
والغرب مقر « أوزير »

تختص دائما مع العقائد الأخرى القائلة بأن وادى النيل نفسه كان دائما  
السر الذي تمثل عليه حياة الآلهة وهو موطن نفوذهم .

على أن آلهة الطبيعة العظام مهما كان تأثيرهم على حياة الإنسان لم  
يكونوا في يوم من الأيام موضع عبادة نامية لا في مصر ولا في غيرها ،  
ويرجع ذلك إلى أن أعمالهم لها صبغة عملية منظمة لا فردية محدودة ، ولا  
يستثنى من ذلك إلا الظواهر الطبيعية التي تعترض سير نظام الكون من  
وقت لآخر وتظهر بأنها تعرضه للخطر .

ومن ذلك خسوف القمر ، أو تلك الظواهر التي تكون عودتها قياسية  
ولكن يحدث من جرائها تغير الإله أو تأله ، ويكون من نتائج ذلك أن  
يحتاج الإله إلى أن يمد له الإنسان يد المساعدة بأقامة الأعياد وتقديم  
القربان وهذا ما يحدث بالضبط في أعياد أوجه القمر إذ يقام عيد لأول  
الشهر وآخر في رجب الشهر وثالث في منتصف الشهر . ولهذا السبب يلتجئ  
القوم إلى الأعمال السحرية . على أنه لا يفوتنا ملاحظة أن هناك آلهة  
محلية منذ القدم ، قد صبغوا بصبغة القوى العالمية مثل الإله « أوزير » رب  
النبات والنيل وهو يسكن في معبده المقدس في بلدة أبو صير ، أو الإله « مين »  
في الوجه القبلي وهو رب التناسل : وهذه الآلهة كان لا يمكن أن تقوم  
لها عبادة خاصة إلا إذا أصبحوا آلهة مقاطعات . ومثل هذه العبادة كانت  
ممثلة عند اليونان وغيرهم من الشعوب ، وبخاصة عبادة الشمس ( إله السماء )  
وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا الإله والد ( قبائل ) أو طوائف

آلهة الطبيعة موضع  
عبادة نامية في كل  
العالم

أعياد آلهة الطبيعة

يكون لآلهة الطبيعة  
سادات إذا أصبحت  
آلهة مقاطعات

آلهة الطبيعة لها  
عبادات خاصة في  
غير مصر

من دم واحد وقد بقي على صلة مباشرة مع نسلهم . وكانوا في الوقت نفسه يعتقدون أن مقره بعض أماكن معينة وبخاصة قلل الجبال العالية . أما عند المصريين فكان الأمر على العكس من ذلك ، إذ كان الإله المحلي هو الذي يرفع إلى مرتبة القوى العالية ويمتزج بها ويصير موحدًا معها . ولقد لاحظنا منذ القدم أن الآلهة المحلية كانت فيها نزعة باطنية للتحويل إلى قوى عالمية لأنها كانت ترى أن دائرة نفوذها في نظر أتباعها غير محدودة ، وأن مواقيت أعيادها والأساطير التي تتصل بها مرتبطة بمواقيت الفصول الطبيعية ، ولذلك أصبح الإله « تحوت » رب هرموبوليس المحلي منذ القدم ، إله القمر ؛ وبذلك يمثل بقوة عالمية ، وكذلك الحال مع الإلهة « نيت » ربة « سايس » والآلهة « حتحور » إلهة دندرة فهما إلهتان تتقمصان الأشجار ( شجرة الجيز ) ثم أصبحتا فيما بعد إلهتين للسبأ . أما في حالة الآلهة الأخرى وبخاصة الإلهين « حور » و « ست » فإنه لا يمكن أن نحدد بالضبط مدى أصل مركزهما في العبادات المختلفة سواء أكانوا آلهة تقمصوا حيوانات أو آلهة يمثلون قوى عالمية . ولا نعرف كذلك إذا كانت أسماؤهم المستعارة من علم الأساطير الدينية العالمية لم تكن منسوبة إلى آلهة محلية أولاً قبل أن يسموا بها أو أنها أطلقت عليهم من بادى الأمر . وهناك مذهب حاسم اعتقه كنة عين شمس فيما بعد لترقية الفكرة الدينية في مصر ، وذلك أنهم أعلنوا أن إلههم المحلي « آتوم » لم يكن إلا مظهراً من مظاهر إله الشمس « رع » ، ولذلك عبده باسم « آتوم - رع »

سبب نزعة الآلهة لتكون آلهة للطبيعة

لا يمكن تحديد أصل الإلهين « حور » و « ست » في العبادات

كهنة عين شمس والتجديد في عبادة الشمس « رع »

ونسبوا إليه كل الأساطير التي تعزى إلى « رع » ، ولا غرابة في ذلك فإن الاعتقاد بأن « رع » هو المسيطر على العالم يرجع إلى أقدم عصور التاريخ ، والبراهين على ذلك توجد في متون الأهرام ، هذا إلى أن اسمه يوجد في تركيب أسماء الفراعنة منذ الأسرة الثانية ؛ مثال ذلك « نب رع » أحد ملوك الأسرة الثانية ، ولكن لم توجد « لرع » عبادة خاصة اللهم إلا عبادته المحلية باسم « آتوم - رع » قبل أن يصير إله الدولة في الأسرة الثالثة كما سنفصله بعد . وكذلك لم تكن في مصر عبادة خاصة للإله « نون » المحيط الأزلى أو للآلهة « نوت » أو لإله النيل « ححى » أو لإله القمر اللهم إلا في الأعياد التي كانت تنسب للأخير كهتيد أول شهر إلخ ، أو عندما كان يعبد باسم « تحوت » أو « خنسو » . وهذه كانت عبادة محلية ؛ يضاف إلى ذلك إله الأرض « جب » إذ لا نعرف له عبادة خاصة ، وأغرب من كل هذا الإلهة « إزيس » فإنها رغم ما لها من القوة والبطش والأدوار العظيمة في تاريخ الديانة المصرية وما ذكر عنها في الأساطير ، لم تعبد حتى جاء العصر المتأخر وأخذت عبادتها تنتشر . أما أختها « نفثيس » فلا نعرف لها أية عبادة خاصة في كل عصور الديانة المصرية مطلقا حتى الآن .

الصلة بين الآلهة  
والإنسان -

وقد خلقت إقامة الشعائر والطقوس الدينية صلة لا يمكن فصم عراها عن الإله المعبود ، والإنسان العابد ، وذلك بأن فرضت على كل منها واجبات متساوية عليها يتوقف كيان كل منها . فالإله يتطلب من أتباعه

المخلصين كل ما هو ضرورى له من خبز ولحم ولبن ونبذ وملابس  
وأدوات زينة وحلى وأزهار وبخور أو كما يقال فى الصيغ الدينية للقربان  
كل الأشياء الطيبة الطاهرة التى توضع على مائدة القرбан التى يعيش منها  
الإله ؛ يضاف إلى ذلك الأعياد التى كانت تقام له والعناية بمعبده ،  
وكذلك تقديم شطر عظيم من الفنائم التى يغنىها أتباعه بمساعدة الإله ؛ كل  
هذا كان يعمل للإله فى مقابل ما يمنحه عباده من حمايتهم والحفاظة عليهم .  
وكان من البديهي أن تراعى الدقة فى الاحتفالات والأعياد التى كانت  
تقام للآلهة كما كانت تراعى فى الاحتفالات الفرعونية ، إذ هناك أمور  
كثيرة تشتمل منها الآلهة وبخاصة أكل لحم بعض الحيوانات ؛ وكذلك  
كان لزاماً على المتعبد أن يكون طاهراً عند ما يقترب من الإله ، ولذلك  
كان من الواجب عليه أن يكون بعيداً عن كل ما هو نجس وبخاصة ملامسة  
النساء وغشيانهن قبل دخول بيت الإله وأن يكون قد ختن . على أن  
كل ما يتطلبه الإله يفهمه الرجل الذى يعرف إقامة الشعائر والطقوس بالإشارات  
التي يوحى بها إلهه . ومعرفة هذه الطقوس التى كانت تزدد كل يوم على  
مر الأزمان ، يحفظها خدام الإله « الكهنة » عن ظهر قلب . وقد  
نصبهم القوم لينهضوا بخدمات بيت الإله ، ولإطعام تمثاله وإلباسه  
والعناية بالحيوانات المقدسة ، ولإقامة الأعياد والمواكب . هذا إلى أنهم  
كانوا يعرفون فن تخمين ما يريد الإله ، ويتزعمون منه بواسطة الوحش  
نبوءات عن المستقبل ، وأحكاماً فاصلة فى قضايا ، وحقائق تتعلق بالخصائص

ما يحرمه الدين .

واجبات الكهنة

بجانب هؤلاء الكهنة ومساعدتهم كانت توجد طائفة أخرى عظيمة من المطهرين « في معزل عن عامة الشعب . وأفراد هذه الطائفة كانوا ينادون بهذا الاسم نسبة إلى التطهير بالماء الذي كان يصب عليهم كما يدل على ذلك تصوير اسمهم باللغة المصرية .

وتنقسم هذه الطائفة أربع فرق ، كل فرقة تقوم بخدمة الإله بالتلويح طوال أشهر العام . فكانوا بذلك يشاركون الكهنة في أعمالهم كما كانوا المطهرونهم دخل المعبد وخبراته التي توقف عليه . وقد كان هذا نظام قائما منذ الدولة القديمة ، ومن المحتمل بل من المرجح أنه يرجع إلى صور أقدم من ذلك ؛ ولا يبعد أنه كان في الأصل لكل فرد من سكان المقاطعة الحق في التقرب من الإله ، وأن يكون له نصيب من قربان الذي يقرب له ، وكذلك من الممتلكات الأخرى الخاصة بالإله ، لكن على كبر الأيام أصبح هذا الحق وقفا على سكان المكان الذي أعلن فيه الإله ، ثم تدرج الأمر بعد ذلك فأصبحت هذه الحقوق وقفا على طائفة مميزة ، ومن ثم أصبح وراثيا فيها ؛ وبذلك أصبح من واجب عامة الشعب الذين يريدون أن يتقربوا من إلههم أن يلجثوا إلى طائفة كهنة ليصلوا إلى ربهم في بيته المقدس . ومن المحتمل كذلك أنه كان استطاعة الأفراد الذين ليسوا من طائفة الكهنة ويرغبون في الانخراط في سلك هذه الطائفة أن يصلوا إلى بغيتهم هذه ، إذا توفرت فيهم شرائط خاصة . وقد يجوز أن يصدر الملك مراسيم ملكية بذلك ؛ ولا شك أن

الكهنة المطهرون

كيفية تأليف طبقات  
الكهنة في البلاد



هذا هو السبب الذى من أجله لم تصبح وظيفة الكهنة طائفية أى أنها لم تصبح وقفا على أسرهم دون سواها كما كان الحال فى الهند وفى بلاد فارس وعند بنى اسرائيل.

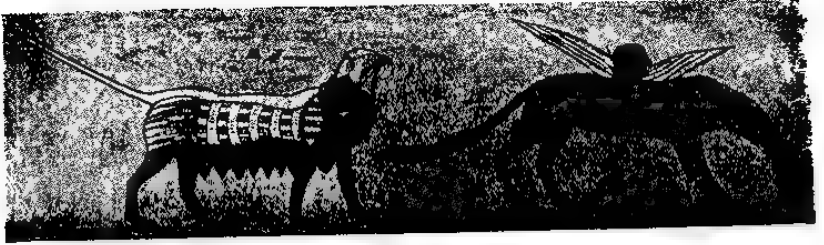
طبقة الكهنة ليست وراثية

وكان جل هم المصرى فى الحقيقة أن يعمل جهد الطاقة ليصل إلى السيل التى تنتهى به إلى إرضاء الإله . وكسب عطفه مهما كلفه ذلك ولو ضحى بأخيه الإنسان وأغنى بذلك تقديم ضحايا بشرية . ولقد تضاربت الأقوال والآراء فى هذه المسألة ، ولكن يظهر أن التضحية البشرية كانت أمرا واقعا فى الأزمان السحيقة من عصور ما قبل التاريخ ؛ فيقال إن المصرى كان يقرب أخاه الإنسان قربانا للإله عند اشتداد حنقه أو عند ما كان القوم ييغون مساعدته فى مد لهم الأمور العويصة ؛ ولكن كل ذلك كان يحدث فى أزمان بعيدة جدا . وكانت هذه الضحايا تقدم عند قيام حروب بين الآلهة أو فى مواقيت الأعياد الجنازية ؛ وسرى فيما بعد أن الذين كانوا يناصبون الآلهة العداء كانوا يقتلون بضربة عصا ؛ أما شركاؤهم فى ذلك سواء أكانوا رجالا أم نساء فكانوا يضربون حتى تدمى أجسامهم ، وربما كان هذا يحدث فى الأصل للبشر فى العبادات المأتمية الخاصة ، ولا شك فى أن ختم حيوانات الضحية بختم مثل عليه رجل موثوق فى وتد التعذيب ، وعلى رقبة سكين . لذكرى تشعر بأن الإنسان كان يقدم يوما ما ضحية فى الأزمان الغابرة . يضاف إلى ذلك أننا نجد على جدران المعابد المصرية حتى نهاية العصور المتأخرة جدا صورا

الضحايا الانسانية  
للاله وأسبابها

ختم حيوان الضحية  
بختم مثل عليه رجل  
موثوق دليل على  
قدم الضحايا  
الانسانية

يتغير شكلها تمثل الملك وهو يقتل الأسرى الذين جرى بهم أمامه مكبلين في السلاسل والأغلال أمام إلهه ؛ هذا إلى أننا نشاهد صور أبي الهول



صور بعض الحيوانات الخرافية

التي تمثل الملوك ، وصور الحيوانات الخرافية ، تلقى بالأعداء على الأرض وغرقهم كل ممزق ، ثم نشاهد كذلك صورا رمزية ممثلا فيها الفرعون قابضا على نواصي طائفة من الأعداء يضربهم برأس دبوسه أو بخنجره المقوف . كل هذه المناظر والصور والذكريات تشعرنا بأن القوم كانوا متعودين ذبح الأسرى من الأعداء تكريما لإلههم . والواقع أننا نجد على أقدم الآثار مناظر عدة ممثلة عليها هذه الذبائح ، ويشاهد عليها كذلك جثث الأسرى مكدسة ، وقد ذكرنا في الفصل السابق أن الدمى كانت توضع في المقابر مع الموتى لتحل محل زوجاتهم أو خدمهم الذين كان يظن أنهم يذبحون ويوضعون بجانب جثث سادتهم في الأزمان السحيقة . هذا وتدل الوثائق التي في متناولنا على أنه عند ما كان الإله يغض الطرف عن رهطه عند حلول أية كارثة أو نزول أي وباء ، فإن القوم كانوا يلتجئون خوفا من استمرار شرور هذه المصائب ، إلى الحيوان الذي تنقمه روح هذا

الفرعون ممثل قابضا على ناصية الأعداء

عقاب الحيوان الذى تنقصه روح الآله على تحويفه وإرهابه بالتهديد أولا ، فأذا فشلوا فى قضاء بغيهم عمدوا إلى عقابه بالإيذار ثم بالنج.

عقاب الحيوان الذى تنقصه روح الآله

على أن السحر لم يعدم القيام بدور هام فى تاريخ الديانة . إذ كان القوم يستعينون به على قضاء حاجاتهم . سواء أكان ذلك تجيزه الشرائع أم تحرمه ، وكان السحر فى نظر عامة الشعب لا يتصل بالأشباح العدة التى تسكن فى ديا الأرواح فحسب . بل كان كذلك متصلا بالمعبودات المحلية وبخاصة الآلهة العظام لأن الفضل فى وصولهم إلى السلطان والنصر على الأعداء يرجع إلى فنوهم السحرية . وكان فى ركاب هؤلاء الآلهة عدد عظيم من الخدم لا يختلفون فى شيء عن الأشباح الخيفة لا فى طبيعتهم ولا فى أسمائهم ولا فى شكلهم الظاهرى . إذ هم فى الواقع كانوا مجموعة من الحيوانات المختلفة الأنواع والأشكال إلى حد بعيد . وكانت معرفة صفاتها الخاصة وأسمائها وأساطيرها السلاح الرئيسى فى علم السحر ، إذ به يمكن الإنسان أن يجبرها ويقهرها على خدمته ، وتأتى بنتائج لحسابه الخاص لها نفس التأثير الذى كان يصل إليه الإله بنفس الطرق . وقد بقى تراث هذه الاعتقادات فى مصر إلى يومنا هذا فى استخدام الجن وخدامها

السحر وتأثيره فى الديانة

ويرى المطلع على تاريخ الديانة المصرية أنها كانت فى بدايتها مصطفة بصفة مظلمة قائمة . إذ نجد معظم الآلهة تتألف من كانتات خبيثة مؤذية نبعث دائما على الخوف والقلق ، فنشاهد بجانب الحيوانات الأليفة مثل الثور

تلك حيوانات أخرى متوحشة مؤذية ، وهى التى كانت تعبد بكل  
تخلّص وتقان ، كالثعبان والذئب وغيره . ولا غرابة إذا كنا نجد فى  
سلوات الأموات ودعائهم ، وكذلك فى التعاوذ السحرية التى تستعمل  
فى الحياة العامة . أن دنيا بنى الإنسان وكذلك عالم الأرواح كانت  
تتمتع بالقوى الشريرة . وهذا الاعتقاد نجده نافذا إلى كل أساطير الآلهة .  
والحقيقة أن تلك القوى مشبعة بجم الدم وأعمال العنف والشدة ، وقد  
سلب الإله « رع » نفسه دورا عظيما فى أعمال القسوة ، إذ أهلك بنى  
الإنسان فى سالف الأزمان بواسطة الإلهة « سخمت » التى على شكل  
امرأة برأس لبؤة ؛ والأسطورة التى حفظت لنا يقال إنها تمثل عين « رع »  
وإنها نفس الإلهة « حتحور » وهذه الأسطورة هى أحدث الأساطير  
التي كتبت عن الإله « رع » ، وتظهر فيها الناحية الإنسانية بشكل جلى ،  
وقد قشت على كثير من مقابر الملوك وتتلخص فيما يأتى :

كان « رع » فى سالف الزمان يحكم الالهة والناس على السواء ،  
ولكن على مر الأيام طعن فى السن وكانت عظامه من فضة وأعضاؤه  
من ذهب وشعره من اللارورد الحقيقى ، ولكن الناس لاحظوا ذلك  
وقامروا عليه ، غير أن الإله عرف نواياهم وقال لأحد أتباعه : ناد عني  
وشو ، وتفتت ، وجب ، ونوت ، وكذلك الآباء والأمهات الذين  
كثروا معي وقت أن كنت فى ماء المحيط « نون » ، وكذلك ناد الإله  
« نون » . . . . واجعلهم يأتون خفية حتى لا يراهم الناس ، وحتى لا يستولى

عبادة الحيوانات  
المؤذية

الآله « رع » وثقه  
ببنى الانسان

على قلبهم الفرع . وعليك أن تحضر مع هؤلاء الآلهة إلى القصر ليعرضوا  
وجهة نظرهم . فحضر هؤلاء الآلهة وسجدوا على بطونهم أمام جلالة وقالوا  
تكلم إلينا حتى نسمع ما ستقوله لنا ، وعندئذ قال « رع » إلى « نون »  
أنت أيها الإله أقدم الكل والذي منه ولدت . وأنتم أيها الأجداد  
المقدسون انظروا إلى بنى البشر الذين خلقوا من عيني لقد تآمروا ضدي  
قولوا لى ما الذى تصنعونه ضد هذا العمل ولن أقتلهم قبل أن أسمع  
ما تريدون أن تقولوه ، فقال جلالة الإله « نون » : يا بنى « رع »  
أنت الإله الذى يفوق والده وكل مخلوقاته فى العظم ابق على عرشك  
فإن الخوف الذى تنشره عظيم إذا صوبت عينك ضد المتآمرين .

وعند ما صوب الإله « رع » عينه عليهم هربوا إلى الصحراء لأن  
قلوبهم استولى عليها الطمع مما قاله ، ومع ذلك فإن الآلهة نصحوا إليه  
أيضاً أن يرسل عينه لتقتى أثر المتآمرين لتضربهم ، فأرسل « رع » عينه  
التي نزلت إلى الأرض بصفته الإلهة « حتحور » ، ولكن هذه الإلهة  
عادت بعد أن قتلت الناس فى الصحراء ، وعندئذ قال جلالة الإله :  
أهلا بقدمك يا « حتحور » ... فأجابته هذه الإلهة بحياتك لقد كنت  
شديدة البأس بين الناس وقد سر ذلك قلبى .

ولكن « رع » خاف أن تهلك « حتحور » الناس عن بكرة أبيهم  
فى الغد ، وقال آيت إلى على وجه السرعة برسل سريعين يعدون مثل  
الظل . فأحضر إليه رسل من هذا النوع على وجه السرعة ، وقال لهم

جلالته : اعدوا إلى الفتين وأحضروا إلى مقداراً عظيماً من مادة « ديدى » وأعطيت هذه المادة لحامل الخصلة . في عين شمس فطحنها هذا الملاك في حين كان الخدم يحضرون الجمعة بالشعير وبعد ذلك صبت هذه المادة « ديدى » في الجمعة فأصبح لونها كلون الدم . . . . . وشربت منها « حتمور » حتى ثملت وبذلك كفت عن فناء العالم ، ولكن الإله « رع » المسن بعد أن خلّص البشر من الفناء التام لم يعد يرغب في الاستمرار في حكم هؤلاء المخلوقات الذين لا وفاء لهم ، وقال بحياى أن قلبى قد حل البقاء معهم ، وعندئذ يدخل الإله « نون » ونادى بقربه بنته « نوت » التى على شكل بقرة ، فاعتلى ظهرها الإله « رع » ورفعه إلى السموات على وصارت منذ ذلك الوقت هى السماء ؛ ولكن عندما طلت « نوت » من أعلى ارتجفت أعضاؤها بسبب ارتفاعها ولكن « رع » نادى الإله « شو » وقال له يابنى « شو » ضع نفسك تحت بنتى نوت واحملها على وائسك ففعل « شو » ما أمر به ؛ ومنذ ذلك المهد كان يحمل البقرة السماوية التى على بطنها تسطع النجوم وتسيح الشمس فى سفينة. (أنظر صفحة ٢٠١).

« رع » ينجى بنى  
الانسان

ومنذ ذلك المهد كان يحمل « رع » على جبهته الثعبان السام وهو أصل الخيف الذى ينفث النار فى وجه الأعداء . كل هذه المظاهر تشرنا إلى الديانة فى بدايتها كانت قائمة مظلمة . ولذلك يدهش الإنسان للخطوات واسعة التى خطتها المدنية المصرية نحو الرقى الفكرى عند ما قرأ تاريخهم عهد الدولة القديمة ؛ ولكن الواقع أن هذه الحقائق تجذب الرأى القائل ،

(أصل الصل (الثعبان)  
المرعوى

سبب رقى البلاد

بأنه قد مر على مصر عصر طويل من الثقافة كان لا بد أن تمر به البلاد أولا لتصل إلى ما وصلت إليه ، في نواحي الحياة الأخرى التي ضربت فيها بسهم صائب ، وكان لها أحسن تأثير في رقيها الفكري والأدبي والمادى ، فمن ذلك أن تربية الماشية وزراعة الحقول وتنمية التجارة التي نتجت عن هذا الرقى والتقدم ، أثر تأثير حسنا في أنظمة الحكومة وفي إقامة العدل وهذب أخلاق القوم ، ومما جعلهم يتركون ظهريا كل الشعائر والطقوس الوحشية في كل مكان ، حتى أنه لم يبق منها إلا رموزها ، ولا أدل على ذلك من أنه منذ عصر ما قبل التاريخ قد اختفت الضحايا البشرية التي كانت تقرب في الطقوس الدينية ولم يبق دليل على وجودها في سالف الأزمان إلا الدمى التي كانت توضع مع المتوفى في قبره ، أو عادة دفن المقربين من الفرعون معه في القبر ، أو ما نشاهد في عهد الدولة المنفية من بناء العظماء مقابرهم حول هرم مليكهم .

اختفاء الضحايا البشرية

ويدل تقرب الضحايا في مصر القديمة من بعيد على أن الآلهة كانوا في الأزمان السحيقة يحبون دماء الضحايا وهذا يلاحظ من وضع طعام الضحية بعد ذبح الحيوان أمام المعبد على مائدة القربان أمام الإله ، وهذه الأطعمة كانت تشتمل على لحوم ومشروبات ، وفطائر وأزهار وغيرها . ولكن أهم شيء كان يقدم هو البخور . وكان يتمتع بكل هذه الأشياء الكهنة المطهرون والكهنة خدام القرين ( الروح المادية ) .

ضحايا الحيوان ذكرى للضحايا البشرية

ورغم ما وصل إليه المصرى من المدنية والرقى فإنه استمر محافظا على

المصرى محافظ  
على القديم

قص الأساطير العتيقة المبهوشة ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن المصرى بطبعه كان محافظا لا ينسى. فكان يحافظ على التقاليد القديمة مهما كانت سخيفة غير معقولة ، وكان يستعملها في أغلب الأحيان في أمور السحر حتى كان من أهم ضروريات الحياة للمصرى. ولا يهمه مادام يصل إلى أغراضه أن يتبع كل الطرق السحرية سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة. ولكن رغم هذه الأساطير كانت عند المصرى فكرة تقية صافية عن الإله مما جعل العلاقة بين الناس يسودها وازع خلقى ، سداه العدل ولجته النظام المستتب ؛ وهذه كانت منحة من الآلهة أيضا ، لأنهم وإن لم يكونوا أنفسهم مثلا عليا للأخلاق فإنهم رغم ذلك حماة النظام الخلقى ، فيعاقبون من يهتك حرمة هذا النظام ، كما يعاقبون من يتعدى حدود تعاليم تطهارة الجسمية .

الآلهة حماة النظام  
الخلقى

آلهة العدل

وقد مثل المصرى العدالة التى تقوم على مبادئها كل المدنية المصرية وحسن سير الجماعة ، منذ فجر التاريخ فى هيئة إلهة ( امرأة ) حسناء تحمل فوق رأسها ريشة أو فى صورة ريشة فحشب ؛ وأطلق عليها اسم « معات » وتبنتها بنت الإله « رع » إله الكون وزوجها الإله « تحوت » المنشئ لكل مدنية العالم .

المدنية المصرية  
منشأها الدين

والواقع أن نشأة المدنية المصرية التى قوامها العلم والعدل والإدارة المحسنة فى نظام الحكم . يرجع إلى أصل دينى ، أو اجتهد المصرى أن يمزجه إلى أصل دينى ، وذلك لأن الدين كان متغلغلا فى كل مرافق حياته



ولذلك رمز لكل منها بصورة ملموسة أمام المجتمع يهتدى بهديها . فمثل  
إله العلم «تحتوت» مثل بالطائر إيبس أو القمر وفي يده قلم وقرطاس<sup>(١)</sup> ، ومثل إلهة  
العدل بامرأة تحمل ريشة فوق رأسها رمز الدقة والعدالة ، أما الإدارة  
ونظام الحكم فكان ممثلا في الإلهة « سشات » ( ومعناها التي تكتب ) وتمثل  
على شكل امرأة جالسة على كرسيها ويدها قلم وقرطاس تكتب فيه ، وكانت  
تعد سيدة بيت الكتب ، وتعتبر أول إلهة نقشت ( أى كتبت ) . وكانت  
وظيفتها أن تدون كل الأعمال الجليلة التي يقوم بها الملوك . وكانت تنقش  
أسماءهم على شجرة في معبد عين شمس وهي والآلهة « معات » من رفاق  
الآله تحتوت ما

---

(١) شبه منقار الطائر إيبس ( أبو منجل ) بالقلم إذ ينقر به ( أى يكتب ) ولذلك سمي إله  
الكتابة والنقش .

## مصادر المقاطعات في العهد الفرعوني وما بعده

من المحتمل جدا أن يكون تقسيم البلاد إلى مقاطعات منذ أقدم عصور التاريخ المصري هو النظام الإداري السائد في بلاد الوجه القبلي . ويظهر أن علماء الجغرافية الذين اهتموا بجغرافية مصر القديمة يعتقدون أن عدد المقاطعات في البلاد قد بقى على ما هو عليه منذ الدولة القديمة وبخاصة في الوجه القبلي ما بين « منف » إلى الألفتين ، وقد حدد هذا العدد باثنتين وعشرين مقاطعة كما ذكرنا آنفا ( انظر ص ١٦٩ وما بعدها ) أما في الدلتا فيعتقدون أن العدد كان يتغير حسب الأحوال ، ولكنه كان على أية حال ٢٠ مقاطعة منذ أقدم العهود ، ولذلك يقول الأستاذ « إرمن » أن تأليف البلاد من اثنتين وأربعين مقاطعة يحتمل رجوعه إلى عهد توحيد الصعيد والدلتا ، وقد يجوز أنه تغير فيما بعد إلا أن التقسيم القديم بقى تقليدا متبعا حتى العهد الروماني ، ويظهر ذلك جليا في الاثنين والأربعين قاضيا الذين كان يتألف منهم قضاة محكمة « أوزير » لمحكمة المتوفى أى أن كل قاض كان يمثل مقاطعة .

ولكن يظهر أن الأبحاث الحديثة بعضها يخالف هذا التقسيم وبخاصة في الدلتا ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه رغم تحديد عدد مقاطعات الوجه القبلي باثنتين وعشرين مقاطعة منذ الدولة القديمة ، فإن المقاطعتين الحسادية عشرة والتاسعة عشرة كانتا غالبا تحذفان من قوائم المقاطعات لأسباب دينية وذلك لأنهما يمثلان إله الشر « ست » .

أما نظام عدد مقاطعات الدلتا فإنه لم يتم إلا تدريجيا ، إذا صدقنا ما وجد

على نقوش الدولة الوسطى . إذ لم نعر في معبد الملك « سنوسرت الأول » الذى كشف عن حجراته مستعملة ثانية فى معبد الكرنك ، إلا على ستة عشرة مقاطعة . والواقع أن عدد المقاطعات لم يظهر أمامنا بصفة قاطعة مشتملا على الإثنتين والأربعين مقاطعة ، إلا على معابد الأسرة التاسعة عشرة ، وبقي هذا تقليدا حتى عهد البطالسة ومن ثم أخذ يحدث تغيير وتبديل فى أسماء المقاطعات وعددها كما سنشرح هنا .

وأهم المصادر التى استقينا منها معلوماتنا عن المقاطعات هى القوائم التى فى المعابد وما كتبه الكتاب الإغريق واليونان .

وقد بدأ البحث فى جغرافية مصر منذ أواسط القرن الثامن عشر .

وسنذكر هنا أهم المؤلفات التى عنى فيها بالمقاطعات المصرية منذ القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا .

1. Bourguignon d'Anville. Mémoires sur l'Egypte Ancienne et Moderne et une carte intitulée Ægyptus Antiqua, 1765 Paris.

دوّن المؤلف فى خريطته قائمة بالمقاطعات القديمة وعددها ٥٣ ، منها تسع وعشرون مقاطعة فى الدلتا وعشرة فى مصر الوسطى ( هبتو مانا ) بما فيها واحات صحراء لوييا ، و١٤ مقاطعة فى مصر العليا . وقد ذكر فى الفصل الخامس من هذا الكتاب الذى وضعه بعنوان وصف مصر مقسمة إلى مديريات . المصادر التى استقى منها معلوماته وهى ما كتبه « ديدور الصقلى » ، و« استرابون » و« بليني » ، و« بطليموس » ، ثم

Deys le periegitte, La notitia dignitatum, et synecdemus d'Hieroclés.

2. Description de l'Egypte.

وهو الكتاب الذى ألفته البعثة العلمية التى أتت مع نابليون إلى مصر . وقد جاء فيه فى الجزء الخامس (اللوحة الثامنة والخمسون) قائمة ناقصة بأسماء المقاطعات قلا عن النقود الرومانية .

3. Quartremere, Mémoires géographiques et historiques sur l'Egypte  
2 vol. Paris 1811.

وقد تكلم المؤلف فى كتابه هذا عن المدن والقرى المصرية ولكنه لم يتعرض للمقاطعات .

4. J. Fr. Champollion; l'Egypte sous les Pharaons, ou recherches  
sur la religion et l'histoire de l'Egypte avant l'invasion de  
Cambyse. 2 vol. Paris 1814.

وقد لاحظ شمبليون فى مؤلفه هذا تغير المقاطعات فى العصور المختلفة حسب ازدياد عدد المقاطعات فى العهد الإغريقى الرومانى ، ولم يكن وقتئذ قد حل رموز اللغة المصرية . غير أنه قال إن البلاد كانت مقسمة إلى ٣٦ مقاطعة ، عشر منها خاص بقسم طيبة و ١٦ بمصر الوسطى وعشر بمصر السفلى . وهذا العدد قليل جدا بالنسبة للعدد الذى ذكره انفيل (Anville) ولكنه مساو للعدد الذى ذكره «ديدور» و«استرابون» .

5. Tochon; Recherches sur les Médailles des nomes ou préfectures  
de l'Egypte; Paris 1822. (P. 10 - 15).

وقد ساعد هذا المؤلف على تكملة المعلومات التى استقيناهما من الكتاب الإغريقى والرومان عن المقاطعات . ويرجع الفضل له فى أنه أظهر لنا أن أسماء هذه المديريات قد نقلها الكتاب القدماء مختلفة ، وأن المقاطعات التى ذكرها هردوت واسترابون لم تكن كلها هى نفس التى ذكرها بليني وبطليموس . وأن النقود قد ظهر

عليها أسماء أربع مقاطعات لم تكن معروفة للكتاب الاقدمين الذين ذكرناهم.

6 J. Franz . Corpus inscriptionum græcarum, 1853(P.282 - 284)

وقد خصص المؤلف في مقدمة كتابه فصلا للمقاطعات التي ذكرها

«هردوت»، و«استرابون» و«بطليموس» .

7 G. Parthy. Zur Erkunde des Alten Ægypten 1859. (P. 509-538).

قدم الأستاذ برنى مؤلفه هذا إلى أكاديمية برلين وقد وضعه بست عشرة

خريطة ، الخمس الأولى منها خصصها للمقاطعات التي ذكرها هردوت واسترابون

وبلى ، وبطليموس ، والنقود . أما الخرائط الباقية فستقة من الوثائق الحكومية

للعهد الرومانى .

8.a. Dumichen, Geographie Inschriften 2 vol.

b. Dumichen, Geschichte des Alten Ægypten, Berlin, 1879.

ولم يذكر لنا المؤلف تفصيلا فى كتبه عن المقاطعات وكل ما أشار إليه أن

المقاطعات كان عددها فى مصر يتراوح بين ٣٥ و ٤٧ مقاطعة ( انظر ص ٣٠ من

تاريخ هذا المؤلف ) وذلك حسب ما جاء فى النصوص المصرية .

9. Brugsch. ; Dictionnaire Géographique de l'ancienne Egypte  
1879. Leipzig.

ويعتبر الأستاذ برکش المؤسس الأول فى وضع مؤلف شامل لجغرافية مصر

القديمة . ولم يبحث فى كتابه موضوع المقاطعات إلا حسب ما جاء فى القوائم المصرية

القديمة ويمجد القارىء فى أول هذا المؤلف قوائم بأسماء مقاطعات الوجه القبلى ومقاطعات

الوجه البحرى . وما يقابلها فى الأطلال الباقية الآن فى البلاد وكذلك أسماء الآلهة

التي كانت تعبد فى كل مقاطعة.

10. Sayce. The Ancient Empires of the East. 1883. (Herodotus I-III).

ذكر لنا الأستاذ «سايس» أن المقاطعات كان يختلف عددها حسب العصور . وقد وضع قائمة بالاثنتين والأربعين مقاطعة التي ذكرت في النقوش المصرية ٣٢ لوجه القبلى و ٢٠ لوجه البحرى ودون اسم كل مقاطعة بالمصرية واسم عاصمتها ، وكذلك بالإغريقية والعربية . هذا إلى أنه ذكر لنا بعض معلومات عن كيفية الحكم فيها منذ أقدم العصور الفرعونية حتى عصر البطالسة .

11. J. De Rougé, Géographie de la Basse-Egypte et memoires des Nomes.

ويعد هذا المؤلف أحسن ما كتب عن جغرافية الوجه البحرى . وقد كشف عن كثير من الموضوعات الغامضة . ثم تلاه الأستاذ درسى Daressy وكتب عدة مقالات متمعة عن جغرافية مصر السفلى فى عدة مجلات وبخاصة مجلة المتحف المصرى . وقد جمع أخيراً « لبيوفتش » فهرساً بكل كتاباته فى هذا الموضوع وغيره .

Annales du Service» t XXIX P. 18 - 41»

12. Wiedmann. Herodots zweites Buch p. 442 — 574 .

ولم يذكر لنا فى كتابه هذا إلا أن عدد المقاطعات كان يختلف . فيقول أن كل من ديدور واسترابون ذكر ٢٦ مقاطعة ، وذكر بليني ٤٨ ، أما بطليموس فذكر ٤٣ ، وجاء على الآثار ٤٤ مقاطعة .

13. Muller, Geographie de Cl. Ptolomie Paris 1883—1890. Und Atl-

وفى هذا المؤلف نجد قائمة جديدة عن مقاطعات الوجه البحرى .

14. A. Simaika. Essai sur la province romaine d'Egypte, Paris, 1892

وقد بين لنا الأستاذ سميكة المصرى الجنس لأول مرة الأسباب التى أدت

إلى الاختلافات فى قوائم المقاطعات إذ يقول (١) أن مدنا جديدة قد حلت محل مدن قديمة ، ومن أجل ذلك كانت العاصمة تتغير أحيانا . (٢) كان يحدث أن تقسم مقاطعة عظيمة المساحة إلى مقاطعتين أو أكثر . (٣) كان العكس يحدث أن تضم مقاطعتان أو أكثر تحت سيطرة حاكم واحد وذلك أما لصغرهما أو لقلة عدد السكان فيها . وقد دون المؤلف كذلك قائمة بأسماء المقاطعات .

15. Steindorff. Die Ägyptische gau und ihre politische entwicklung, 1909 Leipzig.

فحص الأستاذ «شتيندورف» التغيرات التى طرأت على قوائم المقاطعات منذ العصر الصاوى حتى العصر الرومانى . وبين أن القوائم التقليدية المنقوشة على معابد البطالسة لا توافق التقسيم المصرى الحقيقى القائم فى البلاد فى عهد البطالسة فثلا ، لم نجد بينها إحدى المقاطعات الهامة جدا وهى مقاطعة الفيوم الحالية إذ بقيت على قوائم المعابد تكون جزءا من المقاطعة الواحدة والعشرين فى الوجه القبلى .

16. Maspero, The Dawn of Civilization, London 1910.

كتب العالم العظيم مسبرو فى كتابه هذا بعض معلومات قيمة عن المقاطعات من ( ٧٠ - ٧٨ ) ورسم خريطة للوجه القبلى وأخرى للوجه البحرى وبين عليهما كل المواقع القديمة وأسماء المقاطعات وما يقابلها فى الأسماء العربية الآن .

17. Ed. Meyer ; Histoire de L'antiquite T. II. L'Egypte jusqu'à L'Epoque des Hyksos. Trad. Monet. 1914 Paris

وقد أفرد هذا المؤلف العظيم فصلا فى كتابه هذا عن المقاطعات وآلفتها وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة ( ص ٧٤ - ٨٦ ) .

18. a. Petrie Historical studies vol II p.22-29. The nomes of Egypt London 1911.

b. Petrie, Social Life in Ancient Egypt (46—47) London 1923.

درس الأستاذ بترى فى كتابة المطالعات التاريخية نشأة المدن المصرية والمقاطعات ، ثم وضع نتائج فخصة فى قوائم منقولة عن قائمة من القوائم المدونة فى معبد «سيتى الأول» بالعراة وكذلك عن القائمتين الموجودتين فى البردية المالية التى من عهد البطالسة ، وعن قوائم استرابون وبلينى وبطليموس والنقود الرومانية ولم ينقل شيئاً قط عن قائمة هردوت .

أما فى مقاله فى كتاب (الحياة الاجتماعية عند المصريين) فقد ذكر لنا أن سبب ازدياد عدد المقاطعات يعزى إلى ازدياد عدد السكان وبذلك - حسب رأيه - أصبحت الست عشرة عاصمة التى كانت فى القطر منذ أقدم عصور ما قبل الأسرات ، ثم ازدادت إلى ٢٥ فى عهد الدولة القديمة ثم إلى ٤١ فى عهد الدولة الوسطى ، ثم ٦٧ فى عهد الدولة الحديثة . أما عدد المقاطعات فإنه نزل من ٦٧ إلى ٥٧ فى العهد الرومانى أى أصبح ٢٢ فى الوجه القبلى و ٣٥ فى الدلتا . غير أن معظم هذه الأرقام لا تتركز على حقائق علمية ثابتة ولذلك لا تحتمل النقد .

19. Hohlwein, L'Egypte Romaine Bruxelles; 1912.

وقد جمع المؤلف فى كتابه هذا كل النتائج التى وصل إليها أسلافه عن المقاطعات ثم قال إن كتابات العصر الرومانى وجد فيها ٧٦ إسماً لمقاطعات ولم يذكر لنا المقاطعات التى حلت محل مقاطعات أخرى .

20. Budge From Fetish to God in Ancient Egypt, London 1934.

وتكلم لنا الأستاذ بدج فى كتابه هذا عن الأوثان التى كانت تعبد فى المقاطعات .



21. H. Dessau ; Geschichte des Romischen Kaiserzeit II Band 2  
Abteilung. Berlin 1930.

ويرى هذا المؤلف ( ص ٦٨٨ ) أن عدد مقاطعات القطر لا بد أنه كان  
في العهد الروماني أقل مما كان عليه في العهود التي قبله .

22. Gauthier; Dictionnaire des noms Géographiques contenus dans  
les Textes Hiéroglyphiques, 6 vol. Le Caire 1924.

وهذا القاموس يشمل كل الأسماء التي ورد ذكرها في النقوش المصرية  
سواء أكانت في مصر أم فيما جاورها من البلاد وقد تكلم عن المقاطعات ، كل في  
مكانها حسب الحروف الأبجدية كما جاءت في النقوش المصرية .

23. A. Moret; Le Nil et la civilisation Egyptienne, Paris 1926(P.47-80).

كتب الأستاذ «موريه» فصلاً هاماً عن المقاطعات وقسم القطر إلى ٤٢ مقاطعة  
حسبما جاء في النقوش المصرية وتكلم عن نظام المقاطعة من الوجهة الإدارية والدينية  
وكذلك عن كيفية تكوينها بصورة واضحة جلية ثم وضع قوائم بأسماء المقاطعات  
وعواصمها ورموزها وأهنتها . ورسم خريطة لكل من الوجه القبلي والوجه البحري .

24. Budge; Egyptian Hieroglyph Dictionary. 2 vol. 1920.

وقد خصص الأستاذ بدج فصلاً خاصاً لكل الأسماء المصرية الجغرافية  
والمقاطعات المصرية التي جاءت في النصوص المصرية .

25. Sethe; Urgeschichte und Alteste Religion Der Agypter.1930.

أفرد الأستاذ « زيه » في كتابه هذا فصلاً عن مقاطعات مصر وشرحها  
شرحاً علمياً من الوجهة الدينية والاجتماعية ووضع في نهاية كتابه خريطة للوجه  
القبلي وأخرى للوجه البحري وبين فيها المقاطعات.

26. Jacques Pirenne. Histoire des Institutions et du Droit Prive de  
l'ancienne Egypte. Bruxelles 1932.

وقد أفرد في الجزء الأول من مؤلفه هذا فصلا عن المقاطعات حسب التقسيم التقليدى أى ٤٢ مقاطعة ووضع خريطة لكل من الدلتا والوجه القبلى .

27. Gauthier, Les Nomes d'Egypte depuis Hérodote jusqu'à la Conquête Arabe. Le Caire 1935.

وهذا المؤلف يعد أحسن ما كتب فى الموضوع لأنه جمع آراء كل من سبقه وناقشها وتكلم عن كل مقاطعة منذ نشأتها حتى النهاية وكذلك قد وضع الأستاذ جوتيه فهرسا ممتعا لكل ما كتب عن جغرافية مصر فى كتاب سماه :

28. Bibliographie des études de Géographie historique Egyptienne 1920, dans Bull. de la Soc. Sultanieh de Géographie d'Egypte t. IX.

## مصادر فصل الديانة

إن كل ما وصل إلينا من النقوش والكتابات المصرية القديمة يكاد يكون في معظمه دينياً أو له علاقة بالشعائر الدينية ، ولا غرابة في ذلك ، إذ أن ما بقي لنا من تراث القوم قد عثر عليه في المقابر أو المعابد لغرض ديني ، ولذلك لا نكون مغالين إذا قررنا هنا أن كل نقش أو كتابة على البردي عثر عليه حتى الآن . ولو كان في ظاهره خاصاً بالتاريخ أو الطب أو الاجتماع ، فإنه وضع في الأصل لقصد ديني أو له مساهمة بالدين من أجل ذلك سنكتفي هنا بذكر أهم المصادر الأصلية التي لها علاقة مباشرة بالدين ثم نذكر الكتب التي وضعها علماء الآثار عن الديانة المصرية منوهين بقدر ما تسمح به الأحوال عن مضمون كل مؤلف ونظريته في الديانة المصرية ، وكذلك سنذكر هنا بعض المؤلفات التي كتبها العلماء عن بعض الآلهة المصرية سواء أكانت في كتب منفردة أو مقالات في مجلات علمية .

### أهم المصادر الأصلية

1. Le Livre des Pyramides, par Maspero. 1882 - 1892. Rec. Tr. 4 - 14

متون الأهرام . وهي النقوش التي وجدها العالم مسيرو منقوشة على جدران أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة في سقارة عام ١٨٨١ . وتعد أقدم مجموع من التعاويذ الدينية التي وصلت إلينا من أقدم العصور . وقد ترجمها الأستاذ مسيرو بسرعة .

2. Die Altägyptischen Pyramiden texte. 4 vol. Leipzig. 1908-1922

متون الأهرام. جاء بعد مسيرو العالم الألمانى «زيت» وطبع متون الأهرام  
كرة أخرى بعد أن راجعها ونقحها وكتب شروحا عليها ، ثم أخذ يعد فى ترجمة لها  
ولكن وافاه القدر قبل أن يتم عمله ، وبعد موته نشر الأستاذ « جربوف »  
سالم الألمانى ما تركه « زيت » مترجماً فى أجزاء ظهر منها أربعة باسم :

3. Sethe; Übersetzung Und Kommentar zu den altägyptischen  
Pyramiden texte; Glückstadt und Hamburg. 1939.

4. Speclers, Comment faut-il lire les textes des Pyramides Egyptiennes ? Bruxelles 1934.

هذا الكتاب محاولة من مؤلفه لترجمة متون الأهرام بالفرنسية ولكن الفرق  
عظيم بينه وبين ترجمة الأستاذ « زيت » الذى خصص حياته لدرس هذا الموضوع.

5. Textes Religieux par Pierre LACAU. ( Rec. de Travaux ) Vol  
26 - 31 et Tirage à part, Paris 1910.

هذه النقوش أكبر مصدر لنا عن الديانة فى عهد الدولة الوسطى وهى مكتوبة  
على جدران التوابيت الخشبية لهذا العصر.

والواقع أن توابيت الدولة الوسطى منبع فياض من المعلومات عن المتون الجنائزية  
كتوابيت التى تم نقشها من الداخل فى هذا العصر تحتوى على سلسلة فصول وضعت  
تحت تصرف المتوفى وقد كتبت بالخط الهيراطيقى وتشغل فى العادة النصف الأسفل  
من جهات التابوت الأربع ، وأحيانا تشغل كل قعر التابوت والغطاء . وهى تكون  
جزءاً هاماً أساسياً من تصميم التابوت ، وهذه المتون فى الواقع منقولة عن متون  
الأهرام التى كتبت على جدران حجرة الدفن فيها ؛ وبعد ذلك كتبت على جدران  
توابيت فى عهد الأسرة الحادية عشرة ، ثم بعد ذلك كتبت فى داخل التابوت

عند ما اعتقد المصرى أنه أصبح مختصرا لحجرة الدفن . وقد صارت القاعدة بعد ذلك فى الدولة الوسطى ولكن فيما بعد عندما أصبح التابوت يعمل على شكل آدمى . كتبت هذه النقوش على ورق البردى ووضعت بجوار الموميا . ومجموع هذه الفصول أطلق عليه علماء الآثار ( كتاب الموتى ) .

ومتون الأهرام وكتاب الموتى ليس فيها إلا فصول قليلة مشتركة . والظاهر أن كلا منها منفصل عن الآخر ، ولكن متون توايت الدولة الوسطى تشمل على عدد يكاد يكون متساوياً من فصول متون الأهرام ومن كتاب الموتى فهى فى الواقع همزة الوصل بين الاثنين وتبين بوضوح أن كلا من المتنين يشترك فى غرض واحد . وكل محتويات هذه المتون هى تعاويد من نوع واحد تضمن لمن يعرفها من المتوفين الخلود فى الأحوال المختلفة فى الحياة الآخرة فى القبر .

يضاف إلى ذلك أن توايت الدولة الوسطى تحتوى على عدد عظيم من الفصول لم نجدها لا فى متون الأهرام ولا فى كتاب الموتى ، وبذلك تزيد فى معلوماتنا عن الديانة المصرية . والحقيقة أن الإنسان ليدهش من تدرج المعتقدات الدينية إذ نجد أن كتاب الموتى يضم أحيانا نحو ١٨٠ فصلا التى لا يشك فى أنها مختصرة لمجموعة عظيمة جداً من الفصول الدينية ، أما متون الأهرام فقد عثرنا دفعة واحدة على ٤٥٣ فصلا . ولا تزال الفصول الدينية التى من عهد الدولة المتوسطة تزدهر بازدياد الكشف ، وقد قام أخيراً المرحوم الأستاذ «برستد» بالإشراف على طبع كل هذه المتون بمقارنة بعضها ببعض ووكّل ذلك للعالم الهولندى « دى بك »

6. De Buck. The Egyptian Coffin Textes, Chicago, 1935.

وقد ظهر منه للآن جزاءات .

أما كتاب الموتى الذى أشرنا إليه فقد طبعه أولا :

7. Naville, Das Ägyptische Tottenbuch der XVIII bis XX Dynastie Berlin 1886.

وهذا الكتاب يعرف عند الأثريين خطأ بكتاب الموتى ، والواقع أنه يحتوى على عدة فصول وتعاويد تساعد المتوفى فى آخرته وتعاونه على الحساب أمام الإله الأكبر « أوزير » ؛ وكذلك لخروجه ودخوله فى القبر وسياحته إلى عالم الآخرة ، وهذه الفصول وجدت مكتوبة على بردى موضوعة مع المتوفى فى تابوته منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وتعتبر هذه التعاويد المرحلة الثالثة فى نمو الأدب الدينى عند المصريين ومعظمها يرتكن على السحر ؛ وقد ترجم كتاب الموتى هذا عدة علماء ولكن أحسن مرجع يمكن الاعتماد عليه مؤقثا هو :

8. Le Page Renouf. The Lifework of Sir Peter Le Page Renouf, IV Vol. Paris 1907.

9. Le livre des morts, dans la Revue de l'histoire des Religions XV

10. Grapow. Religiöse Urkunden 3 Bande, Leipzig 1915 - 1917.

وقد ناقش المؤلف فى هذا الكتاب بعض فصول كتاب الموتى وترجمها .

11. Schott. Urkunden Mythologyschen Inhalts. Leipzig 1929.

ويمتاز هذا الكتاب بأنه يحتوى على متون دينية من العصر المتأخر ولكنها مترجمة.

تنتقل بعد ذلك إلى ما كتبه علماء الآثار من الكتب عن الديانة المصرية

القدية وأهمها ما يأتى :

1. ERMANN. Die Religion der Ägypter. Berlin 1934.

بعد الأستاذ إيرمن من أكبر علماء الآثار واللغة المصرية وقد بحث فى

كتابه هذا الديانة المصرية واستعرض فيه الآلهة المصرية والمعتقدات المتضاربة التي وجدها في ديانة القوم وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية .

2. Wild; La religion des Egyptiens, Paris 1937.

3. Breasted; Development of Religion and Thought in Ancient Egypt. New York. 1912.

يعد هذا الكتاب من أمتع الكتب التي كتبها الأستاذ برستد عن ديانة المصريين وقد بنى كل استنتاجاته على متون الأهرام . وشرح فيه بوجه خاص الفرق بين عبادة الشمس وعبادة « أوزير » .

4. Roeder. Urkunden zur Religion des Alten Aegypter, Iena 1915.

جمع الأستاذ ريدير في هذا الكتاب عدة متون دينية من كل العصور وترجمها . وكتب لها مقدمة ممتعة لمن يريد البحث في تاريخ الديانة المصرية وتطوراتها ويظن أنها ديانة وحدانية .

5. Maspero. Etudes de Mythologie et Archéologie Egyptienne 8 vol. Paris. 1893 - 1916.

ويمجد القارئ في هذه المجلدات أبحاثاً عدة في قط عويصة في الديانة المصرية القديمة تناولها بمهارته وإلمامه وعلمه المشهور . ويلاحظ في كتابة الأستاذ مسبرو أنه يعتقد أن الديانة المصرية القديمة هي عبارة عن ديانة شرك فيها متناقضات كثيرة إذ نجد عند القوم في عهد واحد الوثنية والشرك ، والتوحيد . هذا هو رأى الأستاذ إرمن كما ذكرنا آنفاً .

6. Sayce. Religion of Ancient Egypt, Edinburgh. 1913.

ويقول المؤلف إن الغرض من كتابه هذا عن الديانة المصرية أن يفسر

قدسية بين المصريين القدماء وأن الديانة المصرية تفسر قول الأنجيل : إن نور  
نير لكل من أتى على الأرض .

7. Steindorff. The Religion of the Ancient Egyptian.

هذا الكتاب يحتوى على سلسلة محاضرات ألقاها الأستاذ ستيندورف عن  
ديانة المصرية وشرح نواحيها وأظهر أنها بشير تقدم الديانة الموسوية والديانة  
السيحية . وقد ترجم إلى اللغة العربية وطبع بمطبعة المعارف .

8. Max Muller, Egyptian mythology, Boston 1923.

طبع هذا الكتاب بعد وفاة صاحبه . ويحتوى على كل الأساطير التي جاءت  
من كتب الديانة والآلهة عند قدماء المصريين .

9. MORET. Le Rituel divin journalier en Egypte, Paris 1902.

وقد بحث فى هذا الكتاب الطقوس والشعائر الدينية التي تؤدى فى المعابد  
مصرية .

10. PETRIE; Religious life in Ancient Egypt 1924.

وقد تكلم الأستاذ بترى فى هذا الكتاب عن الحياة الدينية فى مصر وشرح  
حياة الحكومة وديانة الشعب حسبما يرى هو .

11. Reisner. The Egyptian conception of Immortality, 1912.

بحث الأستاذ ريزنر فى هذا المؤلف عقيدة المصرى عن الحياة الآخرة بعد  
الموت وتكلم عن معنى « كا » ومعنى « با » وعن الاستعدادات التي كان يتخذها  
المصرى ليحيا فى قبره .

13. Budge. From Fetish to God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

ضمن الأستاذ « بذج » فى هذا الكتاب كل آرائه وانهى إلى أن



المصرى يعتقد في إله واحد وأن الآلهة الأخرى ما هي إلا من خلق هذا الإله الأكبر.

14. Wiedemann, the religion of the ancient Egyptian, London 1897.

بحث في هذا المؤلف الأستاذ «فيدمان» موضوع ديانة المصريين القدماء بطريقة خاصة. ويرى في كتبه أن المصرى كان لا يفهم الديانة بالمعنى الذى نحن نفهمه أى أنها مجموع عقائد بل يعتقد أن المصرى كان عنده أفكار دينية فحسب. أما الديانة كما نفهمها فلم تخطر بباله، وقد جراه فى ذلك الأستاذ نافيل فى كتابه:

15 Naville, la religion des Egyptiens, Paris 1906.

16. Loret, L'Egypte au temps du totémisme. Paris 1906.

وفى هذا المؤلف يبدى رأيه الأستاذ «لوريه» بأن الديانة المصرية القديمة يرجع أصلها إلى عبادة الرمز.

ويجب هنا أن نشرح فى كلمات مختصرة الفرق بين لفظة Totémisme ولفظة Fétichisme فالرمز هو الجسد المشترك للحيوانات الحية فعلا من نفس جنس الحيوانات المقدس وقد يكون إنسانا وفى هذه الحالة يكون رب القبيلة التى هو منها.

ويمتاز الرمز «التوتم» عن الوثن، أن الأول ليس فيه أية قوة سحرية وأنه إله عادى لا يمثل أية قوة طبيعية ولذلك أمكن اعتبار عبادة بعض الحيوانات فى مصر أنها ترجع فى أصلها إلى رموز كالثور والضببان والتمساح.

أما الوثن أو الوثنية فهى فى أصلها الاعتقاد بأن تملك شىء خاص يمكن أن يمنح مالكة المساعدة أو الحماية التى توجد فى الروح أو القوة الكائنة فى هذا الشىء. وهناك طائفة من العلماء يعتقدون أن الوثنية هى الفترة الأصلية للفكرة الدينية؛ على

من ما يميز الوثنية عن عبادة الأصنام ، أن الأصنام في نظر المستنيرين من عبادها ، كل الإله فحسب أى أنها رمز يرفرف فوقه الروح الإلهية .

17. A. Moret; Le Nil et la civilisation Egyptienne Paris 1926.

وقد وضع فيه الأستاذ موريه كل نتائج أبحاثه في التاريخ والديانة المصرية وهو في الواقع ملخص كل كتبه التي كتبها طوال حياته عن مصر . ويعتقد أن الديانة المصرية مبنية على السحر وقوته في كل كتبه .

18. Le Page Renouf; Lectures on the origin and growth of Religion London 1880.

يرى المؤلف في كتابه هذا أن الدين المصرى القديم يكون وحدة .

19. Brugsch, Religion und mythologie der Alter Aegypten.

ويعتقد الأستاذ « برکش » أن الديانة المصرية مادية أكثر منها روحية .

كتب عدد عظيم من علماء الآثار كتباً خاصة ببعض الآلهة المصريين أو أفردوا لها مقالات ممتعة في بعض المجلات العالمية المشهورة وسنورد هنا أهمها .

1. Mallet; le culte de Neit à Saïs Paris, 1888.

بحث فيه المؤلف عبادة هذه الآلهة من البداية حتى آخر الكشف التي حصلت في عهده ولكن ظهرت آراء جديدة بعد ذلك .

2. Junker, Die onurislegende, Vienne 1917.

وقد كتب الأستاذ « ينكر » هذا المؤلف القيم رداً على مقال كتبه الأستاذ « زيت » عن « عين الشمس » . ويعد هذا الكتاب من أمتع ما كتب في الديانة المصرية .

3. W. Budge. Osiris & the Egyptian Resurrection 2 vol. 1911.

وقد شرح في مقدمته آراء العلماء في الديانة المصرية ثم ختمها بقوله: أن المصريين يعتقدون في إله واحد وأن الآلهة الأخرى من مخلوقاته ثم قال أن الإله «أوزير» تقمص إنسانا ليكون محسوسا عند المصريين ، وكذلك نسب الديانة المصرية إلى أصل إفريقي وأنها لا تختلف عن ديانة أهل السودان.

3. Boylan. Thot, the Hermes of Egypt. London 1922.

تكلم الأستاذ ييلان في كتابه هذا عن علاقة هذا الإله بالإله «أوزير» والإله «رع». وكذلك شرح وظيفته باعتباره إله القمر وبين مكائته في تاسع عين شمس ثم شرح مكائته بصفته المؤسس للنظام الاجتماعي والشعائر المقدسة. وموقعه من الآلهة الثمانية في الأشمونيين.

4. "SET". E. Meyer. "Set - Typhon" Leipzig 1875.

ورغم أن هذا المؤلف قديم فإنه لا يزال أهم مصدر لمعرفة عبادة الإله «ست».

5. Sethe; Amon und die acht Urgötter von Hermopolis. Berlin 1929.

بحث الأستاذ «زيت» في كتابه هذا منشأ عبادة الإله «آمون» وعبادة المحلية ثم تدرجه إلهًا للدولة ثم علاقته بالآلهة الثمانية التي تعبد في هرموبوليس (الأشمونيين الحالية). وهذا الجزء الأخير من الكتاب غامض. وقد كتب الأستاذ «ينكر» مقالا انتقد فيه مؤلف الكتاب في بعض النقط وبخاصة أنه أثبت أن زيت قد أخطأ في قوله: إن الإله «آمون» هو إله الهواء.

6. "NUT". BUSCH, Die Entwicklung der Himmelgötten, Nut zur einer Totengothet. Leipzig 1922. A. Z. 67. 1931 P. 52.

شرح في مقاله هذا موقف الإلهة « نوت » إلهة السماء وعلاقتها بالآلهة الأخرى.

وقد كتب الأستاذ « جروب » مقالا آخر عن هذه الإلهة تحت عنوان:

7, Die Himmels götter Nut als Mutterschwein'in A. Z. 71 (1935 P. 45 - 47.)

8. Wiedemann. Maâ, déesse de la verite et son rôle dans le pantheon Egyptien, Paris 1887.

تكلم في هذا الكتاب عن العدالة والصدق ومعنى كل منها عند المصرى . وموقف الإلهة معات من العدالة في مصر .

9. Isis et Osiris par Plutarque.

ويعد هذا الكتاب المصدر الذى عرفت منه قصة «أوزير» قبل كشف اللغة

المصرية ، ولا يزال من أحسن المصادر التى يعتمد عليها رغم الشذوذ أحيانا في بعض نواحيه .

10. Le febre; Le mythe Osirien, Paris 1874 - 1875.

11. Sethe, "ATUM" als Ichneumon in A. Z. 63. 1928 P. 50 - 53

12. Roeder, Das Ichneumon in der Aegyptische Religion und Kunst. In Egyptian Religion. IV, 1936. P. 1 - 48.

وقد عثر الأستاذ زيه على بعض نقوش ورسوم تثبت أن النفس أوفار

تومون كان يمثل الإله آتوم في عين شمس ويسمى بالمصرية «عز» وأنه يتلع

كعبان عدو الشمس عند الغروب .

13. Hopfner; Fontes Historae. Religionis aegyptiacae. Bonn. 1923-1925.

جمع الأستاذ هبفتر كل ما كتبه كتّاب اليونان الذين زاروا مصر عن

حياته وعمل له فهرسا ممتعا .

4. Wiedemann, Der Tierkult der alter Ægypter, Leipzig 1912.  
5. Theodor Hopfner. Der Tierkult Der alten Ægypter Wien 1913.  
أول من كتب عن الحيوانات التي تعبد في مصر القديمة هو الأستاذ فيلمان  
ولكن أتى بعده الأستاذ تيودور هيفنر بعشرين عاما وتناول الموضوع من كل  
نواحيه فكتب عن كل إله منذ ظهوره حتى العصر الأغريقى الرومانى . وتكلم  
بأسهاب عن الحيوان الذى يعبد فى كل مقاطعة .  
6. Sethe, Dramatische Texte zur Alteägyptischen mysterien  
spielen Leipzig 1928.

وقد أظهر فى هذا المتن أن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين  
منذ الأسرة الأولى . وهذا المتن فى أصله يرجع إلى عبادة إله واحد فى منف  
وهو الإله فتاح ولكن الأستاذ برستد يقول أنه فى الأصل كان للإله  
إله الشمس ثم نسب للإله فتاح رب منف فيما بعد .

## الدولة القديمة

### الأسرات الأولى

يعد المؤرخون «مينا» أول ملك أسس الوحدة المصرية ، وقد كانت له مهابة في قلوب الفراعنة الذين خلفوه حتى أنهم ألوهوه بعد موته ، وبقيت عبادته زمناً طويلاً حتى أننا بعد مضي عشرين قرناً على وفاته وجدنا تمثاله يحصل في مقدمة كل تماثيل الملوك الآخرين في احتفال ديني في عهد رمسيس الثالث في معبد المعروف بمدينة هابو في الجهة الغربية من طيبة . والظاهر أن الملوك الذين حكموا في خلال الأسرة الأولى يبلغ عددهم سبعة واستمروا نحو ٢٠٠ سنة « ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م » . وكذلك يمكننا أن نقول بأن الأسرة الثانية حكمت ما يقرب من ٢٠٠ سنة أيضاً « ٣٠٠٠ - ٢٧٨٠ ق . م » وسنرى منذ هذا العصر السحيق أن النظام الحكومي والإداري الذي كانت تسير عليه البلاد كان على أسس متينة حتى أنه بقي نحو ٣٠٠٠ سنة لم يطرأ عليه تغيير هام إلا في فترات قصيرة جاءت عرضاً . وسنتكلم على هذا النظام بشيء من الإيجاز الآن .

كانت كل القوة مجتمعة في يد الملك ، وكان يعهد بتنفيذها إلى كبار رجال دولته ، الذين كانوا ينوبون عنه ، ومن المحتمل أن هؤلاء العظماء كانوا من الجنس المغير كالملك نفسه ، وقد كانت الملكية قبل توحيد البلاد وبعده وراثية ، وكان للمرأة حق وراثته العرش . وكانت حاشية الملك

تؤلف من العظماء في عهده وأفراد أسرته ، ولم تكن منف مركزهم بل من المحتمل جدا أن يكون مركزهم « نحن » ( الكوم الأحمر ) ، وقد نعت « مانيتون » ملوك الأسرتين الأوليين بالطينيين ، ولكن ذلك لا يعنى أن الملوك كانوا من بلدة « طينة » القريبة من جرجا . ولا أن عاصمتهم كانت في هذه البلدة بل جاء هذا النعت من أن ملوك هاتين الأسرتين قد شيدوا مقابرهم بالقرب من « طينة » المجاورة للعرابة المدفونة وهي التي شيد فيها قبر « أوزير » في المرتفع المسمى « أم طلقعاب » . والواقع أن أول من اتخذ « منف » عاصمة للملك هم ملوك الأسرة الثالثة والأسرات التي أتت بعدها ، وقد دفنوا في جباتها بسقارة والجيزة ، ولهذا السبب المزدوج سمّاهم « مانيتون » بالأسر المنفية .

بوادى المدينة المصرية

وقد شوهد منذ أول الأمر أن الحاشية الفرعونية قد خلقت حواصلا جوا صالحا من المدينة لا بأس به شجع الفنون والصناعات المختلفة فلم يكتف الأهلون كما كان الحال في عصر ما قبل الأسرات بصناعة الآلات والأواني من الحجر والعظم والعاج والفضة والخشب بدقتهم المعروفة بل تخطوا ذلك إلى صناعة آلاتهم من المعادن والأحجار الكريمة وشجع الكريمة بمهارة فائقة ، وكذلك نجد أن أعمال النقش والنحت والتلوين والنسيج والتجارة الدقيقة وصناعة العاج والمجوهرات أخذت تتنوع وتكتمل بدرجة عظيمة . ونشاهد منذ بداية هذا العصر التاريخي ظهور فن الطب وجمع المتون الدينية وتأليفها ، وكان أعظم من ضرب بسهم وافر في

الفنون هم المهندسون المماريون الذين أظهروا براعتهم في تشييد المقابر الملكية ؛ فكانت مقابرهم في بادىء الأمر حجرات بسيطة من اللبن كافية فقط لأن تضم جثة الملك وأثاثه المائى المتواضع . ولكننا بعد ذلك نشاهد أنها أخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت ضخمة متعددة الحجرات . ثم أخذت الأحجار الجيرية والجرانيتية تستعمل فى بنائها شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت مكانة هامة فى تكوينها ، وقد كان يقام حول هذا القبر الضخم مقابر أصغر حجماً للأمرء والعظماء من رجال الحاشية وأسرة الملك نفسه . وكذلك نشاهد مقابر أصغر حجماً من السابقة لعبيد الملك وخدمه الذين يعطف عليهم ويجعلهم يدفنون بجواره فى دار الآخرة ، ويجوز أنه كان يعتقد أنهم سيخدمونه فى آخرته وسنتكلم عن ذلك بأسهاب فى حينه .

## ملوك الأسرة الأولى

أهمهم الملك مينا ويسمى أيضاً « نمرمر » وكذلك « عجا » وقد تكلمنا عنه فيما سبق ثم الملك « زر » و« زت » فالملك « دن حسبى » ، « ودمو » ثم « عزايب » و« سمرخت سمنبتاح » ( سمبس ) والملك « قع » . وسنذكر هنا ما نعرفه عن هؤلاء ملوك بقدر ما تسمح به معلوماتنا الضئيلة عن هذا العصر .

وأول ملك له أهمية عثر عليه بعد الفرعون مينا هو « زر » ويقرأ اسمه « خنت » . وقد عثر على قبره فى العرابة المدفونة بالقرب من باقى مقابر ملوك



الاسرة الأولى. وقد ظن الأثرى «املينو» فى بادى الأمر أنه قبر الإله «أوزير»  
ولكن هذا الخطأ قد استدرك عند ما وجدت آثار عدة باسم الفرعون «زر»، ونرى  
منها أن الفن قد تقدم فى هذا العهد، وقد وصل إلينا عن طريق الرواية أن هذا  
الفرعون كتب سفرًا فى علم التشرىح وأنه هو المؤسس لمدينة «منف» ولكن هذا الزعم  
الآخر مشكوك فيه إذ من المحتمل جدا أن «منف» لم تكن موجودة فى عهده  
أما الملك «زت» (الملك الثمان) فيمتاز عصره بالتقدم الفنى الذى  
نشاهده فى الأشياء التى عثر عليها فى حكمه وبخاصة اللوحة التى باسمه وهو  
الآن فى متحف اللوفر وتدل على دقة الصنع بالنسبة لهذا العهد السحق  
فى القدم. ومن المدهش أنه عثر على اسم هذا الفرعون منقوشًا على  
صخرة فى الصحراء الغربية بالقرب من مدينة ادفو ولا نزاع فى أن النقش  
نقش اسم هذا الفرعون هو رئيس إحدى الكتائب التى كانت ترسل إلى  
جهاز البحر الأحمر، وقد كان الطريق من وادى النيل إلى البحر الأحمر  
يروده البدو الرحل منذ أقدم العهود. وقد كان يظن أنه وقف عليهم  
ولكن هذا النقش قد برهن على أن المصريين كانوا منذ العهد الطينى يرسلون  
البعوث إلى الصحراء الغربية لاستغلال المحاجر والمناجم التى فيها  
ولا يبعد أنهم وصلوا فى سيرهم إلى شواطئ البحر الأحمر نفسه.  
وقد كشفت حديثًا مقبرة فى نزلة البطران يظن أنها لهذا الفرعون  
وذلك لوجود بعض آثار باسمه فيها. غير أن ذلك لا يعد دليلًا قاطعًا  
على أنها مقبرته. وهذه الحالة تماثل القبر الضخم الذى عثر عليه حديثًا

سقاره ووجدت فيه بقايا أوان كثيرة باسم الملك « حور عحا » ، وليس هذا دليلا كافيا على أن هذا قبر « عحا » وبخاصة إذا علمنا أنه كشف له عن مقبرة أخرى بالقرب من العرابة المدفونة ووجد فيها آثار كثيرة باسمه .

وبعد هذا الفرعون يأتى الملك « ودمو » الذى كان يسمى أيضاً « دن » وهو الذى قام بحملة ضد القبائل الرحل فى شبه جزيرة سيناء لمعاينة قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا الغربية ؛ والظاهر أنه أول ملك فكر فى تنظيم مياه النيل وفيضانه فى منطقة الفيوم ، وقد فتح أبواب حدود بلاده للتجارة الخارجية بشكل عظيم ، وحصن المدن ونمى موارد البلاد . وكان أول من حبس الأوقاف على المعابد . وبعد أن حكم مدة ثلاثين سنة كلها جهاد فى خدمة البلاد دفن فى مقبرة عظيمة فى العرابة المدفونة ؛ وهذه المقبرة وجدت أرضيتها مكسوة بقطع من الجرانيت ؛ وهذه الظاهرة تعد فريدة فى بابها إذ أن استعمال الجرانيت لم ينتشر إلا بعد زمن من عهد هذا الملك . وقد بقيت ذكراه حية فى نفوس الأجيال التى تلت ، مثل « ميتا » نفسه . وقد عزى إليه بعد موته بأجيال أنه ألف فصلا من كتاب الموتى . ومما يجدر ذكره أنه أول ملك ذكر قبل اسمه لقب « نيسوت - بيتى » ويعنى بذلك ملك الوجه القبلى والبحرى .

وقد عثر لهذا الفرعون على لوحة من العاج مثل عليها احتفال بتويج ملك . وقد جاء ذكر هذا الاحتفال مرات عدة فى حجر « بلم » . وفى هذه اللوحة يشاهد الفرعون ممثلا وهو لابس التاج الأبيض

للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وهذا رمز لتوحيد القطرين .  
وقد مثل كذلك مرة وهو جالس على كرسى الملك فوق مقعد ، ومثل  
مرة أخرى وهو يجرى بين ست علامات موزعة ثلاثة ثلاثة فى صفين  
عموديين ؛ وذلك بلا شك إشارة إلى الطواف الذى كان يقوم به الفرعون  
حول جدار رمزى ( كما يفعل حول الكعبة الآن ) ، وهذا الاحتفال كان  
من الطقوس التى كان لزاما على الملك أن يقوم بها عند تنصيبه .

وفى عهد « ودمو » يشاهد كذلك لأول مرة الاحتفال بعيد « سد »  
الذى كان يحتفل به عادة بعد اقتضاء ثلاثين عاماً على تولية الفرعون الحكم .  
ولا نزاع فى أن هذا العيد يرجع تاريخه إلى عهد بعيد جداً قبل « ودمو » .  
وقد عثر على مقبرة ضخمة لزوجته « مرت نيت » ( محبوبة الإلهة نيت )  
معبودة صا الحجر فى الوجه البحرى ؛ ووجدت أمامها لوحة مأثمة جليقة  
الصنع ؛ ويعتقد بعض المؤرخين أن ملوك مصر فى هذا العهد كانوا يتخفون  
زوجاتهم من الدلتا لتوطيد العلاقات بين القطرين .

وقد كشف حديثاً فى منطقة سقارة عن مصطبة لأحد الأشراف  
الذين عاشوا فى عهد هذا الملك ويسمى « حماكا » وهذه المصطبة كبيرة  
الحجم إذ يبلغ طولها نحو ٥٧ متراً وعرضها ٢٦ متراً وارتفاعها الحالى نحو ثلاثة  
أمتار ونصف متر ، وهى مقسمة إلى ٤٥ مخزناً تحوى الكثير من الخلفات الرائعة  
التي تدل على مبلغ ما وصل إليه الفن من الدقة والإتقان فى ذلك الوقت .  
إذ وجد فيها مجموعة كبيرة من الأسلحة الصوانية لعلها أكبر مجموعة

الوزير « حماكا »

وجدت من عهد واحد . كما وجد كذلك أفراس من الحجر والنحاس والخشب والعاج تختلف شكلا وحجا وسمكا ، وهي محلاة بمنظر بديعة وبعضها مطعم بقطع من المرمر ، ولم يعرف بالضبط إلى الآن الغرض منها ، ووجد غير ذلك عدد كبير من الأدوات الخشبية من فتوس ومناجل ، وبعض لوحات منقوشة من العاج والخشب ؛ منها لوحة من الأبنوس من عهد الملك « زر » من ملوك الأسرة الأولى ، وكذلك بعض صنابير خشبية وأكياس من الجلد حاخها أسلحة وألواح خشبية ، وقد وجد على سداة كيس منها ختم الملك « دن » ، وفضلا عن كل هذا فقد عثر على قطع من العاج وسهام من الأبنوس والعاج لها أسنة من العظم والعقيق كما وجدت أنواع مختلفة من الأواني الفخارية مقلدة بسدادات من الطين ختمت بأختام الملك « دن » و« حماكا » معاً ، وكذلك وجدت مجموعة كبيرة من الأواني الحجرية ذات أشكال مختلفة .

كما أنه قد عثر في سفارة على جبانة لبعض العمال من طبقة الشعب من عصر هذا الملك ، وهي تبين بوضوح الاتصال الفنى بين ما وجد في مقبرة هذا الملك ومقابر الأشراف في عهده وبين مقابر هؤلاء العمال ، وقد استدل على هذه النظرية من مجموعة الأواني الحجرية التي وجدت في مقابر العمال مماثلة لما وجد منها في مقبرة الملك « دن » ومقبرة وزيره « حماكا » في سفارة . وكذلك الأسلحة المصنوعة من الحجر الصوان ورؤوس السهام وأدوات الزينة الأخرى التي وجدت في هذه المقابر . فترى من ذلك

أن الديموقراطية في ذلك العصر وصلت إلى الصناعة؛ فسوت بين ما يصنع الملوك والوزراء وأفراد الشعب مع الفارق في القلة والكثرة وبعض الفوارق في الدقة وتولى عرش الملك بعد «ودمو» ابنه «عزايب» من زوجته «مرت نيت» ولنا نعرف السبب الذي من أجله محاه الفرعون «سمخت» اسمها حين وجدنا . وقد ظن البعض أنه كان مقتصباً للملك ، ولكننا من جهة أخرى وجدنا أن اسم «سمخت» نفسه قد محاه خلفه الفرعون «قع» وفي الوقت نفسه احترم اسم «عزايب» ولم يححه . ولذلك يرجح أن «سمخت» كان هو المقتصب ، ولهذا السبب قد أغفل اسمه في قائمة ملوك سقارة .

ولما كانت معظم آثار الفرعون «عزايب» قد محيت ، فإن معظم تاريخه بقي مجهولاً لنا تقريباً ، اللهم إلا بعض تف حفظها لنا حجر بلم أهمها انتصاراته على قوم يسمون «ايوتيو» ومن المحتمل أنهم كانوا السكان الأصليين الأقدمين لمصر .

ولما كان هؤلاء القوم قد هزموا منذ حكم أتباع «حور» وشتت شملهم ؛ وتفرقوا ثلاث فرق ؛ واحدة منهم استوطنت شبه جزيرة سيناء والثانية في الواحات ، والثالثة في بلاد النوبة ، فإنهم بقوا جيراناً معادين لمصر يغيرون عليها كلما سنحت الفرصة ؛ ولا شك في أن الحملة التي قام بها «عزايب» كانت لصد غارات هؤلاء القوم وتأديبهم وذلك حسب رواية حجر بلم . وفي حكم هذا الفرعون قد نفذت لأول مرة عملية الإحصاء في التاريخ المصرى .

أما الملك « سمرخت » فأهم ما نعرفه عنه أنه احتفل بالعيد « سد » الثلاثيني وقام بجولة إلى وادى مغارة فى شبه جزيرة سينا ، وقد بقيت ذكرى هذه البعثة محفوظة إلى الآن فى النقوش التى تركها هذا الفرعون فى هذه الجهة وتعد أقدم نقش فى هذه المنطقة ، وفيها نرى الفرعون ممثلا فى ثلاثة مناظر : واحد منها وهو لابس التاج الأبيض ذابجا الأعداء ، وفى منظر آخر نراه يمشى لابسا التاج الأحمر والتاج الأبيض وأمامه قائده ، مما يدل على أن هذه البعثات كانت تأخذ صفة حرية فى هذا العصر . وآخر ملوك هذه الأسرة الفرعون « قع » ولا نعرف عنه شيئا سوى أنه احتفل بالعيد الثلاثيني لحكمه .

## ملوك الأسرة الثامنة

أول ملوك هذه الأسرة هو الملك « حتب سخموى » وقد عثر له على تمثال راقع من الجرايت مكتوب على كتفه أسماء ثلاثة ملوك ، وفى عهده حدث انفجار أرضى فى جهة تل بسطة مات بسببه خلق كثير ، ومن المحتمل أنه زلزال وقع هناك لقرب المكان من منطقة أبى زعبل البركانية . وخلفه على العرش الملك « نب - رع - ( كاكاو ) » . والظاهر أنه دفن فى سقارة إذ عثر على أختام له تشير إلى ذلك ، وقد ذكر مؤرخ المصرى مانيتون أن « كاكاو » هذا قد دعا إلى عبادة العجل

الأسرة الثامنة

الملك « كاكاو »

أيس في منف والمجل « منفيس » في عين شمس ، وعبادة الكباش في منديس  
وذلك مما يدل على أن هذه الأسرة كانت متصلة بالسكان الأصليين  
ويحتمل أنها أعادت عبادة الحيوان التي كانت في البلاد قديماً . وقد عثر  
على إناء باسم هذا الملك في معبد « منكاورع » من ملوك الأسرة الرابعة  
وخلف هذا الملك على عرش مصر الفرعون « نتر - إن » ،  
عثر لهذا الفرعون على بعض آثار قليلة منها إناء للملك « نب - رع »  
أخذه « نتر - إن » لنفسه لغسيله اليومي ، وقد عثر في منطقة الجيزة على  
مقبرة كبيرة وجد فيها خمسة أنواع مختلفة من الأختام لهذا الملك .  
عام ١٩٣٨ عثرت مصلحة الآثار على جبانة تحت الأرض في ستون  
يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية ، وقد عثر فيها على بعض أوان عليها سدادات  
مختومة باسم هذا الملك . وقد ذكر اسمه كذلك على حجر بلرم  
ونستخلص من النقوش أنه حكم أكثر من ٣٥ عاما من غير شك ، وقد ذكر  
أنه بنى قصرا وأحضر عجل أيس في العام السادس من حكمه ، وآخر  
العام الرابع عشر . وقد ذكر مانيتون أن هذا الفرعون أمر بأن الملك يمكن  
تتولاه أنثى ، وربما كان ذلك من العادات التي كانت مندثرة ثم أعيدت ثانية  
وكذلك نشاهد في عهده انتظام الاحتفال بالأعياد وبخاصة عيد « حور  
الذى كان يعد الإله الحامى للمملكة وعيد « سوكر » لأنه إله جيل  
منف . هذا إلى أن عملية الإحصاء قد أخذت صبغة منظمة فكانت تعمل  
كل عامين .

الملك « نتر - إن »  
ويقرأ كذلك  
« نترينو »

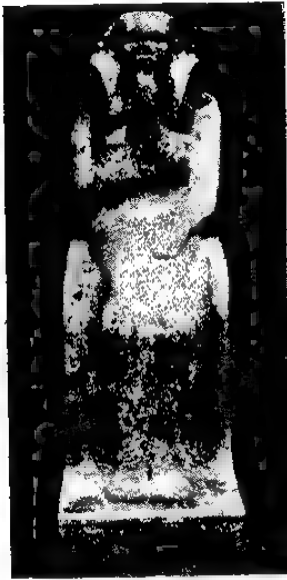
وفى عهد خلفه « بر - إب - سن » حدث انقلاب عظيم وذلك أنه أعاد عاصمة الملك ثانية إلى العراة وغير اسمه الحورى الذى كان يعد أقدم لقب للفرعون ، إلى اسم الإله « ست » . وهذا الحادث فريد فى التاريخ المصرى . ولا بد أن الملك كان قصده فى ذلك كما ظهر على خاتم أحد موظفيه أن إله أمبوس قد أعطى حكم القطرين إلى ابنه « بر - إب - سن » . أى أن الإله « ست » الذى حكم الوجه القبلى قبل أتباع « حور » هو الذى ولاه على البلاد وليس الإله « حور » ، كما تؤكد ذلك التقاليد الفرعونية فى مصر . وقد دفن الفرعون « بر - إب - سن » فى العراة . وقد بقيت عبادته محفوظة فى سقارة إلى الأسرة الرابعة بجانب الفرعون « سنزى » الذى لانعرف عنه شيئاً .

وقد ختمت هذه الأسرة بالملك « خع - سخموى » ولم يبق من آثاره إلا بعض أختام ، وهى التى بها أمكتنا أن نعرف سياسته الدينية . ومعنى اسمه ( الاثنان القويان ) أى الإله « حور » والإله « ست » ( رمز لتاج مصر المزدوج ) ولكن الألقاب التى وجدت على هذه الأختام قد جاءت برهاناً ساطعاً على المقصود من انتخابه هذا الاسم . وتفسير ذلك أن الفرعون « بر - إب - سن » قد غير اسمه الحورى باسم « ست » ولكن الفرعون « خع - سخموى » ، رجع إلى السياسة الحورية دون أن يتخلى عن سياسة « ست » فجعل لقبه الحورى الذى كان يوضع على واجهة القصر يجمع بين « حور » و « ست » معاً . غير أننا لا نعرف نتيجة هذه السياسة لقلة المصادر لدينا .



## الأسرة الثالثة

الملك « زوسر »  
وقد مكث حكم « خع سخوى » ١٥ سنة على أقل تقدير ، ثم خلفه على  
العرش فى منف الملك « نترختزوسر » ومن المحتمل جدا أنه كان أخاه الا صغر



تمثال الملك « زوسر »

لا ابنه . ويعد المؤسس للأسرة الثالثة وقد دام حكمه نحو ٢٩ سنة ، وكان  
من أهم ملوك هذا العصر السحيق . ويعود إلى الآن أول ملك بنى لنفسه  
مقبرتين : واحدة منها بصفته ملكا للوجه القبلى وكانت على شكل مصطبة  
ضخمة من اللبن مجهزة بمنحدر عميق وتتبعها عدة حجرات تحت الأرض وهى واقعة  
فى شمال العرابة المدفونة فى بيت خلاف ، والمقبرة الثانية قد شيدت له باعتبارده  
ملكاً للوجه البحرى وهى واقعة على الهضبة التى فيها جبانة «منف» وهى المعروفة

الآن بسقارة ، وهذه المقبرة تعد أقدم هرم عرف إلى الآن في التاريخ ويقول بعض علماء الآثار إن هذا البناء هو الحلقة المتوسطة بين المصطبة والهرم الحقيقي ؛ ويعرف الآن بالهرم المدرج ، والمهندس الذى وضع تصميم هذا البناء الغريب الذى يعتبر أضخم بناء من الحجر فى عصره فى وادى النيل هو « المحوتب » الذى كان زيادة على نبوغه فى الهندسة لما يعلم الطب وراسخ القدم فى الإدارة ، وقد كانت له شهرة عظيمة فى عصره وما بعده حتى أنه اعتبر كإله للطب ، وقد بقى اسمه مخلداً حتى عصر اليونان ولكنه حرف إلى « اموتس » ومثلهو بمحكيهم المشهور « اسكليبيوس » الحكيم «اسكليبيوس» وقد عثر أخيراً على تمثال جميل للملك زوسرفى سردابه ، وكذلك كشف عن عدة مبانٍ له وبخاصة معبده الجنائزى ومقبرتى ابنتيه . وهذه المباني تضع المهندس الذى وضع تصميمها فى أعلى مرتبة من الشرف والعلم . وكذلك تشهد للعمال الذين كانوا يقومون بتنفيذها بالمهارة . والواقع أننا أمام هذه المباني نشاهد أول خطوة انتقال فى تاريخ فن المعمار فى تعميم البناء بالأحجار فى وادى النيل ؛ إذ نرى عمدها مضلعة تشبه العمود الدورىكية فى الفن الإغريقى ومزخرفة بزخرف نباتى ، ولكننا نشك فى أن روح تلك المباني الحجرية منقولة بذاتها عن المباني التى أقيمت بالخشب والطين فى عهد الأسرتين الأولى والثانية ، وهذا المعمار الذى يعتبر كآئنه نتج من التجارة الدقيقة هو الحد الفاصل بين البناء الأولى بالطين والبناء بالأحجار الضخمة التى ساد استعمالها وبلغت قمتها فى الأسرة الرابعة فى

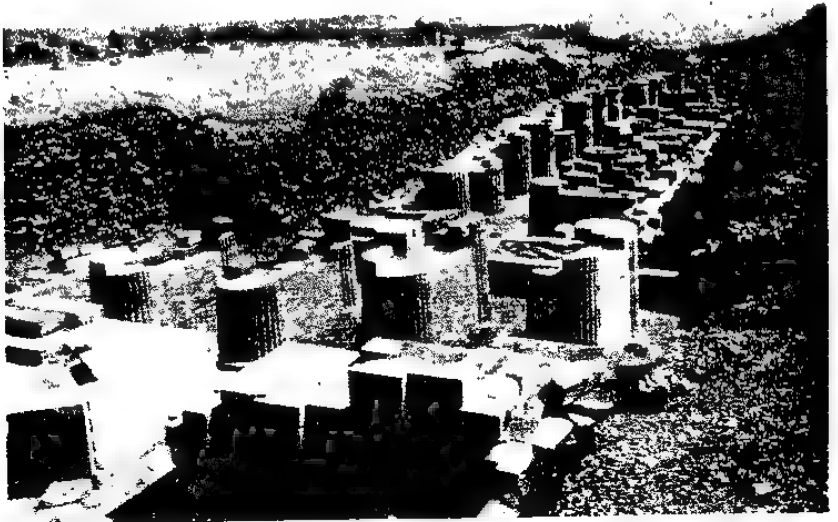
بناء الأهرام والمصاطب . وقد أرسل « زوسر » حملات إلى المحاجر  
والمناجم في شبه جزيرة سيناء لإحضار النحاس والفيروز .  
ويعد « زوسر » أول ملك توغل في نوبيا السفلى فيما وراء الشلال إلى  
المحرقة في منتصف الطريق إلى الشلال الثاني . وهو الذي ينسب إليه  
اليونان فتح الإقليم المعروف باسم « دوديكاشين » أي المنطقة التي يبع  
طولها نحو ١٤٣ كيلو متراً من الفنتين فصاعداً .



المهرم المدرج

وقد عثر أخيراً في دهاليز هرمه المدرج على أوان من الأحجار الصبة  
من الرمر والجرانيت والديوريت والأردواز وغيرها من أنواع الأحجار الصبة

النادرة ويبلغ عددها أكثر من ثلاثين ألفا غير أن معظمها وجد مهبثا وربما يرجع ذلك إلى زلزال أرضى أو إلى أنها قد كسرت عدداً لأسباب جئانية . وقد وجد من بين هذه الاواني أشكال تم عن متبى الرق فى دقة الفن وحسن الذوق والاثاقه والتنسيق إلى حد يعجز القلم عن وصفه . وقد وجد على بعضها أسماء الأشخاص الذين أهدوها إلى الملك مكتوبة بالنداد الأسود . ولا نكون مغالين إذا قلنا إن قطع الحجر اللازم لصنع بض الاواني الكبيرة وتنسيقها ربما استغرق عاماً كاملاً من مجهود صانع واحد . وقد كان لهذا الكشف أثر عظيم فى تحويل آراء علماء الآثار إلى الاهرام الكبيرة وعما عساه أن يوجد فيها من الخلفات .



معبد الهرم المدرج بسقارة

وقد خلف « زوسر » بعض ملوك لا يزال تاريخهم غامضاً أولهم « سانشت » . الملك « سانشت »

وكل ما نعرفه عن «سانخت» هذا أنه بنى لنفسه مقبرة في بيت خلاف بالقرب من مقبرة «زوسر» ولم يعثر له على مقبرة أخرى في سقارة كما كان المنتظر . والظاهر أن هذا الفرعون حكم كل مصر إذ وجدنا اسمه منقوشاً على صخور وادى مغارة في شبه جزيرة سينا.

وتولى العرش بعده ملك يدعى «حابا» ثم الفرعون «نفركا»، ولا نعرف عنهما شيئاً .

الملك «حابا»  
و «نفركا»

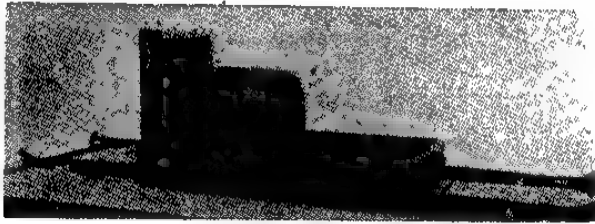
أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو الفرعون «حو» ويدعى «حوفى» أيضاً ومعناه (الضارب) . وقد أقام لنفسه هرمًا في دهشور في جنوب سقارة وهو الحلقة الموصلة بين الهرم المدرج والهرم الكامل . وقد جدد ذكره في ورقة عثر عليها من عهد الدولة الوسطى تنص على أن «حوفى» هذا هو السلف المباشر للفرعون «سنفرو» مؤسس الأسرة الرابعة .

الملك «حو»  
أو «حوفى»

## الأسرة الرابعة

### عصر بناء الأهرام

لقد بقي تاريخ الأسرة الرابعة محاطا بشيء كبير من الغموض رغم الملكة «حسب حرس» ظهور آثار ملوكهم للعيان ؛ وشهرتها في كل العالم . وقد ظل الحال كذلك إلى أن قامت الحفائر العلمية في منطقة أهرام الجيزة على الهضبة التي أقيمت عليها الأهرام المعروفة بأهرام الجيزة ؛ فكان من أهم الكشف إمالة اللثام عن مقبرة الملكة «حسب - حرس الأولى» أم الملك خوفو ، وهي



مكرسى من آثار الملكة «حسب حرس» موجود بالتف المسمى بنت «حوفى» وقد تزوجت «حسب - حرس» هذه من الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة ، ورزق منها بالملك «خوفو» ثانى ملوك هذه الأسرة .

## الملك سنفرو

هو أول ملوك الأسرة الرابعة ، وقد أراد أن يقلد جده العظيم «زوسر» فبنى لنفسه مقبرتين متقاربتين ، وكتباها على شكل هرمى ، وهما لا تزالان باقيتين إلى الآن ؛ الأولى في دهشور الملك «سنفرو»

جنوبى سقارة ، والثانية فى ميدوم فى الشمال من مدخل الفيوم ، والهرم الأخير يطلق عليه الأهالى اسم الهرم الكاذب لعدم انتظام شكله . ونحن نجعل تماما فى أى هرم من الاثنين دفن الملك « سنفرو » ، وفى عهد قامت حملة بحرية عظيمة إلى الموانى السورية رجع منها المصريون بنحو أربعين سفينة محملة بالأخشاب للبناء قطعت من غابات لبنان ، وقد كان الخشب يجلب من جهات لبنان لمصر بكل الوسائل لخالو جهات القطر المصرى من الغابات ، وكانت مصر فى عهد هذا الفرعون مملكة متحدة ثابتة الأركان ، وكانت كل القوة مجتمعة فى يد الملك الذى حل محل رؤساء القبائل ، ولما كان الملك هو الوارث لمعبود القبائل أصبح القوم يعتقدون فيه أنه إله حقيقى ؛ فمعد ما ينتقل فى أرجاء قصره أو خارجه كان لزاما على رعيته أن يركعوا أمام جلالته الإلهية ، ويقبلوا التراب الذى تحت قدميه ، وعند تتويجه كان يقام له احتفال عظيم ويعد يوم التتويج يوم عيد وأفراح - يحتفل به سنويا - ولما كان هو الواسطة بين الشعب وآلهته ؛ فكان حقا مكنسبا له أن يقوم مقام الكاهن الأكبر فى كل المعابد وفى كل الطقوس الدينية . وكذلك كان الملك يعتبر فى أعين عظماء بلاده وحاشيته أنه إله ، وبعد وفاته كان القبر الذى يضم رفاة موضع تقديس كما يقدر محراب أى إله ، وكانت حاشيته وعظماء البلاد تدفن حول قبره أو بالقرب منه حتى يقدموا له خدماتهم فى دار الآخرة بنفس الولاء والإخلاص الذى تعودوه أحياء .

أول حملة بحرية

الحكم فى عهد  
« سنفرو »

وكانت مصر تنقسم إلى مقاطعات ربما كانت هى التى سكنها القبائل

مقاطعات مصر

منذ عهد ما قبل الأسرات ، وهى التى أطلق عليها اليونان كلمة « نوم » أى مقاطعة ، وقد كان الوجه القبلى يتكون من ٢٢ مقاطعة من الشلال الأول إلى منف وكان الوجه البحرى يشمل ٢٠ مقاطعة كما ذكرنا آنفاً ، وفى عهد « سنفرو » كان لكل مقاطعة حاكم يعينه الملك يلقب بلقب « الأول بعد الملك » ، وهذه التسمية تدل على أن حاكم المقاطعة كان تحت إدارة الملك مباشرة وكان المسئول الوحيد أمامه فى مقاطعته ، لذلك كانت السلطة كلها فى يد الملك ، وكان الموظفون يتسلمون الأوامر من الفرعون وحده الذى كان فى يده كل شئ ، ولما كان الملك يسكن فى الوجه القبلى فيظهر أنه لم يندب أحداً لممثله فى تنفيذ أوامره فى هذا القسم من المملكة ؛ على خلاف الوجه البحرى فإنه كان ينب عنده موظفاً كبيراً يلقب بحامل خاتم الملك فى الوجه البحرى . فحامل الختم كما يسمى فى عصرنا هذا ، وكان ينتخب من الأسرة المالكة . وكان تحت إدارة حاكم المقاطعة أو المديرية عدد من الموظفين يساعدونه على تصريف أمور المقاطعة ، وأهمهم رجال القضاء والمالية ، والظاهر أن قانون وراثته بين أفراد الشعب كان يجرى على نظام الأئمة ، وكان كذلك عندما تقطع نسل المذكور فى الأسرة المالكة ؛ فإن الملك الذى يتولى من غير الأسرة ملكة لا بد له من أن يتزوج بإحدى بنات البيت الملكى ، وكان ذلك من ضرورى حتى يأتى خلفه يجرى فى عروقه الدم الملكى .

أصل لقب  
« الاول بعد الملك »

وراثته العرش

وقد كان للآلهة فى هذا الزمن السحيق معابد من حجر على حين أن الملك من يسكن فى مأوى بسيط من اللبن ، أو من طين النيل الجفف فى الشمس ،



ولم يكن لأحد الحق في أن يسكن في مساكن من الحجر إلا الموتي لأنهم كانوا يعدون كالألهة .

نقوش المقابر

وقد كان يظن أن معبد الملك خال من النقوش ولكن الكشف الحديثة دلت على أن معابد الملوك كانت منقوشة مثل الحجر التابعة لمقابر الأمراء وعلية القوم ، وقد بدأت تظهر فيها النقوش البارزة والفائرة وتلون بألوان زاهية منذ الأسرة الثالثة ، وهذه النقوش كانت تمثل مناظر من الحياة اليومية التي كان يشاهدها الميت في حياته ، وكان الغرض منها أن تمثل للملك الحياة كما كان يتمتع بها وهو في دنياه . فضلا عن أن هذه الرسوم تعطينا فكرة تامة عن الحياة الاجتماعية في هذا العصر عند عليّة القوم وعامة الشعب ، فإنها تعطينا فكرة عن الفن في هذا العصر ومقدار ما وصلت إليه الحضارة المصرية من جميع وجوها . وقد ظلت الفكرة القائلة بأن هذه المناظر الاجتماعية ظهرت أولا في مقابر الأعيان والأمراء سائدة إلى أن كشف في العام المنصرم عن الطريق الجنائزى الممتد بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى لهرم الملك « اوانس » آخر ملوك الأسرة الخامسة ، وقد ظهرت على جانبيه نقوش ومناظر تدل دلالة واضحة على أن الملوك قد بدءوا في استعمال هذه المناظر أولا ثم قلدهم الأمراء وعلية القوم ، وسنتكلم عن ذلك في موضعه .

## الملك خوفو

هو تانى ملوك هذه الأسرة وبانى الهرم الأكبر الذى يعد مع الأهرام  
لاخرى فى منطقة الجيزة من عجائب الدنيا السبع .

أهرام الجيزة



الملك « خوفو »

وقبل أن تناول الكلام على  
حكم خوفو وأخلافه سنتكلم بشئ  
من الإيجاز عن الأهرام عامة ، حتى  
ينى لكل زائر لمنطقة الأهرام  
أن يعرف شيئاً عنها .

كان أول من أقام هرمًا من  
موت مصر هو الفرعون « زوسر » ،

وهو المعروف بالهرم المدرج بمنطقة سقارة ، وقد أقام بعده « سنفرو » هرمين  
فى منطقتى دهشور وميدوم كما ذكرنا ؛ ولكن خوفو قد ترك هذه الجهات  
وأختار لنفسه هضبة الجيزة ليقم عليها هرمه الضخم ، وربما كان السرفى  
ذلك أن هذه الهضبة كانت قريبة من عين شمس مقر عبادة « رع » . وكذلك  
لأنها متسعة ومرتفعة لتجعل هرمه يشرف على كل ما حوله ، يضاف  
الى ذلك أن أحجار هذه الهضبة صالحة لقطع أحجار المباني لصلابتها  
مستحضرها . فكان من السهل عليه أن يقطع الأحجار منها ليقم بها هرمه  
ضخم ، وبمقارنة أحجار هذه الحاجر بأحجار الأهرام ؛ وجد أنها من

نوع واحد ، وبذلك هدمت النظرية القديمة ، وهي نظرية « هردوت »  
القائلة بأن أحجار الأهرام كانت تجلب إليه من محاجر الجهة الشرقية  
من النيل ( محاجر طره ) . وهو نفس الخطأ الذى وقع فيه بعض  
الأثريين الحاليين ، والواقع أن الأحجار التى كانت تبنى بها الأهرام  
هى التى كانت تجلب من محاجر طره ، وكذلك كانت تستعمل أحجار  
هذه الجهة لصنع التماثيل ، ولعمل الأبواب الوهمية التى كان يكتب عليها  
النصوص الهيروغليفية ، وذلك لملائمتها وناصع يابضها وسهولة الحفر عليها.  
ومن ذلك يتضح أن موضوع بناء الأهرام لم يكن من الأعمال التى كانت  
تبذل فيها المشاق العظيمة التى كنا نقرؤها فى الكتب القديمة والحديثة ،  
والمحاجر التى قطعت منها أحجار الأهرام ظاهرة واضحة بجوار كل من  
الأهرام الأربعة لمن يريد أن يراها الآن بعد أن أزيلت عنها الرمال  
والأتربة التى غطتها منذ آلاف السنين ، ومما سهل بناء الأهرام كذلك  
كيفية رفع الأحجار عند قدماء المصريين ، إذ قد ظل العالم إلى زمن  
قريب جداً يعتقد أن المصريين كانوا يبنون المزالق فقط لجر الأحجار  
عليها فى بناء الهرم ، ولكن الكشف الحديث برهنت على أن المصريين  
كانوا قد وصلوا فى هذا العصر إلى استعمال « البكر » لرفع الأحجار ،  
وقد عثر فى حفائر الجامعة المصرية على بكرتين إحداها وجدت بجوار الهرم  
الثانى ، والأخرى عثر عليها فى إحدى بيوت مدن الأهرام التى كشف  
عن جزء منها حديثاً شرق الهرم الرابع ، ومن كل ذلك يتضح للقارىء

أن أجدادنا المصريين كانوا قد وصلوا إلى مدى عظيم في فن البناء واستخدام قوى الطبيعة . وقبل أن نصف الهرم الأكبر يجب أن نذكر كلمة عامة عن الهرم وملحقاته والغرض من بنائه .

اختلف علماء الآثار في تكيف شكل الهرم عند قدماء المصريين وأصل بنائه ، والواقع أن أشكال الأهرام تختلف في منظرها وفي تركيبها في كثير من الأحيان . فثلا نجد الهرم المدرج في سقارة قاعدته مصطبة مربعة فوقها عدة مصاطب تصغر تدريجاً . وهناك هرم آخر قاعدته مربعة وفوقه عدة مصاطب مربعة أصغر من الأولى ، ولكن بدون قبة ، وهناك الهرم الرابع ويختلف عن الأهرام كلها ، فإن قاعدته المربعة تحمل فوقها تابوتاً . وأحسن بناء هرمي تام أهرام الجيزة .

ويتبع البناء الهرمي عدة ملحقات مكملة له ومن لوازمه . وبدونها لا يعتبر هرمًا بالمعنى الحقيقي .

أولاً : يكون للهرم في الجهة البحرية أحياناً بابان . واحد في المداميك السفلى والثاني فوقه بقليل ، وكل منهما يوصل إلى حجرة الدفن ؛ ومن المؤكد أنه كان يوجد أمام الباب محراب صغير للعبادة .

ثانياً : في الجهة الشرقية من الهرم كان يقام معبد ضخم يسمى «المعبد الجنائزي» هذا المعبد كان يتصل بمعبد آخر يسمى «معبد الوادي» بطريق مبني بالأحجار ضخمة المحلية يبلغ عرضه أحياناً نحو ٢٥ متراً ، وفي وسطه طولاً أقيم ضيق مستوف كان يستعمل لمروور الكهنة الذين كانوا يقومون بالمراسم

الدينه للملك من المعبد الجائزى إلى معبد الوادى أو بالعكس . وهذا الطريق الذى كان يوصل بين المعبدین طویل جدا ، وقد بلغ طوله نحو ٦٠٠ متراً للهرم الثانى . ولما كان من المستحيل اختراق هذا الطريق عرصاً كان ينحت فى منتصفه نفق تحت الأرض ؛ تسهلاً للذين يريدون أن يعبروا الطريق عرصاً.

المعبد الجنائزى

أما المعبد الجنائزى الذى يقام ملاصقاً لجدران الجهة الشرقية من الهرم فكان يقسم قسمين : قسم يعبر معبداً للوجه البحرى ، وآخر للوجه القبلى . وعلى جانب معبد الوجه القبلى كان يحفر الملك لنفسه قارين ليقوم فيها بسياحته اليومية مثل الشمس . إذ كان الفرعون يعتبر نفسه بعد موته كالشمس ، يولد صباحاً ويسبح فى الأفق طول النهار فى سفينة خاصة ، ثم ينقل عند الغروب إلى سفينة أخرى ليقوم فيها بسياحته ليلاً ، ثم يعود إلى الدنيا ثانية وهكذا . ولما كان المفروض أن سفينة الليل لا ترى فقد أخفاها المصريون عن العيان ، وذلك بأن جعلوا لها سقفاً ، ويبلغ طول سفينة النهار نحو ٢٩ متراً وطول سفينة الليل نحو ٣١ متراً ، وقد وجد فى الجهة البحرية من معبد الوجه البحرى قاربان مماثلان لمركبى الوجه القبلى ولكنها أقل حجماً .

وفى محاذة الهرم من جهة الشرق كذلك كانت تنحت سفينة ضخمة للحجج إلى العراة (٤) وقد بلغ طول هذه السفينة المحاذية للجهة الشرقية من الهرم الثانى نحو ٤٢ متراً ثالثاً : وكان من مستلزمات الهرم كذلك أن يقام حوله سور ضخم

حتى لا يقرب منه أحد غير الكهنة ، وهذا السور كان يبنى بالحجر أو باللبن حسب مقدرة الفرعون .

رابعاً : وكانت تقام بالقرب من كل هرم مدينة مبنية باللبن للكهنة والخدم الذين يقومون بأداء الواجب نحو الملك المتوفى ، وقد عثر أخيراً على هذه المدن في الجهة الشرقية من الأهرام . وكشف عن جزء كبير منها ، غير أن معظمها لا يزال مطموراً تحت الرمال ، وربما تكشف لنا عن صفحة جديدة في الحضارة المصرية من ذلك العهد الغامض .

ورغم ما عثرنا عليه من التماثيل الجميلة والأواني الفاخرة في معبدى الوادى والجنازى للهرم الثانى والثالث فإنه قد وضاع جزء كبير منها إذ قد هشم بجوار بعد الأسرة السادسة معظم مخلفات الأسرة الرابعة .

وقد عثرنا بجوار الهرم الثانى على بقايا أكثر من ٣٠٠ تمثال خلاف

ما نقله الألمان إلى « ميونخ » و « هلدسيم » من بقايا هذه التماثيل .

ورغم كل ما كشف حديثاً حول أهرام الجيزة فإن معلوماتنا لا تزال تحفة عن الهرم وكنهه ، وإلى أن يكشف أحد الأهرام من كل جهاته حقاً علينا تأملاً فإننا سنبقى فى الظلام وستبقى الأهرام سرّاً غامضاً .

## الهرم الأكبر

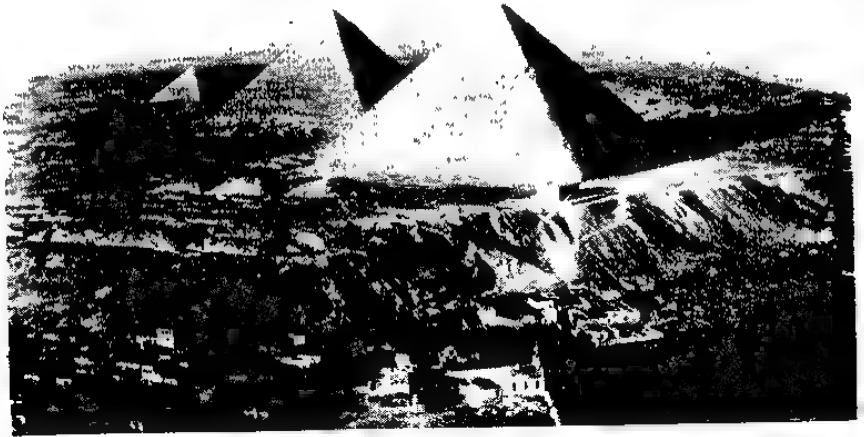
يعبد الهرم الأكبر الذى بناه الملك « خنوم خوفو » « كيوبس » . الهرم الأكبر

يضم الأهرام الموجودة فى مصر . وقد زالت كسوته التى شيدت من الحجر

الجبرى الأبيض المقطوع من محاجر طرة . ويبلغ طول قاعدته نحو ٥ و ٢٢٧ متراً ، أما ارتفاعه الحالى فيبلغ نحو ١٣٧ متراً . ويبلغ حجمه نحو مليون ونصف مليون من الأمتار المكعبة . أما عدد أحجاره فيبلغ نحو ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ ، ويبلغ وزن كل منها  $2\frac{1}{2}$  طناً ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طناً . وإذا علمنا أن سنى حكم « خوفو » لم تتجاوز العشرين عاماً فإننا نقف حائرين أمام هذا المجهود الجبار الذى أقام هذا البناء الضخم فى تلك السنين القليلة . هذا على الزعم القديم من أن الأحجار كانت تجلب لبنائه من محاجر طرة ولكن إذا علمنا أن الأحجار التى استعملت لبناء الهرم قطعت من محاجر مجاورة له ، وأن البكر كان يستعمل لرفع هذه الأحجار سهل علينا فهم المجهود العظيم الذى قام به « خوفو » ، وبخاصة إذا علمنا أن جما غفيرا من المصريين كانوا يشتغلون فى بنائه طول مدة الفيضان من كل سنة ، وذلك لخلوهم من أعمال الزراعة فى فترة الفيضان ، ولا تزال المساكن التى كانوا يقطنونها تشاهد منحوتة فى الصخرة العظيمة الواقعة على الهرم الأكبر ولا شك أن السرفى إنجاز هذا العمل العظيم بسرعة يرجع إلى تنظيم العمل وإدارته بالطرق الفنية .

ورغم أن الهرم الأكبر يعد أعجب شئ فى مصر ، فإنه لم يكشف عنه من كل جهاته ، ولا يزال معبده الجنائزى ومعبد الوادى مطمورين تحت الأرض ، والظاهر أن الطريق الموصل بين المعبدين كان ظاهراً فى عهد « هردوت » ، وقد قال عنه أنه كان أعجب من الهرم نفسه ، والآثار

تقوم حفائر في الجهة الشرقية من هذا الهرم في المعبد الجنائزى اوقفت فجأة ، وقد عثر على صورة للملك « خوفو » منقوشة على أحد أحجار المعبد ، وكذلك عثر على بعض نقوش وصور تدل دلالة واضحة . على أن المعبد الجنائزى للملك « خوفو » وجد عليه نقوش وكتابات ، وبذلك هدمت النظرية القائلة بأن معبد الهرم الأكبر لم يكن عليه نقوش ، والواقع أن رسم « خوفو » الذى عثر عليه هنا هو أول صورة معروفة له فى التاريخ ، وآخر ما عثر عليه سفينتان للشمس يبلغ طول الواحدة منهما نحو ٥٥ مترا وسفينة أخرى يتوصل إليها بدرج ويبلغ طولها نحوها ٤٠ متراً .



منظر من الحولاهرام الحيزة يطهر فيه الهرم الاكبر والاهرام الصغيرة التابعة له فى الجهة الشرقية

أقام « خوفو » هذا الهرم ليسكون مأواه الأبدى ، إلا أنه لم يمكث فيه



طويلا ، إذ وجد تابوته المحفوظ في حجرة دفنه خاليا خلوا تاما من كل شيء ، ولا بد أن حجرة دفنه قد اقتحمت في عهد الثورة التي قامت بعد تدهور حكم ملوك الأسرة السادسة ، على أننا نجد آثار التخریب الذي قام في الفترة بين أواخر الأسرة السادسة والأسرة الحادية عشرة ظاهرة في هذه المنطقة كما سنتكلم عنه فيما بعد .

وربما يتوهم البعض أن بناء الهرم الأكبر قد شغل « خوفو » عن باقي أعمال ملكه ، ولكن الواقع أننا نجد له آثارا باقية في مدن ملكه مثل « قفط » و « دندرة » و « تل بسطة » وغيرها . وقد ترك خوفو اسمه منقوشا في مناجم النحاس والفيروز في شبه جزيرة سينا ، والنقوش التي بقيت في هذه المنطقة تخبرنا أنه أشعل نار الحرب ضد الساميين الرحل الجائلين في هذه الجهات ، وهم الذين يعرفون باسم « منتيو » ، ولا شك أنه كان يقوم بهذه الحروب ليحى الحملات التي كان يرسلها إلى هذه الجهات للحصول على المعادن والأحجار ، وقد كان يضطر أحيانا إلى اقتفاء أثر هؤلاء اللصوص إلى مسافات بعيدة شمالا ، حتى أن الفرص سنحت له لأن يختلط بالمدينة الشمالية والشرقية ، ورغم أنه ليس لدينا براهين قاطعة من ذلك العهد المتوغل في القدم ، على وجود علاقات حقيقية بين مصر وبابل ، فإنه من المؤكد أن المصريين كانوا يعلمون شيئا عن المدينة البابلية ، يضاف إلى ذلك أنه كانت توجد علاقات تجارية من حين لآخر في ذلك العصر بين بعض القبائل التي كانت تسكن الصحراء بالقرب من حافة وادي النيل وبعضها ، وقد كان قيام هذه العلاقة ميسورا وبخاصة

من جهة الجنوب ، لأن النيل كان يسهل هذه التجارة ، أما النوبيون فقد أحجموا عن الإغارات على حدود الفرعون ، ثم قبلوا أن يكونوا تحت سلطانه .

والظاهر أنه بعد وفاة «خوفو» قامت منازعات على الملك ، إذ نجد في قوائم الملوك التي وصت إلينا أن الملك الذى خلف خوفو هو «ددف رع» ولكن بعض العلماء يخبرون ذلك وقد استمر في الحكم مدة ثمانية أعوام ، ولكن المدهش في أمره أنه لم يبق هرمه في منطقة الجيزة ، بل اتخذ «أبورواش» مكاناً مختاراً له لإقامة هرمه حتى تهدم الآن ولم يبق منه إلا الشيء اليسير . والظاهر أن سبب هذه المنازعات يرجع إلى تعدد زوجات «خوفو» . وقد كان كل ملك يتزوج من عدة نساء ، وكانت له حظايا كثيرات . وفي هذا الوقت كان زواج الأخ من أخته من الأمور المألوفة في الأسرة المالكة ، على أنه لم يكن يحل امرأة عرش الملك . مألوفاً ، والأمثلة التي لدينا قليلة معدودة تنحصر إلى الآن في «ختكاوس» في أوائل الأسرة الخامسة ، و«سبك نفرو» آخر من حكم الأسرة الثانية عشرة ، و«حتشبسوت» من الأسرة الثامنة عشرة . ورغم ذلك فإن الملك كان يثبت حقه في الملك حينما تكون زوجته وأمه من دم ملكي . ولم تكن الوراثة هي الطريق الوحيد لحول الملك ، بل كانت هناك عوامل أخرى ترجع إلى شخصية الفرد وأخلاقه ، أو إلى المؤامرات التي يقوم بها حريم القصر ، ولذلك كانت سلطة الملك أحياناً مفتوحة أمام صغار أفراد الأسرة المالكة ، بل أمام أفراد

نظام وراثة العرش

خارجين عنها بتاتاً ، ويظهر أن تولى فرد من غير الأسرة المالكة عرش الملك كان يعد بداية أسرة جديدة ، وكلن هذا المؤسس الجديد يعمل على تثبيت ملكه بزواجه من إحدى قريبات الملك ، أى من الدم الملكى الحقيقى ، وقد كانت التقاليد أو القانون المتبع يقضى بأن تكون الأختية فى الملك حسب النظام التالى :

١ — أن يكون الوارث للعرش ابن ملك ولد من زواج ملك بأخته وكلاهما من الدم الملكى الخالص .

٢ — أن يكون الوارث ابن ملك ولد من زواج ملك ليس من الدم الملكى الخالص بابتنة ملك من الدم الملكى الخالص .

٣ — أن يكون الوارث للعرش رجلاً قوياً تزوج من ابنة ملك من دم ملكى خالص .

وبما سبق يتضح أن تولية العرش فى مصر لم تكن من الأمور الهينة وبخاصة إذا علمنا أن « خوفو » تزوج من عدة نساء ، وأن المنافسات قد قامت بعده بين أولاد زوجاته المتعددات على تولى عرش الملك . والظاهر أن « ددف رع » لم يكن حقه فى الملك قوياً كأخيه « كاوعب » إذ يظن أن « ددف رع » كان ابن ملكة لويية الأصل وليست من الدم الملكى ، وقد تزوج من أخته « حتب حرس الثانية » ابنة الملكة « حتب حرس الأولى » وهى المعروفة بالشقراء ، ولذلك نجد أن ملامح « ددف - رع » تختلف عن ملامح ملوك هذه الأسرة ، والظاهر أن فرع أسرته الأصلى كان فى عداء

ظاهر له ، إن لم يكن في مشاحنات ضد تسلطه على العرش ، على أنه لما توفى وخلفه أخوه « خفرع » لم تسكت على ذلك أسرة « ددف - رع » إذ قام ابنه « باكارا » يناهض « خفرع » مدة أعوام بدون جدوى .

## خفرع

عند ما تولى خفرع عرش مصر لم تكن يده مطلقة التصرف بسبب للتنازعات الداخلية التي قامت بينه وبين أولاد « ددف رع » غير أن ذلك لم يثن عزمه عن إقامة هرم يضارع هرم « خوفو » في عظمته ونخامته وإن كان أقل منه حجماً بقليل ، والناظر إلى الهرم الثاني الآن يجد أنه في شكله أكثر نقاسة واحتفاظاً بروقه من الهرم الأكبر ، إذ لا يزال الجزء الأعلى من كونه التي أحضرت له من محاجر « طرة » باقياً إلى الآن .

وقد دلت الحفائر التي عملت حديثاً في جهته الشرقية على أن قاعدة الهرم من جهاتها الأربع مكسوة بمدماكين من الجرانيت الأحمر المحجب ، ولا يزال بقايا هذه الأحجار في مكانها من الجهة الشرقية إلى الآن . هذا وقد كشف عن المعبد الجنائزي الملاصق للهرم من جهته الشرقية وكذلك عن الطريق الموصل إلى معبد الوادي ويبلغ طوله نحو ٦٠٠ متر تقريباً ،

الملك « خفرع »



الهرم الثانى والطريق المقدس الموصل من المعبد الجنائزى الى معبد الوادى

وبجوار المعبد الجنائزى كشف عن سفن الشمس وسفينة الحج إلى العرابة ، وعثر في المعبد الجنائزى وما حوله على بقايا أكثر من مائتى تمثال « لخنفرع » ليس يتناهى واحد سليم ، ويرجع السبب فى ذلك إلى عصر الثورة التى قامت بعد سقوط الأسرة السادسة فحطمت كل ما كان أمامها . أما التماثيل التى عثر عليها فى معبد الوادى المبنى بالقطع الضخمة من الجرانيت الأحمر المحبب . وهو المعبد الملاصق لأبى الهول ، فقد وجد منها اثنان سليمان ، ويعد

أحدهما وهو المصنوع من الديوريت من أجل ما أخرجه الفنان المصرى فى كل عصوره ؛ بل ومن القطع النادرة فى عالم الفن .

وقد بقيت أسرة « خفرع » مجهولة فى معظمها إلى عهد قريب ؛ فلم يكن يعرف من أولاده أكثر من ثلاثة ، أما الآن فقد كشف عن معظم أفراد الأسرة ويبلغ عدد أولاده نحو ١٦ فرداً من الذكور والإناث ، وقد وجدت مقابر بعضهم سليمة لم تصل إليها أيدي اللصوص ؛ ومعظمهم قد تحنوا لأنفسهم قبوراً فى الصخر ، وهى إما فى الجهة الشرقية أو الجهة القبلىة من هرمه ، وإما بجوار الطريق الموصل بين معبد الجنائزى ومعبد الوادى ؛ والظاهر أن « خفرع » لم يتمكن من بناء أهرام صغيرة فى الجهة الجنوبية من هرمه لزوجاته ، كما فعل « خوفو » من قبله و « منكاورع » من بعده ؛ وربما كان السبب فى ذلك قيام المشاحنات على العرش ، وقد كانت قائمة بينه وبين أخلاف « ددف رع » ، ويظهر ذلك جلياً فى الهرم الذى أخذ فى تشييده بالجهة الجنوبية ولكن لم يتم بناءه ، ويحتمل أنه لم يدفن فيه أحد ، وبقياه لا تزال موجودة إلى الآن . وربما كان عدم قيامه بحملات إلى البلاد الأجنبية شمالاً أو جنوباً يرجع إلى نفس السبب ، إذ الواقع أننا لم نثر على اسم « خفرع » فى الجهات التى كان فراغة مصر يرسلون إليها البعثات أو الحملات التأديبية أو للبحث عن المعادن . وبما يعزز هذا الرأى أن مقابر أسرته العدة التى كشف عنها حديثاً لم يكن قد تم نحتها عند الدفن ، وبقيت كذلك إلى الآن . وقد كان المفروض أن مقابر الأسرة تعطى عناية عظيمة من الملك فى نحتها ونقشها .

## أبو الهول

جرت العادة عند علماء الآثار والمؤرخين أنهم عند ما يكتبون عن الملك « خفرع » أن ينسبوا إليه تمثال أبي الهول قائلين بأن هذا التمثال العجيب هو للملك « خفرع » بعينه ، ولذلك يعتقد الكثيرون أن المعبد المجاور له هو معبد أبي الهول . والواقع أن تمثال أبي الهول ليس له علاقة قط بالمعبد المجاور له وأنه كان إلها يعبده الملك خفرع وله معبد خاص قائم أمامه ، كما سنفصل ذلك فيما يلي .

لم تصل إلينا معلومات عن هذا التمثال من مؤرخي اليونان الذين زاروا مصر قبل الميلاد ؛ بل كان كل همهم موجها إلى الأهرام ووصفها ، ولا ندري لذلك من سبب ، فهل كان أبو الهول مغموراً بالرمال أم أنه لم يلفت نظرهم ؟



تمثال أبي الهول

موقعه

يقع هذا التمثال في الجهة الشمالية من نهاية الطريق الممتد بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى الملك خفرع ، وهو محفور في قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية ، ولكن الناظر إليه الآن لا يصدق ذلك ؛ والسبب في هذا أنه رمم في عصور مختلفة ، ويبلغ طوله ٤٦ متراً وارتفاعه من الأرض إلى كتفه ٢١ متراً ؛ والظاهر يدلنا على أنه تمثال ، رأسه رأس إنسان وجسمه بجسم أسد .

تاريخه

أما تاريخ نحتة فقد اختلف فيه المصريون أنفسهم ، فهناك نقوش متأخرة تدل على أنه نحت في عهد « خوفو » ، ولكن برهن البحث العلمى على أنها نقوش دخيلة من عصر الدولة الحديثة وما بعدها ؛ وقد غالى بعض مؤرخين فقال إن هذا التمثال قد نحت في عهد ما قبل الأسرات ، وقد نيت الآراء متشعبة في تاريخ نحتة وفي كنهه وما يرمز إليه .

ومما يؤسف له أننا إلى الآن لم نثر على تاريخ أو نقش معاصر له يدلنا على زمن نحتة بالضبط ، ولذلك يعمده الأثريون لغزاً من الألغاز في تاريخ مصر ، لكن إذا تأملنا فيما كان يحوطه به ملوك مصر من الاحترام والتقديس وخاصة من قبل الأسرة الثامنة عشرة إلى آخر عهد الرومان ، إتضح لنا أن هذا التمثال لا بد أن يكون معبوداً من المعبودات المصرية القديمة ، وإذا كانت الأشياء يحكم عليها بأشباهها ، فلدينا في التاريخ المصرى ما يثبت ذلك ؛ إذ منذ الأسرة الخامسة نجد أن الملك كان يشبه بعد وفاته دائماً بالإله « أتوم » الذى كان أعظم الآلهة المصرية قوة وسلطاناً ، ولذلك مثل هذا الإله برأس



إنسان أى القوة المفكرة ؛ وجسم أسد أى القوة الجسمية ، هذا إلى أن الملك نفسه كان يمثل نفسه بهذه الكيفية ، وقد بقى هذا التمثيل إلى أواخر العهد الرومانى ، ومن هنا جاء الالتباس بأن « خفرع » هو الذى صنع تمثال أبى الهول ليثله نفسه وبخاصة لأنه بجوار معبده ، وقد أثبت الكشف الحديث أنه صنع فى عهد الملك « خفرع » وعلى صورته ، ولكنه يمثل إله الشمس عند الغروب ، وقد كان يطلق عليه للصربون اسم « أتوم » .

ولكن المصريين أنفسهم قد أخبرونا كتابة أن تمثال أبى الهول هو الإله « حور ام اخت » أى حور فى الأفق ( الملك المتوفى ) ؛ وقد ذكره المؤرخون الإغريق باسم « حرمابخس » وليس أدل على ذلك من اللوحة التى كتبها « تحتمس الرابع » تبدأ لهذا الإله ، وسرد ما فعله لربيع من الخدمات إجابة لطلبه عند ما أظهر « حور أم اخت » رغبته فى إزاحة الرمال التى كانت متراكمة حوله ؛ ولا يزال أثر هذا العمل الجليل الذى قام به « تحتمس الرابع » باقياً إلى الآن ؛ إذ نجد أنه بعد أن أزال الرمال التى كانت متراكمة حوله ، بنى من جهاته الأربع سوراً من اللبن لا يزال جرم منه باقياً إلى الآن . وعلى مسافة نحو أربعين متراً غرب السور أقام سوراً آخر لحماية السور الأول من إغارة الرمال . وقد جاء بعده ملوك من الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين بنوا مساكن للكهنة الذين كانوا يقومون بتأدية الفرائض الدينية لهذا الإله ، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك هذه الأسر كانوا قد اتخذوا البقعة التى حول أبى الهول مكاناً للصيد والقنص

شهرتها بحيوانات الصيد . ولذلك كانوا يطلقون على هذه الجهة اسم « وادى الغزلان » . وقد عثر أخيراً على بيت وحمام « لتوت عنخ أمون » فى هذه الجهة ، ربما كان لراحة الملك عند خروجه للصيد ، ولما جاء « رعسيس الثانى » نقش اسمه على هذا البيت بعد أن طمس بطبقة من الجص نقوش « توت عنخ أمون » . ونجد كذلك أن جسم الحيوان قد رمم فى أزمان مختلفة . وبخاصة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين ، وفى عهد الإغريق والرومان . ومباني هذه العصور تراها واضحة فى الترميمات التى أدخلت عليه وخاصة فى جانيه وذيله .

ومع كل هذا بقى الاعتقاد عند علماء الآثار سائداً بأن أبأ الهول يمثل الملك « خفرع » إلى أن كشف حديثاً عن معبد منفصل تمام الانفصال عن المعبد المجاور له أى معبد « خفرع » ، وموقعه فى الجهة الشرقية من وجه أبي الهول ، وهذا المعبد قد أقيم لعبادة هذا الإله ، وقد نصبت فيه تماثيل للملك الذى أقامه غير أنه لم يبق منها إلا قواعدها تدل عليها .

لكن الواقع أن هذا التمثال يمثل الشمس عند الغروب وهى تعد أكبر المبودات عند المصريين ، وأن هذا المعبد الذى أنشأ أمامه أقيم خاصة لعبادته ولا يمكن أن يكون قد أقيم لعبادة « خفرع » ، إذ أنه قد أقام لنفسه معبدين أحدهما جنوب هذا المعبد وهو معبد الوادى ؛ والآخر هو المعبد الجنائزى الواقع شرق هرمه مباشرة ، ولا غرابة فى إقامة تماثيل أبى الهول فى هذه الجهة إذ كان على مقربة منه بلدة عين شمس التى كانت تعد أكبر

أبو الهول يمثل  
الشمس عند الغروب

مركز لعبادة الإله «أتوم» إله هذه الجهة المحلى . وكان يمثل فيها بشكل أسد رأسه رأس إنسان ، وكان أمام معبده طريق تحفه تماثيل أبى الهول التى يمثل الإله المحلى لهذه الجهة .

ومما يميز إلهية أبى الهول أن الأهلىن فى عصور مختلفة كانوا يصنعون تماثيل لهذا الإله ويعدونها تذكارات فى الحفلات الدينية التى كانت تقيم له ، وقد عثر منذ بضع سنوات على أكثر من عشرين تمثالا له صغيرة الحجم فى الرمال التى كانت تغطى معبده ، وعلى تماثيل متوسطة الحجم أمام معبد «أمنحتب» الثانى الذى أقام فيه لوحته المشهورة .

والحقيقة إذن أن تماثيل أبى الهول ليس بلغز وما هو إلا الإله «أتوم» وإنما أخذ العالم على عاتقه أن يجعله لغزا إلى الأبد ، وسيبقى كذلك وظلت ظهرت كتابات تدل على أصله وكنهه .

أما العهد الذى نحت فيه أبو الهول فقد عرف على وجه التقريب إذ دلت الكشف الأخيرة على أنه نحت بعد إقامة الطريق الموصل بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك «خضرع» ، أى أن أبا الهول لابد أن يكون قد نحت فى عهد «خضرع» باني الهرم الثانى أو بعده؛ وهذا أول تاريخ ثابت فى عمر أبى الهول .

تاريخ نحت أبى الهول

وفى عام ١٩٣٧ قامت مصلحة الآثار بحفائر لتنظيف المنطقة التى تقع حول أبى الهول والخفرة التى هو فيها ، وقد أدت هذه الحفائر إلى كشف النقاب عن نيف ومائة وخمسين لوحة تذكارية وآثار أخرى وبعض

مقابر في الجهة البحرية يرجع عهداً إلى الدولة القديمة . وأهم هذه اللوحات لوحة الملك « أمنحتب الثاني » وقد نصبها داخل معبد خاص له تذكراً لزيارته لمنطقة الهرم وأبي الهول ، وفيها ذكر أبا الهول بأنه هو الإله حور أم آخت « وأنه الإله « أتوم » وتكلم عن الأهرام بأنها أهرام أبي الهول أي أنه نسبها إلى هذا التمثال العظيم بصفته إلهاً . أما اللوحات الكثيرة التي كشف عنها هذا العام فقد استخلصنا منها معلومات جديدة تلقى بعض الضوء على هذا التمثال فيما يلي :

دلت البحوث التي حول هذا التمثال على أن ملوك الفراعنة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية العهد الروماني كانوا يزورون هذا المكان المقدس ، وكذلك كان يتقرب الأهلون إلى أبي الهول بتقديم القرابين ، واللوحات التذكارية ، كما كانوا يتقربون إلى الآلهة أوزير في العرابة المدفونة . فكانت هذه المنطقة تعد في نظر القوم والملوك أنها بقعة مقدسة وقد كانوا يطلقون على معبد أبي الهول اسم ( المكان المختار ) .

ولا شك في أن فراعنة مصر فضلاً عن تقديسهم لأبي الهول فإنهم كانوا يحضرون إلى هذه المنطقة لصيد الغزلان والأسود . ولا غرابة في ذلك فإن هذه المنطقة كان يطلق عليها اسم ( وادي الغزلان ) ، وتدل اللوحات التي عثرت في هذا المكان على ما يثبت ذلك . فوجد أن من زار هذه البقعة سب ما وصلت إليه معلوماتنا هو ابن « تحتمس الأول » ثم « تحتمس الثالث » ، وأمنحتب الثاني « صاحب اللوحة المشهورة التي كشف عنها حديثاً .

منطقة المعبد التي  
حول أبي الهول

وهي التي يقول فيها إنه أتى بعربته من منف إلى مكان أبي الهول الذي بنيت من أجله الأهرام ؛ ثم « تحتس » الرابع الذي ذكر في لوحه أنه جاء في هذا المكان وهو أمير لم يتول الملك بعد ، وأخذته سنة من النوم في ظل أبي الهول ، وطلب إليه « حور ام اخت » ( أبو الهول ) أن يزيل عنه الرمال عند ما يتولى عرش الملك ، رغم أن « تحتس الرابع » لم يكن الوارث الحقيقي للعرش . وقد بر بوعده . ثم جاء بعده « أمنحتب الثالث » ؛ وقد رسم في لوحة فنيا ، للصيد والقنص ، وكذلك حضر « توت عنخ آمون » إلى هذا المكان المقدس ، وأقام في الجهة القبيلة منه مكاناً للراحة باللبن . وشيد فيه حماماً ليستحم فيه بعد الصيد والقنص . وقد كشف عن هذا المكان حديثاً . غير أن « رعسيس الثاني » كعادته وضع طبقة من الجص فوق النقوش التي نقشها « توت عنخ آمون » على واجهة الاستراحة التي بناها في هذه الجهة ، وكتب اسمه وألقابه . وقد وجدنا النقشين أحدهما فوق الآخر ورغم ذلك فإن « رعسيس الثاني » أصلح ما أفسده الدهر من الأجزاء التي تأكلت من تمثال أبي الهول . وكذلك أتى إلى هذا المكان الملك « آمي » ثم الملك « حورن ام حب » ، ثم « سيتي » الأول وترك الأخير لنا لوحة عثر عليها في معبد « أمنحتب الثاني » المقامة في الجهة البحرية من أبي الهول ، وفيها يذكر صيده للغزال ، والأسود ثم أتى الفرعون « منفتاح » ، وترك لنا نقوشاً تدل على مقدار اهتمامه بأبي الهول ، وهكذا تواترت زيارات الفراعنة ، والباطرة لهذا المكان حتى عهد الامبراطور « سبتيمس سפרس » ١٩٣-٢١١ بعد الميلاد .

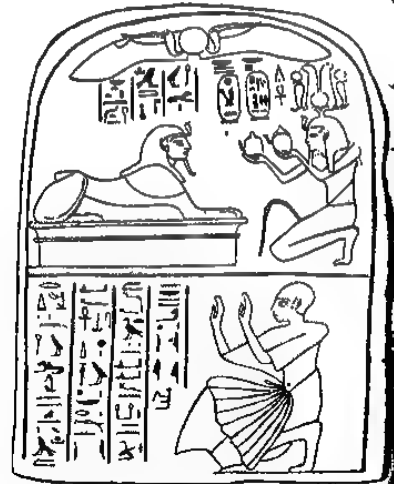
زيارة الملوك لمنطقة  
أبو الهول

وأدهش ما كشف في هذا المكان أن قوماً من الكنعانيين وفدوا على مصر ، وسكنوا في منطقة أبي الهول في عهد الدولة الحديثة ومن المحتمل جداً أن ذلك كان في أواخر الأسرة الثامنة عشرة كما يدل على ذلك لوحة الفرعون « آي » من أواخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ؛ إذ جاء فيها أنه اقتلع ضيعة للحيثيين في هذه الجهة . وقد دلت اللوحات المكشوفة على أن هؤلاء الكنعانيين ( أو السوريين ) كانوا يسكنون في هذه المنطقة في بلدة سميت باسم إلههم الذي كانوا يعبدونه في بلادهم ، وأعني بذلك الإله « حورون » وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل صقر . ولما كان أبو الهول عند المصريين ، وبخاصة في عهد الأسرة الثامنة عشرة يسمى « حور إم أخت » أي « حور الأقق » ، وكان يمثل بصقر ، فقد

أبو الهول هو « حورنا »  
إله الكنعانيين



أبو الهول في شكل صقر . وقدس في النقش  
بصفته « حورنا » أو « حور إم أخت »



« سبت الأول » يتعبد إلى أبي الهول . وفي الأسفل  
يخض يتعبد إلى أبي الهول بصفته « حور » أو  
« حور إم أخت » ( حرمخيس )

راعى فيه هؤلاء الآسيويون أنه يمثل إلههم الذى تركوه فى بلادهم ، ولذلك أطلقوا على أبى الهول اسم « حورنا » أو « حورون » أو « حول » . هو « حور إم أخت » ، ومن ذلك يتضح جليا أن الاسم الجديد الذى أصبح يطلق على هذا التمثال هو اسم سامى الأصل ؛ ولا غرابة فى أن المصريين عبدوا الإله « حورنا » أو « حورون » فى مصر ، ووجدوه مع أبى الهول . فإن ذلك له ما يماثله فى هذا العصر إذ عبد الإله « ستخ » وهو أسيوى الأصل فى مصر ، وأصبح موحدًا مع الإله « ست » إله الحرب ، وكذلك الإلهة « عشترت » ، فهى إلهة سورية نقلت عبادتها إلى مصر ، ووحدت مع الإلهة « حتحور » ، وهكذا كان بعض الملوك فى فترة فتوحهم العظيمة يقربون بين البلاد السورية ومصر بكل الوسائل . ثم أطلق هؤلاء القوم على الحضرة التى فيها أبو الهول اسم « بر - حول » ( بيت حول ) . ومن ثم جاء اسم أبى الهول ؛ ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك أى علاقة بالمعنى الذى نعطيه لأبى الهول فى عصرنا هذا بأنه صاحب الفزع ، والحقيقة كما ذكرنا أنه إسم مصرى سامى يرجع عهده إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة عندما جاء هؤلاء القوم الآسيويون ووجدوه فى إلههم « حورون » ، أو « حول » . ومن الطريف أننا وجدنا لوحة أقامها « تحتمس الرابع » ، نجد فيها أنه حبس على هذا الإله بعض الضياع فى فينقيا ليقعد منها قربانا له يوما أى أن الملوك أنفسهم كانوا يعبدون هذا الإله ، ويطلقون عليه اسم الملك « حورن ام حب » يحمل فى تركيبه إسم هذا الإله .

أصل كلمة أبى الهول

وقد تعبد إليه « رعسيس الثانى » صراحة ، وكشفت لهذا الإله مجموعة تماثيل فى جهة « تانيس » مثل فيها هذا الإله على شكل الإله « حور » ، ومعه « رعسيس الثانى » ، ولكن إسم الإله لم يكتب « حور » بل كتب « حورنا » . ولا أدل على وجود مستعمرة من هؤلاء الكنعانيين فى هذه الجهة من اسم القرية التى كانوا يقطنونها فى ذلك الوقت ؛ وقد بقى لنا محفوظا بنصه فى اسم قرية صغيرة بالقرب من أبى الهول فى جنوبه الشرقى وبينهما كيلو متران ونصف ، وهى تسمى الآن « الحارونية » نسبة إلى الإله « حورنا » أى أبو الهول كما ذكرنا ، وهى تنقسم قسمين الحارونية القبلى والبحرية ، وقد جاءت النقوش مؤكدة لذلك إذ وجد على لوحة من اللوحات « حارونية » بالخصص الذى يدل على لفظة بلد فى اللغة المصرية القديمة ، وهى نسبة إلى الإله « حورون » . وقد بقيت شخصية هذا الإله « حورنا » مجهولة عند علماء الآثار حتى جاء العالم « فيرولو » سنة ١٨٣٧ ، ونشر قطعة من قصيدة شعر « رأس شمر » ، وقد ظهر فيها اسم الإله « حورون » بصفة قاطعة ، وظهر أنه كان يعبد فى « صيدا » . ومن ذلك يتضح أن أبا الهول ذلك اللغز العظيم قد اشترك فى عبادته ، وتقديسه بصفته إله الموتى ، وحارس الجبانة ، السوربون ، والمصريون على السواء . ولا نزاع فى أن أبا الهول كان يمثل الإله « رع » عند الغروب أى « آتوم » ، وأنه كان يعتبر فى نظر القوم بأنه حارس الجبانة إذ ورد على تمثال له ما يأتى ، مخاطبا المتوفى : « إبنى أحمى مقصورة مدفئك . وإبنى

بلدة الحارونية  
ونسبتها لأبى الهول



أحرس حجرة دفنك ، وإني أقصى كل أجنبي يريد اقتحامها ، وإني أقضى على الأعداء بسلاحهم ، وإني أقصى المؤذى عن قبرك ، وإني أصرع أعداءك فلا يعودون إليه قط . »

وتدل كل الآثار التي كشفت في هذه المنطقة حتى الآن ، على أن أبا الهول هو الإله الذى يحرس الموتى فى الغرب ، وأنه مظهر الشمس عند غيابها فى الأفق ، وسنكتفى هنا بهذا القدر عن أبى الهول ، إذ خصصنا له بحثا خاصا فى مجلدين ضخمين سنشرهما عند ما تتهيأ الأحوال لذلك إن شاء الله .

## منكاورة

خلف « خفرع » على عرش مصر الفرعون « منكاورة » ، وبقي على أريكة الملك أكثر من عشرين عاما ، ومن المحتمل أنه ابن خفرع ، وعلى أية حال فإن والده ترك له المشاحنات التى قامت بينه وبين أسرة « ددف رع » ، ويظن أنه الذى أكل مقابر أسرة والده ، ومقبرة والدته « خع مرر نبى » فى الصخرة الواقعة فى الجنوب الشرقى للهرم الثانى . ولما استتب له الأمر أخذ فى الاستعداد لبناء هرمه الصغير بالنسبة لهرمى خوفو ، وخفرع ؛ غير أنه وضع تصميمه على أن يكسى بجرانيت أسوان الأحمر بدلا من الحجر السلطانى الأبيض الذى كان يجلب من طرة ؛ ومع ذلك فقد كانت تكاليفه أقل بكثير من تكاليف أهرام أسلافه . غير أنه أثناء قيام هذا العمل

مات « منكاورع » فجأة ، وكان الهرم في تلك اللحظة قد كسى إلى نحو الثلث أى ( ١٦ مدمكا ) ، ومعبده الجنازى قد كسى جزء منه من الخارج . وكذلك حجرة القرايين فقد كسيت بالجرانيت الأحمر والأسود . أما معبد الوادى فإنه لم يتم فى عهده وأتمه من بعده « شبسكاف » باللبن ووضع فى المعبد كل أدواته من تماثيل وأوان ، غير أن بعضها غير تام . وتدل الحجر الداخلية فى هذا الهرم على حصول تغيير فى تصميمها أثناء سير العمل . وقد دخل اللصوص هذا الهرم عام ١٢٢٦ ميلادية وقد وجدوا تابوته خاليا : . . . ووجدوا فى هذا التابوت ( لا بد أن يكون تابوتا آخر ) بعد أن كسروا غطاءه ، بقايا جسم إنسان من غير حلئ ما ، اللهم إلا بعض ألواح ذهبية مكتوبة بحروف لا تفهم . وفى عام ١٨٣٧ دخل الكولونيل « هاورد فيس » حجر هذا الهرم فوجد فى الحجرة العليا قطعا من تابوت خشبى تعزى إلى « ملك الشمال والجنوب منكاورع حيا إلى الأبد » ومعه بقايا إنسان ملفوف فى ثوب من الصوف الخشن لونه أصفر . وقد وجد كذلك فى الحجرة السفلى تابوتا من البازلت ، وهو الذى خيب آمال لصوص سنة ١٢٢٦ . وقد نقل التابوت وبقايا الجسم إلى المتحف البريطانى . أما التابوت البازلتى فإنه شحن إلى إنجلترا ، ولكن السفينة غرقت به فى « لجهورن » فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٣٨ ؛ ولا يزال فى قعر البحر إلى الآن .

وقد كشفت لنا حفائر الدكتور « ريزنر » فى معبد الوادى « لمنكاورع » عن نقائس فنية ودينية ؛ وهذه المجموعة تعد أنفس مجموعة وجدت فى الدولة

« شبسكاف »

يتم بناء الهرم الثالث

ما وجد فى الهرم الثالث

القديمة من الاسرة الرابعة . ومن بينها مجاميع إلهات المقاطعات ، وكذلك  
تمثالان « منكاورع » وزوجته فى قطعة واحدة بالحجم الطبيعى تقريباً من  
الجرانيت ، وهما يعدان أجمل قطع فى الفن المصرى فى هذا العصر . ولم  
يصلنا شئ عن بعثات هذا الملك للخارج سواء أكانت للفتح أم لقطع  
الأحجار . وأهم وثيقة وصلت إلينا من عهده عثر عليها فى مقبرة أحد كبار  
موظفيه المسى « دبجن » وفيها يقص هذا الموظف الكبير كيف أن مولاه  
قدم له خمسين عاملاً لبناء مقبرة خادمه الأمين . وهذه المنحة وإن كانت  
تعتبر فى أعيننا شيئاً قليلاً لكنها أكبر خدمة يقدمها الملك إلى رجل  
خدمه بصدق وأمانة ؛ وقد تعطف عليه « منكاورع » بذلك حينما كان جلالة  
على الطريق التى بجانب هرم « حر » يتققد حال العمل فى هرمه المسى  
« المقدس » وهو اسم الهرم الثالث . أما هرم « حر » فلا بد أن يكون  
هرماً آخر له علاقة « بمنكاورع » من جهة ما ؛ وقد ظن البعض أن  
« منكاورع » كان له هرمان كبعض أسلافه مثل « سنfro » ، وهذا غير  
مطابق للواقع . والحقيقة أن هرم « حر » هو هرم ابنته « خنت كاوس » ،  
وفعلًا عثرنا على الطريق التى تربط الهرمين ببعضهما . وقد كشف منه جزء  
وقد سمي هرمها « حر » أى العالى من مسميات الأضداد إذ الواقع أن هرم  
الملكة « خنت كاوس » فى منخفض وستكلم عليه فيما بعد .

كشف « دبجن »  
عن الهرم الثالث

الهرم « حر »

ومن الطريف أنه جاء فى نقوش « دبجن » هذا أن الملك أمر بإحضار  
بايين وهيين من الحجر ، وكذلك كتلتين لواجهة المقبرة ، وتمثال بالحجم

الطبيعى لتقام فى مقبرته ، وقد وجدت كل هذه الهدايا التى أمر بها الملك فى مقبرة « ديجن » عند الكشف عنها فى عام ١٩٣٤ ، غير أن التمثال لم يوجد منه إلا بقايا مهشمة وفى عهده أرسل ابنه « حرددف » ليفحص المعابد المصرية بأجمعها ، وقد كشف هذا الأمير فى الأشمونين الفصلين ٣٠ و ٦٤ من كتاب الموتى ( كما فى النسخة الصاوية ) . وكان « منكاورع » يعرف فى الأزمان التى تلت عهده بأنه رجل تقى ، وكان يحترم ويقدر كحكم من الحكماء فى عصر الرعامسة .

## الملك شبسكاف

لما تولى « شبسكاف » عرش مصر بعد والده « منكاورع » لم يشيد لنفسه هرمًا مثل والده على هضبة الجيزة بل رجع إلى مكان أجداده بالقرب من سقارة ، وابتدع لنفسه مقبرة فريدة فى بابها ؛ وذلك أنه بنى لنفسه مصطبة ضخمة وبنى فوقها مصطبة أخرى على شكل تابوت . غير أنه جعل لهذه المقبرة كل الملحقات التى تتبع الهرم . وهذا البناء يعرف عند أهالى جهة دهشور باسم مصطبة فرعون .

مصطبة فرعون

وإذا اعتمدنا على النقوش القليلة التى كشفت وحكنا بأن هذا البناء الغريب هو قبر « شبسكاف » كان أمامنا سؤال لا بد من الأجابة عليه وهو : ما السبب الذى دعا « شبسكاف » إلى العدول عن السنة

المتبعة في بناء القبور على شكل هرمى . وابتداع شكل غريب كهذا .  
والظاهر في تفسير ذلك أن الهرم قد بنى ليكون مقبرة للملك ولم  
يتخذ هذا الشكل اعتباطا بل لأنه رمز لعبادة الشمس في بلدة عين شمس .  
وفى إقامة المقبرة على هيئة الهرم اعتراف بالإلهية الشمس وسلطانها العظيم ،  
ووضع المتوفى تحت حمايتها ليصل إلى العالم الآخر . وإذا لاحظنا أنه منذ  
بداية حكم الملك الثالث من الأسرة الرابعة قد دخل فى تركيب اسم  
الملك لفظة « رع » أى الشمس ، ولاحظنا أنه فى أوائل الأسرة الخامسة  
اعتبر ملوك هذه الأسرة أنفسهم أولاد « رع » مباشرة وخلفاءه على العرش .  
لعرفنا منزلة ذلك الإله فى نفوسهم وتأثيره عليهم ولأدهشنا أن نرى  
ثلاثة ملوك لم نجد فى تركيب أسمائهم لفظة « رع » كأسلافهم وهم « شبسكاف »  
« وختكاوس » و « وسركاف » ؛ وفى ذلك ما يدل على أن هؤلاء الملوك  
قد تنحوا عن الانتساب إلى عقيدة عين شمس التى احتلت منزلا ممتازا فى  
ذلك الوقت ، وما يفسر لنا موقف شبسكاف من قبره ، والمعدل عن  
المألوف عند أسلافه فى بنائه .

مناهضة عبادة « رع »

وقد كان هو أول من تخلى عن هذه العقيدة ، وأظهرها فى بناء قبره  
مقتعا بفكرة أقل روحانية ، وهى أن يخلد فى القبر نفسه بدلا من السماء ،  
وذلك بأن يبنى لنفسه قبرا على شكل تابوت ضخم « وهو المكان الذى  
تأوى إليه « الكا » (أى الروح المادية) وتجعل الجسم المادى مخلدا ما دامت تزوره » .  
ولا شك أن هذه الحركة كانت لا بد قائمة ضد كهنة عين شمس الذين

كان سلطانهم يزداد كل يوم على سلطان الملك كما حدث فيما بعد في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وربما كان الواضع لهذه الفكرة هو « شبسكاف » نفسه حصنا له ضد كنة عين شمس . . . وفي عهد هذا الملك كان « فتاح شبنس » الذى يعد من أهم الشخصيات التى عاشت فى هذه الفترة وقد ترك لحسن الحظ ترجمة حياته كما كتبها بنفسه . مما يلقى بعض الضوء على تاريخ هذا العصر من بعض النواحي ، ولا غرابة فى ذلك فإنه كان أعظم المعمرين بلغ من العمر أزدله إذ أفنى فى خلال حياته الطويلة ستة فراغة ، تقلب مدة حكمهم فى وظائف عدة ، ولا نبالغ إذا أطلقنا عليه عييد الموظفين . ولقد أحصى الوقت الذى خديم فيه هؤلاء الملوك فوجد أنه يربو على الثمانين حولاً . والظاهر أنه كان موظفاً حكومياً بالمعنى الذى تتطلبه هذه المهنة فى مصر ؛ إذ كان لا يحسب للمبادئ أى حساب ؛ بل كان بطبيعة الحال يميل عند تأدية عمله إلى ما يجر له المنفعة الشخصية أولاً ، ولا أدل على ذلك من أنه رغم رابطة الرحم التى كانت تربطه بالأسرة الرابعة فإنه لم يجد أى وازع يردعه عن الخدمة تحت لواء ملوك الأسرة الخامسة الذين ربما كانوا هم المقتضيين لعرش الملك منه ؛ إذ كان متزوجاً من كبرى بنات الملك « شبسكاف » الذى لم يرزق وارثاً ذكراً ليتولى الملك بعده . وقد كان فى استطاعة « فتاح شبنس » فى مثل هذه الأحوال أن يطالب بالعرش لنفسه ، ولكنه كما يظهر لنا ، كان رجلاً حريصاً عاقلاً قنوعاً فلم يزوج نفسه فى مثل هذه المفكرة . ورضى

تاريخ حياة  
« فتاح - شبنس »

أن يتقاضى مرتبا دسما تحت لواء أى ملك يقبض على ناصية الأمور ،  
وتاريخ حياة « فتاح شببس » استغرقت عهد ستة ملوك من فراعنة الأسرة  
الخامسة خدمهم كلهم موظفا حكوميا مطيعا . ولكن لما كانت أول خطوة  
خطاها نحو الرقي فى الوظائف جاءت فى عهد الأسرة الرابعة فقد آثرنا  
أن نجمله يتكلم هنا بنفسه عن ترجمة حياته كما دونها على مقبرته ، وبخاصة  
إذا اعلنا أنه يعدد فيها لنا أسماء الملوك الذين جاءوا بعد « شبسكاف »  
ووظف فى بلاطهم . فيقول مع ذكر اسمه فى نهاية كل فقرة : ( ولد فى  
عهد « منكاورع » الذى رباه مع أطفال الملك فى الحريم الملكى ) ؛ وكان  
مقربا لدى الملك أكثر من أى ولد - « فتاح شببس » ( وكان لا  
يزال يلبس الحزام ) فى عهد الملك شبسكاف الذى رباه بين أولاد  
الملك فى قصر الملك ، وفى داخل الحريم الملكى . وكان مقربا لدى  
الملك أكثر من أى شاب - « فتاح شببس » ( وقد لقي حظوة عند جلالة )  
وزوجه جلالة من كبرى بناته « معات - خع » لأن جلالة أراد أن  
يكون بصحبته أكثر من أى رجل آخر - « شببس فتاح » .  
( المقرب من « وسركاف » ، كبير كهنة منف ) المحترم من الملك  
أكثر من أى خادم ، فكان ينزل فى كل سفينة تابعة للبلاط ، وكان  
يدخل بطريق القصر الجنوبى فى كل أعياد التسويج - « فتاح شببس » .  
التابع « لسحورع » الميجل عند الملك أكثر من أى خادم ، الذى  
كان يعمل أمين سر لكل الأعمال التى يريد إنجازها جلالة . وهو الذى

كان يسلى قلب سيده كل يوم - « فتاح شبسس »  
التابع للملك « نفر إر كا رع » والمبجل عند الملك أكثر من أى خادم  
وعند ما يثنى عليه جلالة لأمر ما ، كان جلالة يسمح له بأن يقبل  
قدمه ، ولم يرض جلالة أن يقبل الأرض - « فتاح شبسس »  
التابع للملك « نفر ف رع » المبجل لدى الملك أكثر من أى خادم  
وكان ينزل فى السفينة المقدسة فى كل أعياد التتويج ، المحبوب من سيده  
- « فتاح شبسس » .

المحب لقلب سيده «نوسزوع» عاش أبديا فى بلاطه ، المحبوب من سيده  
والمحترم لدى الإله « فتاح » ، وهو الذى يفعل ما يرغب إلهه ، والذى يرتاح  
إليه كل فنان فى عهد الملك - « فتاح شبسس » .

ولا جدال فى أن «فتاح شبسس» كان رجلا قد أسعده الحظ ، إذا كان  
مقياس السعادة بالخطوة الملكية التى عاش يرتع فى بحبوحتها ويتقلب  
فى أعطاف نعيمها طوال حياته فى عهد كل هؤلاء الملوك دون أن يفضب  
عليه واحد من بينهم إذا صدقنا ما رواه عن نفسه ، على أن أكبر فخر  
ناله فى حياة أولئك الملوك ما جاء به الفرعون « نفر إر كا رع » الذى  
سمح له أن يقبل قدمه بدلا من أن يلثم التراب الذى تحت قدميه وهو  
ملتقى على بطنه أرضا حسب التعبير المصرى الصحيح .

على أن أكبر درس اجتماعى نخرج به من حياة هذا الرجل هو ما  
نشاهده فى خلال هذا العصر السحيق فى القدم من أن الوظائف الحكومية



كانت الهدف الذى يرمى إليه كل عظيم مهما بلغت درجته ، ولقد بقى هذا الداء العضال يتوارثه المصريون إلى يومنا هذا . نعم إن المصرى كان بطبعه يتمسك بالعادات والأخلاق التى نشأ عليها أجداده ، وكان الابن يرثها عن الأب ولكن سنن الرقى كان من شأنها أن تجعله يتخلى عن بعض هذه العادات الموروثة ، إلا حب الوظائف الحكومية ، فإنه لا ينفك يطلبها ويرى أن كل عمل سواها حقير ضئيل ، وأنه فى سبيلها يجب أن يضحي بكل شئ . ولا نزاع فى أن « فتاح شبسس » قد ضرب الرقم القياسى فى ذلك المضمار دون مراعاة أى مبدأ . ولا أكون مبالغاً إن قلت أنه لا يوجد فرد واحد فى مصر عاش فى خلال الأربعين قرناً التى تلت وفاة عميد الموظفين ، يتردد لحظة فى أن يضحي بمبدئه وعقيدته فى سبيل أبهة الوظيفة والتنافس فى نيل رضا الحاكمين وعطفهم مهما كلفه ذلك غالياً .

معلم مكانة الوظيفة  
الحكومية عند المصرى

وقد ذكر المؤرخون بعد حكم « شبسسكاف » ثلاثة ملوك غير أن الآثار التى كشفت إلى الآن ، لم يأت فيها ذكر واحد منهم ، وهكذا بقيت مهابة هذه الأسرة غامضة لا يعرف عنها شئ حتى عام ١٩٣٢ ؛ وذلك عند ما كشفت بعثة الجامعة المصرية القائمة بأعمال الحفر فى منطقة أهرام الجيزة عن الهرم الرابع الذى دفنت فيه الملكة « خنت كاوس » .

## الملكة خنت كاوس

ومما لا شك فيه أن « خنت كاوس » هي بنت الملك « منكاورع » لأن « شبسكاف » مات ولم يترك له خلفاً من الذكور فقامت « خنت كاوس » مطالبة بالعرش بعده ؛ والظاهر أنه كان لها بعض المنافسين على العرش غير أن الدم الملكي الذي يجري في عرونها جعل لها الأولوية في تولي الملك ولذلك كتبت على باب هرمها « ملك الوجهين القبلي والبحري ، والأم الملكية وبنت الآله ، وكل شيء تأمر به ينفذ لأجلها » . ويتضح لنا من هذا النص أنها تزوجت بأحد عظماء القوم المنتخب ولياً للعهد ، ولذا سميت الأم الملكية ، غير أنها لم تذكر اسم زوجها لأنه ليس من دم ملكي خالص ؛ وأطلقت على نفسها لقب « ملك الوجهين القبلي والبحري » لا ملكة الوجهين ، كما فعلت الملكة « حتشبسوت » في الأسرة الثامنة عشرة وأن هذا يدل على سمو مكانة المرأة عند المصريين القدماء في ذلك العهد .

والظاهر أن عصرها كان حافلاً بالاضطرابات ، والمشاحنات على تولي الملك . وقد ذكرت قوائم الملوك بعض أسماء في نهاية الأسرة الرابعة غير أنها لم تذكر على هذه الآثار (١) .

ولما تزوجت « خنت كاوس » الوارثة الحقيقية للملك وأنجبت « وسركاف » خلصت البلاد من تلك الفوضى السياسية ، وكانت هي الحلقة الموصلة بين الأُسرتين الرابعة والخامسة .

(١) فذكرت ورقة تورين ومانيتون أنه كان هناك ملك حكم البلاد بين « شبسكاف و « وسركاف » وهو « المحوتب » وقد وجد له نصوص في محاجر سيناء .

أول ملكة تلقب  
بلقب الملك

« خنت كاوس »  
مؤسسة الأسرة  
الخامسة

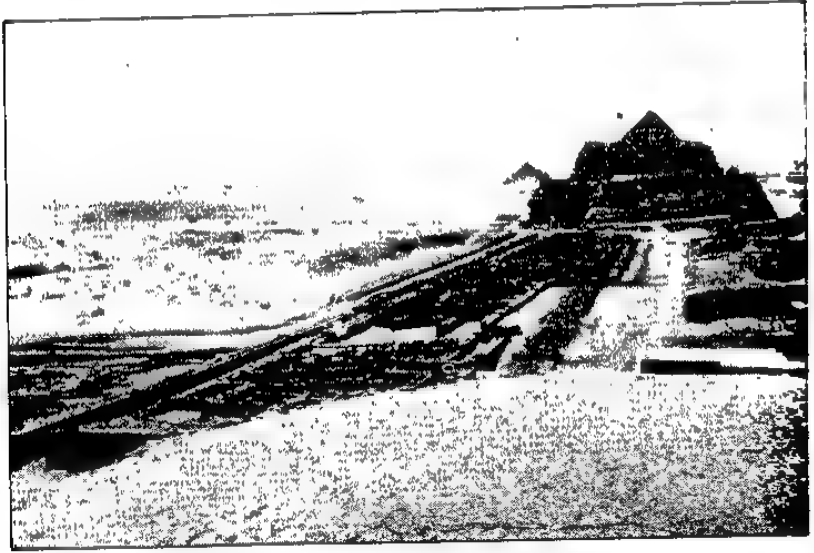
وهناك أقصوصة تكاد تكون خرافة عن أصل الأسرة الخامسة ،  
وربما كان لزواج « خنت كاوس » من أحد الأفراد أو السكنة وتأسيس  
الأسرة الخامسة صلة بها . وذلك أنه جاء في ورقة « وستكار » المنسوبة  
لأحد السحرة أن « حردذف » بن « خوفو » مثل بين يدى والده ،  
وهو يقدم ساحرا اسمه « ديدى » ، وقد تنبأ هذا الساحر بولادة أطفال  
ورقة « وستكار » ثلاثة ستلدهم زوجة كاهن هليوبوليس من « رع » إله الشمس ثم تسميهم  
الإلهات بأسماء تشبه في لفظها أسماء الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة  
وهم « وسركاف » ، و« سحورع » و« كاكاو » ، وكذلك تنبأت  
الإلهات بأن كل منهم سيحكم البلاد قاطبة .

ولا شك في أن هذه القصة تنطوى على ارتباك تاريخي إذ لا يعقل أن  
يولد « كاكاو » ثالث ملوك الأسرة الخامسة في عهد « خوفو » . ولكن  
المهم في هذه الخرافة أن هؤلاء الملوك الثلاثة هم الذين ورثوا الملك بعد أولاد  
خوفو وأحفاده كما أخبر « ديدى » الساحر الملك بقوله « إن ابنك سيحكم  
وابن ابنك سيحكم ثم واحد منهم » . - يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الملوك  
قد ولدوا من زوجة كاهن « رع » التى حملتهم من الإله نفسه  
وان الإله وعد الأم بأنهم سيحكمون وأن أكبرهم سيكون كاهنا أكبر  
لعين شمس .

ومن المحتمل جداً أن تكون « خنت كاوس » قد تزوجت من كاهن  
عظيم لعين شمس ، وبذلك يكون الدم الملكي يجرى فى أولادهما ؛

ويعزز كهنه « رع » الذين أخذ حظهم يرتفع ، ولذلك أصبح الملك يسمى  
ابن الشمس) وربما ادعى الملك نفسه أنه هو ابن الشمس الحقيقي ؛ لأن والده  
هو كاهن الإله « رع » أو الصورة التي تقمص فيها « رع » .

وقد أقامت « خنت كاوس » في عهد وصايتها على الملك هرمًا خاصًا بها  
في منطقة أهرام الجيزة ، وهجرت المنطقة التي بنى فيها « شبسكاف » مقبرته  
الغربية في بابها .



الهرم الرابع « خنت كاوس » ومدينته

ولا غرابة في ذلك فإن « خنت كاوس » أرادت أن تكون بحوار  
« منكاورع » . غير أنها لم تتخذ شكل الهرم تمامًا بل استحدثت في  
الهرم المصري طرازًا جديدًا يجمع بين الشكل الهرمي والهيئة الجديدة التي  
اختصت بها مقبرة أخيها « شبسكاف » ؛ ولذلك جعلت قاعدة هرمها

مربعة الشكل كما هو الحال في أهرام الجيزة؛ وأقامت على هذه القاعدة شكل تابوت لتحاكى مقبرة أخيها في دهشور ، ويبلغ طول قاعدة هذا الهرم نحو ٤٥ مترا وارتفاعه نحو ٣٥ مترا ، وقد قطعت القاعدة في الصخر المحلى ثم كسيت بالحجر الجيري الأملس من طرة . ووضع معبده الجنائزى فى داخل مربع قاعدته ، ويتجه بابه شرقا ، وقد كسى معظم هذا المبد بالجرايت الأحمر ، وقشت جدرانه بالمنابر الدينية ، والقرايين على كسوة من الحجر الجيري الضارب إلى السمرة . أما حجرة الدفن فقد كسيت بالجرايت المحبب ؛ ويتوصل إليها بواسطة منحدر مكسوقطع الجرايت الأحمر . وقد نحتت فى جوانبها سبع حجرات صغيرة للأثاث المائى . ومن المدهش أننا وجدنا باباً وهمياً داخل هذه الحجرة ، وكان بنهايتها من الناحية الغربية حجرة من الجرايت وضع فيها تابوت الملكة المصنوع من المرمر ، وقد عثرنا على أجزاء صغيرة منه . وأمام الهرم من الناحية الشرقية أقامت « خنت كاوس » مدينة صغيرة لكهنتها لا تزال منازلها المبنية من اللبن حافظة لشكلها وبحوار معبد والدها الذى أقامه فى الوادى شيدت « خنت كاوس » معبدها أيضاً ، وهما متشابهان فى نظامهما وبنائهما من اللبن ؛ وهناك أحواض ثلاثة لماء التطهير أحدهما بالقرب من الهرم والثانى فى وسط المدينة ، والثالث بحوار معبد الوادى . وقد نحتت فى الناحية الجنوبية الغربية من الهرم سفينة تحكى سفن الشمس التى وجدت بحوار أهرام « خوفو » و « خفرع » وغيرها من ملوك الأسرة الخامسة ، ويحيط بالهرم

مدينة هرم  
« خنت كاوس »

سفينة الشمس

والمباني الملحقة به سور عظيم يجمع بينها ويجعلها وحدة قائمة بذاتها  
وقد أثبتت البحوث التاريخية أخيراً أن « خنت كاوس » ربما كانت  
هي الملكة « نيتوكريس » التي ذكرها المؤرخون ونسبوا إليها إتمام  
الهرم الثالث، وأن التحريف جاء من النطق فحسب كما سنذكر بعد . ولا  
شك في أن هذه النظرية يقبلها العقل إذا علمنا أن « خنت كاوس » هي  
« خنت » « منكاورع » وأنها قد بنت معبدها بجوارده ؛ فلا يستغرب أن تكون  
هي التي يقصدها المؤرخون الأقدمون .

## الأساطير التي قيلت عن الملكة « خنت كاوس » يانية الهرم الرابع بمنطقة الجيزة

إن الباحث فيما تركه لنا مؤرخو اليونان عن منطقة الجيزة يلاحظ  
في الحال أن هناك بعض أشياء تنطبق على الحقيقة تمام الانطباق . على  
أن هناك في الوقت نفسه أشياء أخرى لا تقوم إلا على مجرد الأساطير .  
فمثلاً نرى هؤلاء المؤرخين يعزون الهرم الأكبر إلى « خوفو » والهرم  
الثاني إلى « خفرع » والثالث إلى « منكاورع » . على أننا نرى من جهة  
أخرى أن « ديدور الصقلي » يذكر لنا استناداً على مصادر مصرية ، أو  
يثبت أن الأهرام الثلاثة هي « لأرمايوس » و « أموسس » و « أناروس » .  
هناك أسطورة أخرى تدعى أن الهرم الثالث كان مقبرة لحظية تدعى

ما رواه اليونان  
عن الأهرام

« رودويس » وقد بناء لها بعض عشاقها من حكام الأقاليم . وظلت هذه الرواية الأخيرة متواترة . وقد ذكر « استرابون » الذى قال أن هذه الحظية كانت تدعوها « سافو » باسم « دورينجا » على حين كان يدعوها آخرون باسم « رودويس » . غير أن « هردوت » فند هذه الأسطورة قائلاً أنه رغم الثروة التى جمعتها « رودويس » فإنه كان من الصعب عليها أن تجد الموارد التى تمكنها من أن تقيم مثل هذا الأثر . يضاف إلى ذلك أنها لم تكن معاصرة لبناء هذا الأثر إذ كانت تعيش فى عهد الملك « أماسيس » . وبعد ذلك نجده يقص علينا تاريخ « رودويس » ذاكرًا أنها كانت امرأة تراقية الجنس ؛ وأنها كانت جارية لشخص يدعى « جادمان » من جزيرة « ساموس » ، وأحضرت إلى مصر حيث أعتقها « كراسوس » أخو « سافو » التى أحضرتها إلى مصر حيث أقامت فيها حظية . وقد ذكر المؤرخ « أفريكانوس » قلاً عن مختصر تاريخ مصر لماينتون ، أنه فى نهاية الأسرة السادسة حكمت البلاد الملكة « نيتوكريس » وهى التى أقامت الهرم الثالث وقد وصفها بأنها أقوى وأجمل نساء عصرها ، وأضاف إلى ذلك أنها كانت شقراء . أما نص « يوزيب » ( قلاً عن مانيتون أيضاً ) فيصفها بأنها شقراء وردية الوجنتين . ولعل السبب الذى دعا إلى وضع « رودويس » مكان « نيتوكريس » يرجع إلى وصف الملكة « نيتوكريس » بكونها شقراء ذات وجنتين ورديتين لأن لفظة « رودويس » تعنى المرأة ذات الوجه الوردى اللون ، وعلى ذلك يجب ألا يفهم من

الاسم الذى جاء فى هذه الأسطورة الإغريقية أنه اسم علم ، بل يجب أن يفهم منه أنه وصف « لدورينا » . يضاف إلى ذلك أن « نيتوكريس » و « رودويس » توصفان بأنهما أجل نساء عصرهما . وقد بذلت محاولات شتى بطرق مختلفة لحل التناقض الذى يظهر لنا فى هذه الروايات فلم تسفر عن شئ ، ولا جدال فى أن « مانيتون » كان يعرف أن الهرم الثالث ينسب « لمنكاورع » وأن اسمه كان يقرأ عليه . وفى قائمة الملوك المصريين - يوجد فى بدء الأسرة السابعة اسم « من كارع » وهو اسم يشبه اسم « منكاورع » . وقد ظن هذا الاسم أنه لقب التسويج للملكة « نيتوكريس » التى وضعت تقريبا فى هذا الموضع فى قائمة الملوك . ولكن هذا الفرض مشكوك جدا فى صحته . ويطل الآخرون النسبة المزدوجة لبناء الهرم الثالث بحقيقة وجود حجرتين للدفن فيه ، إحداها فوق الأخرى وفى كل منهما آثار للدفن . وأخيرا ظن البعض أن هذه الأسطورة ليست لها علاقة ببناء الهرم بل بآتماه وذلك لأن « ديدور » ذكر أن « منكاورع » مات قبل أن يكمل بناء مقبرته . ولكن ليس من المعقول أن نذكر أن « نيتوكريس » أو أية ملكة أخرى هى التى أتمت الهرم لأنه معروف لدينا أن « شيسكاف » بن « منكاورع » هو الذى قام بإكمال معبد الوادى الذى تركه والده ناقصا . وعلى ذلك فإن الأسطورة القائلة بأن « نيتوكريس » « رودويس » هى بانية الهرم الثالث لم تفسر بعد .

ارتباك الروايات

عن « نيتوكريس »



كشفت الهرم  
الرابع يوضح بعض  
الشيء تضارب  
الروايات

والآن أصبح من المحقق لدينا تحديد نسبة هرم الجيزة الرابع .  
فاعتماداً على النقوش المكتوبة على مدخله نعرف أنه « لحنت كلوس »  
« ملك الوجه القبلى والبحرى ، وأم الملك » . والآن بعد هذا الكشف  
نرى أن رواية بناء ملكة لهرم يظهر أنها قد نقلت من الهرم الرابع إلى  
الهرم الثالث . وهذا التخمين قد أيده نص « يوزيب » الذى ذكر أنه  
فى الأسرة السادسة كانت « نيتوكريس » تحكم البلاد وكانت ( أقوى من  
كل من كان فى عهدها وأجمل النساء جميعاً ) ، شقراء لها وجتان ورديتان  
ويظن أنها بانية الهرم الثالث الذى يشبه تلاً .

ولكننا نرى من جهة أخرى أن الهرم الثالث لا يختلف فى شكله  
عن هرمى « خوفو » و « خفرع » وعلى ذلك يظن أنه قد وقع خطأ فى  
نص « يوزيب » ، وذلك لأن الوصف الذى أورده ينطبق تمام الانطباق  
على الهرم الرابع ، فهو مبنى على قطعة منحوتة فى الصخر ويظهر فى الحقيقة  
على شكل تل .

ولا نستطيع على وجه التأكيد ذكر السبب الذى أدى إلى اختلاط  
الأمر بين الهرمين ومن المحتمل أنه فى النص الاصلى « لماينتون » ، قد جاء  
ذكر الهرم الرابع . ولكن الكتاب الأقدمين قد اعتادوا أن يتكلموا عن  
أهرام ثلاثة بالجيزة . ويحتمل أنه قد وقع خطأ فى النص فى هذا الموضوع  
فوضع اسم الهرم الثالث مكان الهرم الرابع . ومن المحتمل كذلك أنه قد  
ظن أن الهرم الرابع لوقوعه بالقرب من معبد الوادى للهرم الثالث قد بنى

لأحدى بنات « منكاورع » . وفى عام ١٩٢٧ كشفت حفائر بعثة « هارفرد -  
يوسطن » فى مصر شرق الهرم الأكبر عن مقبرة الملكة « مرسى عنخ  
الثالثة » . وقد رسم على الجدار الغربى للحجرة الرئيسية صورة أمها « حتب  
حرس الثانية » زوجة الملك « ددف رع » على شكل امرأة شقراء ترتدى  
رداء يختلف عما يرتديه عادة النساء المصريات ، ومن المحتمل جداً أنها  
من نسل « خوفو » عن طريق زواجه بامرأة أجنبية من أصل لوبى .  
أما « مرسى عنخ » ابنة « حتب حرس الثانية » وقد تكون  
زوجة « منكاورع » فهى ممثلة فى شعرها وجلدها باللون المصرى المعتاد .  
ولكن يحتمل أن الدم الأجنبى قد تسرب ثانية فى عروق الجيل التالى .  
وعلى ذلك يرجح أن « خنت كلوس » هى حفيدة « حتب حرس الثانية » .  
ويحتمل كذلك أن الدم الأجنبى قد انتقل من زوجة « خوفو » الشقراء  
وبذلك ليس مصادفة أن تتحدث الأسطورة دون اقطاع عن ملكة  
جميلة شقراء صاحبة هرم إذ أنها قد تكون منحدره من جنس أشقر .  
وهنا يظهر لنا مرة أخرى شئ من التفاصيل قد يبدو لنا فى ظاهره غير  
مهم ولكنه ينتقل من عصر إلى عصر لأهميته .

وعلى ذلك فإن كل شئ يشير إلى أن ما جاء فى « مانتون » خاصا  
بهرم الملكة له أساس من الصحة . وإنما جاء التناقض من تشابه الأسماء  
ووضع أثر مكان أثر ، وعلى ذلك « خنت كلوس » ، « نيتو كريس »  
هما اللتان أقامتا الهرم الثالث وقد وضع اليونان مكانهما « رودويس »

نسبة « خنت كلوس »  
للأسرة الرابعة

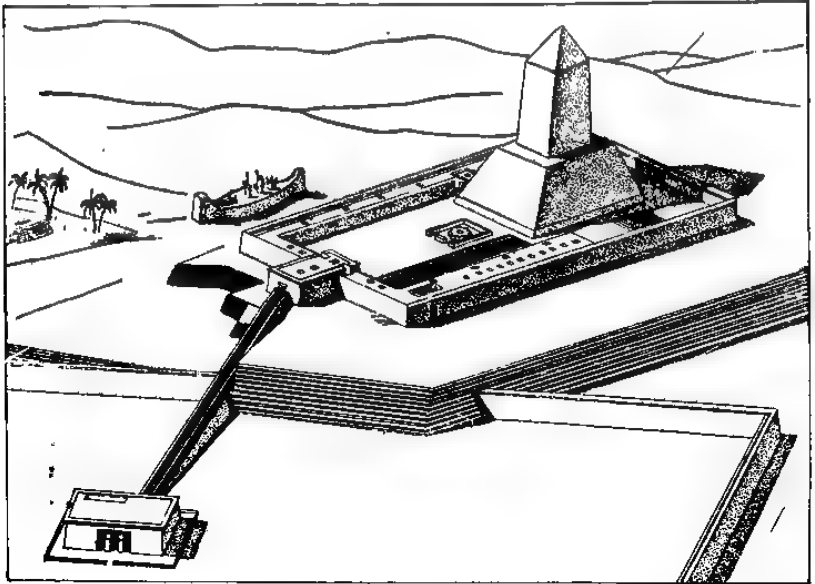
وبهذه الكيفية انتقلت الأوصاف المستهجنة إلى الصورة الروائية للملكة التي ذكر عنها مانيتون أنها كانت تسمى أقوى وأجل النساء . على أن حكاية « رودويس » ظلت متواترة في أسطورة عربية تروى أن الهرم الثالث ينسب إلى روح أنثى تحوم حوله وتذهل عقول الرجال الذين يقعون في حبها .

## الأسرة الخامسة

كان من جراء انتشار عبادة الشمس في البلاد من أقصاها إلى أقصاها ازدياد نفوذ الكهنة في بلدة عين شمس وقد كان الإله « رع » في بادىء الأمر الإله المحلى لهذه البلدة ويعرف باسم الإله « أتوم » ؛ وقد جاء في إحدى الخرافات التي وصلت إلينا عن عهد « خوفو » أن أحد أفراد الأسرة المالكة قد تزوج من إحدى بنات كهنة « رع » ؛ يضاف إلى ذلك أن « منكاورع » قد أعلن في أحد ألقابه الرسمية أنه ( ابن الشمس ) مباشرة ، وقد أصبح لقب ( ابن الشمس ) من الألقاب الرسمية التي يلقب بها الفرعون . ولما كان آخر ملوك الأسرة الرابعة قد توفى دون أن يكون له وارث في الملك من الذكور قامت « خنت كلوس » بنت « منكاورع » وادعت لنفسها الملك بصفتها بنت ملك ، أى يجرى في عروقتها الدم الملكي ، والظاهر أنها تزوجت من أحد علية القوم أو من أحد أفراد الأسرة الذين لهم حق في وراثة الملك ، ومن المحتمل أنه كاهن عين شمس فقامت

بنفسها بأعباء الملك مع زوجها الذى لم يذكر اسمه على الآثار ، ولكنها  
 رزقت ولداً كان الوارث للعرش الفرعونى ، وهذا الفرعون هو « وسركاف » .  
 وإذا صدقنا رأى القائل بأن « خنت كاوس » هى أم « وسركاف »  
 فلا بد أن يكون اللذان خلفاه على عرش الملك هما أخواه « سحورع »  
 و« نفر إركا رع » ، والظاهر أنها تمسكا بعبادة الشمس كما يدل على  
 ذلك تركيب اسميهما .

ولا أدل على تمجيد الشمس وعبادتها فى هذا العصر من ظهور مبان  
 خاصة بنيت لتكون هياكل للشمس ، إذ كان يوجد بجوار الهرم الذى كان  
 مخصصا لدفن جثة الفرعون معابد خاصة أطلق عليها علماء الآثار الآن ( معابد  
 الشمس ) ؛ وقد كان كل منها يحتوى فى بهوه على مسلة ، وعلى جدران



صورة كاملة لما كان عليه أحد المعابد الشمسية

المعبد قد تفتت قوارب كبيرة تمثل القارب الذى تسبح فيه الشمس نهائياً من الشرق إلى الغرب والآخر الذى تسبح فيه من الغرب إلى الشرق . يضاف إلى ذلك أن القبر الذى كان يدفن فيه الملك كان على شكل حجر يعرف عند المصريين بلفظة « بن بن » وهو يشبه الشكل الهرمى . وهذا الشكل الهندسى الخاص كان مقدساً فى معبد عين شمس ويعتبر رمز الإله « رع » ؛ ومن أجل هذا السبب اتخذه الملوك شكلاً لمقابرهم وسنفرده فصلاً خاصاً للكلام عن عبادة « رع » فى الأسرة الخامسة . وهؤلاء الملوك الثلاثة المذكورون يضاف إليهم الملك « نوسرع » هم الذين أقاموا معابد الشمس وبنوا الأهرام التى بجوارها فى ( أبى صير ) الواقعة على مقربة من سقارة . وعلى جدران هذه المعابد نشاهد لأول مرة النحت البارز وكذلك نشاهد لأول مرة عمداً مقامة تحمل أسقفاً وبوابات مصنوعة من الجرانيت الودى وتيجان هذه العمد مزينة بأشكال زهر البردى والبشنين . وهذه الأعمدة الجديدة تختلف اختلافاً تاماً عن الأعمدة ذات القنوات التى أقيمت فى سقارة فى عهد الأسرة الثالثة ، وعن الأعمدة الضخمة المربعة التى أقيمت فى معبد « خفرع » فى الجيزة . وقد بقي شكل الأعمدة ذات التيجان متبعاً فى مصر إلى أواخر عهد الفن المصرى ولم يدخل عليها إلا بعض تغيير طفيف فى الحلية .

وقد شاهدنا كذلك لأول مرة من الوجهة الدينية أن الآلهة المصرية رسمت بأشكال لم تتغير حتى اقترضت الوثنية من وادى النيل أى أصبح

الإله يمثل بجسم إنسان ورأس حيوان أو طائر حسب أصله .

## الملك وسركاف

ونعود الآن إلى ذكر هؤلاء الملوك وأعمالهم فنجد أننا إلى الآن لا نعلم إلا شيئا يسيرا عن الملك « وسركاف » خلافا لما ذكر في ورقة « وستكار » التي كتبت بعد نحو ألف سنة من موته وقد عثر منذ بضع سنوات على رأس ضخمة لتمثال من الجرانيت الوردى في سقارة بالقرب من هرم هذا الملك . وهذا الرأس يعتبر المثل الوحيد الذى وجد لتمثال ضخم أكبر من الحجم الطبيعى بكثير في الدولة القديمة ، وكان قبل توليته عرش الملك كاهنا أعلى لبلدة عين شمس كما جاء في ورقة « وستكار » والظاهر أن مدة حكمه لم تدم طويلا ، ومن الجائز أنه لم يحكم أكثر من سبعة أعوام ، ولم يترك وراءه ما يستحق الذكر من الأعمال الجليلة في تاريخ البلاد ، وقد جاء في نقوش حجر « بلرم » أنه وهب أراضى من أملاكه الخاصة إلى معبد الإله « رع » وأمدّه بالقرايين في أيام الأعياد الخاصة ( بأرواح محين شمس ) . هذا إلى أنه قد بنى محرابا في معبد « حور » بمدينة « بوتو » ( تل الفراعين ) وخصص لعبادة البقرة « حتحور » ضياعا في ههنا باعتبارها أم الإله « رع » وبنى معبد للإله « سبا » ( الصقر الشاهر جناحيه ) وأوقف له ضيعة صغيرة . وعلى وجه عام أظهر العناية

« وسركاف » كان  
في منصب كاهن  
قبل تولي الملك

احترامه للإلهة

اللازمة نحو الآلهة ولا سيما أنه يتنسب إلى طائفة الكهنوت . وقد عثر على خاتم أسطوانى الشكل محفوظ الآن فى المتحف البريطانى منقوش عليه لقب لهذا الملك ينم عن ميوله الدينية « محبوب الآلهة » وأقام هذا الملك مثل أخلافه معبداً للشمس يحتمل أنه كان فى ( أبى صير ) بالقرب من سقارة، غير أنه اختفى نهائياً مثل هرمه ولا يبعد أنه استعمل فيما بعد مورداً ومهجراً لمبانى العصور التى تلت ، واسم هذا المعبد « نخن رع » ( بلاط قربان رع ) . وقد عثر على إناء من المرمر الأبيض منقوش عليه اسم معبده فى « سريجو » Cirego مما يدل على أنه كانت هناك معاملات من نوع ما بين مصر وجزر بحر إيجة فى هذه الفترة .

وعثر فى بلدة طهنة على مقبرة لأحد عظماء مصر فى عهد هذا الفرعون اسمه « نكمنخ » ويحمل لقب مدير القصر ، وحاكم المدن الجديدة والكاهن الأعظم للإله « حتحور » وسمير الملك . ولا شك فى أن « وسركاف » كان محتاجاً فى هذا الظرف الخاص إلى أن يستميل إليه عظماء بلاده ، ولذلك منح « نكمنخ » وظيفتين عظيمتين الأولى أنه نصبه كاهناً للإله « حتحور » فى نفس بلدته ، وكذلك عينه كاهناً مشرفاً على أوقاف « خنوكا » أحد عظماء البلاد وأشرفها فى عهد « منكاورع » وقد خصص لذلك أراضى شاسعة تبلغ مساحتها نحو ١٢٠ ستاتا (١) وما يذكر أن « نكمنخ » قد كان رب أسرة كبيرة يبلغ عدد أفرادها ١٣ شخصاً، وكتب وصيته بتقسيم هذه المنح الملكية بينهم على أن يقوموا

منحة الضياع لإقامة  
الشعائر الدينية

(١) كل ستات واحد يساوى ٣/٢ فدادات تقريباً

بواجبات التي تتطلبها هاتان الوظيفتان ؛ وسنرى أهمية هذه الوصية عند الكلام على الأسرة في عهد الأسرة الخامسة . وبعد تقسيم الضياع بين نسله نقش على قبره ما يأتي :  
 قد كان جلالة الملك « وسركاف » ، الذي حباي بأن أكون كاهنا للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » ، وكان كل ما يجبي للمعبد كنت أنا الكاهن (الذي يتسلم) كل شيء يدخل للمعبد . والآن فأن أفراد أسرتي سيكونون من بعدى كهنة للإلهة « حتحور » سيدة « قوص » كما كنت ، وإني سأذهب إلى الغرب الجميل رجلا محترما تاركا كل هذا في ذمة خلفي من بعدى .

## الملك سحورع

خلف « وسركاف » على عرش الملك « سحورع » ولا نعرف نسبته إليه بالضبط ؛ ويقال إنه أخوه ويعد من الملوك الحريين إذ عثر له في شبه جزيرة سيناء على لوحة مثل فيها مراديا تاج الوجه القبلى ويضرب الأسويين . وكذلك وجد له نقش باسمه في « توماس » ببلاد النوبة مما يدل على أن يعود ببلاده لم تكن تنهى عند الشلال الأول ، هذا إلى أن النقوش التي وجدت له في معبد الشمس الذي أقامه (بأبي صير) تدل على أنه أرسل أسطولا إلى ساحل « فنيقية » . وفي أواخر حكمه ذكر لنا حجر بلم أنه قام بحملة إلى بلاد بنت عادت منها حاملة ٨٠٠٠٠ مكئال من الروائح العطرية ٦٠٠٠ مكئال من الذهب ، ٢٦٠٠ عصا ربما كانت من الأبنوس .



وأهم عمل قام به في داخل البلاد هو بناء معبد الشمس العظيم في (أبي صير) بالقرب من منف، ونموذج هذا المعبد كان الميزلماني معابد الملوك في الأسرة الخامسة، وكان مقاما بالقرب من هرم الفرعون، وزين بأشكال العمود الجديدة التي سبق الكلام عنها.

ومن بين النقوش التي لها قيمة اجتماعية في عهد هذا الملك لوحة جنازية لرئيس أطباء الملك «في عنخ سخمت». وقبره في سقارة، ورغم أنه قبر متواضع إلا أنه زين بباب وهمي من حجر طرة الأبيض. وقد ذكر الطبيب على هذا الباب الجميل ما يأتي معتما: رئيس الأطباء «في عنخ سخمت» يقول في حضرة جلالاته: ليت شخصك المحبوب من «رع» يأمر بأن أمنح بابا وهميا من الحجر لقبري هذا الذي في الجبانة. وقد أمر جلالاته بأن يؤتى له بيايين من حجر طرة وأن يوضعا في قاعة مجلس البيت المسمى «سحورع يضى» بالتيجان، وأن يعطيا لكاھني منف العظيمين، وصناع الجبانة وأن يقوم العمل لإعدادها في حضرة جلالة الملك نفسه. وقد قام العمل فعلا كل يوم، وكان يفحص ما أنجز يوميا في البلاط. وبعد ذلك لونها جلالاته ثم صقلها باللون الأزرق وقال جلالاته لرئيس الأطباء «في عنخ سخمت» ما دام أنني سليما والاله تحبني فاني أتمنى لك أن تذهب إلى الجبانة بعد عمر طويل مقربا. وقد دعوت للملك كثيرا وصلت لكل إله من أجل «سحورع». وذلك لأنه يعرف كل رغبات أتباعه. على أن كل شيء يتفوه به جلالاته ينفذ.

نقوش الطبيب  
«في عنخ سخمت»  
ومفراه

لأن الإله وهبه معرفة الأشياء التي في باطن الإنسان ، ولأنه مجبل أكثر من أى إله ، فإذا كنت تحب « رع » فعليك أن تدعو كل إله من أجل « سحورع » الذى فعل ذلك لى . ولقد كنت مقرباً عنده ، فما فضلاً عن أنى لم أفعل أى شىء يضر بإنسان ما .

ولا غرابة فى أن نرى رئيس الأطباء يدون مثل هذا النقش على جب وهمى أهده إله الفرعون اعترافاً منه بالجليل ؛ ليدل أولاً على حظوته عند الملك ، وثانياً لأن تلك المحاجر كانت خاصة بالملوك ولم يكن فى مقدور الأفراد أن يقوموا بقطعها ، ونقلها منها ؛ وذلك لكثرة التكاليف . فكان الفرعون هو الذى يهب من يشاء من رجال دولته القطع اللازمة لإقامة منابرهم ، وقد بقيت محاجر طرة وقفاً على الملوك وأسرم ومن هم فى ركبهم من ط . وربما كان « اسم الحجر السلطاني » الذى يطلق على أحجار طرة حتى الآن قد جاءنا من عهد الفراعنة . والظاهر أن الفرعون عند ما كان يهب عظماء دولته حجارة من هذه البقعة أو غيرها من المحاجر كان يأمر بكتابة اسم صاحب الأحجار بالمداد الأحمر بالخط الهيراطيقى على كل حجر منقطع ثم توزع على أصحابها فى الجبانة . وقد عثر على مقابر فيها أحجار من طرة ، منقوش على ظهرها اسم صاحب المقبرة . فقد وجدنا مثلاً من جبانة الجيزة أحجاراً باسم « وب أم نفرت » صهر الملك « نوسرع » . كذلك وجد اسم « رع ور » على كثير من أحجار مقبرته بالجيزة أيضاً . هو من عهد الملك « نفر إد كا رع » ثالث ملوك الأسرة الخامسة وهكذا .

محاجر طرة وأهميتها

وكذلك كانت أحجار معابد الملوك وأهرامهم تعلّم بالمداد الأحمر باسم الفرعون وباسم المكان الذى كانت ستوضع فيه ، وأحيانا مقاييسها ، كما نشاهد بين الأحجار التى عثر عليها بجوار الهرم الأكبر وأهرام سقارة نفسها .

ولا يبعد أن تكون المناظر الحربية التى بين الأسويين والمصريين التى على مقبرة « إتا » فى دشاشة ترجع إلى عهد ذلك الملك الحربى . إذ فى هذه النقوش نشاهد المصريين يغزون مكانا فى آسيا يسمى « نديا »

( لا يعرف موقعه ) . والمناظر توضح لنا تماما أطوار الحرب المختلفة فى صور ساذجة ؛ فترى أولا المصريين يحاربون الأسويين محاربة القرن للقرن

مع الاسويين

والرجل للرجل ثم ينتهى الأمر بانتصار المصريين . وعلى أثر ذلك يغزو الأسويون ويحتمون بقلعة « نديا » فيحاصرها المصريون محاصرة فنية منظمة

ثم يتغلبون عليها فيثقبون جدرانها بواسطة خوابير مديدة من الخشب ثم يستعملون سلايم طويلة للهجوم التهاوى على القلعة ؛ وبعد ذلك يقبل التهمزوت

على رئيسهم فيخبروه بمصير القلعة فيشد شعر رأسه ياسا . وفى أثناء ذلك

نشاهد النساء يحملن القتلى ويسفن الجرحى . وبعد النصر التهاوى نرى المصريين

يقودون عددا كثيرا من الأسرى رجالا ونساء وأطفالا . ويحتمل جدا أن

تكون هذه الجحلة هى المذكورة على جدران المعبد الجنائزى لهذا الملك فى

النساء نسفن

الجرحى

أبو صير ومما يحملنا على هذا الظن أن حملة الملك هذه ضد آسيا لم توصف

بالتفصيل ولم يثقل منها على جدران المعبد غير خروجها من مصر ورجوع

الجيش منتصرا ؛ إذ نجد الفرعون على رسوم المعبد يتقبل غنائم الأسويين

وفى حضرته شخصيات عظيمة من رجال بلاطه كل ثلاثة يكونون جماعة، ومن بينهم جماعة من موظفى ضياع القصر الملكى عددهم ثلاثة أيضا ، وكذلك نجد فصائل من الجنود كل فصيلة تحمل شعارا خاصا مثل : « ما أجمل سحورع أمام الزينة » ؛ ومثل : « ما أعظم حب سحورع » .

### الملك نفر اركارع ( كاكاو )

تولى الملك بعد وفاة « سحورع » الملك « نفر إر كارع » ، ولم تبق لنا الأيام من هرمه ومعبده الذى أقامه لنفسه فى أبى صير إلا بعض كتل منقوشة عليها ألقاب وأسماء بعض الموظفين المعاصرين له ، واسم عبده « مقررع المحجب » . واسم الهرم « نفر إر كارع ظاهر » وتدل الآثار التى وجدت بعده على أنه كان ملكا محبيا لدى رجال بلاطه ، وأنه كان يعنى عناية خاصة بالمحافظة على معابد أجداده ، وييذل الهبات لآلهة . وقد ذكر لنا حجر بلرم بعض هذه الهبات ، ومنها هبة عظيمة .

وقفت باسم التسوع المقدس أطلق عليها اسم « نفر إر كارع » المحبوب من التسوع المقدس ، وأوقاف أخرى لأرواح عين شمس سماها « نفر إر كارع محبوب أرواح عين شمس » ؛ وهذه الأوقاف كانت تحتوى على ٢٥١ ( س ) دورا (١) فى المقاطعة ١٤ من الوجه البحرى تحت إشراف كاهنين عظيمين

المحافظة على معابد  
أجداده ومعابد  
الآلهة

(١) الارورا نحو ثلثى فدان تقريبا ، واللفظة المصرية هى ستات كما سبق ذكر ذلك .

من كهنة عين شمس . وكذلك قدم للإله « رع » مذبحا وللإلهة « حتحور » مذبحا و ٢١٠ قرايين مقدسة و ٢٠٣ قرايين من الخبز والنيذ . . . . . وفلاحين تابعين لهذه الآلهة ، وقدم لها كذلك تمثالا من الذهب المخلوط بالفضة . كل ذلك كان في السنة الأولى من حكمه ، وقد قرب قربانا أخرى ، وأوقافا غير أنه بكل أسف نجد الحجر هنا مكسورا .

ومما سبق يمكننا أن نلاحظ أن اهتمام الفرعون كان عظيما بالهة عين شمس وتاسوعها والإلهة « حتحور » مما يؤكد لنا تماما ميل هؤلاء الملوك إلى عبادة الشمس ومقرها بلدة عين شمس ، يضاف إلى ذلك أن عبادة الفرعون في عهد الأسرة الخامسة كانت لها المكانة الأولى بعد الآله « رع » فلم يكن يحتفل بها في معابد الملك فحسب ، بل كان يحتفل بها كذلك في كل معابد الآلهة في طول البلاد وعرضها حيث كان يقدم كما ذكرنا موائد قربان أو مذابح للإله « رع » وللإلهة « حتحور » والملك معا .

ولقد بلغ من اهتمام هذا الفرعون بمعابد الآلهة أنه كان يصدر المراسيم لحكام جهات القطر بالمحافظة على حقوق المعابد ، وما لها من ضروب الأتعاء من الأعمال ، والميزات التي كانت تتمتع بها . ويعد هذا المرسوم أقدم وثيقة عثر عليها من هذا النوع إلى الآن وهو كما يأتي : حور أوزير كا و « نفر إد كا رع » . مرسوم ملكي لرئيس الكهنة « حور » . إني لا أسمح لأى إنسان له السلطة أن يأخذ أى كاهن من الكهنة الذين في المقاطعة التي أنت فيها لائى عمل في المقاطعة تسخيرا أكثر من العمل الذى يقوم به للآله شخصا

مرسوم ملكي  
لنزع السخرة عن  
أوقاف المعابد

في المعبد الذي هو فيه ، ويجب كذلك القيام بحسن المحافظة على المعابد بواسطة الكهنة القائمين فيها ؛ ولا يفرض عمل ما تسخيرا على حقل ما من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة ، ولا يؤخذ لأية سخرة كانت في المقاطعة ، فلاحون أيا كانوا من الذين في أى حقل من حقول الإله المكلفة به كل الكهنة . وذلك لأنهم معفون لمدة الأبدية وذلك طبقا للمرسوم ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى « نفر إركارع » . ولا توجد أية وثيقة في هذا الموضوع في أية مصلحة .

وكل فرد من المقاطعة سيستولى على كهنة ممن في حقل الإله المكلفين به في هذه المقاطعة ويسخرهم في المقاطعة . يجب عليك أن توجهه إلى بيت لزراعة المعبد حتى يشتغل في كل أعمال التسخير الخاصة بمصلحة الحرث هذه في هذا المعبد ، وهكذا مع كل فلاح في حقل الإله .

وكل أمير من أمراء الجنوب أو كل موظف ، أو قريب للملك أو رئيس شرطة يعمل ضد تعليقات هذا المرسوم الذى اتخذ لقلعة « حور » ، وذلك بالتصرف في ممتلكات الإله ، أو في الرجال أو في الممتلكات الأخرى لآيا كانت مما يملكها ، فإنه سيكون تحت طائلة أى تسخير من أعمال المقاطعة . ختم في حضرقى أنا الملك في الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم العاشر . ورغم تعقيد هذا المرسوم فإننا نفهم منه جيدا أن الفرعون كان يعمل على معافاة رجال الدين وفلاحيههم الذين في ضياع المعبد من القيام بأى عمل آخر في المقاطعة مهما كان نوعه . وسنرى أن تعدد مثل هذا الإعفاء ،

واستقلال الكهنة بالأملاك التي كانت توقف على المعابد من الأسباب التي أدت إلى ضعف الفرعون فيما بعد وأدت إلى سقوط الدولة القديمة في النهاية . ومن أهم مظاهر عصر هذا الفرعون العظماء الذين عاشوا في عهده ، وكانوا معه على أحسن حال من الود والصفاء المتبادل مما جعله مضرب الأمثال عندم في الرقة وحسن المعاملة ، ونخص بالذكر من بينهم أولا « رع ور » الذي كشفت الجامعة المصرية عن مقبرته عام سنة ١٩٢٩ بالقرب من أبي الهول من الجهة القبلية . وهذا القبر يعد أكبر مقبرة ظهرت في الدولة القديمة إلى الآن . وكان « رع ور » هذا يحمل من ألقاب الدولة ما لا يقل عن ثلاثين لقبا ، منها أنه كان الكاهن للإلهة الوجه القبلي ، والكاهن للإلهة الوجه البحري وأكبر كاهن في الدولة ، والسмир الوحيد ، ومدير القصر ، ورئيس أسرار الملك . وكان له خدم وموظفون بنوا قبورهم داخل مقبرته أو حولها . أهمهم « مرسو عنخ » الذي كان مدير ماليته . والواقع أن ما احتواه هذا القبر من الحجرات والتماثيل يكاد يضارع ما فعله الملوك لنفسها إذ عثر في قبره على ما لا يقل عن ١٢٠ تمثالا معظمها هشما الذهب والسرقة ، وعدد حجراته لا تقل عن ٥٠ حجرة ولا نزاع في أن نفوذه كان عظيما في البلاط الملكي ، ومقامه كبيرا عند الملك نفسه يؤيد ذلك القصة التي وجدناها منقوشة على الحجر الجيري الصلب وقد نصبت في واجهة جدار أحد سراديبه التي كان يوضع فيها تماثيله بمقبرته ؛ وتفصيل ذلك أن الملك كان يقوم بافتتاح احتفال عيد خاص ببحر سفينة

أهمية مقبرة «رع ور»

قصة « رع ور »  
مع الملك

الوجه البحرى ، وكان « رع ور » فى ملابسه الرسمية وتصادف أن كان  
بجوار سيده فطمعت عصا الفرعون ساق « رع ور » عفوا . وعندما  
لاحظ الملك ذلك ، ذعر واعتذر عما بدر منه نحو « رع ور » عن غير  
قصد . وقال له إنك أحب رجل عندى وأخص الناس بعطى . ولكن  
الملك لم يكتف بذلك ؛ بل أراد أن يعترف له أمام الناس ، وأمام الخلف  
بمكاته عنده ؛ فأمر بتدوين الحادث بفصه ونصه على حجر ، وإن يوضع  
فى قبر « رع ور » بجبانة الجيزة . وقد بقى هذا الأثر محتفيا عن العالم  
حتى كشف حديثا كما ذكرنا .

ولدينا وثيقة أخرى من عهد هذا الفرعون تدلنا على مقدار حنوه وتقديره لرجاله  
العاملين . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنها وجدت مهشمة ومشتتة ،  
إذ يوجد جزء منها فى « ابردين » والآخر فى متحف القاهرة ، والكل  
كان فى مقبرة بسقارة لكبير المهندسين المماريين ، ورئيس القضاة الوزير « وشبتاح » .  
والواقع أن « وشبتاح » نفسه لم يقم هذا القبر بل الذى بناه هو  
ابنه ؛ وقد ذكر لنا السبب فى ذلك العمل الذى لم يحجر عليه العرف كثيرا .  
ويتلخص فى أن « وشبتاح » كان رجلا مثقلا بأعباء الأعمال التى كانت  
تطلبها منه المتعددة أمام ملك البلاد ؛ ومن أهمها أعمال العمارة التى كان  
يشرف عليها بنفسه ، واتفق أنه كان منهمكا فى بناء عمارة هامة ، وتصادف  
أن جاء الملك وأسرته ذات يوم لفحص هذه العمارة ومشاهدتها . وقد  
سروا سرورا عظيما ببجالتها وأعجبوا أيما إعجاب أكثر مما يتصور ولكن تأمل



فقد أثنى عليه جلالته من أجل هذا . غير أن الإجهاد الذى بذله هذا الوزير أضناه حتى سقط على غفلة مغشيا عليه ، وذلك عند ما كان الملك يتحدث إليه . وعلى أية حال فإن جلالته لاحظ أنه لا يصغى له فصاح قائلا إن « وشتاح » مريض ( وإن كان ذلك لم يذكر فى المتن ) وعند ما سمع أولاد الملك والأصدقاء الذين كانوا من رجال الحاشية استولى على قلوبهم الملح أكثر مما يتصور .

وفى الحال حل المهندس المعمارى المصاب إلى قصر الملك الخاص وعندئذ أحضر جلالته صندوق مخطوطات ، ولا ريب أنها كانت أوراق بردى طيبة ، لأن جلالته جريا على التقاليد الموروثة منذ أقدم العصور ، كان مغرما بالطب وعلومه ؛ ولكن لم يكن فى وسع أحد إسعافه لأن الحالة كانت على ما يظهر نزيفا فى المنح نتج عن الإجهاد فى العمل . وعندئذ تركه الملك بقلب محزون ليصلى عليه فى خلوته . وقد ذكروا أمام جلالته أنه مات ..... ، وكان قلب جلالته فى شدة الحزن بدرجة لا مثيل لها ، وقال جلالته أنه سيفعل كل شئ حسب رغبة « وشتاح » وعاد إلى حجرتة الخاصة حيث صلى للإله « رع » . وعند ما جاءت النهاية ؛ أمر جلالته بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس المرصع ، وهذا لم يصنع لواحد مثله من قبل . وكذلك أمر بتحنيطه أمام جلالته . أما الذى نقش هذا النص فهو ابنه الأكبر الذى كان يحمل لقب « الأول بعد الملك » ، و« محامى الناس » « مرثر نسوت »

عند ما كان قبره بالجبانة . وقد أمر الملك بأن تكتب على قبره ،  
وقد دعا له ( الابن ) جلالة بسبب ذلك ، وشكر الإله كثيرا ( أى الملك ) .  
وهناك قطعة من النقش نفهم منها أن الملك لم ينس خادمه المتوفى  
لأنه حبس على مقبرة « وشبتاح » أوقافا بالقرب من الهرم  
المسمى « سحورع يضى » .

حقا إن ما ذكرناه من النوادر فى حياة هذا الفرعون مع كبار رجال  
دولته لا يعد فى أعين الكثيرين تاريخا إذ كان التاريخ فى نظرهم لا يعرف  
إلا بالأرقام والحقائق الجافة ، والمواقع الحربية ، ولكن إذا نظرنا إلى هذه  
القصص من جهتها الاجتماعية والأنسانية ، وما تقف منها عن علاقة الانسان  
بأنخيه الانسان منذ أقدم عصور تاريخ الانسان المتحضراى منذ نحو ٤٠٠٠  
سنة ، فإن ذلك يكون له قيمة عظيمة فى نظر المؤرخ الحقيقى أكثر من  
آلاف التواريخ ومن كتب مليئة بالحقائق الجافة . ومن اهم مرامى التاريخ  
ان يوفقنا على عهود من سبقنا من أجدادنا وغيرهم ممن عاشوا منذ آلاف  
السنين بعيدين عنا ، وعلى علاقة بعضهم ببعض وحال مجتمعاتهم ، وهل  
كانوا مثلنا من دم ولحم يشعرون ويتألمون ، ويحبون ويخافون ويتعاطفون  
ويتراحون عند ما تدعو الطبيعة إلى ذلك رغم الفوارق الاجتماعية ، وهل  
سيموتون فى النهاية كما نموت . ومن اجل ذلك فإننا نعتبر قصص مثل هذه  
الذكريات التى تصيدها من مجاهل الماضى ، وقتنصها من جوف أرض  
مصر مما يبرز لنا صورة واضحة للشعور الأنسانى المتبادل بين الملك ورجال

شعبه العاملين فى هذه الأزمان السحيقة ، وبين أفراد الشعب . وفى اعتقادى أن مثل هذه الصور الحية تعد اثمن خلاصة للتاريخ البشرى . ولا عجب فإن « نفر إركارع » قد ضرب المثل الأعلى فى هذا المضمار وبخاصة فى حسن المعاملة وطيب العلاقة بينه وبين كبار رجال دولته على رأى من عامة الشعب فى واقعين سجلهما التاريخ ، لم تكونا من وقائع حرب تقتل فيها النفوس بل وقائع رحمة وإخاء تؤثر فيها الأرواح .

وبعد وفاة « نفر إركارع » تولى الملك ثلاثة من الفراعنة ، يظهر أنهم كانوا إخوة غير أنسابا نعرف قربتهم للفراعنة الثلاثة الذين سبقهم ؛ على أن الاثنين الأولين وهما « شبس كارع » و « نفر رع » . لا نعرف عنها شيئاً . أما ثالثهم وهو « نوسرع » فيظهر أنه كان شخصية هامة فى تاريخ الأسرة الخامسة ، وقد حكم نحو ٣٠ عاماً ؛ وقد عثر على معبدته وهرمه فى أبى صير ووجد منقوشاً على معبدته أقدم رسم لاحتفال عيد « سد » الرسمى ، وهو العيد الذى كان يقيمه الفرعون ، إما عند بلوغه الثلاثين أو بعد حكمه ثلاثين عاماً ؛ وذلك ليعيد إلى نفسه الشباب والقوة الحيوية . ولا يفوتنا أن نذكر أن من بين كهنة هرم هذا الملك الكاهن « قى » بسقارة وقد عثر حديثاً على حجرة دفن ابنه ووجد فيها بعض أشياء قيمة . ، ومقبرة « قى » تمدنا بمعلومات قيمة جداً عن حياة هذا العصر من الوجهة الاجتماعية والدينية .

اخلاف  
« نفر إركارع »

عيد « سد » ومعناه

مقبرة « قى »  
بسقارة

وتدل النقوش على أنه حارب فى شبه جزيرة سينا حيث ترك لنا لوحة

في وادى مغارة يظهر فيها ممثلا وهو يضرب الأسويين ، وقد نقش عليها مايتأتى : « قاهر الأسويين من كل الأقطار » . على حين أن معبد هرمه حروب «نوسرع» في أبي صير كان محلى بالنقوش التي تشاهد عليها انتصاراته على اللوبيين والأعداء من سوريا .

وقد حفظت لنا النقوش اسماء اثنتين من زوجاته «ختى خوى» و« نبت » وكذلك نعرف اثنتين من بناته وهما « خع مرر نبتى » و« مرتاتس » . ويعتقد بعض المؤرخين أن « فتاح ختب » مؤلف كتاب الحكم هو ابن «نوسرع» ولكن هذا الرأى لا يستند على اسانيد تاريخية ، بل الواقع أن هناك ما ينفي ذلك .

وقد كشف عن بعض نقوش من عهد هذا الملك في مقابر رجال عظماء بلاطه ، تكشف لنا بعض نواحي خلقية المصريين ، ومعاملتهم للموتى فمن بين هؤلاء « حتب حرى أخت » ، وكان قاضياً ونائب الملك في «نخن» . وقد نقل هذا القبر إلى ليدن كغيره من قبور الدولة القديمة ، التي كانت مصلحة الآكار تبيعها بأبخس الأثمان لمتاحف العالم (١) .

والنقوش التي على قبر هذا العظيم تدل على سلامة القلب التي بها يفرى المارين على قبره ليعاملوه كما يحبون أن يعاملواهم فيقول : لقد ائت هذا القبر من متاعى الحقيقى ، ولم أستول على شئ للغير ، فالذين سيقدمون

---

(١) نقلت مبانى مقابر كاملة إلى لندن ، وباريس ، وبرلين وليدن ، وبروكسل وغيرها . كان بعضها يساع بمشرة جنهات . وتحتوى على روائع الفن المصرى .

إلى قربانا فيه فأبى سأقوم نحوهم بالمثل وسأدع لهم الإله لذلك كثيرا جداً،  
وسأفعل ذلك لهم مقابل الخبز والجمعة، والملابس والعمود والحبوب بكيات عظيمة.  
بعد ذلك نرى أن « حتب حرى أخت » يظهر لنا تخوفه على  
قبره فيكشف لنا القناع عن ناحية أخرى من نواحي الخلق المصري في  
معاملة مبانى موتاهم ، ومحتوياتها وما لها من الأوقاف . فنجده يرى لزما  
عليه أن يعترف على نقوش مقبرته بأنه لم يسرق مقبرة أى إنسان ،  
وكذلك يحذر كل من التحدى على قبره ، أو أى شيء من محتوياته  
فيقول : لقد أقت قبرى هذا على المنحدر الغربى فى مكان ظاهر ، بكر  
( أى لم يستعمل من قبل ) ؛ ولم يكن فيه قبر أى إنسان ، لأجل أن  
يحافظ على أملاك الذى قد رحل إلى قريته « السكا » . أما من جهة  
دخول بعض الناس هذا القبر مدعين أنه عقار مأتى لهم ، أو لإحداث  
أى شيء ضاربه فإنهم سيحكون من أجل ذلك أمام الإله العظيم  
ولقد شيدت هذا القبر لأبى رجل مبجل لدى الملك الذى أحضر لى  
تابوتا . ولعمري فإن هذا المتن يدلنا دلالة واضحة عن مبلغ تخوف  
المصرى مدة حياته وما عساه أن يلحق بقبره بعد مماته ؛ لأنه كان يرى  
بعينه ما يحدث لقبور الغير ، وما كان عليه الخلق المصرى من هذه الناحية،  
ولقد بقى هذا الداء الدفين أهم ما يشكو منه المصريون طوال تاريخ حياتهم ؛  
وقد تفتنوا فى الوصول إلى استئصال هذا الداء ، ولكنه كان يزداد كلما  
ازدادت ثروة البلاد ، كما سنرى فيما بعد .

خوف المصرى  
من نهب قبره  
بعد وفاته

تهديد المتولى  
من يحاول الاضرار  
بقبره

## الملك منكاوهر

جاء بعد « نوسررع » الفرعون « منكاوهر » ، وكل ما نعرفه عنه أنه أرسل حملة إلى شبه جزيرة سينا غير أن نقوشها وجدت مهشمة في معظمها ، وما بقي منها هو : « حور منخو » ملك الوجه القبلي ، والوجه البحري « منكاوهر » معطى الحياة والثبات ..... ، ومما يؤسف له جد الأسف أن اسم القائد الذي كان على رأس هذه الحملة وجد ممحوا ، ولذلك لم تتمكن من معرفة اسم أول قائد حملة في التاريخ المصرى إلى هذه الجهات ، تجاسر أن ينقش اسمه بجوار اسم الملك . وكانت هذه الميزة وقفا على الفراعنة ولكن بعد عهد هذا الملك أصبح القواد ينقشون أسماءهم بجانب اسم الملك على اللوحة التذكارية التي كانت تقام في هذه الجهات تخليدا لمعلمهم . ويوجد الآن في متحف اللوفر نقش غائر للملك « منكاوهر » . عثر عليه في إحدى جدران مدفن السرايوم بسقارة ومن المحتمل جدا أنه اغتصب من معبد هذا الملك الذى اختفى الآن جملة ؛ والظاهر أنه لم يمكث على العرش أكثر من ثمانية أعوام .

## الملك إيسى

جاء بعد « منكاوهر » الملك « زدكارع » ( إيسى ) ولا نعرف صلة الرحم بينهما . والظاهر أن عصر « إيسى » كان عصرا حافلا

بالأعمال العظيمة . ففي عهده أرسل المستشار الملكى « با ور دد » إلى بلاد بنت ( الصومال ) القاصية ومن هناك أحضر قزما من نوع نادر . وقد أدمج مع أقزام آخرين للقيام باحتفالات الرقص التى كانت تعمل للآلهة : وقد كان لهذا القزم الشرف كذلك بالرقص مع الأميرات ونساء القصر الملكى اللانى كن يقمن بوظائف الكاهنات فى المحراب الملكى .

الاقزام ووظائفهم  
فى عهد الدولة القديمة

وعثر لهذا الملك فى شبه جزيرة سينا على ما لا يقل عن أربعة قووش فى وادى مفارة . كتب على واحد منها « ابن الشمس » مما يدل على التوغل فى عبادة الشمس ، وأن هذا اللقب أخذ يكثر استعماله ، وأرسل كذلك حملة إلى بلاد النوبة كما يدل على ذلك النقش الذى وجد على صخرة « توماس » . ووجد كذلك نقش فى وادى حمامات عليه اسم هذا الملك . أما النقش الذى يلفت النظر لهذا الفرعون فقد وجد فى سينا وقد جاء فى مقدمته التاريخ كما كان يدون وقتها : السنة التى تسلو المرة الرابعة لتعداد كل الحيوان : الكبير والصغير عند ما جعل الإله الحجر الثمين يوجد فى المنجم السرى - الذى هو لوحة بخط الإله نفسه ، « حور زدخمو » . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى محبوب الإلهتين « زدخمو » ، و« حور الذهبى » ..... عاش أبديا . بعثة ملكية قام بها ضابط البعثة « نى عنخ خنتى خت » إلى المرتفع الذى يسمى الدهنج ( ماخيت ) . وبعد هذا الضابط أول قائد حملة معروف لنا نقش اسمه بجوار اسم الملك . وقد ظن بعض المؤرخين أن الحجر الثمين الذى يشير إليه فى النقش هو حجر بلرم المشهور ولكن

حملة إلى سينا

هنا مجرد تخمين لا أساس له .

ومن الطريف أن « فتح حنب » صاحب التعاليم المشهورة التي تعد  
تقريب ما وصل إلينا من حكم المصريين للآن . كان مربي الملك « إيسى »  
وقد أُمليَ تعاليمه في شيخوخته وذلك لإعداد ابنه ليتولى بعده وظيفته في  
البلاد . وسندكر هنا مقدمة هذه التعاليم لنبرز للقارىء السمو بالأسلوب المنطقى  
لقا الشيخ المسن ، والميل الخاص عند الموظف المصرى في هذه العصور  
الحافظة على توارث الوظيفة بقدر ما تسمح به الأحوال . هكذا تكلم إلى  
جلالة الملك « إيسى » . قد حلت الشيخوخة ونزل هذيانها ، وامتلأت  
الأعضاء آلاما وظهرت حالة الشيخوخة كأنها شىء جديد ، وانمحت القوة  
علم الهزال ، وصمت الفم فلم ينطق ، وغارت العينان وصمّت الأذان ، . . . .  
يطلب كثير التسيان غير ذكر الأُمس ، والمظالم تتألم من كبر السن ،  
يلائف كتم وأصبح لا ينفس ، والقيام والقعود سيان كلاهما مؤلم ،  
يطلب أصبح خيئا ، وكل ذوق قد ولى . وما يفعله التقدم في السن مع  
الإنسان هو أن يصير حاله سيئا في كل شىء . فرنى أن أصنع عكازا  
كبير السن ، ودع ابنى يأخذ مكانى لأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار  
من سلفوا وهم الذين خدموا السلف في الأزمان الخالية ، وليتهم يصنعون  
مثل حتى يتقى الشجار بين القوم ، ويخدمك شاطئ النهر ( أرض مصر )  
جل جلالته : علمه أولا الحديث . . . . . وليته يكون مثالا لأولادى  
يطلب ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكره صواب من يتكلم

مقدمة تعاليم  
« فتح حنب »



معه ، وليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه .

حب الوظيفة قديم ولا نزاع في أن الملك « إيسى » قد أجاب ملتبس « فتاح حتب » بعد كل هذه التوسلات ، والتضرعات المؤثرة ، وبذلك نال بغيته وسر؛ لأن الذى كان أعظم ما تصبوا إليه نفسه في حياته ككل مصرى ، أن ينصب في وظيفة حكومية يتقاضى منها مرتبا ضخما ويتيه بها على أقرانه الذين لم يسعدهم الحظ بمثل ما أسعده .

ومن عظماء رجال هذا العصر الجديرين بالذكر « سنزم إيب » ، وكان يشغل أعظم مناصب الدولة ؛ إذ كان وزيرا وكبير المماريين ، وكبير القضاة . والواقع أنه كان أعظم رجل في عهد هذا الفرعون . وقد دون على قبره القريب من هرم « خوفو » ما ناله من الخطوة في عصر مليكه . منها خطاب كتبه بخط سيده . وسبب ذلك ان الملك طلب إلى « سنزم إيب » أن يعمل له تصميم بحيرة ؛ فقام هذا المهندس بعمل تصميم بحيرة يبلغ طولها ١٢٠٠ ذراعا ، فسمّ « إيسى » من المشروع سرورا عظيما وأرسل له خطابا يظهر فيه ارتياحه وإعجابه بكبير مهندسيه فيقول « سنزم إيب » : إن جلالة الملك كتب بأصبعه نفسه ليثنى على لآثى انجزت كل عمل أصبر بممله جلالتك بناية الأتقان والكمال كما يريد قلب الملك أن يفعل له . وقد كتب له الملك : إن جلالتي قد اطلع على خطابك الذى أرسلته لتخبرنى وأن كل شئ قد تم من جهة المبنى الذى يسمى محبوبة من « إيسى » وهو الذى بنى لأجل قصر « إيسى » الذى يسمى « نهبت » ، وطولها ٣٠٠ ذراعا ،

الملك يكتب بخطه  
لأحد عظماء دولته

وعرضها ٢٢١ ذراعا حسب الأوامر التي أعطيتك إياها . . . . . حقًا إنك « سنزم إيب » ( فرح القلب ) عندما أدخلت الفرحة على قلب « إيسى » . وفى هذا الخطاب تورى بين اسم « سنزم إيب » وفرح قلب الفرعون . وقد ذكر ابنه على مقبرة والده ، أن الملك قد خصص له أوقافاً أبدية لابنه « سنزم إيب » وأنه أمر باحضار تابوت له إلى مقبرته بالقرب من هرم « خوفو » . والظاهر أن عظماء هذا العصر كان كل ما يحرسون عليه أن يدون بعدهم على قبورهم ، التي كانوا يعتقدون ولو ظاهراً أنها أبدية ، ما كان ينالهم من الملوك من الخطوة ، وما قاموا به من جلائل الأعمال ، مع بعض المبالغة أحياناً ، وهذه الوثائق تكاد تكون مصدرنا الوحيد لتاريخ البلاد . وقد مكث « إيسى » ما يقرب من ٢٨ سنة على أريكة البلاد .

الاقواف الملكية  
تخصص لرجال  
الدولة

## الملك وناس

يعتبر وناس فى نظر التاريخ أنه آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومن أعظم ملوكها وقد بقى قابضاً على صولجان الملك حوالى ثلاثين عاماً تقريباً ، وتحتصر شهرته فى نظرنا فى هرمه الذى بناه فى سقاره وقد وجدت حجرة دفنه التى فيها تابوته . منقوشة كل جدرانها بتعاويد وصلوات دينية كان الغرض منها أن تحفظ المتوفى فى آخرته . وهذه هى أول مرة نجد حجرة الدفن فى الأهرام مكتوبة بتون دينية ، وقد فتح « مبرو »

العالم الفرنسى باب هذا الهرم ، وكذلك أبواب أهرام ملوك الأسرة السادسة ، وهم « تيتى » و « ييبى الأول » و « مرن رع » و « ييبى الثانى » . وكلها فى منطقة سقارة ، وكان ذلك فى عام ١٨٨١ أى بعد وفاة مريت باشا مؤسس المتحف المصرى ، وهذه المتون المنقوشة فى حجر دفن هذه الأهرام متاشبهة وتحتوى على آلاف من الأسطر . وقد ترجمها « مسبرو » العالم الفرنسى . ثم أعاد ترجمة معظمها حديثًا العالم الألمانى زيته ، وتعد هذه المتون الآن الأساس الأكبر لمعرفة ديانة قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة .

ولما جاء عصر الدولة الوسطى وجدنا متونا مشابة لها مكتوبة بالمداد الأسود على توايت خشبية لعلية القوم . أما فى عصر الدولة الحديثة فقد وجدنا متونا أكثر نموا وأغزر مادة مكتوبة على ورق بردى كان يوضع مع المتوفى فى قبره ، ويسمى علماء الآثار الآن بكتاب الموتى ، وتقع فى أكثر من ١٢٠ فصلا . وكل هذه المتون فى العصور المختلفة - أصبحت مصدرا لا ينفذ لتعرف ديانة القوم ، وأساطيرهم الدينية . ورغم أن هذه المتون قد وجدت لأول مرة فى عهد الملك « وناس » إلا أنها تدل على أن أصلها يرجع إلى زمن سحيق فى القدم ، وربما ظهر ما يثبت ذلك فى المستقبل . ( انظر ص ٢٥٧ - ٢٥٨ )

متون الاهرام

كتاب الموتى

وفى العام الماضى كشف عن المعبد الجنائزى لهذا الملك ثم عن جرح من الطريق الموصل لمعبد الوادى ، وفى الوقت نفسه كشف عن جزء من معبد الوادى ويظهر أنه أعظم مساحة مما كنا نتصوره . ومن المدهش أن الطريق

إلى يوصل بين المعبدین وجد بعض أجزاء مما كشف منه سليمة نوعا ما ،  
 وقد كشفت لنا عن صفحة جديدة في تاريخ المعابد المصرية في عهد الدولة  
 القديمة ، ألقت شعاعا من النور على بعض الحقائق الجازية والاجتماعية كانت  
 محيرة لدينا ؛ فقد وجدنا أولا أن هذا الطريق كان مبنيا بالحجر الجيري  
 الأبيض ، ومستوقا كذلك بقطع ضخمة من نفس الحجر فيها منافذ لأضاءة  
 الطريق . وهذا السقف مزين بالنجوم لتمثل فيه السماء ، أما جانبا الطريق  
 فقد تشابها بنظر غاية في الأتقان ، بعضها جنازي ، والبعض الآخر يمثل الحياة  
 البهيمية ، وحياة البلاط . فنجد مثلا حاملي القربان يذهبون نحو الهرم ،  
 حملة مختلفين يباركون الملك . ونجد مناظر تمثل الملك ، وهو يتقبل القربان ،  
 وآخرى وهو يحارب الأعداء ويقتلهم ، كما نشاهد رجال البلاط آتين في  
 خضوع للملك كل يقدم طاعته ، بينما يصطف رجال الجيش أمامه كل يحمل  
 راية . وفي جهة أخرى نشاهد جنود الملك يقتلون الأعداء من البدو  
 ولهم ومداهم ؛ وهناك نرى مناظر الزرع والحصاد ونباتات كل فصل ،  
 حتى الشهد وتوالد الحيوان ، وفي أجد المناظر نشاهد صيد حيوان الصحراء  
 من كافة أنواع الغزلان والأسود من بينهما الزرافة التي لم يكن قد عثر  
 عليها رسمها في نقوش الدولة القديمة . كل هذا كان مهيأ لمنفعة الفرعون ،  
 لذلك نشاهد النيل وفيه كل أنواع الأسماك ، والحقول وما فيها من  
 ثمر . ثم نشاهد بعد ذلك مناظر قد عني الفرعون بها خاصة ليظهر لأخلافه  
 أن كان يعنى بتشييد معبديه ؛ إذ نشاهد منظرا لبعض السفن المحملة

المناظر التي على  
 طريق معبد  
 « وناس »

بالأعمدة الجرانيتية وقطع الكرانيش التي كانت تستعمل في تشييد المعبد الجازى ، وقد كتب عليها « أعمدة من الجرانيت أحضرت من أسوان » . ومن المدهش أن هذه الرسوم تدل دلالة واضحة على أن هذه الأعمدة والكرانيش قد صنعت في أسوان ثم وضعت على زحافات ، وربطت ، ثم وضعت في السفن لتكون جاهزة لأقامتها في أماكنها بمجرد وصولها ؛ أى أنه كان يوجد في أسوان مدارس صناعات لهذا الغرض ، ولم يشهد التاريخ منظرا قبل هذا ولا بعده اللهم إلا مسلة الملكة « حتشبسوت » التي حملت من أسوان غير أنها لم تكن قد تم نقشها ، يضاف إلى ذلك أننا عثرنا على صور مراكب منقوشة على جدران هذا الطريق أعظم حجما من السفن النيلية ، وقد وجد فيها قوم أسويون شبه أسرى ، وهذه المراكب بلا شك آتية من بلاد سوريا مما يدل على العلاقة بين البلدين في هذا العصر بل وسيطرة مصر عليها بعض الشيء . وآخر منظر كشفنا عنه هو منظر للسوق المصرى . وتبادل السلع وصنع الذهب ووزنه . وقد كشف حديثاً عن مقبرة زوجته « نبت » ، ومقبرة لأحد أولاده المسى « وناس عنخ »

الجرانيت يجلب  
مصنوتا من  
عاجر اسوان

العلاقة بين مصر  
وسوريا

### ظهور عبادة الإله « رع » في الأسرة الخامسة

لاحظنا أنه منذ عهد الفرعون « شبسكاف » قامت نهضة لمقاومة عبادة إله الشمس « رع » الذى أخذ في النهوض والظهور منذ أواسط الأسرة الرابعة ؛ ولكن تدل الأحوال على أن نجم هذا الإله أخذ يعلو في عهد الأسرة

الخامسة ثاية ، وأخذت عبادته تنتشر حتى أصبحت عبادة الدولة الرسمية .  
 على أن إله الشمس « رع » الذى يحكم العالم لم يكن يعبد فى مصر من  
 قبل إلا عندما كان يمثل فى الإله « آتوم » معبود بلدة عين شمس المحلية ، ولكن  
 مصر قد أصبحت الآن أمة عظيمة متحضرة تعتقد فى نفسها أنها مركز  
 العالم . وأن أم الممورة الأخرى ليس لها أية أهمية . وقد كان كل م  
 الإله « رع » حاكم العالم أن يهتم بالبلاد المصرية وفرعونها . وقد أخذ  
 الآن يحمل محل الإله « حور » فأصبح إله الدولة والمسيطر على كل البلاد ،  
 وحارت الآلهة المحلية للمقاطعات كلها دونه وتحت سلطانه ، كما كانت حكام  
 المقاطعات تدين لسلطان الفرعون وإرادته ؛ وقد أدى ذلك إلى القيام بواجب  
 يديد نحوه كان لا بد للفرعون وشعبه من القيام به . وهو أن يعترفوا  
 بتسل الإله « رع » وأن يظهروا هذا بيناء المعابد وتقديم القرابين . وقد  
 كان أول من ضرب المثل لذلك كما ذكرنا الفرعون « وسركاف » ثم قفاه  
 هذا السبيل من خلفه . وبعد ذلك أحدث الفرعون « كاكاي » ثالث  
 الأسرة الخامسة نظاماً جديداً نحو تمجيد إله الشمس والاعتراف به ،  
 حيث أنه أضاف لاسمه الملكى اسم « نفر إركار رع » ومنه نلاحظ أنه أراد أن  
 يسم نفسه صفة من صفات الإله « رع » - « جمال قرين رع » ، وقد  
 أصبح هذا الاسم هو الذى يذكر فى كل نقوشه تقريباً . وقد حذا حذوه  
 أخلافه دون استثناء فى خلال هذه الأسرة . ولا يخفى أنه منذ  
 أسرة الرابعة كان يسمى الفرعون « ابن الشمس » وذلك طبعاً فى أحوال

سيادة عبادة « رع »  
 فى الأسرة الخامسة

تمجيد الآله « رع »  
 فى عهد الفرعون  
 « كاكاي »

شيوخ استمال  
لقب « ابن الشمس »

فردية . غير أن هذه النسبة أصبحت أكثر استعمالا في عهد الأسرة الخامسة ؛ ولكن في خلال الدولة الوسطى منذ عهد الأسرة الأهناسية والأسرة الحادية عشرة أخذ هذا اللقب يدخل تدريجيا في السجلات الملكية . ولقد شاهدنا الفرعون « نوسر رع » عندما أهدى معبده للإله « رع » ، لم يذكر بالتخصيص أن الإله « رع » هو والده كما كان الحال مع الفراعنة الذين جاءوا فيما بعد ، ولم ينسوا أن يذكروا ذلك . ولكن من جهة أخرى نشاهد أن كل فرعون كان بمجرد اعتلائه عرش الملك يقوم في الحال بإقامة معبد جديد للشمس وذلك مما يدل على أنه كانت هناك علاقة شخصية تربط الفرعون بالإله « رع » . والواقع أن الديانة في عهد الأسرة الجديدة كان ينظر إليها نظرة مخالفة لما كانت عليه من قبل ، إذ كان أهم واجب على الفرعون أن يسهر على العناية بتمجيدها . ولا أدل على ذلك من المرسوم الذى أصدره الملك « نفرإركارع » وحفظ في العراية ، وهذا المرسوم خاص بكل الدولة وفيه كما ذكرنا آنفا يحرم الفرعون فرض أى سخرة على الكهنة وفلاحى أى معبد ، أو أن ينتزعوا شيئا من الضياع التابعة للمعابد ؛ ولا نزاع فى أن قصة ورقة « وستكار » خرافة ؛ ولكن إذا كانت تجعل ولادة ثلاثة الملوك الأول من الأسرة الخامسة من زوجة كاهن للإله « رع » ، وإذا كان « رع » نفسه قد آتجهم حتى يمتلوا عرش ملك مصر ، وبينوا المعابد للإله ويقربوا الضحايا ، وينفذوا موا القربان بالخيرات التى منها يشرب الإله ، ويحبسوا عليها الأوقاف الطائلة ،

محتويات ورقة  
« وستكار » تركت  
على أصل تاريخى

لا نشك في أن هذه القصة تعتمد على أصل تاريخي ، هذا إلى أن  
« وسركاف » كما ذكرنا في حينه كان كاهنا أعظم للإله « رع »  
عين شمس قبل تولية العرش . .

والحق أن العبادة الجديدة قد نشأت في هذه المدينة ، ومنها خرجت  
عبادة « رع » وأصبحت مهد الحياة الدينية في كل جهات القطر . وكان  
كل معابد الإله « رع » في الأسرة الخامسة مثل الأهرام تقام على  
الهضبة الصحراوية الغربية خلف المدن الملكية في منطقة « منف » .  
وتقريب بناء هذه المعابد في مجموعه يذكرنا بالتصميم الذي كان متبعاً في  
المعبد الجنائزية في عهد الأسرة الرابعة . فكان يخرج من المقر الفرعوني  
طريق منحدر بعض الشيء ينتهي في طرفيه بأروقة توصل إلى المعبد نفسه  
وهو مقام على تلة ممددة رقعتها ومثبتة بالأتربة المقولة ، وكانت تقام في  
سطح ردهة عظيمة غير مسقوفة مسلة ضخمة يبلغ ارتفاعها نحو ٦٠ متراً  
على قاعدة تشبه فم الحياط ، وهذه المسلة كانت مبنية من كتل من الحجر  
يحتوي المصوص بعضه فوق بعض . وأمام هذه المسلة كانت تقام مائدة  
تربط أو مذبح عظيم الحجم منفرد من الرمر ، وعلى جوانب هذه الردهة  
توجد مخازن المعبد . وطرز هذا الهيكل يختلف عن كل المعابد  
مصرية ، إذ لا يحتوى على أى تمثال للإله ، ولذلك لم يكن فيه أى  
« تلوس » أو محراب للتعبد ، وذلك لأن الإله الذي كان يعبد فيه  
يكن مقره على الأرض ، ولم يقتصر أى حيوان ، أو تمثال . ولكنه

معبد الشمس يختلف  
عن كل المعابد



يسطع في السماء كل يوم بكل جلاله وبهائه . أما المسلة التي يحتمل أن كانت في الأصل قطعة حجر منصوبة . فليست إلا رمزاً قديماً لعبادة الشمس القديمة . ومن ملحقات هذا الهيكل سفيتا الشمس وهما اللتان يسبح عليهما الإله في السماء . ، وقد كشفت سفن من هذا النوع منذ الأسر الأولى في معبد « خفرع » كشفت اثنتان للشمس واحدة للسباحة من الشرق للغرب وأخرى من الغرب للشرق . والثانية مغطاة بالأحجار لأنها تسبح ليلاً ومفروض أنها لا ترى . وكذلك كشف في العام الماضي عن سفينتين لمعبد الملك « خوفو » ويبلغ طول الواحدة منها أكثر من خمسين متراً كما سبق الكلام عن ذلك ، مما يدل على أن عبادة الشمس كانت شائعة في الأسرة الرابعة تماماً . والطريق المنحدر الذي يبتدىء من المقر الملكي عبارة عن طريق مغطى ينتهى عند المرتفع ذى القاعدة المكعبة . ومن هذا المكان يخرج الفرعون من الظلمات إلى نور النهار ، محيياً الإله الذى يبرز من الشرق منذ مطلع الفجر ومعه جم غفير من القوم يحملون أمامه القربان إلى المائدة .

سفن الشمس

وفي هيكल الفرعون « نوسررع » نجد على جدران دهليز معبده وعلى جدران حجرة متصلة به نقوشاً بارزة ذات جمال خارق لحد المؤلف ، وهى تمثل إما احتفال تأسيس الهيكل والعيد الثلاثينى ، أو تمثل نشاط إله الشمس الخالق ما على سطح الأرض مثل حياة النبات ، ودنيا الحيوان وذلك فى خلال فصول السنة الثلاثة . وقد عثر فى العام الماضى على مثل

النقوش التى على جدران المعبد

لما المنظر في طريق معبد الملك « وناس » في سقارة ؛ ومن ذلك يتضح لنا  
 هياكل الشمس هذه لم تبني عبثا ، بل لتحقيق فكرة دينية عظيمة ؛  
 لا شك في أن هذه الفكرة قد استمير بعضها من المباني التي سبقها لتعبر  
 عن عناصر قديمة . فمثلا نجد أن هذه الأروقة ، والسهل هي نفسها التي  
 وجدت في المعابد الجنائزية للأهرام . أما مناظر الفصول فقد كانت بلا نزاع  
 على جدران معابد الأهرام كذلك ، ولكن لم يعثر عليها لأن كل مباني  
 هذه الأسرة الرابعة قد اندثرت ، ولم يبق منها إلا أشياء طفيفة جدا .  
 حقيقة كانت فكرة هذه الهياكل وتصميمها فذة وليس لها نظير في المباني  
 عتيقة في كل عصور التاريخ المصري .

ولكن إذا نظرنا إلى ظواهر الأمور وجدنا أن عبادة « رع »  
 قد أدخلها ملوك الأسرة الخامسة قد أضافت إلها جديدا للآلهة  
 قديمة فحب ، وذلك لأن الفراغة كانوا يحتفلون بعبادة الآلهة  
 الآخرين بنفس الحماس الذي أظهره « رع » فكانوا يجسسون عليها  
 برايين والأراضي كما كانوا يفعلون للإله الجديد ؛ وقد كان يعبد كذلك  
 هياكل « رع » . مثل له قد اختلط معه فيما بعد وأعني بذلك إله  
 حور الذي يطلق عليه « حور الأقنح » ( حور أختي ) ، وكذلك إلهة  
 « حتحور » ، وقد كان هذا هو الفارق الرئيسي بين عبادة « رع » في  
 قبا العصر ، وبين عبادة « إخناتون » التي أسست فيما بعد . ومع كل  
 ذلك فإنه يجب أن نتعرف في نفس عبادة « رع » خاصيات تجعلها

الفرق بين عبادة « رع »  
 وعبادة « آتون »  
 في عهد إخناتون

مغايرة تماما لعبادة الآلهة الأخرى . وذلك أن في عبادة « رع » عنصريا خارقا للطبيعة . أى أن هناك فكرة عالية عن اللاهوت ظهرت في حياة المصريين . هذا إلى أنه في الوقت نفسه نجد أن فكرة الملكية المقدسة التي فرضت على الشعب في عهد الأسرة الرابعة وجدت ما يناهضها في عبادة « رع » . فإذا كان واجب الفرعون منذ اعتلائه عرش الملك في عهد الأسرة الرابعة هو إقامة مقبرة ضخمة ؛ فإنه منذ الأسرة الخامسة أصبح عليه واجب آخر لا يقل عن الأول في صعوبته وخطورته وذلك هو بناء هيكل جديد لعبادة إله الشمس . على أن تأثير هذه الفكرة الجديدة يمكن ملاحظته تماما عند ما بدأ آخر ملوك من ملوك هذه الأسرة يتنحian عن بناء معابد جديدة للإله « رع » . ومنذ ذلك العهد أخذت عبادة « رع » تتضاءل كما سنرى أمام عبادة الآلهة الأخرى ( وبخاصة الإله فتاح ) . وهى الآلهة التى كانت عبادتها راسخة فى ضمائر عامة الشعب . وليس شك فى أن هؤلاء الآلهة قد خضعوا لنفوذ الإله « رع » خلال الأسرة الخامسة كما خضعوا من قبل لعبادة الإله « آتوم » فى عين شمس ، وكان رجال علماء الدين ، والمهذبون من أفراد الشعب يعتقدون أن الآلهة المحلية ليس لها أى نفوذ أو سلطان إلا لأنها مظهر من مظاهر الإله « رع » . أما الآلهات فكانت فى اعتقادهم آلهات السماء ؛ أو بعبارة أخرى أمهات للشمس . ، وكذلك كان الحال فى فكرة الملكية : فإذا كان الملك يعتبر أنه ابن ملك العالم « الشمس » فإننا نجد سلطانه من هذه الناحية يزداد ؛

مناهضة عبادة « رع »  
 لعبادة الملك

بداية تضاؤل  
عبادة الشمس

ولكن من جهة أخرى نجد شخصيته أصبحت خاضعة لفكرة دينية أكثر سموًا، فلم يصبح موقف الفرعون متساويا مع والده «رع» في أنها يستمدان حقوقهما من مصدر واحد ، ( وهذا كان في الواقع موقف الملك بين الملك يعتبر ابن «رع» الآلهة إذ كان يعتبر « حور » الحى المتربع على العرش ) ؛ بل إن الفرعون أعلن على العكس طاعته وخضوعه وتنفيذه لإرادة والده «رع» وهذا هو السر في أنه لم يعد يطلق عليه اسم « الإله العظيم » فيما بعد كما كان ينادى في عهد الدولة القديمة ، بل أصبح لا ينادى إلا بـ « الإله الطيب » .

## الأسرة السادسة

لم تكشف لنا الآثار للآن عن أصل قيام الأسرة السادسة والظاهر أن ملوكها قد تولوا حكم البلاد من غير شوب ثورات أو قيام خلاف كبير. وقد ظل فراعتها على عرش الملك ما يقرب من قرنين من الزمان . ويظن أن مؤسسها هو الملك « سحتب تاوى تيتى » ولا نعرف عن حكمه إلا الشيء القليل .

وقد علمنا التاريخ في كل العصور أن كل مؤسس جديد لا بد أن يكون رجلا ذا بطش وقوة ، ولكن قناع الوجه الذى عثر عليه الأثرى

« كويل » بالقرب من معبد هرم « تيتي » في سقارة تدل ملاحظه على أن ذلك الملك كان رجلا ناعم الخلق رقيق العاطفة إذا صح أن هذا القناع قد عمل شيها لوجهه لالاإنسان آخر .

ويعزو المؤرخ مانيتون أصل هذه الأسرة إلى منف وربما كان محقا في ذلك بعض الشيء . لأن الأسرة الخامسة كانت كل ميول ملوكها متجهة نحو عباده عين شمس ( الإله رع ) أما ميول ملوك الأسرة السادسة الدينية فكانت تتجه إلى عبادة الإله فتاح في منف .

وقد وصلت إلينا وثيقتان صادرتان عن كبير كهنة الإله فتاح في منف وهما تدلان على أن الملك « تيتي » كان متجها بميوله إلى تنظيم كهنوت « فتاح » وقام فعلا بإصلاحات وتغييرات هامة في نظام كلية الكهنة ، على حين أنه توجد كذلك لوحة في المتحف البريطاني نقش عليها قصيدة من هذا العصر نسب فيها أصل كل ما ظهر وما خفى إلى الإله فتاح الإله الواحد الخالق لكل شيء . ظهور عبادة « فتاح » وكذلك عثر في سقارة على مقبرة لكاهن أعظم للإله فتاح في عهد الملك وناس اسمه « سابوايبي » وقد أخبرنا في نقوشه أنه خدم في عهد وناس « ثم أصبح اليوم في حضرة ابن الشمس تيتي » عاش أبديا ، كاهنا أكبر لفتاح ، ومحترما من الملك أكثر من أى خادم آخر . . . . . وكاهن « فتاح » الأكبر وحامل كأس الملك . ورئيس الأمور السرية للملك في كل مكان . ومن هذا يتضح أن الكاهن الأكبر للإله فتاح في العهد الجديد كانت له مكانة ممتازة قريبة من الملك ، كان لا يمكن أن يصل إليها

عند ما كان نفوذ عين شمس سائرا في البلاد . هذا إلى أنه عثر على تمثال  
ملك « تيتي » نقش عليه : « محبوب فتاح » .

على أنه في استطاعتنا أن نستنتج من كل ذلك احتمال قيام حركة  
عسكرية ضد سيطرة بلدة عين شمس ومجبة المناصرة مناظرتها منف مقر « فتاح » .  
وبما يؤسف له جد الأسف أن هرم « تيتي » قد نهته اللصوص إذ  
بحرقوا كل ما في طريقهم إلى حجرة الدفن وهشموا الحواجز الجرانيتية .

نقوش هرم  
« تيتي »

وقد نقش على جدران حجرة الدفن سلسلة نقوش ، كثير منها مطابق  
لما وجد في هرم « وناس » . وهذه النقوش قد كتبت بحروف وإشارات  
أصغر حجما من التي وجدت في هرم « وناس » . ولم يفلت من يد اللصوص  
من جسم الملك إلا ذراع وكتف . وقد ذكر لنا مانيتون أن هذا الملك  
قد قتله الحراس ، ولكن ليس لدينا ما يثبت ذلك اللهم إلا أن الملوك  
الذين أتوا بعده لم يكتسوا على عرش الملك إلا فترة قصيرة وربما كان سبب  
ذلك عدم استتباب الأمن كما يحدث عادة عند قيام عصيان في الجيش أو  
ثورات داخلية .

بداية حياة العظيم  
« وني »

وفي عهد تيتي بدأ « وني » حياته وهو يعد من أكبر الموظفين المصريين  
في هذا العصر وقد عاش في عهد عدة ملوك . وقد دفن في العرابة وترك  
لنا هناك على أحد جدران مقبرته أطول نقش عن حياة شخص ، ويعد  
أهم وثيقة تاريخية وصلت إلينا من الدولة القديمة . على أن ما وصل إليه  
من علو المكانة قد بلغه في عهد الملوك الذين سيأتي ذكرهم بعد ، إذ وصل

إلى رتبة أمير وحاكم الجنوب وتشريفي ، ونائب الملك في «نخن» وسيد «نخب» والسير الوحيد.

وقد حدثنا «وفى» عن نفسه في عهد «تيتى» قائلا : كنت طفلا لا

بداية حياة «وفى»

يزال متسلطا الحزام في عهد الملك «تيتى» ، وقد كانت وظيفتى مدير بيت الزراعة ، وكنت أشغل وظيفة مدير ضياع القصر الملكى .

وقد تلا حكم «تيتى» عصر غامض ربما كان سببه الاضطراب الذى حدث بعد قتله إذا صدقنا «مانيتون» ، وكل ما نعلمه عن هذه الفترة

أن قائدة الملوك بالعبادة ذكرت لنا اسم ملك خلف «تيتى» لا نعرف عنه شيئا مطلقا وهو «وسركارع» . على أننا من جهة أخرى عثرنا على نقش من

«وسركارع» أحد  
الملوك النكرات

هذا العصر فى وادى حمامات الملك يدعى «إتى» . وقد جاء فيه أن موظفا اسمه «فتاح ان كاو» جاء إلى هذه الجهة ومعه ٢٠٠ من الرماة

و ٢٠٠ من الحجارين ليقطعوا أحجارا لهرم الملك «إتى» . وقد ظن بعض المؤرخين أن «وسركارع» و «إتى» ، اسم للملك واحد . ولا نعلم عدد سنى حكم

الملك «إتى»

هذا الملك . ويحتمل أنه لم يخلف «تيتى» إذ لم يذكره لنا «وفى» ضمن الملوك الذين عاش فى عهدهم وبخاصة أنه ذكرهم لنا بالترتيب التاريخى وربما

كان عدم ذكره لسبب لا نعرفه .

## الملك بيبي الأول

تتم بعد هذا النموض على عرش البلاد ملك فتى يدعى « بيبي » وقد ظل،  
أيضا على زمام الأمور في البلاد بقوة وعزم نحو نصف قرن من الزمان.  
وهو يعد بحق من أكبر الفراعنة الذين قبضوا على ناصية الحال في مصر  
في كل عصور تاريخها بحزم ونشاط . حقا أنه لم يترك لنا وثائق تدل على  
ملكه مثل « رعسيس الثاني » أو « أحسن الأول » ، اللهم إلا نقوش « وني »  
التي يمكننا نستفيض عن ذلك بالآثار التي تركها وقوش الحاجر والتحف التي  
بقيها وعظماء الرجال الذين عاشوا في عصره مما يلتقي بعض الضوء على عهده  
ما حدث فيه من جليل الأعمال ، والظاهر أنه كان محبيا إلى أفراد رعيته إذ  
سمى الكثير منهم باسمه وربما كان يشبه في ذلك « تحتس الثالث » وإن  
وجه الشبه هنا ضيلا لبعد ما بينهما من الزمن ، ولكن رغم كل هذا  
فإن دلائل الأمور تنبئ بأن بيبي كان محبيا في أعين شعبه وأنه كان  
مؤثرا النابه بين ملوك أسرته .

تمثال « بيبي » أجل  
قطعة فنية في عصره

وقد عثر له على تمثال آية في دقة الصنع من النحاس ولا نكون  
التي إذا قررنا أن دقة صنع هذا التمثال وقربة من الحقيقة تفوق كل  
صنع قبله من التماثيل حتى التي عثر عليها لفرع . و « منكاورع » . وهو  
بل نزع من أعظم الكنوز التي عثر عليها علماء الآثار في عتقنا  
وقد كشفه الأثرى « كويل » ومعه تمثال آخر صغير من نفس المعدن ،



عند ما كان يحفر في بلدة هيراكنبوليس (الكاب) . والظاهر أن التتالين  
منسوبان لشخص واحد وقد ظن بعض علماء الآثار أنها يمثلان « يبي الأول »  
نفسه وابنه الأمير « مرن رع » الذي خلف والده مباشرة أو يمثل الأمير  
« نفركارع يبي الثاني » ، ولكن الأستاذ « فلندرز بترى » يعتبر أن التتالين هما للملك  
يبي نفسه ، وذلك لترك الخيار لقرينه أن يلبس جسم الملك في حياته  
سنة أو في كهولته .

ويظن بعض المؤرخين أن « يبي » هو ابن الملك « إتي » وبخاصة إذا علمنا  
أن الملكة « أبوت » أم يبي لم تكن زوج « تيتي » ولكن كل ذلك من ضروب  
التخمين المقبول شكلاً ، ويمكننا أن نستدل بعض الشيء على نشاط هذا  
الفرعون خلال حكمه الطويل من المباني التي أقامها أو التي أصلها قديم  
طول البلاد وعرضها . ولا نزاع في أن مباني « يبي » الأصلية قد اختفت  
بسبب إعادة بنائها في العصور التي تلت ، ولكن على الرغم من ذلك نجده  
بعض بقايا من آثاره لا تزال موجودة . إذ عثر له في تانيس وفي  
بسة والعراة ودندرة وقفط على آثار منقوش عليها اسمه . هذا إلى  
خلف نقوشا على الصخور حتى إقليم بلاد النوبة السفلية .

مخلفات « يبي » الأثرية

والظاهر أن « يبي » لم يكن موفقاً في داخلية بيته إذ نجد إشارة  
نقوش « وني » إلى أن الملك أمر بمحاكمة زوجته « إمتس » أمام محكمة  
شكلت خاصة لهذا الغرض ، ولكن لا نعلم شيئاً خلاف هذه الإشارة ، وقد  
تركنا التاريخ في ظلام حالك عن سبب هذه المحاكمة وكه الجريمة التي

المرتكبها ، ولا يبعد أنها أرادت أن تتآمر على الملك غيرة منها عند ما رأت  
 قومه تزوج من اثنتين غيرها كل منهما باسم « مري رع عنخس » . وعلى  
 يقية حال فإننا سنظل نجعل السر أبديا أو نعثر على أثر يكشف القناع عن  
 هذا السر الغامض .

وقد كان المكلف بهذه المحاكاة كما ذكرت « وني » وقد لمح لها  
 في نقوشه بكل حذق ومهارة دون أن يحكم على الملكة بالبراءة أو الإجرام ،  
 فبعد ذلك لم نسع عنها في النقوش سرا ولا خيرا ؛ أما زوجة الملك  
 الأخرين فإنها كانتا أختين وقد كانتا كذلك سيدتين عظيمتين من نسل  
 « مري رع » و « حاكم » ، وكاهن اسمه « خوى » وزوجته « نبت » . والظاهر  
 أن أسلاك أسرتهن كانت في العراة المدفونة . وقد رزق من كل منهما  
 بولوث الملك . ولا غرابة إذا كنا نجد شقيق هاتين الملكتين الذي ينسب  
 إلى أسرة أمراء بالوراثة قد أثرى ثراء عظيما وأصبح يحمل من ألقاب الدولة  
 أعظمها فكان يحمل « زاو » شقيق الملكتين لقب الحاكم ، وكبير القضاة ،  
 ووزير ورئيس الملابس الملكية ، وحافظ خاتم الفرعون ، وغير ذلك من  
 الألقاب في عهد ابن اخته الصغير « مري رع الثاني » . ولما كان « زاو » هذا  
 جدنا لأخته بالرقى والحظوة التي نالها فإنه أراد أن يعترف لها بالجميل وقد  
 تم في ذلك نحو الطريقة المصرية البحتة . وذلك بإقامة لوحة في العراة أشاد  
 في نقوشها بذكرها إذ جاء فيها ما يأتي : زوجة الملك . التابعة للهرم المسمى  
 « مري رع ميري جيل » . المحبوبة جدا ، المحظوظة جدا ، عظيمة الممتلكات ،

« مري رع » تزوج من  
 أختين

الأمير « زاو » وألقابه

رفيقة « حور » (الملك) أم الملك ، وقد كان « مرن رع » هو ابن الملكة « مري رع  
عنخس الأولى » أما « مرن رع الثانية » فهي التي أنجبت الملك يبي الثاني « نفر  
كارع » الذي عاش طويلا حتى ناهز المائة وجلس على العرش ما لا يقل  
عن ٩٤ عاما . وقد ظن بعض المؤرخين أن « مري رع عنخس الأولى » قد  
توفيت بعد الوضع مباشرة ولذلك تزوج « يبي الأول » أختها « مري رع عنخس  
الثانية » وقد يكون ذلك صحيحا ، كما أنه لا غرابة في خلق ملوك المصريين  
أن يجمعوا بين الأختين . وقد بنى « يبي » لنفسه هرمًا في سقارة وأطلق  
عليه اسم « الحسن التأسيس » وهو أكبر من هرم « وناس » ومن  
ميزات هرم « يبي » . وقد نقش على جدران حجرة الدفن الداخلية متون مماثلة  
لما في هرمي « وناس » و « تيتي » وكتابه أقل حجما من كتابة هرم  
« تيتي » ، ويمتاز هذا الهرم بالتفنن في إخفاء حجرة الدفن والعناية بوضع  
العقبات في طريق الوصول إليها ؛ ولكن رغم كل التحفظات التي بذلت في هذا  
السبيل فإن اللصوص نفذوا إلى مكان التابوت المصنوع من حجر البازلت  
وهشموه ومزقوا جثة هذا الفرعون العظيم ، هذا فضلا عن أنهم أزالوا كل  
خرطوش ملكي في الممر المؤدى إلى حجرة الدفن ؛ ومن المحتمل أن هذا  
التخريب البالغ قد حدث في نهاية هذه الأسرة في الفترة التي كانت الثورة  
متأججة في البلاد بدرجة أن ذكرى « يبي » وعظمته لم تقللا من حدتها  
عند الثوار . غير أن عمل الثوار هذا قد كشف لنا عن طريقة إقامة هذا  
الهرم ؛ إذ نجد جدران جسم الهرم من قشور الحجر الأبيض محشوة بقطع صغيرة

من شظايا الجير ، بدلاً من الكتل الحجرية التي بنيت بها أهرام الجيزة العظيمة كلها ، ومن ذلك نعلم أن القصد من بناء الهرم بهذه الكيفية أن تكون ظاهره جميلاً ولا يهم حشوه بعد ذلك من الداخل ، وتلك لعمري إحدى علامات الضعف التي أخذت تدب في نواحي المرافق العامة في البلاد رغم قوتها الظاهرة وعظمتها .

وتدل الآثار التي كشف عنها حديثاً على أن أشرف البلاد وعظماءها أخذ نفوذهم يزداد تدريجاً وينالون الخطوة لدى الفرعون ولم يكن لديهم وسيلة لأظهار سلطانهم وحظوتهم للخلف إلا بتدوينها على مقابرهم التي هموا يعتقدون أنها ستكون أبدية وأن السلف سيقروء عليها أعمالهم العظيمة فكانت لهم المتازة لدى الفرعون . وتلك ميزة امتاز بها المصري عن باقي الأمم الشرق ولذلك نجد بصيص ضوء يرسل علينا أشعته من وقت لآخر من الكشوف الأثرية التي تقوم في طول البلاد وعرضها مما خلفه لنا هؤلاء العظماء فيجعلنا نعيش في وسطهم رغم تطاول الأباد والأجيال . فمن عظم مخلفات هذا العصر النقوش التي تركها لنا « وى » السالف الذكر وقد تم في عهد أكثر من ثلاثة ملوك ، وقص علينا ما كان يقوم به من جليل الأعمال بما ناله في عهد كل فرعون من الرقي وها هو الآن يحدثنا عن الحوادث التي جرت في عهد « يبي الأول » . قال لقد أصبحت كبير بيت الزينة في عهد جلالة « يبي الأول » وقد رفاني جلاليته إلى رتبة سمير وكاهن أعظم لأوقافه الجنازية ( أى أوقاف هرمه ) . وبعد ذلك نصبني جلاليته قاضياً لنخن ، ورئيس المجلس الأعظم للسته .

إحدى علامات  
الضعف في الأسرة  
السادسة

تدوين المصريين  
لأعمالهم على الآثار

« وى » يقص  
ما قام به في عهد  
يبي الأول

وكان قلبه مفعما بى أكثر من كل خدامه الآخرين . وكنت أحقق فى قضاياهم وليس معى غير الوزير . بكل تكتم باسم الملك ، وكان ذلك خاصا بالحریم الملكى ، وكذلك فى المحكمة العظيمة للسته ، وذلك لآنى كنت محييا إلى قلب جلالاته أكثر من كل أشرافه وأكثر من كل عظمائه ومن كل خدامه الآخرين .

إهداء تابوت من الملك .

ولقد رجوت جلالة سيدى أن يأمر بإحضار تابوت لى من حجر طرة ، ولهذا الغرض سمح جلالاته بأن يقلع حامل خاتم ملكى ومعه فصيلة من البحارة تحت إمرته لإحضار هذا التابوت من طرة . وقد عاد حامل الخاتم بالتابوت فى سفينة عظيمة من سفن البلاط ومعه غطاؤه ، واللوحه ، وخذتان للباب ، والقاعدة والأرضية . على أن هذا لم يفعل قط لخدام آخر لآنى كنت فى منزلة فائقة فى قلب جلالاته ، وكنت محييا لجلالاته ، وكان جلالاته يميل إلى .

وعلى حين كنت قاضيا ، وفم بلدة نخز ( اى رئيس مجلس محكمة الستة ) فإن جلالاته نصبنى سميرا وحيدا ، ومدير الأوقاف الملكية ، وبهذا التعيين حلت محل أربعة المديرين الآخرين الذين كانوا قبل هناك ولقد عملت حتى إن جلالاته أثنى على . وبمناسبة قضيته فى الحریم الملكى ضد الزوجه الملكية « ورت حس » وقد أديرت سرا . فإن جلالاته قد منحنى القيام بعمل تحقيق . وقد كنت مفرداً وليس معى وزير أو عظيم ، ولكن كنت وحدى . لآنى كنت

على الإستقامة ومحياً إلى قلب جلالاته ولأن جلالاته كان ميالا إلى . وقد  
 كنت أنا الذى أقوم بدور الكاتب ، وكنت وحيداً ومعى قاض واحد ،  
 نعم نحن ، على حين أن وظيفتى كانت : رئيس أوقاف القصر ، ولم يحدث  
 لي أن فرداً مثلى قد حقق قضية سرية خاصة بالحريم الملكى من قبل  
 لكن جلالاته أعطاها إياى لتحقيقها لأنى كنت ذا مكانة فى قلب جلالاته  
 أكثر من كل عظمائه الآخرين ، ومن كل أشرافه ومن كل خدامه الآخرين .  
 التأهب لمحاربة أهل البدو . ولقد قام جلالاته بحملة تأديبية ضد الأسويين  
 رؤساء الرمال وقد جهّز جلالاته جيشاً مؤلفاً من عشرات الآلاف من الرجال  
 من كل الوجه القبلى من أول الفنتين فى الجنوب حتى إطفيح شمالاً ومن  
 الوجه البحرى أيضاً ، وقد جندتهم إدارة جيش المرتزقة بأجمعهم فى القلعة ،  
 داخل القلاع ، من بين نوبى بلاد أرثت ، والحجا ، « وإيام » و « واوات »  
 « كاوو » ومن بلاد لويبة .

مسير الجيش بإمرة « وفى » . وقد وضع جلالاته الجيش تحت  
 رقى ، على حين أن فيه الأمراء ، وحاملى خاتم الملك فى الوجه البحرى ، والسلم  
 وحيدى أصحاب القلاع العظيمة ورؤساء القلاع ونوابها فى الوجه القبلى  
 الوجه البحرى ، والسلم مديرى القوافل ، ومديرى السكينة للوجه القبلى والوجه  
 البحرى ، ومديرى الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من  
 لاج الوجه القبلى والبحرى والضيايع التى يحكمونها وعلى رأس « النحسى »  
 ( الزوج ) من البلاد الأجنبية ؛ وقد كنت أنا الذى أسهر على نظامهم مع

كوفي كنت مدير أوقاف القصر وبسبب مكافئتي ، لم يأخذ أحد مكان جاره  
ولم يسرق واحد منهم عجيبة أو نعلا من السابلة ، ولم يأخذ واحد منهم  
ملابس من أية بلدة ، ولم تقتصب ماعز أى شخص .

وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال ، وبوابة « إمحوتب » ،  
وصقع « سنفرو » ..... .

وقد استعرضت كل فيلق من هؤلاء الجنود أمامي ، على أنه لم يحدث  
أن خادما ( لملك ) قد استعرض جنودا من قبل مثلي .

عودة الجيش : لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن خرب بلاد البدو ،  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن نهب بلاد سكان الرمال . لقد عاد هذا  
الجيش سالما بعد أن أزال قلاعهم .

لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن قطع أشجار تينهم وكرومهم .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن حل الحديد والنار بين كل سكانهم .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن ذبح كل جنودهم بعشرات الألوف العدة .  
لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن جاء معه بجود عدة أسرى .  
ولقد أثني على جلالته لهذا أكثر من أى شيء .

## إخضاع عصيان الاقوام المتهورة

ولقد أرسلنى جلالتى خمس مرات لقيادة هذا الجيش لسلب بلاد البدو ،  
فى كل مرة يثورون ؛ ومعى فصائل من الجنود . وقد عملت بطريقة  
امتدحنى جلالتى من أجلها .

## الحملة ضد فلسطين

وقد حدث أن جاءت الأخبار بأن ثورة انفجرت على إثر حادث  
ما بين المتوحشين فى جبة الكرمل ( بلاد أنف الغزال ) « وعلى إثر  
ذلك أبحرت فى سفن البحر ومعى فصائل جنود . ونزلت خلف مرتفعات  
الجبال الواقعة شمالى بلاد سكان الرمال ؛ وعندما سار هذا الجيش على  
المرتفعات سرت وقبضت على الثوار بأكلهم وقضى على كل العصاة » .  
لقد تركنا « وفى » يتكلم عن أعماله وما حدث له فى عهد الملك  
« ييبى الأول » غير أنه يجب علينا قبل تركه إلى عهد « مرن رع »  
أن نشير هنا إلى أن الحملة التى قام بها إلى فلسطين تعد الأولى من  
نوعها فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ العالم على ما نعلم . إذ الواقع أنها  
تعتبر أول حملة اشترك فيها الجيش والأسطول دوتها لنا التاريخ . وقد برهن  
المصريون فى هذه الحملة على أنهم بحارة حقيقيون لا كما يدعيه البعض



بأنهم غير أكفاء في جوف الم ، ولقد فطنوا بسرعة بل وقدروا الميزة التي يجنيها الجيش من نقله بواسطة البحر إلى نقطة الهدف الذي يريدونها ، فتجنسوا الطرق الصحراوية الطويلة الخطرة التي ربما أفنت الجيش وجعلت عودته مغامرة عظيمة ، لذلك يمكننا القول بأن مصر كانت أول دولة في العالم قامت بحملة حارب فيها الجيش المصري بحميه أسطول .

والظاهر أن سبب قيام الفرعون بهذه الحملة إلى فلسطين ما يقال عن هجرة جم غفيرة من الشمال الشرقى من بلاد ما بين النهرين (مسوبوتاميا) وتقدمهم في هجرتهم إلى أن وصلوا إلى فلسطين بل والحدود المصرية فاضطر فرعون مصر إذ ذاك إلى منع هؤلاء المهاجرين الآسيويين من دخول مصر . وقبل أن تنتقل بالقارىء إلى عهد الفرعون « مرن رع » سنلقى نظرة خاطفة على نقوش مقبرة من عهد « يبي الأول » لكبير من عظماء البلاد الذين تسموا باسمه تيمنا وهو « نى عنخ يبي » .

سبب الحملة إلى  
فلسطين

وقد كشف قبره في العام الماضى بسقارة ويحمل ألقاباً ضخمة ، فكان يلقب بالسمير الوحيد ، ورئيس الكهنة المرتلين ، ورئيس أوقاف هرم « يبي » . والظاهر أنه بدأ حياته في عهد « وناس » إذ من بين ألقابه « المقرب من ملك الوجه البحرى والوجه القبلى وناس » . وقد عمر حتى عهد « مرن رع » إذ كان اسمه الثانى « نى عنخ مرن رع » .

وقد نحت قبره في الصخر وكبها واجهته بالحجر الجيري الأبيض ونقش عليها نقوشا تكاد تكون فريدة في بابها لغرابتها بالنسبة للنقوش التي كشفت

للآن في عهد الدولة القديمة . وذلك لأنها تكشف لنا عند ناحية خاصة وهي مقدار تخوف المصريين من سلب قبورهم بعد وفاتهم واحتياهم على ذلك بتهديد الأحياء بمذاب الآخرة والحساب أو بإقناعهم بأن صاحب المقبرة رجل قوى سيخرج من قبره ويعذب من يضره بكسر عنقه .

وأخيرا يوحى إلى الأحياء بأنه يعرف السحر ويمكنه أن يضر من يؤذيه والنفس كما يأتي . « السمر الوحيد ، المرتل شريف الفرعون » يقول : أما من جهة أى فرد يريد أن يلحق أى أذى بهذا القبر الذى فى المقبرة وهو الذى تابوته مركب فيه الأب فوق أمه ( أى الفطاء فوق التابوت ) فإنى سأقضى معه فى المجلس المبجل الفاخر للإله العظيم رب الغرب ، وسأقبض على رقبته كما يقبض الإنسان على عصفور ، وسيسرى خوفى فيه أمام كل من على الأرض ، وكل الأحياء سيعتدون من الأرواح الممتازة ، وإنى روح ممتازة ، ليس السحر أمامها بالشئ المستعصى ، أما كوفى حاذقا فإنى مرتل حاذق ورجل عالم ( بأمور السحر ) .

وعلى جانب آخر من باب مقبرته يستعطف المارة ويستجديهم ليقدموا له قربانا فإذا لم يكن فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ماديا فليفعلاه بقراءة التعاويذ التى كان يعتقد أنها تقوم مقام المادة إذ كان مجرد قراءتها يجعلها بقوة السحر تنقلب إلى صورها الحقيقية فيقول « السمر الوحيد والمرتل وشريف الفرعون ورجل البلاط : أتم . أيها الأحياء الذين على الأرض ، والمحترمون المحبوبون من الإله ، الذين سيمرون بهذا القبر ، صبوا الماء

والجعة مما معكم ، وإذا اتفق أن لم يكن لديكم شيء فقولوا بأفواهكم ،  
وضعوا مما في أيديكم خبزا تقيا ، وجعة ، وحيوان قربان وطيورا وبحورا  
تقيا لشريف الملك « في عنخ يبي » ؛ ولا شك أننا نرى في هذه المتون  
أن المصري في هذا العهد كان يهرب بل يرتعد من نهب مقبرته بعد وفاته  
أو الأضرار بها ، ولا غرابة في ذلك فقد عثر في نفس العام الذي كشفت  
فيه هذه المقبرة على مصطبة أخرى لوزير من عهد الملك « وناس » ملاصقة  
لها ، ومن المدهش أن مقبرة هذا الوزير لم تكن قد أقيمت له بل كانت  
لوزير سبقه وجاء هو واغتصبها لنفسه وذلك بحواسم سلفه من كل جدران  
حجرة المقبرة حتى في حجرة الدفن فقد وجد التابوت قد محى من جوانبه  
اسم صاحب المقبرة الأصلي وكتب عليه اسم المقتصب الجديد . وليس  
هناك شك في أن « في يبي عنخ » كان حاضرا والوزير « في كاوو حور »  
المقتصب يحو اسم الوزير « اخت حتب » من كل مكان في المقبرة  
ليقتصبه لنفسه ، ولمعنى فإن هذا هو السبب الذي دعاه ليكتب هذا  
التحذير على قبره فقد رأى الاغتصاب جارا أمامه وبحوار مقبرته . وهذا  
مثل من أفضح الأمثلة في عدم المبالاة بحقوق الأموات والتهكم بالعقائد  
الدينية والحساب والعقاب ؛ وربما كان هذا هو السر في كثرة التساويز  
السحرية التي طفت على الدين في هذا العصر لأرهاب الناس من مفعولها

مثل من أمثلة التمدي  
على المقابر

## الملك مرن رع

تولى أريكة البلاد بعد « يبي الأول » بكر ولديه « مرن رع » وكان لا يزال صبيا ، ومن المحتمل جدا أن يبي تزوج من والدته في أواخر أيامه . ولقب هذا الفرعون « محتى ام ساف » ومعناه (الإله محتى حاميه) . ولم يمكث على عرش الملك أكثر من سبعة أعوام ، ومات وهو لا يزال في بداية العقد الثانى من عمره . ولا نزاع فى أنه قد بدأ بناء هرمه عند توليه الحكم مباشرة كما هو الحال عند كل فراعنة هذا العهد . وسرى أن الرجل الذى كان يشرف على هذا العمل هو « ونى » .

وقد دخل هرمه حديثا حولى عام ١٨٨٠ ولحسن الحظ وجدت موميأوه سليمة ، وهى فى الواقع أول جثة عثر عليها لفرعون بقيت إلى عهدنا هذا . حقا إنها جردت من كل كفتها باللصوص الذين نهبوا الهرم فى الأزمان القديمة وقد لوحظ أن خصلة الشعر التى كان يتميز بها الفتيان الحديثو السن لا تزال عالقة بمجمعته مما يدل على أن « مرن رع » كان لا يزال صبيا عند وفاته .

وتدل النقوش التى من عهده على أنه قد وجه جل عنايته إلى الجنوب ؛ وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله عين « ونى » حاكما ومسيطرا على كل الوجه القبلى بلقب حاكم الجنوب وسندع « ونى » يقص قصته فى عهد هذا الفرعون وما قام به من جلائل الأعمال .

الملك «مرن رع»  
يتولى الملك صغيرا

أول جثة ملكية  
عثر عليها سليمة

« ونى » يتولى منصب  
حاكم الجنوب

ولما كنت موظفًا حاملًا لنعلى ( الفرعون ) فى القصر العظيم ، ونصبني ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مولاى « مرن رع » أميرا ومدير الجنوب من « الفنتين » ( أسوان ) جنوبا إلى إطفيح شمالا ؛ لأننى كنت مثلا أعلى فى قلب جلالاته ، وما دمت مزدهرا فى قلب جلالاته ، كنت ملء قلب جلالاته ؛ وقد أثنى علىّ جلالاته وأنا حامل نعليه لليقظة التى كنت أقوم بها فى القصر ؛ وقد مدحني أكثر من أى عظيم ، أو شريف أو خادم . على أن مثل هذه الوظيفة لم تمنح لأحد ما من قبل . وقد قمت بعمل حاكم للوجه القبلى بما يرضيه ، حتى إنه لم يقتصب أحد مكان جاره . وقد أتجزت كل عمل ، وأجريت حساب كل شئ خاص بالخزينة فى الوجه القبلى مرتين ، وكل ساعات السخرة التى كانت تخص الخزينة فى الوجه القبلى مرتين أيضا . وكنت فى ذلك أقوم بعمل وظيفتى على أحسن مثال فى الوجه القبلى هذا . على أنه لم يعمل شئ كهذا فى الوجه القبلى من قبل . وقد عملت كل شئ لأستحق ثناء جلالاته .

#### الحملة إلى محاجر « إيهات » ببلاد النوبة ومحاجر الفنتين

وقد أرسلنى جلالاته إلى « إيهات » لإحضار تابوت ( صندوق الأحياء ) وغطائه ، وكذلك قطعة هرمية صغيرة ثمينة ومحترمة لأجل هرم « مرن رع » الذى يسمى ( خع نفر مرن رع ) . وبعد ذلك أرسلنى جلالاته إلى الفنتين لأحضر لوحة من الجرانيت وقاعدتها وجانبيها ، وكذلك لأحضر أبوابا من الجرانيت ورقعتها للحجرة العليا لهرم « مرن رع » المسمى ( خع نفر مرن رع ) وقد

سحت في النهر من هناك حتى هرم «مرن رع» (خع نفر مرن رع)؛ يستسفن  
قالة وثلاثة قوارب تشد بالأمراس بواسطة ستة عشر رجلا، كل ذلك تم في بعثة  
واحدة. على أنه لم تعمل رحلة واحدة قط إلى «إيهات» والفتين دفعة واحدة في  
عهد أى ملك ما. وكل شيء أمر به جلالة قد نفذ برمته كما أمرنى به جلالة .  
البعثة إلى محاجر المرمري « حنتوب » في مصر الوسطى

وقد أرسلنى جلالة إلى «حنتوب» لأحضار مائدة قربان من المرمري؛  
وقد سرت في النهر شمالا من أجل الملك لاستخراج هذه المائدة من  
محاجر «حنتوب» في سبعة عشر يوما. وسحت شمالا في سفينة قالة . والواقع  
أنى بنيت قالة لهذا الغرض من خشب السنط طولها ستون ذراعا وعرضها  
ثلاثون ذراعا . وقد جمعت الأحجار في ١٧ يوما خلال الشهر الثالث  
من فصل الصيف؛ ورغم أن ماء النهر كان قريب الغور فإنى وصلت سالما  
معاذا إلى هرم «مرن رع» (خع نفر مرن رع) . وقد أتممت كل العمل  
بنفسى حسب الأمر الذى أمرنى به جلالة سيدى .

وقد أرسلنى جلالة لحفر خمس ترع في الجنوب ، ولأصنع ثلاث  
قالات وأربعة قوارب تجر بالحبال من خشب سنط أصقاع «واوات» ، وقد  
كان رؤساء أقطار إرثت ، وواوات ، وإيام ، ومجا ، يقدمون الخشب  
لهذا الغرض .

وقد أنجزت كل العمل في سنة ، يدخل في ذلك السياحة وتحميل  
الجرانيت بكية لهرم «مرن رع» المسمى (خع نفر مرن رع) . يضاف

إلى ذلك أتى قد حققت الاقتصاد فى الزمن لأجل القصر وذلك بفضل هذه الترع الخمس معاً .

كل ذلك بسبب قيمتى ، وصفاتى الشخصية ، والاحترام الذى أكنه لقوة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من رع » عاش أبدياً ، أكثر من كل الآلهة ، لأن كل شئ قد حقق حسب الأوامر التى أعطاه إياى الملك . وإبنى محبوب والده ، والمدوح من والدته ، وزينة إخوته أنا الأمير ، حاكم الوجه القبلى المعظم من الإله أوزير « ونى » .

أثر رحلات « ونى » وما سبق يمكننا أن نرى أن « ونى » كان له تأثير فعال فى بلاد الجنوب إذ أصبح يجلب كل شئ من أسوان وبخاصة الأحجار بسهولة دون أن يحتاج إلى عدد عظيم من الجنود .

أما آخر أعمال « ونى » فى عصر هذا الفرعون فهو حفر القنوات الخمس عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التى كانت تعترضها الصخور ، وقد أتم هذا العمل فى سنة واحدة وذلك بمساعدة رؤساء الزنوج الذين كانوا على ما يظهر رهن إشارته .

والظاهر أن حفر هذه القنوات كان جزءاً من سياسة عامة شرع فى تنفيذها فى عهد هذا الفرعون ، وتنطوى على كشف كل الجهات الجنوبية كشفاً منظماً وتحسين طرق التجارة والعمل على إنعائها بين مصر وبلاد النوبة . وقد كان آخر عمل قام به « من رع » زيارة حدود بلاده . ولا نعلم إذا كانت قد حدثت قبل اعتزال « ونى » خدمة مليكه أو

بعدها ، ولكن يغلب على الظن أن « وفى » قد شاهد سيده يرى آخر أعماله التى كانت تمتد من أكبر مفاخر ماتم على يديه ( حفر القنوات ) وعلى أية حال فإن الزيارة قد تمت وخلدها الفرعون بقشيش عند الشلال الأول . وهذه الرسوم تمثل « مرن رع » متكئا على عصا وخلفه الإله « خنوم » ( إله الشلال ) وأمرأ النوبة . ، وتقتت ألقابه الآتية « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مرن رع محبوب . خنوم رب الشلال » . والتاريخ الذى حدثت فيه الزيارة هو السنة الخامسة ، الشهر الثانى من الفصل الثالث ، اليوم الثامن والعشرون ، ورسم مجيء الملك نفسه وهو يظهر خلف البلاد الجبلية ، حتى أنه يتمكن من مشاهدة ما فى هذه البلاد ؛ على حين أن امرأ « المجا » ، و « إرثت » ثم « واوات » كانوا يقدمون الخضوع والطاعة ويمتدحونه مدحا عظيما .

ولقد كان من جراء فتح هذا الطريق وتسهيل التجارة بين مصر وبلاد النوبة ، أن قامت رحلات للتوغل فى مجاهل هذه البلاد ، وارتياح أقطارها والاتصال بأهلها اتصالا وثيقا . ويعد « حرخوف » أحد عظماء حكام « الفنتين » الذى لا يزال قبره محفوظا لنا للآن على الضفة الغربية من شلال أسوان ، من أعظم أبطال هذا المضمار . وقد قام « حرخوف » هذا ثلاث رحلات فى داخل الأقطار الإفريقية قبل وفاة سيده « مرن رع » . بعد كان يحمل لقب ( مدير القوافل ) ؛ وقد قص علينا بنفسه المخاطران المهمة التى قام بها ، على قبره بكل دقة واحتصار وسندعه كطريقتنا فى

زيارة الملك  
« مرن رع »  
لحدوده مصر الجنوبية



مثل هذه الأحوال يتكلم بنفسه . وقد بدأ يذكر ألقابه فيقول : الأمير ، السмир الوحيد ، الكاهن المرتل ، التشرifi للملك ، نائب الملك في « نحن » ورئيس عبادة « نخب » ، حامل الخاتم الملكي ، مدير القوافل ، رئيس كل الأسرار الخاصة بكل أوامر الحدود الجنوبية ، محبوب الملك ، « حرخوف » الذي يحمل كل محصولات الأقطار الأجنبية لسيدته والذي يأتي بالجزية التي تستحق ، لأقامة المراسيم الملكية ومدير كل الأقطار الأجنبية في الحدود الجنوبية ، والذي ينشر سطوة « حور » بين الممالك الأجنبية ، والذي ينفذ كل ما يرغب فيه سيده . . . . . « حرخوف » .

المهمة الأولى : أرسلني جلالة « مرن رع » سيدى كما أرسل والذي السмир الوحيد والمرتل « إرى » إلى بلاد « إيام » لآ كشف الطريق الذي يؤدي إلى البلاد الأجنبية . وقد قمت بهذا العمل في ستة أشهر فقط ؛ وقد عدت بكل أنواع الهدايا من هذه البلاد . . . . . وقد أثني على كثيراً من أجل ذلك .

المهمة الثانية : أرسلني جلالاته مرة ثانية وكنت وحدى . وقد سرت على طريق الفتين وذهبت نحو « إرثت » ، و « مخر » وأرض « ترس » ، وذلك في مدة ثمانية أشهر . وقد عدت بعد أن حملت معى منتجات هذه البلاد الأجنبية بكيات وافرة ، ولم تعرف نظائر لهذه الأشياء قد حى بها من هذه البلاد من قبل . وقد نزلت من مساكن رئيس حيات « شو » و « إرثت » بعد أن ردت مجاهل هذه البلاد الأجنبية ؛ والواقع أنه لم

يتسنى قتل لأى سمير ومدير قوافل أن يفعل ذلك ممن وفدوا إلى قطر  
« إيام » من قبل .

الحملة الثالثة : أرسلنى جلالتى مرة ثالثة إلى بلاد « إيام » lam ؛ فرحلت من  
« سشتت » ( المقاطعة السابعة من الوجه القبلى ) عن طريق منطقة الواحات (٤) ،  
وقد وجدت رئيس « إيام » الذى قام ضد بلاد لوييا « تمح » ليحاربهم  
حتى الحدود الغربية .

وقد سرت بعده لغاية بلاد لوييا . وأخضعتى لدرجة أنه عبد آلهة  
ملكى . . . . . وبعد أن أخضعت رئيس « إيام » نزلت . . . . . حتى « إرثت »  
وحدود « سشو » ووحدت رؤسا و « إرثت » و « سشو » و « واوات » . . . . . ثم  
عدت بنحو ٣٠٠ حمار محملة بالبخور ، والأبنوس ، والزيت ، . . . . . وجلود  
الفهود ، والعاج ، . . . . . وكل المنتجات الطيبة ؛ وعند ما رأى رؤساء « إرثت » ،  
و « سشو » و « واوات » عظم عدد جنود « إيام » وقوتهم ، وهم الذين عادوا معى  
إلى البلاط ، وكذلك الجنود الذين كانوا قد أرسلوا معى ، فإن هؤلاء الرؤساء  
احضروا لى هدايا من الثيران ، والحيوانات الصغيرة وقادونى نحو طرق جبال  
« إرثت » ، وقد كانت عيى ساهرة بظننة أكثر من كل سمير ومدير قوافل  
من الذين أرسلوا إلى « إيام » قبلى . ومن ثم عاد فى النهر الحادى « حرخوف »  
نحو البلاط . وفد أرسل ( الفرعون ) الأمير ، السمير الوحيد ومدير قاعة  
المرطبات المزدوجة ، « خوفى » لمقابلته ومع سفن محملة ببنيد البلح ، والفطير  
والخبز والجعة . الأمير ، حامل الخاتم الملكى ، والسمير الوحيد ، والكاهن

المرتّل ، وحامل الخاتم الملكى ، ورئيس اسرار كل أوامر حدود الجنوب ،  
المقرب « حرخوف » .

ولا شك أن الذى يعنى فى تفاصيل ما جاء فى هذه الرحلات لا يتردد  
لحظة فى الحكم على « حرخوف » بأنه كان كاشفًا عظيمًا فى عصره ، وأنه يعد  
أول من فتح الطريق للكاشفين والرواد العظام فى عصرنا للتوغّل فى  
مجاهل إفريقية وقد جلب الخبريات منها للملك « مرن رع » وسهّل سبيل  
التجارة بين مصر وتلك الأقطار النائية التى لم يجسر أحد قبله أن يجوب  
مجاهلها ويستفيد منها مثله . ولا غرابة إذن إذا أرسل إليه الفرعون من  
يستقبله وهو عائد من تلك الرحلة الفذة . ولكن أطاع « حرخوف »  
لم تقف عند هذه الرحلة بل سنسنع عنه فى عهد الملك الصغير الذى  
تولى زمام البلاد بعد وفاة « مرن رع » .

« حرخوف »  
أول كاشف لمجاهل  
إفريقية

## الملك بيبى الثانى ( نفر كارع )

تدل كل شواهد الأحوال على أن الملك « مرن رع » قد توفى  
وهو لا يزال فى بداية العقد الثانى من حياته ، وخلفه على العرش أخوه  
« بيبى الثانى » . وقد ذكر لنا « مانيتون » أنه جلس على عرش البلاد  
وهو فى السادسة من عمره . والواقع أن « مانيتون » لم يخطئ فى ذلك .  
وبخاصة عند ما قال إنه حكم حتى بلغ المائة من عمره ، وبذلك يتكون  
قد حكم نحو ٩٤ عاما إذ كل هذا قد حققته الآثار . ومن الطريف أن

للورخ «اراتونيس» الإسكندري قد أخبرنا أنه حكم مائة عام إلا ساعة واحدة . ولا نزاع في أن «يبي» ضرب بسهم صائب في طول الحكم ، وليس هناك من يضارعه ، غير أنه كما يحدث غالباً ، في مثل هذه الأحوال ، لم يمت نهاية حكمه الطويل كانت نكبة على البلاد ، ورغم تولية الملك صغيراً لم يحدث في البلاط أى اضطراب ، وقد يعزى هذا إلى أن «زاو» خله ووزيره في آن واحد ، قد حافظ على استتباب الأمن وقع كل خلاف من هذه الناحية . والظاهر أن أمه قد لعبت دوراً تمثيلاً معه في الحكم في بادئ الأمر ، وربما كان ذلك هو السبب في ظهور اسمها وصورتها معه على إحدى نقوش وادى مغارة ، إذ في هذا النقش الذى دون ذكرى لحملة في تلك المحاجر ، نرى أن الملك رغم أنه ذكر بالاسم فإن صورته لم ترسم ، على حين أن صورة والدته قد رسمت . وتدل ألقابها على أمومتها لهذا الملك وللملك يبي الأول : أم الملك ، التابعة للهرم المسى «نفر كارع يبقى حياً» ، وروج الملك ومحبوته التابعة للهرم «مرى رع يبقى جميلاً» «عنخس مرى رع التى يحبها كل الآلهة» .

وفي الحق كانت مدة حكم هذا الملك الذى عمر على عرش الملك طويلاً مليئة بالبعثات إلى البلاد الأجنبية ، وبخاصة في الفترة الأولى من حكمه . ولا غرابة في ذلك فإن سياسة استثمار البلاد الجنوبية كانت قد رسمت من عهد أسلافه وسارت بكل نشاط وفلاح ، ولم يستجد أمام هذا الفرعون ورجال دولته ما يعوقهم عن المضى في هذا السبيل المنتج ، وبخاصة أنه

اشترك الملك  
في حكم البلاد  
لصغر سن الملك

الرحلة الرابعة  
لخرخوف

أهمية الأقزام و  
البلاط الملكي

كلن يدر الخبرات على مصر من تلك الجهات في عهد كانت موارد الملك قليلة نسبيا . ففي السنة الثانية من حكمه قام « خرخوف » بمحمله الرابعة وتعد المفخرة العظمى التي توجت تاريخ حياته . والظاهر أنه توغل في داخل بلاد النوبة حتى وصل إلى أقزام أواسط إفريقية وأفلح في اقتصاص قزم أو إغراء واحد منهم ليصحب القافلة إلى البلاط المصرى ؛ وقد كان المصريون في كل عصورهم يعملون لهؤلاء الأقزام أعظم قيمة على أنهم أداة من أدوات الزينة واللهو في البلاط الفرعونى ، ولذلك كانوا يسرون كل السرور عند ما يحصلون على واحد منهم يضاف إلى ذلك ابتهاج صبي صغير في الثامنة من عمره ، فضلا عن أنه كان فرعونًا ، عند سماعه بإحضار لعبة جديدة حية يتسلّى بها ، ولذلك فإن خطابه الذى أرسله إلى « خرخوف » ليسرع في الحضور بالقزم ليس فيه ما يدعو للدهشة بل كان شيئا طبيعيا جداً . ولقد كان من حسن حظ التاريخ أن يكتبه « خرخوف » بنصه على جدران مقبرته مفتخرا بذلك الشرف العظيم ، وعليه نكون قد وصلت إلينا أقدم وثيقة في التاريخ عن كشف مجاهل إفريقية وارتداد أقطارها التي كانت لم تطرق من قبل . ولا يسعنا هنا إلا أن تقدم للقراء هذا الخطاب الملكي برمته :

ختم بالملك نفسه في السنة الثانية ، للشهر الثالث من فصل الفيضان ،  
اليوم الخامس عشر .

مرسوم ملكى للسمير الوحيد ، الكاهن المرتل ، ومدير القافلة « خرخوف » .

فقد فهمت المقصود من خطابك هذا ، الذى أرسلته إلى الملك فى القصر  
 فبغية بأنك قد عدت سالماً معافى من بلاد « إيام » بالجيش الذى كان  
 معك . ولقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت معك كل المحصولات  
 العظيمة والطيبة ، التى منحتها « حثور » سيدة « إماو » إلى حضرة ملك  
 الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » ( يبنى الثانى ) الذى يحيا أبدياً ومخلداً .  
 وقد ذكرت فى هذا الخطاب أنك أحضرت قزما ( دنج ) يرقص رقصاً  
 قديماً من أرض الأرواح ( تا إخو ) مثل القزم الذى أحضره حامل الخاتم  
 المقدس « با وردد » من بلاد « بنت » فى عهد الملك إسيى ( ١ ) . وقد قلت  
 لجلالى « لم يحدث قط من قبل أن واحداً مثله قد أحضر من زاروا « إيام » .  
 حقاً إنك فعلت ما يحبه ويمدحه سيدك ، حقاً إنك تمضى النهار والليل  
 فى عمل ما يرغب سيدك ويحب ويأمر . وجلالته يرغب فى أن يمنحك  
 تيجاناً من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لابن ابنك أبدياً ، لدرجة أن  
 إنسان سيقول عند ما يسمع ما فعلته لجلالى : « هل هناك شئ  
 كل لما عمل للسفير الوحيد « حرخوف » عند ما عاد من بلاد « إيام » .  
 تلك بسبب اليقظة التى أظهرها لعمل ما يرغب فيه سيده ، وما يحبه وما يأمر به .  
 عد حينئذ فى الحال إلى البلاط نازلاً فى النهر واترك كل شئ آخر ( ٢ )  
 تحضر معك هذا القزم الذى جلبته معك من بلاد الأرواح حياً وسليماً  
 حتى يقوم بالرقص المقدس وليسرى عن القلب وليسر فؤاد ملك  
 الوجه القبلى والوجه البحرى « نفركارع » عاش أبدياً .

نص خطاب الملك  
 لخرخوف

( ١ ) كشفت أخيراً مقبرته فى سقارة وفيها رسم قزما .

وعند ما ينزل معك في السفينة اعمل على أن يكون رجالك اليقظون حوله من ناحيتي السفينة ، واعمل على ألا يسقط في الماء ، وعند ما ينام في الليل اعمل على أن يكون رجالك اليقظون نائمين حوله في حجرته ( الكمين ) وقش عليه عشر مرات كل ليلة لأن جلالتي يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل محصولات بلاد « البنت » وكنوزها .

وإذا وصلت إلى البلاط وبصحبك هذا القزم جيداً سليماً معافى فإن جلالتي سيقوم بعمل أشياء عظيمة لك ، تفوق التي عملت لحامل الخاتم الإلهي « باوردد » في عهد الملك إيسى وذلك لرغبة قلب جلالتي في رؤية القزم . وقد أعطيت الأوامر لحاكم إقليم البلاد الجديدة ، السмир ، مدير الكهنة ليأمر باعداد المأكولات في كل قصر بيت المحراث ( ضياع ملكية ) وفي كل معبد دون استثناء .

ولدينا من عهد هذا الملك نقشان اخران لعظيمين من رجالات الفنتين لها أهمية عظيمة فإنهما يظهران لنا مقدار النشاط في الكشف الذي كان يقوم به رجال هذا العصر رغم الأخطار التي كانت تحديق بهم ، ورغم اقتطاع أخبار بعض الكاشفين ، وكذلك تبرز لنا ناحية خاصة من نواحي التفكير المصري والعقائد التي كانت تسود هذا العصر . حقا إن المصري كان يعتقد بأن ارتياد مجاهل البلاد النائية ، كانت من الأعمال الجليلة ، غير أنه كان لا يقبل بأية حال أن يترك جسمه يدفن في هذه الجهات القاصية ، إذا حدث أن لاقى حتفه فيها ، بل كان يعمل ذووه المستحيل

صروه إلى موطنه الأصلي حتى يكفن وتعمل له كل الطقوس والمراسم  
ممازاة التي كان لا بد منها حتى يكون له نصيب في الخلود بعد الموت،  
ذلك لأنه كان يعتقد أن خلوده في القبر كان يتوقف على هذه التجهيزات  
لاحتفالات التي كان لا يتسنى عملها في البلاد القاصية ، ومن أجل ذلك  
كانت ترسل بعثة خاصة إذا قضت الحاجة لأحضار جثة ، الكاشف المتوفى.  
حدث أن كاشفاً قد قام بإحضار جثة أحد هؤلاء الرواد فكان الثناء  
على ناله على ذلك عظيماً ولم ينل أى ثناء على إحضار فيل يبلغ طول  
وطوله نحو تسعة أقدام . وليس عجيباً أن يقال في مصر أن التقوى تحمل  
الآثم تحمل بمدى الفائدة المادية ، وإن كنا أحياناً نشاهد التقوى يضرب  
عرض الحائط إذا تعارضت مع الفائدة الشخصية كما أسلفنا في اغتصاب المقابر.  
والنقش الأول لموظف كبير يدعى « بيبى نخت » وقد قام برحلتين  
إلى بلاد النوبة والثانية نحو شمال البحر الأحمر .

وكان « بيبى نخت » يحمل ألقاباً عدة منها أنه كان السميع الوحيد  
للملك في « نخب » ، ورئيس عبادة « نخب » ومدير كل القوافل  
المحترمة من الإله العظيم « بيبى نخت » . يقول : كنت رجلاً يقول  
هو حسن ، ويكرر ما يجب ، ولم أقل قط شيئاً يسئ إلى رجل قوى  
شأنه في أى شخص ، لأننى كنت أرغب فى أن تعرض الأشياء من  
منى حسنة فى حضرة الإله العظيم . لقد أعطيت خبزاً للجائع وكسوت  
محرمان ولم أقض قط بين أخوين بحيث يحرم ابن من متاع والده ، ولقد

الاهتمام بدفن الجثث  
فى مصر واحضارها  
من البلاد الاجنبية  
لهذا الغرض

نقش « بيبى نخت »



كنت محبوباً من والدى ، ممتدحاً من والدتى ومحبوباً من إخوتى ذكورا وإناثاً .  
لقد أرسلنى جلالة سيدى لأخرّب بلاد « إرثت » ، فعملت ما  
مدحنى عليه سيدى ، ولقد ذبحت منهم عدداً عظيماً ، من بينهم أولاد  
الرؤساء والضباط المتفوقين من المحاربين (١) وقد أحضرت منى عدداً  
منهم أسرى أحياء إلى البلاط ، لأننى كنت بطلاً على رأس جيش عظيم  
من الجنود الأقوياء . وقد سر قلب سيدى منى لكل البعوث التى  
وكل أمرها لى .

وعقب ذلك أرسلنى جلالة سيدى لتهدئة الأحوال فى هذه الممالك .  
وقد قت بذلك حتى أن سيدى أثنى علىّ كثيراً أكثر من أى إنسان  
آخر . ولقد أحضرت معى رئيسى هاتين الملكتين سالمين معافين إلى  
البلاط . ومعها ثيران وماغز حية إلى البلاط . وكذلك أحضرت أطفال  
الرئيسين وضابطى المحاربين الذين فانونا معها .

أما السبب فى القيام برحلة البحر الأحمر فكان للنجدة ويلخص ذلك  
فى أن أحد الضباط الذين أرسلوا فى حملة إلى سواحل البحر الأحمر واسمه  
« غنخت نينى » وكان يريد أولاً بناء سفينة والسفر بها إلى بلاد « بنت »  
التي كان يعتقد فيها المصريون أنها شبه مقدسة وأن أصلهم يرجع إليها ،  
وعند ما كان « غنخت نينى » هذا منهمكاً فى بناء سفينة غير ملتفت  
إلى ما حوله ، اقتض عليه وعلى رجاله قوة من البدو وقضوا عليهم ؛  
وقد كان من الضروري معاقبة المتعدين على فعلتهم هذه ، ولكن أم

في ذلك كان إحضار جثة « عنخت نينى » إلى مصر ولذلك أرسل  
« بيبى نخت » ثانية للقيام بهذه المهمة ؛ فيقول : وعقب ذلك أرسلنى  
بجدى نحو بلاد « العامو » ( الأسويين ) لأحضر له السمر الوحيد . . . .  
من البحارة « كاعبر » مدير القافلة « عنخت نينى » الذى كان مشغلا  
بعتاك بيناء سفينة ( للسفر بها ) إلى بلاد بنت ، وقد دامه الأسويون  
فحين ينتمون إلى أهل البدو ، فذبحوه هو وفصيلة الجنود الذين كانوا معه .  
بعد ذلك نجد أن النقش مهشم وكل ما يمكن فهمه هو أنه قام بإنجاز  
المهمة التى أرسل من أجلها . فيقول : لقد ذبحت خلقاً منهم أنا وجنود  
الجيش الذين كانوا معى .

أما ثالث هؤلاء الرحالة من عظماء أسوان فهو « سبنى » فقد قام بحملة  
مشبهة بحملة « بيبى نخت » الأخيرة غير أنه لسوء حظه كانت الجثة المكلف  
بإحضارها لمصر هى جثة والده وكان فى هذه المرة قبائل الزنوج هم الذين  
سطوا عليه وذبحوه . وتقوش « سبنى » مشمة فى البداية غير أنه فى  
إمكاننا أن نفهم منها المعنى المقصود جملة . ولم يكن « سبنى » عند قيامه  
بهذه الحملة جاهلاً بأحوال هذه البلاد التى قتل فيها والده بل يظهر أنه  
كان مدرباً على ارتيادها وكان لا بد له من ذلك ، لأن وظيفة قيادة القوافل  
على ما نعلم كانت وراثية فى حكام هذه المنطقة كما شاهدنا ذلك فى « خرخوف »  
ووالده ؛ فكان الوالد يعلم والده الأعمال التى كانت تتطلبها وظيفته .

قام « نحو » والد « سبنى » برحلة ولكنه مات فى خلالها فى

حملة « سبنى » وإحضار  
جثة والده

جهة ما فى قلب مجاهل إفريقية ققام ابنه بالبعث عن جثة والده فكتب  
على مقبرته التى لا تزال إلى الآن بتلال أسوان مع قبر والده يقول :  
الأمير حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، مدير الجنوب ، السمر الوحيد ،  
الكاهن المرتل « سبنى » :

وعندئذ ذهب ضابط السفينة « أنف » ومدير ..... « بهيسى » ليحملوا  
الحيز ، إن السمر الوحيد والكاهن المرتل « مخو » قد مات وعندئذ صحبت  
معى جنودا من ضيعتى ومائة حمار وأخذت كذلك عطوراً وشهداً ، وملابس  
وزيتاً و..... لأقدمها هدايا فى هذه الأقطار وسرت نحو بلاد النحسى  
( العبد ) هذه ..... وقد أرسلت أنا ساكانوا عند بوابة الفتين وكتبت  
خطابات لأخبر الملك بأنى سافرت لأحضر من « واوات » و « أوث »  
ولقد هدأت الأحوال فى هذه الأقطار الأجنبية ..... وفى الأقطار ...  
التى تسمى « عاتم ثر » . ثم حملت جثة هذا السمر الوحيد على ظهر حمار ثم  
أرسلته مع فصيلة من جنود أوقافى . وصنعت له تابوتاً ..... وأحضرت  
معى ..... لأجل أن ألقه من هذه الأقطار الأجنبية ، ثم عدت نحو  
« واوات » و « أوثك » وأرسلت الشريف الملكى « إرى » مع اثنين من ملائكة  
الفلاحين من ضياعى طليعة ومعها الروائح العطرية ..... وحاجز من العاج  
لأعلم ... أنى حملت جثة والدى وكل أنواع هدايا هذه الأقطار . ثم  
عدت لأضع والدى ..... أما من جهة « إرى » الذى كان فى البلاط  
فإنه أحضر أمراً بتحنيط الأمير ، حامل خاتم الوجه البحرى ، السمر

وحيد ، الكاهن المرتل « مخو » وقد أحضر . . . . . محنطين ، والكاهن  
الطهر الأعلى والتشريفى ، والكاهن الأعلى للأوقاف المائمية والبكائين وكل  
الربان بيت التحنيط . وأحضر زيت الطقوس الخاص بيت التحنيط ،  
والأشياء السرية لبيت التطهير المزدوج والخاصة بيت السلاح . وملابس  
من بيت المال ، وكل الملحقات الجنازية أتت من البلاط كما كان الحال  
فى أمر الأمير « مرو » . وعندما وصل « إرى » أحضر معه مرسوما لىثى  
على ما فعلته وقد ذكر فى هذا المرسوم : « لقد فعلت لك كل  
الأشياء الممتازة تذكراً لهذا العمل العظيم لأنك أحضرت والدك . . . . . »  
ولم يحدث مثل هذا من قبل :

احضار جثة والد  
« سبنى » المسمى « مخو »  
وتجهيزها

ودفنت والدى فى هذا القبر من الجبابة ، على أنه لم يدفن رجل  
فى هذه الدرجة بالطريقة التى دفن بها . ثم نزلت فى الهرنحو « منف »  
حاملات معى منتجات هذه الأقطار الأجنبية وكذلك ما كان والدى قد  
جمعه . . . . . جيشى و« النحسى » ( النخاسة ) . . . . . والخادم « سبنى » قد  
أتى عليه فى البلاط ووجه الملك له مدحاً لأنه كان صاحب حظوة عظيمة  
عند الملك . . . . . وقد أعطيت صندوقاً من خشب الخروب يحتوى على  
عطور وزيت . وكذلك منحت حقيبة من الكتان . . . . . وملابس .  
وكذلك أعطيت ذهب الجدارة ، وكذلك تسلمت قرابين من اللحم والطيور  
. . . . . وعندما كانت تقرب الذبائح كان يذكر ما فعله لى سيدى .

وقد قيل للخادم « سبنى » : لقد أوتى بمرسوم من الفاضى الأعظم

والوزير . . . . . بلدة « نخب » الكاهن الأعظم « آتى » الذى كان وقتئذ  
 فى « برحتحور رسيث » قائلا : إنه يمكننى أن أحضر والدى فى الحال  
 ويمكننى أن أدفنه فى قبره شمالى « نخب » . ولقد منحت ٣٠٠ أرورا (١)  
 من الأرض فى الشمال والجنوب وقفا من الهرم المسمى « من عنخ فركارع »  
 تقديرا لى .

ولسنا فى حاجة للتعليل على رحلة « سبنى وما قام به نحو والده فالتن  
 يعطينا صورة ناطقة عن العادات والشعائر الدينية التى كانت تجرى فى هذه  
 الفترة فى مصر وستترك ذلك للقارىء نفسه .

وقبل أن تتم كلامنا عن عصر « ييى الثانى » نرى لزائما علينا أن  
 نلقى نظرة إجمالية عن بيت أسرة الأمير « زاو » وهو كما ذكرنا من قبل  
 شقيق زوجتى « ييى الأول » وخال « ييى الثانى » ووزيره لفترة من  
 حكمه الطويل . وقد كان أمراء هذا البيت حكاما وراثيين لمقاطعتى  
 هراكتبوليس ( مقاطعة جبل الثعبان وهى الثانية عشرة بالنسبة لمقاطعات  
 الوجه القبلى ) وكذلك كانوا حكاما لمقاطعة طينة ( المقاطعة الثامنة من الوجه  
 القبلى وهى العراة ) .

أسرة « زاو » فى  
 المقاطعتين ١٢ ، ٨  
 من الوجه القبلى

والظاهر أن هذه الأسرة يرجع نسبها إلى الوزير « مرى » ، وقد  
 تزوج من إحدى بنات الملك « تيتى » ، وقد بقى عطاء هذه الأسرة  
 يتقلبون فى مناصب الدولة العظيمة حتى تولى « زاو » رئاسة الوزارة فى

(١) الأروور مقياس يونانى ويقابله بالمصرية « استات » وهو يساوى نحو ثلاثى فدان تقريباً

عهد « بيبي الثانى » وأصبح هو المسيطر على كل الأمور فى البلاد لما له من الصلة الوثيقة بالفرعون الصغير وقد ترك من بعده ابنه « إبنى » وكان فى أول الأمر حاكماً لمقاطعة « هراكنبوليس » ثم المقاطعة « طينة » ثم وراثته عن أبيه . وأخيراً عين حاكماً للجنوب . وقد ترك كل من « زاو » و « إبنى » نقوشاً على قبريهما . وهذه النقوش لا تختلف كثيراً عن النقوش التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد ، اللهم إلا بعض جل يخرج أحياناً عن حد المألوف قد جاءت ضمن نقوشها فتلاً نجد على مقبرة الأمير « زاو » : إبنى لم أقدم احترامى لأى رجل ولكن احترامى كان لعمه لى العظماء ، ولقد عمل لى تابوت وقربان ملكية من البلاط بتعار عظيم جداً فى عهد جلالة الفرعون « مرن رع » .

أما مقبرة « إبنى » فقد وجدنا فى نقوشها الروح التى يظهرها كل مصرى حايلاً على استمرار بقاء وقف قبره وعدم الاعتداء عليه ، ولذلك قد استعان بالهديد وبهوة التعاويذ السحرية التى كانت شائعة الانتشار فى هذا العهد . يخاطبه أن الملوك كانوا يستعملونها ويستعينون بها على المحافظة على أهرامهم ، بوقافها وكذلك كان يبرى نفسه أمام العالم من كل المظالم التى كان يقتربها منس فيقول : إذا دخل أى إنسان هذا القبر مدعياً ملكيته فإنى سأقتض عليه كطائر مفترس ، وإبنى روح فاتقة ، وإبنى أعرف كل التعاويذ وأسرار البلاط فى الجبانة ، وإبنى المحبوب من والده والمثنى عليه من والدته و « المقرب » « إبنى » ثم يقول : إبنى أعطيت خبزاً للجائع ، وملابس للعريان ، ... وجوباً ،

« زاو » وزير  
« بيبي الثانى »

نقوش مقبرة « إبنى »

وثيرانا وفلاحين من أوقاف الخ .

وقد ترك « إبي » ورثا له على مقاطعته ابنه « زاوشما » ولكن يظهر أنه لم يعمّر طويلا فورثه ابنه وسميه « زاو » ، وكان كذلك حاكما على طيعة ؛ وقد دفن مع والده « زاوشما » في المقبرة التي أقامها له في جابة « هراكنبوليس » في عهد « يبي الثاني » .

وقد ذكر لنا كيف دفن والده بكل عظمة وأهبة ونجد ذلك كثيرا على مقابر هذا العصر ولكن الأمر الذي يلفت النظر في هذه النقوش أنه أظهر رغبته في أن يدفن مع والده في القبر الذي أقامه هو له ؛ ولم يكن ذلك من عجز كما يقول في عمل مقبرة أخرى له خاصة ولكن جبا منه في أن يكون على مقربة من والده ويراه كل يوم . فيقول : لقد دفنت والدى الأمير « زاو » بطريقة فاخرة جميلة أحسن من أى فرد من أسرته الذين في الجنوب . وقد التمت أن يشرفنى جلالة سيدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نركارخ » ( يبي الثانى ) عاش أبديا بمنحى تابوتا وملابس وعطورا جنازية لوالدى « زاو » هذا ؛ وقد أمر جلالة مدير الأوقاف بأن يحضر تابوتا من الخشب وكذلك زيت العيد ، وملابس و ٣٠٠ قطعة من الكتان الممتاز ومن كتان الجنوب الرقيق ، وأقمشة تصرف من بيت المال ( البلاط المزدوج ) لوالدى « زاو » هذا على أن هذه الأشياء لم تعط قط لأحد فى نفس هذه المنزلة .

دفن الابن مع والده  
في مقبرة واحدة

وكذلك وصيت أن يكون دفنى فى نفس القبر مع « زاو » هذا

أكون في صحبته في نفس المكان ، ولم يكن ذلك عن عجز  
في لبناء مقبرة ثانية ، ولكنى فعلت ذلك رغبة منى في رؤية « زاو »  
تأكل كل يوم ، ولأنى أريد أن أكون معه في نفس المكان .

هذه صفحات من أخلاق هذا العصر وعاداته وهى في الحق تكشف  
عن نواح طريفة مختلفة في حياة المصرى رغم أنها قد كتبت على  
نور والباحث في تاريخ مصر لا يمكنه أن يصل إلى معرفة تاريخ البلاد  
لا بتحليل مثل هذه النقوش واستنباط الحقائق التى نراها قد جات عفوا  
عن غير قصد . والواقع أنا نجد في أسيرة « زاو » دروساً عدة من  
وجهة السياسية والاجتماعية والدينية . فقد كانوا هم القابضين على زمام  
بلاد في عهد « ييى الأول » و « ييى الثانى » لما كان لهم من المكانة  
في البيت الملك لترايتهم له ولما لهم من المجد القديم ؛ إذ كانوا يحكم  
مطعمتين وراثيتين من أعظم مقاطعات البلاد ، وكذلك لأنه كان منهم  
وزير وحاكم الجنوب ، ولكن رغم كل هذا فإن عوامل الضعف كانت  
قد أخذت تدب في البلاد ، وكانت قوة الملك أخذت في التدهور شيئاً  
شيئاً مما سنفصله بعض الشيء هنا . إذ بعد اختفاء « ييى الثانى » هوت  
بلاد دفعة واحدة إلى الحضيض ولم تقم لها قائمة مدة طويلة من الزمان  
لأسباب التى أدت إلى ذلك سنشرحها بعض التفصيل فيما بعد .

وخلف « ييى الثانى » فرعون آخر يدعى « مرن رع محتى إم ساف »  
وأنا : لا نعرف شيئاً عن حكمه وتولى العرش بعده كما يقول « مانيتون »

نفوذ أسرة زاو



ملكة تدعى « نيتوكريس » التى كانت تعد أجمل نساء عصرها ، وكانت شقراء اللون . وقد تكلمنا عن هذه الملكة والملابس التى حدثت فى اسمها واسم الملكة « خنت كاوس » عند الكلام عن الأخيرة ولا غراب فى أن نهاية الأسرة السادسة كانت غامضة ولم تعثر فى الآثار للآن على ما يكشف لنا القناع عن الحقيقة وربمابقى ذلك سرّاً غامضاً إلى الأبد ، لأن خاتمة الأسرة كانت عصر ثورات واضطراب لم يبق فيه من الآثار ما ينير لنا الطريق .

## سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفراعنة فى الأسرة السادسة آخذة فى التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة فى عهد الفرعون « بيبى الثانى » الذى حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال وقد انتهى الأمر بعده بالتحلل البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب فى ذلك إلى أمرين هامين : الأول إغارة الأجانب من البدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة المنكرة التى لحقت بهم فى عهد « بيبى الأول » لم يفقدوا الأمل فى غزو البلاد المصرية التى كانت فى تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد الملك « بيبى الثانى » لنيل مآربهم إذ كانت الأحوال

حيث لهم . فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثة منهمكا في  
حفاظة على مقاطعته التي كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة . أما في  
وجه البحرى الذى كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفتين حول  
ذلك بعض الشيء . ودافعوا عن بلادهم ، غير أنه ليست لدينا وثائق  
تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط ولكن على أية حال كان موقف الحكومة  
عسرية في هذا العهد في حالة يرى لها حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة  
تمام بثورة اجتماعية طاحنة امتد أمدها أكثر من قرنين من الزمان كانت  
بلاد ترزح خلالها تحت عبء ثقل من الفوضى والخراب إذ كان سلطان  
همون قد زال وأملاكه قد اختفت والحقوق المدنية والدينية قد تولاهما  
من كان في قدرته أن يسطر يده عليها ، وأخذ كل شخص يغير على  
ما يستطيع أن يصل إليه ، ضاربا بكل نظام وقانون عرض الحائط ، وقد  
تبع من جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر  
نحط وعم الانحلال الخلقي وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة  
ليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم  
لا معلومات ضئيلة جدا ولكن من جهة أخرى قد أسعفتنا الوثائق الأدبية  
تعمية إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على  
هذه القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القصاصين  
هم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قاست من ويلات  
خراب بمبارات مؤثرة جداً خارجة من الأعماق . وأهم كتاب وصل

موضوع  
تحذيرات نبي

إلينا من هذا العصر هو « تحذيرات نبي » وهو من الكتب الأدبية النادرة في حسن تركيبها وتأثيرها في النفس حتى أن أدباء المصور التي تلت كانوا يتخذونها نموذجاً أدبياً يدرس في المدارس، ومن المرجح جداً أنها كتبت في عهد الأسرة التاسعة والعاشرة . ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه القطعة الأدبية تصف لنا أول انقلاب اجتماعي في آخر عهد الدولة القديمة الذي كان سببه الفوضى ويشبه في تصويره حالة البلشفية المتطرفة في تاريخ العالم . وموضوع هذه التحذيرات هو أنه حاقت بالبلاد مصيبة شقاء في عهد أحد حكام الأزمان القديمة فتارعاة الناس على الموظفين وعلية القوم ، وكذلك عصى الجنود المرتزقة من الأجانب قادة البلاد ، ويحتمل أن الأسويين هددوا الحدود الشرقية أيضاً ؛ وبذلك انحل الحكم المنظم في مصر جملة . ولكن الملك الطاعن في السن كان يعيش في طمانينة في قصره لأنه كان ينفذ بالأوكاذيب . وعندئذ ظهر حكيم يدعى « إبور » وأخبر الملك بكل الحقيقة فوصف له البؤس الذي عم البلاد وتبأ بما سيأتي بعد ، وحرّض سامعيه على أن يجاربوا أعداء البلاد ، وذكّروهم بأن عبادة الآلهة لا بد أن تعاد إلى ما كانت عليه .

والعهد الذي حدث فيه هذا الانحلال في نظام الحكم لا بد أن يكون في نهاية الدولة القديمة وذلك أنه في ختام الأسرة السادسة ( ٢٥٠٠ ق م ) أخفت مصر عن الأعين نجاة وصارت في ظلمة كأن مصيبة عظمى قد نزلت بها . وأن ما ذكر هنا من أن الملك الذي كلن يخاطبه الحكيم كان

تأ يتفق تماماً مع الحقائق التاريخية ، لأن الملك الذى اختفت معه الدولة  
مجدية عن أعيننا لا يكون إلا الملك « بيبى الثانى » الذى جلس على  
عرش الملك فى السنة السادسة من عمره وحكم مدة أربعة وتسعين عاماً  
قل عن المصريين أنفسهم .

يبتدىء المتن بوصف البؤس العام الذى حلّ بالبلاد من سرقة وقتل  
تخريب وقحط ، وتشريد الموظفين وتفكك الإدارة ، والقضاء على  
تجارة الخارجية وغزو الأجانب البلاد وتولية الفوضى مراكز الطبقات العليا  
يذكر الحكيم : إن أهالى الصحراء قد حلوا مكان المصريين فى كل  
مكان وأصبحت البلاد مملوءة بالعصابات حتى أن الرجل كان يذهب  
ليحرث أرضه ومعه درعه ، وشجبت الوجوه وكثر عدد المجرمين ولم يعد  
حراك رجال محترمون ، وقد الناس الثقة فى الأمن ؛ وعلى الرغم من  
نقصان النيل فإنهم أحجموا عن الذهاب لفلاحة أراضيهم خشية اللصوص  
وطاع الطرق ، وصارت النساء عاقرات ولم يعد هناك حل بسبب إغراض  
للإله « خنوم » عن هذا العمل غير المجدى . وأصبح المعوزون يمتلكون  
ثياباً جميلة بينما نجد الأشراف فى حزن لا يشاطرون أهليهم أفراحهم ،  
ثم أن القلوب صارت ثائرة والوباء انبث فى كل الأرض والدم أريق فى  
كل مكان . وكثر عدد الموتى حتى أصبحت جثثهم من الكثرة بحيث  
استحال دفنها ؛ ولذا فإنها أُلقيت فى الماء كالماشية الميتة . وأصبح أصحاب  
الأصل الرفيع مغممين بالحزن بينما امتلأ الفقراء سروراً ؛ وكل بلدة تنادى

قائلة فليقص أصحاب الجاه عنا ؛ وصارت الأرض تدور كمجلة صانع الفخار ، فأصبح اللص صاحب ثروة وتحول النهر إلى دماء عاقها النفوس ، ودمرت البلاد وصار الوجه القبلى صحراء جرداء ، وأصبحت التماسيح فى تخمة بما قد سلبت ، وانتشر حفارو القبور فى كل مكان بسبب كثرة الموتى ، وخرت المنازل ، وأصبح المصريون لا يرون الآن ، وصار الذهب واللازورد والفضة والياقوت تحلى جيد الجوارى بينما تمشى السيدات النيبالات فى طول البلاد يقلن : « ليت لدينا بعض الشئ لنأكل ، وصارت أعضاؤهن فى حالة يرى لها لما عليها من الخرق البالية ؛ وقلوبهن تنفطر حزناً عندما يشاهدون أنفسهن فى حالتهم هذه . وأصبح مهندسو السفن الملكية يشتغلون عمالاً عاديين ، ولم يعد الناس يذهبون إلى « بيلوص » ( وهى جيبيل بلبنان ) لاحتضار خشب الأرز لأجل الموميات وأصبحت المدن لا تؤدى الضرائب بسبب اقلاق وصارت الخزينة من غير دخل . وقضى على الضحك ولم يعد يسمع ، فيما أخذ الحزن يتمشى فى طول البلاد وعرضها ممزوجاً بالأسى ، وكره الناس الحياة حتى أصبح كل واحد منهم يقول « ليتنى مت قبل هذا » والأطفال الصغار يقولون : « كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد الحياة » ، وأولاد الأمراء يضرب بهم عرض الحائط والأطفال الحديثو الولادة يلقون على قارعة الطريق ، وانتزعت موميات علية القوم من مقابرها وألقيت فى الطريق العام وأصبح سر التحنيط جهرأ . وألقى المواطنون على أحجار الطواحين ، وأصبح الذين كانوا يرتدون الكتان الجليل يجلدون ،

واضطرت سيدات الطبقة الراقية اللاتي كن يسكن في البيوت إلى العمل الشاق في حرارة الشمس ، وأصبحت اللاتي كن على أسرة أزواجهن ينمن على مضاجع مقضبة وصارت السيدات مثل الجوارى . وتحولت أغاني العازفين إلى أناشيد حزن ، وأصبح الرجل الأحق يشك في وجود ( الإله ) فيقول :  
 ..... « إذا غرفت أين يوجد الإله قدمت له قرباناً » ، وأصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد ، والرجل يقتل أخاه من أمه ، والطرق شائكة ، فاللصوص يكونون في الحشائش حتى يأتي المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه حمله ويسرقوا ما عليه ثم يضربوه بالمصى حتى يقطع نفسه ثم يذبح ظلماً .  
 وقد انمى ما كان يشاهد بالأمس واتلفت المحاصيل ، وأصبح القوم يأكلون الحشائش ولم تعد هناك فاكهة ولا أعشاب تقدم للطيور . وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير بسبب الجوع ، وانعدمت الفلال وجرى القوم من الملابس والعطر والزيت وصارت المخازن خاوية ، وسلبت كتابات قاعة المحاكاة الفاخرة وأذيمت التعاويذ السحرية التي كانت ملكاً للحكومة ، ونهبت الإدارات العامة ومزقت قوائمه ، وذبح الموظفون وصار القوم يطأون بأقدامهم قوانين قاعة المحاكاة ، والفقراء يروحون ويحيثون في البيوت العظيمة ( الحاكم العليا القديمة ) دون خوف ولا وجل .

وبعد ذلك يأخذ الحكيم في وصف مصائب حلت بالبلاد تفوق بمراحل تلك التي سبق أن شكا منها ؛ إذ تنهار الملكية وينتصر العامة وهنا يظهر ثانية كيف أن الأغنياء أصبحوا فقراء بينما أصبح الفقراء أثرياء . ( أنظر

فقد حدثت أشياء لم تحدث فيما مضى ؛ إذ اغتصب الفقراء القبر الملكي ، وأصبح الملك النبی دفن كصقر يرقد على نعش ، وآل الأمر إلى أن حرمت البلاد الملكية بسبب بعض القوم الذين لا شعور لهم ، وأظهر الناس العداء للملك الذي جعل الأرضين في سلام ، وأفشيت الأسرار الملكية وأصبح مقر الملك رأساً على عقب ، وامتلات الأرض بالعصابات ، واغتصب الجبناء الرجال الشجعان ، وأصبح من لم يكن في مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتاً يملك قبراً قد اغتصبه لنفسه ، وألقى بأرباب المكان الطاهر ( الموق ) على قارعة الطريق . وحدث أن الذي لم يكن يستطيع أن يقيم لنفسه حجرة يملك فناء مسوراً ، وطرد حكام البلاد وأصبحوا ينامون في المخازن ، واضطرت السيدات الكريمات إلى الرقاد على الفراش الخشن وأصبح الرجل الميسور ينام ظمآن ؛ وذلك الذي كان يستجدي منه العقاقير صار يملك الجعة المسكرة ، والذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا في خرق بالية ، وذلك النبی كان لا ينسج لنفسه أصبح يملك الكتان الجليل ، ومن لم يبن لنفسه قارباً أصبح الآن صاحب سفن ، ومن لم يكن له ما يظله أصبح يملك أفياء ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العواصف ، وأصبح من كان يجمل الضرب على العود يملك قيثاراً ، وذلك الذي لم يكن يغنى له أحد أصبح الآن مثني عليه من إلهة الموسيقى ، وأصبح من كان ينام أعزب بسبب الحاجة يجد الآن سيدات نيلات ، ومن كان لا يملك شيئاً ، صاحب ثروة ويمتدحه الأمير تملقاً ؛ ومن كانت لا تملك صندوقاً صاحبة

صوان ، ومن كانت تشاهد وجهها في الماء صاحبة مرآة ؛ وأصبح القصابون يفشون الآلهة ، فيقدمون لهم ذبيحة من الأوز بدلا من الثيران ولم يعد هناك موظف في موضعه اللائق به ؛ وأصبح الناس كالقطيع المذعور من غير راع . أما الماشية فهي تجول ولا أحد يعنى بها وكل إنسان يأخذ لنفسه منها ما يريد ، وأصبح الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه في الضيق لينجو بنفسه ، ولم يعد هناك صانع يعمل إذ أن المدوقد حرم البلاد حرقها ) . ثم يأخذ الحكيم في حث المخلصين للعرش على مقاومة اعداء الجالس عليه فيأمرهم بتدمير خصوم المقر الملكي صاحب الموظفين المتفوقين وصاحب القوانين العدة . ثم ينتقل الحكيم إلى تذكير القوم بمباداة الآلهة وكيف كانت تجرى فيما مضى وكيف يؤل أمرها في المستقبل : فيذكرهم كيف كانت تجلب الأوز سمينة وتقرب إلى الآلهة ، وكيف كانت تقام عمد الأعلام عند مدخل المبد . وتنقش ألواح القربان وكيف كان الكهنة يطهرون المعابد ، وكيف كانت ترعى الأنظمة وتذبح الثيران .

ينتقل الحكيم بعد ذلك إلى مخاطبة الملك المسن فيقول له : إن القيادة والفظنة والصدق معك ولكنك لا تتفعل بها ، فالفوضى ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها ، ولكنك مع ذلك تغذى بالأكاذيب التي تسلى عليك ، فالبلاد قش ملتهب والإنسانية منحلة ، ليتك تذوق بعض هذا البؤس بنفسك ) . . .

بعد ذلك يصف لنا الوقت السعيد الذي يحفظه المستقبل فيذكر : أنه



لحسن عندما تشيد أيدي الناس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشئ للآلهة  
مزارع فيها أشجار ، وعند ما يكون السرور شاملا وكبار الموظفين واقفين  
ينظرون إلى الأفراح وهم يرتدون أجمل الثياب ، وعندما تكون الأسرة  
وثيرة ووسادات العظماء محمية بالتعاونيد التي تقيهم الأرواح الشريرة . بعد ذلك  
نشاهد فجوة كبيرة في المتن لا بد أنها كانت تحوى جواب الملك على هذا الكلام .  
ثم يحجبه الحكيم بأن القوم يغطون وجوههم من المستقبل ويستمر في وصف سوء  
حال البلاد واقتحام مقاصير القبور وحرق التماثيل . غير أن المتن مهشم تماما .

## الأسرتان السابعة والثامنة

مقدمة : يعد العصر الذى تلا الأسرة السادسة إلى ظهور الأسرة الحادية  
عشرة من أظلم العصور في تاريخ مصر . وقد اختلف المؤرخون في تقدير طول  
هذا العصر فقدره الأستاذ فلندرز بترى بنحو ٣٤٤ سنة وذلك من بداية  
الأسرة السابعة الى الأسرة الحادية عشرة . وقدره الأستاذ برستد بنحو  
٣١٥ سنة من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة .

والواقع أن هذا العصر مجذب في الحقائق التاريخية وما ذلك إلا لعدم  
وجود آثار معاصرة وبخاصة في عهد الأسرتين السابعة والثامنة . وكل ما  
يمكن الإشارة إليه من الآثار في عهد هاتين الأسرتين بعض جدارين للفرعون  
« فركار رع » الذى يظن أنه من فراعنة الأسرة السابعة . وكذلك اسطوانة

من حجر اليشم الأخضر تعزى إلى الفرعون « خندو » ويقال أنها من صناعة سورية . وهذا الفرعون « خندو » ينتسب إلى ملوك الأسرة الثامنة . وكذلك عثر على خاتم للفرعون « نفر كا رع تللو » رب الشمال ، وعلى مراسيم للفرعون « نفر كا و حور » وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد .

عثر على جمران لفرعون اسمه « رع إن كا » وهذا الجمران رغم ما عليه من الإشارات المصرية فإنه وجد عليه رسم يدل على أنه من أصل سامى محض وهو يشبه الرسم الذى على إسطوانة الفرعون « خندو » . وهذه الدلائل التى ذكرناها رغم قلتها مضافة إلى الفوضى التى سادت البلاد فى هذا العصر تتركى الفكرة القائلة بأن البلاد فى هذه الفترة قد غزاها قوم من أهالى سوريا . وهى نظرية يميل اليها الكثيرون من المؤرخين المحدثين . والظاهر أن هؤلاء الفراعنة الذين حكموا البلاد فى خلال هاتين الأسرتين

غزو البلاد فى عهد  
الاسرتين السابعة  
والثامنة

لم يشيدوا مبانى عظيمة كأسلافهم فى طول البلاد وعرضها ، إذ الواقع أننا لم نعثر لهم فى مجاور سيناء والحمامات على أى أثر من النقوش ، إذ كان المتبع فى عهد أسلافهم أن كل ملك من الذين أقاموا المعابد العظيمة ينقش اسمه على صخور هذه الجهات تذكراً للحملات التى كان يرسلها لقطع الأحجار النادرة لمماراته ومقابره الخالدة . ويظن الأستاذ بترى أن الوجه البحرى وجزءاً من الوجه القبلى قد غزيا فى نهاية الأسرة السادسة بل يقال إن قوماً من الشمال الشرقى من سوريا فتحوا مصر ولا يبعد أن يكون ذلك مقدمة للغزوة العظيمة التى قام بها الهكسوس للبلاد فيما بعد ،

وأهم ما لدينا من الدلائل على حدوث هذه الغزوة ظهور الأزرار التي كانت تتخذ شارات منذ نهاية الأسرة السادسة ثم اختفت في الأسرتين التاسعة والعاشرية . وهذا النوع من الأزرار التي عثر عليها في مصر رغم وجود بعض الأشكال المصرية البحتة عليها أحياناً مثل علامة ( ♀ الحياة ) وعلامة الصقر  - كان الطابع الأجنبي ظاهراً في صناعتها واضحاً . هذا إلى أن الإسطوانات الخضراء التي عثر عليها من عصر الملك « خندو » هي صناعة أجنبية بغير شك ؛ وإن كان بعض التفاصيل التي عليها مصرية . ولا يفوتنا كذلك ذكر بعض أسماء وجدت في هذا العصر مثل « شماي » و « ني » و « تلولو » و « عانوا » يستدل من تركيبها أنها سامية الاشتقاق . وكذلك كان نفوذ الفرعون قد تدهور تدهوراً عظيماً في نهاية حكم الملك « يبي الثاني » كما أسلفنا ، وسادت الفوضى البلاد حتى أننا لا نعرف من الآثار التي بقيت لنا من عهد الأسرة السابعة شيئاً محدوداً . وكل ما وصل إلينا كان عن طريق رواية « مانيتون » . فقد روى لنا أن هذه الأسرة كانت تضم سبعين فرعوناً حكموا سبعين يوماً ؛ ولا نظن أن مثل هذه الأسرة كان لها وجود بهذه الصفة ، بل ربما ضرب لنا « مانيتون » ذلك مثلاً للفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة .

#### الأسرة الثامنة القبطية ( ٢٢٨٠ - ٢٢٤٠ ق . م )

أما الأسرة الثامنة فرغم ورود أسماء ملوكها في قوائم الفراعنة فإن تاريخها غامض غموضاً تاماً اللهم إلا بعض حقائق عن بعضهم ضئيلة سنذكرها

فيا بعد . ففي قائمة العرابة نجد أسماء ١٧ فرعوناً حكموا زمننا في عهد هذه الأسرة وفي قائمة تورين نجد مذكوراً ثمانية فراعنة فقط ؛ أما المؤرخ « مانيتون » فإنه ذكر لنا أن عدد ملوكها ثمانية عشر دون أن يذكر أسماءهم ؛ على حين أن قائمة سقارة لم يرد فيها ذكر فرعون بعد « يبي الثاني » الى أوائل الأسرة الحادية عشرة ، أى أنها أهملت الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشره ؛ هذا ما ورد في القوائم ، أما الآثار فإنها لم تذكر لنا ما يشئ غلة . حقا أنه يوجد في سقارة بعض أهرام لابد أنها أقيمت بعد عهد « يبي الثاني » غير أننا لم نتحقق من بينها اسم ملك . ولكن إذا حكمنا حسب الأسماء التي ذكرتها لنا قائمة العرابة في عهد الأسرة الثامنة وجدنا أن فراعنة هذه الأسرة قد بقوا محافظين على تسمية أنفسهم بأسماء أسلافهم في معظم الأحيان . فثلاً نجد من بين ملوك الأسرة الثامنة خمسة فراعنة تسما باسم « نفركارع » وواحد تسمى باسم « ددف رع » وآخر أطلق على نفسه أسم « نفراركارع » وهكذا . والظاهر أنه كان من جراء الحركة التي قام بها حكام المقاطعات للمحافظة على إستقلالهم في مقاطعاتهم منذ الأسرة السادسة ، أن حاكم مقاطعة قنط آنس من نفسه القوة فضم الى مقاطعة المقاطعات السبع العليا من الوجه القبلى . واسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة منف . وبما يؤسف له أن « مانيتون » لم يذكر لنا شيئاً مطلقاً عن هذه الأسرة القبطية ويرجح أنها قد مكثت نحو أربعين عاماً . وقد حفظت لنا الآثار أسماء بعض فراعنتها إذ عثر في قنط نفسها على بعض آثار تدل على أن فراعنتها كانوا يحملون

كل الألقاب الفرعونية . وقد كانت نقطة ضعف ملوكها أنهم كانوا يغمرون وزراءهم الذين كانوا ينتخبون من أسرة خاصة بسلطة واسعة حتى أنهم كانوا في الواقع هم المسيطرون الحقيقيون على شئون هذه المملكة . وقد عثر على مراسيم عدة للفرعون « نفر كاو حور » أحد ملوك هذه الأسرة في قفط نفسها ، منها مرسوم خاص بوقف تمثال لفرعون . وقد أرسل الأمر الخاص بهذا الوقف إلى رئيس كتبة الحقول المقاطعات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من مقاطعات الوجه القبلي لتنفيذه ، ولا نزاع في أن جميع الحقول الفرعونية في المقاطعات الخمس السالفة الذكر هي المقصودة لتحبس على هذا التمثال مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الممتلكات كانت ضئيلة وإن أملاك الفرعون في المقاطعات أخذت تتناقص وتتضاءل بسبب ما كان يهبه الفرعون لحكام الأقاليم من أملاكه الخاصة في هذه الجهات مما زاد في سلطانهم وقلل من نفوذه وأضعف سلطانه . وكذلك لدينا مرسوم آخر يعد من أهم المراسيم الإدارية التي عثرنا عليها من هذا العصر إذ فيه نصب الفرعون وزيره « شماى » مديرا على الوجه القبلي ووضع تحت سلطانه الاثنى والعشرين مقاطعة التي كان يشتمل عليها صعيد مصر مع ذكر اسم كل منها من البداية إلى النهاية حسب ترتيبها الجغرافى . وبعد فترة عين الفرعون وزيرا آخر لا نعرف اسمه ويحتمل أنه ابن « شماى » ليكون مديرا للوجه القبلى ؛ غير أنه قد حدد اختصاصه بالمقاطعات السبع الجنوبية فقط ، ومن ذلك نرى أن الوزير قد اشترك معه فإنه في حكم المقاطعات التي

تحت سلطانه ( من المقاطعة الأولى إلى السابعة ) من الوجه القبلى . ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن وظيفة الوزير التى أنشأها الفرعون لكبح جماح حكام الأقاليم أصبحت وراثية يتولاها الإبن عن الأب مما جعل نفوذ الملك صفرا . وقد كان كذلك من حسن الصدف أن عثرنا فى هذا العهد على مرسوم آخر فى قفط لفرعون يدعى « دمزاب تاوى » وهذا الفرعون لم يذكر فى قوائم الفراعنة المعروفة لدينا لهذا العهد ، غير أنه من المحقق أنه من هذه الاسرة وقد تأكدنا ذلك من اسم الوزير الذى ذكر معه . وقد جاء فى هذا المرسوم أن الفرعون كان يهدد بالعقاب الصارم كل أهل هذه الارض الذين يعتدون على الأوقاف أو يتلفون أو يهشموا النقوش أو المعابد أو موائد القربان أو تماثيل الوزير « إدى » التى توجد فى كل المعابد والأماكن الدينية . أليس من المدهش أن نرى للوزير « إدى » تماثيل وقربانا فى كل المعابد التى فى الوجه القبلى وأن يحافظ عليها ويعتنى بها بهذه الكيفية ؟ وأدهش من ذلك أنه بجانب العقاب الديوى الذى يلقاه كل من تعدى على حقوق هذا الوزير أن نرى الفرعون يعلق أهمية كبرى على العقاب فى الآخرة . إذ يقول : أن المعتدين لن يجمعهم إلا له ؟ مع الملائكة المطهرين بل سيوثقون ويكبلون ويساقون أسرى للإله أوزير ولآلهة مدنهم . وهنا نشاهد أن الإله أوزير والآلهة المحلية كانت تعد قضاة وقد كانت هذه المكانة محفوظة للإله « رع » حتى هذه الفترة وذلك مما يدل على الإقلا ب الدينى ضد عبادة هليوبوليس ( عين شمس ) ومملكة منف .

وأخيراً نرى أن الفرعون « دمز إب تاوى » يهدد بسخطه وغضبه كل الموظفين بما فيهم الفرعون والوزير والأمراء الذين يعارضون في تنفيذ هذا المرسوم . على أننا سنشاهد مثل هذا التهديد للفرعون في مرسوم في عهد أواخر الدولة الوسطى وهو عصر يشبه الذى نحن بصدده الآن من حيث الاضطراب والفوضى والغزو . ولا شك أن مثل هذه الحالة من العلامات المميزة لعصور الفوضى والاضطراب . ومنذ بضع سنين عثر على مقبرة لأحد حكام مقاطعة أدفو في بلدة المعلة وقع في منتصف الطريق بين إسنا وأرمنت على الشاطئ الأيمن للنيل . ونقوش هذه المقبرة لم تنشر بعد رغم أنها في غاية الأهمية من الوجهة التاريخية وربما كانت النقوش الفريدة التي نفهم منها أن الثورة التي قام بها فراعنة فقط لم تقبلها حكام المقاطعات الجنوبية الثلاثة - الفنتين وادفو وهيرا كنبوليس - عن طيب خاطر بل حارب أهلها من أجل استقلالهم بكل عنف وبسالة إذ الواقع أن النقوش تدلنا على أن أهلها حاربوا ضد طيبة وقفت في جانب ملك لم نعرف اسمه بكل أسف على وجه التحقيق . وقد ختمت هذه الحروب بانتصار طيبة وقفت طبعاً غير أن نقوش هذا الحاكم لم تذكر لنا هذا الانتصار . ومن المحتمل جداً أن الأسرة الثامنة المنفية قد أختفت حوالى عام ٢٢٤ ق . م . والظاهر أن قبل هذا التاريخ بعامين كانت المملكة الشمالية الصغيرة التي كانت قد حرمت ريفها الخصيب ، قد اقتطعت منها إقليم آخر يحتوى عدة مقاطعات . وذلك أن حاكم مقاطعة إهناس

( هراكليوبوليس ) واسمه « حيتى » أعلن نفسه فرعوتًا على مصر السفلى ومصر العليا . واتخذ لنفسه لقب « مر إيب » ؛ ولا نعلم كيف انتهت تلك المملكة المنفية على أن شواهد الأحوال كلها كانت تنذر باختفائها إذ كانت فريسة بين الأسويين الذين كانوا يحتلون الدلتا وبين ملوك إهناس الجدد ، ولذلك لم يعد فى مقدور ملوكها البقاء وقضى عليها من عالم الوجود . ومن ذلك الحين نرى أن مصر فى هذا العهد كانت مقسمة ثلاثة أقسام فى الشمال كانت الدلتا فى يد الأسويين وفى مصر الوسطى كان حكام إهناس هم المسيطرون ، وفى الوجه القبلى نجد أن البلاد كانت ملتفة حول حكام طيبة ولا نعرف شيئًا عن اختفاء أمراء قفط الذين كانوا أصحاب السلطان فى المقاطعات الجنوبية . وربما يعزى ذلك إلى ضعفهم وتغلب حكام طيبة عليهم . ويظن الأستاذ « بترى » أن الوجه القبلى فى هذا العهد قد غزاه قوم من الجنوب وكان من جراء ذلك أن الغزاة استوطنوا طيبة ؛ وكان منهم فيما بعد سلالة ملوك الأسرتين الحادية والثانية عشرة . وقد اعترف الدكتور هول بهذه الفكرة فى كتاباته عن مصر فى هذا العهد . ومما يدعم هذا رأى وجود الدم النوبى فى عروق هؤلاء الملوك الذين كان يطلق عليهم اسم « متوحشب » أو « سنوسرت » أو « امنمحيت » . ومن كل ذلك نستخلص أن البلاد فى هذا العهد قد اجتاحت بالغزوات الأجنبية من كل الجهات فانقض عليها الأسويون من الشمال والنوبيون من الجنوب واللويون من وسطها وعادت البلاد إلى



سيرتها الأولى من الفوضى والاختصاص . ولم يبق فيها تحت سلطان الجنس  
المصرى الحقيقى إقليم واحد . هذا إذا سلمنا بأن ملوك إهناس  
يرجع أصلهم إلى الجنس اللوى ( ٩ )

## الأسرتان التاسعة والعاشره

كان مقر فراعنة الأسرتين التاسعة والعاشره مدينة هيراكليوبوليس وهى  
المعروفة الآن باسم إهناس المدينة . ويظن بعض المؤرخين أن ملوكها من  
أصل لوى وإلهم غزوا مصر عن طريق الفيوم حتى وصلوا إلى مدينة  
إهناس واتخذوها عاصمة لملكهم لما لها من ماض مجيد من الوجهة التاريخية  
والمكانة الدينية فضلا عن أنها كانت أعظم مدينة صادقهم أثناء زحفهم  
على البلاد . وأهم حاضرة فى وسط القطر . والواقع أن مدينة إهناس كانت  
حاضرة ملوك الوجه القبلى ( نسوت ) قبل توحيد الأرضين . هذا إلى أنها  
كانت من أقدم المواطن المقدسة فى البلاد . إذ يعزى إليها حسبا ذكر فى  
التقاليد الدينية والأساطير أن الإله « شو » إله الفضاء قد رفع فى هذه  
المدينة السماء عن الأرض وكانتا رتقا إذ ذاك . وجعل الأرض يابسا .  
وكذلك جاء فى الأساطير الدينية أن الإله رع ( إله الشمس ) أرسل إلى  
هذه المدينة الإلهة « سخمت » إلهة الحرب لتهلك بنى الإنسان  
بسبب عصياتهم وثورتهم على هذا الإله المسن . يضاف إلى ذلك أنه جاء

مركز « إهناس »  
السياسى والاجتماعى  
والدينى

في الاقاصيص الدينية أن الإله « أوزير » والإله « حور » ابنه قد توجا ملكين على البلاد في هذه المدينة ، وقد ذكر كذلك في كتاب الموتى في الفصل ١٢٥ أن أحد القضاة الإثنيين والأربعين الذين يحاكمون الموتى في قاعة الحساب ويدعى ( كاسر العظام ) أصله من هذه البلدة . واول فرعون تولى عرش الأسرة التاسعة في إهناس هو « خيتي الأول » وقد كانت له شهرة سيئة في التاريخ حسبما جاء في الروايات التي رواها لنا عنه مانيتون المؤرخ المصرى . ومن بعده المؤرخ الإسكندرى إرستاتونيس . فقد ذكر الأول أن من بين الفراعنة التسعة عشر الذين حكموا في إهناس نحو ٤٠٩ سنة كان « اختبوى خيتي » هذا أسوأ أسلافه وقد أنزل الضرر بكل سكان بضر وانتهى أمره بأن جن جنونه واغتال حياته تمساح . وهذا مثل صارخ من العدالة الإلهية إذا كان حقا « خيتي » كما صورته لنا المؤرخون . - اما « أرساتونيس » فإنه يروى أن الفرعون السابع والعشرين من ملوك طيبة الذى يطلق عليه اسم « خوتورتوروس » العاتى ، حكم سبعة أعوام ( حوالى عام ٣٦٦٣ ق . م ) وقد ارتكب في خلالها مظالم كثيرة ولا نزاع في أن « خيتي » الذى عثرنا على اسمه في النقوش هو نفس « اختيوس » الذى ذكره « مانيتون » ؛ غير أنه ليست لدينا وثائق تاريخية تؤكد لنا ما وصفه به مانيتون ونسبة اليه زميله من الأفعال . ولكن حوادث التاريخ تعلمنا أن العظماء الذين يقومون بتأسيس دولة باغتصاب عرش غيرهم ، لا يبالون بمن يعترضهم في طريقهم ولا يقيمون وزنا للمظالم التى

يرتكبونها في سبيل الوصول إلى أغراضهم وفتح طريق الفلاح امامهم .  
 ولا غرابة إذا كان « خيتي » ظهر بهذا المظهر الوحشي عند تأسيس  
 ملكه في إهناس . ولا غرابة كذلك إذا كان هذا الفرعون قد أحاط  
 نفسه بهالة من الخوف والفرع حتى لا يقترب أحد منه أو يجزأ على منازعته .  
 ومما يؤسف له ان بعض أخلافه لم يكن فيهم شيء يذكر من قسوته  
 وفظاظته بل على العكس كانوا على جانب عظيم من التقى والصلاح كما  
 سنرى . وإذا كان « خيتي » الذي نحن بصدد الآن هو نفس « نب كاو رع خيتي »  
 الذي ذكر في قصة شكاوى الفلاح ؛ فإنه بلا شك كان يمتاز بالنكات  
 وحب المزاح ؛ وربما كان للمؤرخ مانتون عذر في وصفه بما وصفه به اذ في  
 قصة الفلاح كان الفرعون يقصد المزاح في شديته معه ؛ ولكن القوم كانوا  
 يروون في ذلك شدة وعنفا وظلما حقيقيا . غير أن ذلك لم يحقق ، بل  
 يعده بعض المؤرخين آخر ملوك هذه الاسرة . ومما يؤسف له جد الأسف  
 أنه لا يمكننا أن نعطي رأيا قاطعا في ترتيب فراغة « إهناس » خلال الأسرة  
 التاسعة ولكن المعترف به مؤقتا أن خيتي الاول هو « مري إيب رع » وقد  
 حكم نحو ٢٢ عاما ( ٢٢٤٢ - ٢٢٠٠ ق م ) حسبما وصلت إليه معلوماتنا  
 إلى الآن ؛ غير أن البلاد كانت في ارتباك ومشاحنات من طرفيها ولم يكن  
 في مقدور فرعون إهناس أن يقبض على زمام الأمور بعزم وحزم . فكانت  
 الدلتا كما ذكرنا « خيتي الثالث » عندما كان ينصح ابنه « خيتي الرابع » في  
 حال سيئته ولم يكن في مقدور « خيتي الثالث » إلا أن يهدي الأحوال بعض

حكم خيتي الاول

الشيء بعد جهد جهيد . وقد واثاه الحظ في الدلتا فنجح في التغلب عليها  
أما في الجنوب فكان حظه عاثراً . والواقع أن سلطان فراغة « إهناس »  
كان ضئيلاً بل منعدماً فيما خلف حدود مدينة طينة وبلدة العراة المدفونة .  
وكذلك كان نفوذه في شمال طيبة نفسها ضعيفاً ويرجع ذلك إلى أن  
الأمراء المحليين في أسيوط وإن كانوا يدينون بسلطان فراغة « إهناس » إلا  
أنهم كانوا في الواقع أعظم منهم قوة وأعز نفراً . وكانوا يعملون جهد طاقتهم  
على حفظ كيان الفرعون الذي أخذ في التداعي والإنيهار . وقد خلف لنا  
أمراء أسيوط الذين نحن بصددهم وثائق تاريخية هامة عن هذا العصر  
نقشوها على مقابرهم الضخمة ومن بين هذه النقوش ثلاثة خاصة بالعصر  
الذي تكلم عنه الآن . ومما يؤسف له أننا لم نوفق إلى الآن لترتيب  
هذه النقوش حسب مكانها في التاريخ . ولكن الظاهر أن الأمير الذي  
كان يقال بأنه « خيتي الثاني » ( كان أمراء أسيوط في هذا الحين يطلق على  
كل منهم اسم خيتي تيمناً بأسماء فراغة إهناس ) هو صاحب النقش الأول  
ولذلك يعتبر أول الأمراء الثلاثة ، ثم تبعه « تف إيب » ثم « خيتي الثاني » .  
ومهما يكن من أمر فإن نقوش « خيتي الثاني » تنبئنا عن عصره بأنه كان  
عهد رخاء وهدوء وسكينة مما جعله فريداً في زمن هذه الأسرة حتى ختامها .

وقد حدثتنا النقوش أن أمير مقاطعة أسيوط قد تربى وترعرع مع  
أولاد الفرعون وذكرت لنا بعض التفاصيل الغريبة فيقول هذا الأمير : « أن  
الفرعون أمر بتعليمي السباحة مع أطفاله » . وقد ذكر لنا أنه كان له جيش

وأسطول مؤلف من سفن عظيمة وقد جعلها في خدمة مليكه كلما اقتضت الأحوال ذلك ؛ وأنه قام بأعمال مجيدة لمقاطعته ، وأن البلاد أثرت في عهده إذ يقول : إن أسيوط كانت مرتاحة مطمئنة لإدارتي ودعى الإله لي أهل إهناس . أما « خيتي الثاني » فرعون البلاد فلا نعلم عنه شيئاً إلا أنه مات في سلام ودفن في قبره . تولى بعده الملك « خيتي الثالث » ومنذ اعتلائه أريكة البلاد قام بينه وبين أحد البيوتات الكبيرة في الجنوب نزاع كان له خطره عليه وعلى أخلافه بل وعلى مستقبل البلاد المصرية والعالم المتحضر في تلك الفترة . وقد كان مقر حكومة هذا البيت العظيم الذي ظهر في الجنوب بلدة طيبة وكان حاكماً في هذا العهد في الغالب هو « أتف » العظيم ( أتف عا ) ابن « أتف الأول » . مؤسس هذا البيت .

تولى  
« خيتي الثاني »  
الملك

وكان « أتف الأول » هذا هو الحاكم الحقيقي على المقاطعات الجنوبية لمصر وأن لم يكن يدعى لنفسه لقب الفراعنة والواقع أنه كان يحمل عدة ألقاب عظيمة وهي : النبيل بالوراثة حاكم مقاطعة طيبة ، والذي يشبع كل أغراض الفرعون ، وحارس بوابة الحدود ، وعمود الجنوب ، والحاكم الإداري ، والذي جعل كل أراضيه تحيماً ، ورئيس الكهنة . وهذه الألقاب كانت تمنح لكثير من عظماء الدولة المخلصين . وليس لدينا من المعلومات ما يجعلنا على الظن بأن « أتف » هذا كان غاضباً على الفرعون أو خارجاً عليه ، وبخاصة بعد أن علمنا أنه يحمل لقب « الذي يشبع كل أغراض الفرعون » . ورغم ذلك فإن ظواهر الأحوال كانت تدلنا على أنه ذو قوة عظيمة

« أتف عا » أول  
مؤسس لبيت طيبة

كما نشاهد ذلك في « خيتي الثاني » أمير أسيوط . وربما كان الفرق بين  
الأميرين أن « خيتي » أمير أسيوط كانت تربطه رابطة شخصية بفرعون  
إهناس ، إذ تربيا معاً في البيت الفرعوني أما الثاني فكان لا رابطة بينهما إلا  
ما يوجد بين الفرعون وأحد أمراء مقاطعاته . وفي الحق أنه لم يكن هناك  
ما يدعو أمير طيبة للخضوع لفرعون البلاد ولذلك كان يتحين الفرص ليشق  
عليه عصا الطاعة ويعلمن استقلاله . ولم يكن ذلك ليحدث إلا على يد  
أمير طموح وقد حانت الفرصة فعلاً عند ما تولى « أنتف العظيم » حكم طيبة  
وكان توافقاً للمعالي والعظمة كما يشعر اسمه بذلك . وكانت طيبة في هذا  
العهد تشغل مكانة ضئيلة من حيث الشهرة بالنسبة لما وصلت إليه فيما بعد .  
فكان سكانها في درجة منخفضة من حيث الثقافة إذا ما قرنت بالمدن الشمالية  
منها التي كانت دائماً على اتصال بالحركة العلمية في عهد الدولة القديمة .  
وكان لا بد أن تتغير هذه الحال وفعلًا بدأت في مراقي التقدم حتى وصلت  
إلى درجة من الحضارة لم تبلغها مدينة مصرية في كل عصور التاريخ المصري  
إلى أن تدهورت البلاد وضاع استقلالها . ومن المحتمل جداً أنه لم يمض  
طويل زمن على تولى « أنتف العظيم » حتى قامت المشاحنات بين فراغة  
إهناس وبين أمراء طيبة . وقد بدأ النزاع من جانب الفرعون كما ذكر لنا  
« خيتي الثالث » مظهرًا أسفه وحزنه على ما بدر منه وأن كان كل هذا  
قد حدث عفواً ولم يشعر بنتائجه حتى حلت الكارثة . وقد استقينا معلوماتنا  
عن هذا الحادث من تعاليم الفرعون « مري كارع » قلا عن بردية

مكانة طيبة في هذا  
العهد

تعاليم  
« الثالث خيتى »

تدعى ورقة « بطرس برج » ويرجع تاريخ كتابتها إلى حوالى عام ١١١٦ ق. م ) وهذه البردية قد وصلت إلينا منقولة عن نسخة يرجع تاريخها للأسرة الثامنة عشرة . وقد عزي المؤرخون تأليف هذه التعاليم إلى الفرعون « خيتى الثالث » وقد كتبها ينصح بها إبنه « خيتى الرابع » ويعلى عليه تجاربه حتى تكون درساً له . وفى هذه الوثيقة نجد أشارتين إلى سبب النزاع الذى قام بين « خيتى » ملك إهناس وأمير طينة الذى كان يعد من رعاياه فى الظاهر ؛ فى الإشارة الاولى نجد « أن مصر تحارب فى الجبانة وتخرب المقابر . . . وقد فعلت ذلك نفسى ، وقد حدث ذلك فعلاً . وهذه إشارة الى انتهاك حرمة المقابر ولا بد أنها تشير الى مدينة طينة المقدسة ويقول عنها الفرعون : إننى استوليت عليها بالهجوم كالصاعقة . وبعد ذلك بقليل يقول خيتى : تأمل لقد حلت فى زمنى كارثة خربت احياء طينة . وقد حدث ذلك فعلاً وقد كنت انا السبب وقد احسست بجرمى بعد أن اقترفته وكان ذلك من سيئاتى فاحذر ذلك لانه من عمل سيئة يجزى مثلها . والواقع اننا لا نعلم ما جرى بالضبط لأن المتن غامض ولكن يمكن أن نقرأ بين السطور ما يأتى : كان كل من « خيتى » فرعون إهناس و « أتف » العظيم امير طينة يدعى لنفسه السلطان على طينة والعرابة المدفونة التى تناخها . فكان الفرعون يوء آزره « تف إيب » أمير اسويط يعتقدان أن هاتين البلدين يعدان حصن باب الجنوب لاملأكهما . أما « أتف العظيم » فكان يراها الباب المؤدى الى الشمال لاملأك الفرعون . ومن المحتمل جداً أنه قامت

بعض مشاحنات بين القابضين على إدارة تلك الجهة من كلا المتعادين ، مما أدى إلى نشوب حرب وجعل « خيتى » يشير فى تعاليمه لابنه عن هذا الحادث المؤلم . اذ كانت نتيجته أن نهبت المقابر الفرعونية المقدسة التى كانت فى تلك الجهة . وقد حزن « خيتى الثالث » لأرساله الجنود الذين ارتكبوا تلك الفظائع . وقد شعر بجرمه غير أنه لم يكن يعلم الحقيقة إلا بعد وقوعها ، ولا غرابة فإن كل البلاد لا بد قد ارتاعت من تخريب الاماكن المقدسة التى كانت تعد اقدس بقعه دينية فى البلاد المصرية قاطبة . وقد انتهز « أتف » هذه الفرصة للكيد لعدوه ؛ إذ حمّله مسئولية تخريب الاماكن المقدسة ونهبها على جنوده وأعولته مما أشعل نار الغضب فى قلوب الرأى العام ضد « خيتى » مناهضه . ومن هذا العهد نجد أن « أتف » أخذ يحمل لقب « حور » الفرعوفى فسمى نفسه « حور واح عنخ أتف عا » . وقد قام « أتف العظيم » هذا بحملة نيلية فى أسطول سار به شمالا مظهرًا العصيان الصريح ضد فرعون البلاد وكذلك لينتقم لنفسه وشرفه ودينه ؛ ولكن محاولته هذه كان مآلها الفشل التام ؛ وفى ذلك يقول أمير أسيوط : إن أول مرة حاربت فيها جنودى المقاطعات الجنوبية طاردوا فيها الأعداء إلى أقصى الحدود الجنوبية ؛ وعند ما وصلت إلى المدينة هزمت العدو وأقصيته حتى حصن باب الجنوب . وقد حاول قائد « أتف العظيم » كرة أخرى أن يغير على بلاد الفرعون فكان نصيبه الفشل التام والهزيمة المنكرة وقد قصّت القوش علينا ذلك قولا عن أمير أسيوط عضد الفرعون

سبب الحرب بين  
« خيتى » و « أتف »

ظهور « أتف العظيم »  
وتلقيه بلقب الملك



الاعظم إذ يقول : « وقد جاء آخر كآنه الفهد المفترس بجيش ثان مؤلف من أحلافه فخرجت لملاقاته ولم أتوان لحظة عن منازلته في سفنى وقد حاولت استخدام ريج الشمال وريج الجنوب وكذلك الريح الشرقية والريح الغربية حسب الأحوال الجوية . وقد انتهت هذه الحرب بأن غرق العدو وسفنه في النيل وكانت جنوده تفر كالثيران عند ما تهاجمها الحيوانات الوحشية رافعة ذيولها إلى الأمام » . وتعد هذه الموقعة الأولى من نوعها في المواقع البحرية في التاريخ ولا غرابة إذا كان أمير أسيوط يفخر بها . والواقع أن أهالى الصعيد كانوا في حاجة ماسة إلى رجل قوى الشكيمة ليصدم ويكبح جماحهم وينذيقهم الذل والهوان وقد قيّض الله لهم « أنتفعا » ( أنتف العظيم ) في حينه . وقد كان من سوء طالع « تف إيب » وسيد فرعون إهناس أن أمير طيبة لم يخضع لها حتى بعد أن هزم في الواقعتين السالفتين بل سار بجيشه شمالا ككرة أخرى ، وفي هذه المرة يقص علينا « أنتفعا » ما حدث بنفسه إذ يقول : « لقد جعلت حدودها الشمالية ( أى مملكته ) حتى إطفيح وقد رسيته بسفنى عند الوادى المقدس واستوليت على كل مقاطعة طينة وفتحت معاقلها وجعلتها باب الشمال لأملاكي بعد أن كان « تف إيب » قد اتخذ منها حصناً لباب الجنوب بالنسبة لأملاك فرعون إهناس .

أول موقعة بحرية  
في التاريخ

إنتصار « أنتف »  
العظيم على « تف  
إيب » و « خيتى »

أما « خيتى الثالث » فكان لا يزال يشعر بوخز ضميره وكانت ترتعد فرائضه في قصره بإهناس كلما فكر في جرم انتهاك حرمة الأملاك

المقدسة وبخاصة إذا علمنا أنه كان رجل تقى وورع . ولقد ظهر أثر ذلك فى تعاليمه لأبنه إذ يقول : « إن الضربة تقابل بمثلها » . والواقع أنه ربما كان يظن أن « أتف عا » قد قابل فعلته « خيتى » بمثلها واستفاد منها أيضاً . وهذا ما يقرره الواقع ؛ إذ نرى أن « خيتى » قد فقد سلطانه على بلاد « أتف العظيم » وفى الوقت نفسه كان يشعر بالآم نفسية لما أحاق بطينة والعرابة من التخريب والنهب يضاف إلى ذلك أن هذه البقاع المقدسة أصبحت مغلقة فى وجهه ؛ وكان لزاماً على كل مصرى بعد موته أن يحجج إلى تلك الأماكن المقدسة التى كانت تعد بمثابة طريق إلى الجنة فى السماء . وقد أحزنه حرمانه ذلك ولكنه رضى الواقع ، وعدّه عقاباً من الإله على ما ارتكبه فى حياته ضد هذه البقعة الطاهرة المقدسة ؛ ومن المدهش أن الفرعون « حور واخ عنخ أتف عا » لم يتقدم فى سيره فى الغزو بعد استيلائه على طينة والعرابة ؛ وربما يعزى ذلك إلى أنه كان من الرجال العظماء الذين لا يغالون فى أطعامهم ويعرفون متى يجب أن يقفوا عند حدودهم . وقد كان صمم على أن يمحو عن نفسه عار انتهاك حرمة الأماكن المقدسة حتى بعد أن هزم دفتين . والآن وقد واثاه الحظ وانتصر على عدوه نصراً لم يكن يحلم به فعقد معه صلحاً وكفّ عن دفع الجزية التى كان يحملها سنوياً للفرعون فى إهناس وسمح له أن يستخرج ما يلزمه من حجر الجرانيت من محاجر أسوان التى كانت ضمن المقاطعات التى تحت سلطانه . وقد رضى بذلك « خيتى الثالث » ونصح لخلفه

انتصار « أتف عا »  
العظيم ومقد صلح  
مع « خيتى »

بأن لا يهاجم عدواً أقوى منه وأكثر بطشا وسلطاناً . وقد أشار إلى ذلك مرات عدة في تعاليمه . إذ يقول : لا تحلن أسباب عدا بينك وبين الأرض الجنوبية لأنتك تعلم ما تنبأ به مقرر الملك من هذه الناحية . وقد يحدث ذلك كما حدث فعلاً ( أى هزيمة نفسه ) . كن لين الجانب معها لأن ذلك خير للمستقبل ، كن على وئام مع الأرض الجنوبية وبذلك يأتى إليك القوم محملين الهدايا . وقد قفيت فى ذلك أثر الأجداد . ورغم أنه ليس لديها ما تقدمه لك من القمح فإنه من الخير أن تبقى وأن يظهر أهلها لك الضعف والاستكانة . واقنع بما عندك من خبز وجعة ( أى لا تحرك هؤلاء القوم ضدك للشر ) يجعلهم يدفعون إليك الجزية . هذا إلى أن الجرائيت الأحرى يأتى إليك دون عائق ( أى يجب عليك أن تحمد الله على هذا لأنه فى يدهم ) . ومن المدهش أننا نرى أن هذا الفرعون المسن يشير فى تعاليمه إلى عادة كانت فاشية فى مصر فى كل عصورها وكانت تعد من أكبر الجرائم التى كان يقتربها الفراعنة والأفراد على السواء وأعنى بذلك أن يستولى على ما قام به الفراعنة وغيرهم من عليه القوم من المباني والتخلفات التى كانت كمقابر أو معابد لهم دون مراعاة حرمة فى ذلك . ولعمري لو كانت نصيحة الفرعون « خيتى » هذه قد أصى إليها أخلافه لتغير وجه التاريخ المصرى تغيراً عظيماً من الوجهة ( الممارية ) والتاريخية فكم من مبان عظيمة اختفت نهائياً وكم من وثائق تاريخية كانت منقوشة عليها ضاعت إلى الأبد ولو وعى مثل هذه النصيحة

الملك ينصح باحترام  
المباني الدينية وعدم  
اغتصابها

« رعسيس الثانى » ومن بعده « مفتاح » ابنه لعرنا كثيراً من تاريخها على الوجه الحق فيقول « خيتى » : لا تعتدين على آثار غيرك بل إقطع لنفسك أحجاراً من طرة ولا تشيدن قبورك من أقاض غيرك . . ولكن « خيتى » كان رجلاً عاقلاً حكته التجارب مفعم قلبه بالتقى ولم يكن نداؤه هذا إلا صوت رجل ينادى فى الصحراء ولم يعمل به أحد . ففضى الأمير والفرعون كل فى طريقه يحترق وينهب معابد أسلافه ومقابرهم كما دعت مصلحة إلى ذلك . بعد أن برأ « خيتى » نفسه أمام ربه من الذنوب التى ارتكبها فى الوجه القبلى أخذ ينصح ابنه شارحاً الحالة التى كانت عليها أجزاء البلاد الأخرى . والواقع أنه وإن كان قد أساء التصرف فى الجنوب إلا أنه عزى نفسه بتحسين الأحوال فى الدلتا إذ يقول : لقد هدأت كل الجهات الغربية إلى حافة البحيرة . وكذلك ساد الأمن الجهة الشرقية من الدلتا ، حيث كانت الأحوال قد ساءت قسمتها مراكز ومدن وأصبحت السلطة التى كانت فى يد حاكم واحد فى أيدي عشرة ( الظاهر أن أمراء الدلتا وأشرافها الذين كانوا يشعرون بقوة أكثر مما يجب قد أخضعوا ) ، فصاروا يقدمون الآن كل أنواع الضرائب وأصبح الكهنة يملكون الحقول والضرائب تجبى لك دفعة واحدة . ولن يحدث أن يأتى أعداء أشرار ولن يأتى النيل منخفضاً فتتأثر البلاد بسببه وسيكون لك محصول بلاد الدلتا . أما فى شرق الدلتا فإن الفرعون المسن كان يشعر أنها أمة مطمئة بعض الشيء ؛ وما ذلك إلا بفضل الميزات الخاصة التى كانت يمتاز

نظام الحكم فى الدلتا  
فى عهد « خيتى »

بها العرب الرحّل وكانت هذه الصفات سليقة في نفوسهم وما زالت منذ القدم باقية فيهم لم يطرأ عليها أى تغيير إلى يومنا هذا إذ يقول : تأمل لقد وطدت سلطاني في الشرق فصارت الحدود من « هيتو » إلى ممر « حور » معمورة بالمدن الآهلة بالسكان من صفوة رجال البلاد وخيرتها وما ذلك إلا ليصلدوا غارة الأسيويين . . . وقد ذكر هذا كذلك للأقوام المتبربرين : « إن الأسيوى الخاسى أينما حل يتبعه الشقاء في الأرض التى يحل بها حيث الماء الآجن ولا يمكن المرور في أرضه بسبب كثرة أشجارها وكذلك الطرق فإنها وعرة بسبب جبالها وهو لا يسكن في مكان واحد بل يرخى لساقيه العنان ، ومنذ أقدم العصور فإنه يحارب ولكنه لا يهزم ولا يهزم ولا يعلن اليوم الذى سيثخن الغارة فيه » . ولعمري ليس هناك وصف أدق لأهل البادية من وصف « خيقى » لهم في هذه الجبل الموجزة .

« خيقى » يصف  
أهل البادية

وقد هدأ « خيقى الثالث » في نصائحه روع ابنه « خيقى الرابع » من جهة قوة أهل البادية الضعيفة الأثر في الحاق الضرر والأذى إذ يقول : « لا تتمن نفسك من جهته ( البدوى ) فإنه لا ينهب إلا مسكنا منزلا وليس في مقدوره ان يستولى على مدينة آهلة بالسكان » . ولقد كان الجنوب في الواقع هو مصدر الخطر الذى يهدد الفرعون المسن باستمرار إذ كان يعتقد أن أية ثورة تقوم ضده في مصر الجنوبية ستقضى قضاء عاجلا على كل الاعمال العظيمة التى قام بها في الدلتا اللهم إلا اذا اتخذ العدة في

الدلتا نفسها وقد كان فعلا بعيد النظر من هذه الوجهة إذ أقام عدة مدن محصنة ، الغرض منها كبح جماح أى إقليم يقوم بثورة أو عصيان . وقد كتب لابنه فى نصائحه مشيرا إلى ذلك فيقول : إذا قامت بلادك من جهة الجنوب بثورة فإن ذلك يكون حافزا لقيام الأجانب فى الشمال بحروب ضدك فعليك إذن أن تقيم مدنا فى الدلتا . ولا يكون اسم الرجل صغيرا بما فعله من جلائل الأعمال ؛ والبلد الآهلة بالسكان لا تمس بسوء ، فابن مدنا . والواقع أن « خيتى » كان يقدر حرج مركزه اذ كان يقع بين شرين : أهالى الجنوب فى الصعيد والبدو فى الشمال ؛ ولذلك اتبع سياسة حكيمة لم تتح لابنه فرصة إقتنائها من بعده .

ولا نزاع فى أن أغرب شئ فى تعاليم الفرعون « خيتى الثالث » هو نصائحه لابنه فى كيفية إدارة سكان البلاد سياسيا إذ يقول : أما من جهة الرجل الذى له اتباع عدة وتنتظر اليه عبيده وخدمه بعين الحب والمودة ويتكلم كثيرا « فاقض عليه ، واقتله ، وامح اسمه واقتلع ذكراه وذكرى أتباعه الذين يحبونه ؛ لان الرجل المشاغب يكون دائما مصدرا للقلق بين سكان المدن . وهو الذى يخلق فريقين متنافرين بين الشباب ، وإذا رأيت الشبان ينضمون اليه فما عليك إلا أن تذكر اسمه امام رجال البلاط ثم اقض عليه اذ هو فى الواقع عدو أيضا » .

سياسة القضاء  
على أصحاب الجاه فى  
البلاد وقت الشدة

ولا نزاع فى أن هذه هى السياسة الحازمة فى مثل هذه الأوقات المضطربة ، ولكن بكل أسف لم يكن لدى « خيتى الرابع » الفرصة ليستفيد

إنشاء مدن محصنة  
فى الدلتا

من هذه التصامح وتجربها في الحياة وقد كان « خيتي » يرى أن يكون رجال الحكم من عديم كرامة وعفة وطهارة ذيل ويعود فيقول ناصحا ابنه: « اجمل مستشاريك عظماء حتى ينفذوا قوانينك لان الرجل الغني في بيته لا يتحيز في حكمه ، وذلك لانه مثر فلا يحتاج الى شيء ، ولكن الرجل الفقير لا ينطق بالحق ، والحاكم الذي يقول ليت لي ، لا يكون عادلا ، اذ ينحاز الى من يغريه بالمال . وعظيم الرجل العظيم الذي يكون مستشاروه عظماء . وقوى ذلك الفرعون الذي له محكمة ( من الطراز الصحيح ) . تكلم الصدق في بيتك حتى يخافك الأشراف الذين يتسلطون على البلاد ، والسيد الذي له قلب سليم تصلح أحواله . وما في داخل البيت هو الذي يوحى بالرهبة في خارجه » .

مياسة انتخاب  
المستشارين

وكذلك نلاحظ في هذه التعاليم أن « خيتي » يرى الإله موجودا في كل امور الناس ؛ وقد اتخذ ذلك اساسا لاعتداله في الحياة فيقول : « إحذر ان تعاقب إنسانا خطأ ولا تقتلن احدا فان ذلك لا يجديك نفعا ، وعاقب بالضرب والسجن ( من لا يمكن اصلاحه ) والإله يعرف الشقي وينتقم منه بأشد العقاب ( على ذلك فالعقاب المحتم يمكن تركه لله ) والإله يقول : إني انا المنتقم وسأعاقب كلا بذنبه . وعلى الإنسان ان يعمل كل ما يريد ؛ على ألا ينس الحساب الأخير عند ما يشرف « تموت » إله الحكمة على المحاكمة . والقضاة الذين يقتضون للمظلوم يوم القيامة فإنك تعلم بأنهم ليسوا متهاونين في ذلك اليوم الذي يقضون فيه للتعس وبخاصة عند ساعة

الله في كل شيء

النطق بالحكم . ولم تكون الطامة كبرى اذا كان المتهم هو الواحد الحكيم . ولا تعتمد على أنك ستعمر سنين عدة فإنهم ينظرون الى مدى حياة الإنسان كأنه ساعة زمن . ويعيش الإنسان بعد الموت وتكون اعماله بجانبه مكدسة . وسيبقى هناك أبد الآبدين ، وانه لأحق من يستخف بهم ( قضية قاعة العدل ) . اما الإنسان الذى يدخل عليهم دون أن يرتكب خطيئة فإنه سيبقى هناك كإله ويتقدم امامهم بخطى ثابتة إلى الامام كإله الأبدية . هذه هى تعاليم الفرعون « مرى كارع خيتى » وتعد من أعظم الذخائر العلمية التى عثر عليها وبخاصة فإنها تلقى ضوءاً على مستوى الفكر الإنسانى فى هذا العصر وعن الفكرة التى كان ينظر بها الفرعون فى طريق حكم البلاد . ومن المحتمل أن قارىء هذه التعاليم ربما يحكم على « خيتى الثالث » بأنه كان فرعوناً مذنباً أمام الله لإيهاكه حرمة طينة المقدسة ، ولذلك أراد أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والغفران . على أنه فى الواقع لم يمتز عن باقى فراعنة مصر الذين سبقوه فى شىء من الأمور الدنيوية ، ولكنه كان رجلاً يمتاز بأخلاقه الدينية وصلاحه . ورغم كل ذلك فإن الصورة التى رسمها لنا تعد من أحسن الصور التى تصور لنا فرعوناً وليس لدينا ما يفوقها إلى الآن فى مخلفات المصريين وحققاً إنها رغم قناص مؤلفها الظاهرة تشعرنا بعد قراءتها بأننا قربنا من فهم صورة الفرعون الإنسان ، لا الآلة الحكومية .

أعمال الانسان  
تشفع له يوم الحساب

اخلاق « خيتى »  
ومركزه فى التاريخ

ومما يؤسف له جد الأسف أن إينه « خيتى الرابع » لم يستفد من نصائح



والده وتجاربه ولم يكن ذلك عن ضعف منه ، بل لأن مركز إهناس كان مزعزعاً رغم مؤازرة أمراء أسيوط لها . وكل مالدينا من الوثائق التاريخية عن آخر فرعون في الأسرة التاسعة وصل إلينا من نقوش « خيتي الثاني » ابن « تف إيب » أمير أسيوط . وقد نقا هذا الأمير خطوات والده واستمر يعضد عرش إهناس الذي كان في حاجة لكل مساعدة . ولا نعلم كيف بدأ هذا النزاع بالضبط من نقوش « خيتي » . والظاهر أن القلاقل التي قامت ، كانت قد بدأت في عاصمة البلاد نفسها أي في إهناس ؛ ثم تخطتها إلى الجهات الأخرى غير أن أمير أسيوط بقي في خلال ذلك على ولائه للملك وسار بجيشه وأسطوله النيل فقوى عرش البلاد الذي كان آيلاً للتداعي . وكان أول عمل قام به أن أخضع الثورة التي كانت في إهناس نفسها ، وبعد ذلك سار الفرعون وأمير أسيوط نحو الجنوب بجيشهما حتى الحدود . والظاهر أنهما هدا الأحوال هناك مؤقتاً ثم عاد الفرعون المنتصر وحليفه أمير أسيوط إلى الشمال . وقد كان أسطولهما العظيم يغطي النيل مسافة عدة أميال كما يرويهِ أمير أسيوط . إذ يقول : « لقد أدبت مصر الوسطى وذلك طلباً لمرضاة ( الفرعون ) وأصبحت كل البلاد تدين له ( كما دان له ) أمراء مصر الوسطى وعظماء إهناس وإقليم سيدة الأرض ( الإلهة المحلية ) وهم الذين جاءوا ليكبحوا جماع المسى . وقد كانت الأرض في ذعر واستولى الخوف على مصر الوسطى . وكان كل الأهليين في وجل والقرى في فزع وتسرب الخوف إلى أعضائهم أما موظفو العرش

فكانوا فريسة للخوف والمقربون ضحية للذعر في إهناس ( أى أن العصيان كان بين كبار رجال البلاط ) وكانت البلاد تحترق بليبيها . . . . . ولم يحدث أن مقدمة الأسطول وصلت إلى « شطب » على حين أن مؤخرته كانت لا تزال في ( ٤ ) ولقد نزلوا بالماء ورسوا في إهناس وجاءت المدينة فرحة مستبشرة بسيدها وابن سيدها . واختلط الرجال بالنساء والشيوخ بالأطفال . وقد كان هذا البصيص من النجاح آخر ضوء سطع على أسرة إهناس الفرعونية ثم تلتها فترة هدوء وسكنية وطمانينة كأنها برق خلّب قام في خلالها ولاية الأمور ببعض أعمال عامة في البلاد ، ففي مدينة أسيوط أقيم معبد للإله « وبوات » الإله المحلى للمقاطعة ( معناه فاتح الطريق أو دليل الموقى ) أما الفرعون فإنه شيد هرمًا له بسقارة وصنع لنفسه تماثلاً . ومن المحتمل أن أمير أسيوط قد مات في خلال تلك الفترة دون أن يرى نكير الشر الذى كان يقترب من البلاد إذ أن ختام نقوشه يدلنا على اقتراء والخير والصلاح الذى كانت تنعم البلاد فيه فيقول : « إن إله مدينتك يحبك ، أنت يا خيتي تف إيب » . . . . ما أسعد ما حدث في وقتك ، والمدينة راضية عنك ، وما كان قد أخفى عن الناس فإنك قد قبلته علنا حتى يقدم هدايا لمدينة أسيوط حسب رأيك فقط . وكان كل موظف قائماً في عمله ، فلم يكن هناك من يحارب أو من يفوق سهما . لم يهن الطفل على مرأى من والدته ، ولا المدنى على مرأى من زوجه . لم يكن هناك مسىء في . . . ولا إنسان يرتكب أى عنف في بيته ، وإله

وصف ثروة أسيوط  
ورغبتها في عهد  
« خيتي تف إيب »

ظهور أول ملوك  
الأسرة الحادية  
عشرة

مدينتك هو والدك الذى يحبك ويرشدك » . وفى خلال هذه المدة توفى « أتف العظيم » وخلفه إثنان من الأمراء حكم كل منهما مدة قصيرة حدث فى خلالها بعض قلاقل واضطرابات . ثم خلفها فرعون يدعى « متوحتب الثانى » . وقد جاء فى نقوش له عثر عليها فى « الجبلين » أنه قبض على أمراء الأرضين وأنه المسيطر على الجنوب والشمال وعلى الأرض المرتفعة وعلى القطرين وعلى قبائل البدو التسع وعلى الأرضين . ومن ذلك نعلم أن المصيبة التى حاقّت بفراغة بيت إهناس الذين حكموا مصر فى عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة لا بد أنها حدثت فى المدة التى ظهر فيها « متوحتب الثانى » فرعوناً على عرش مصر فى طيبة . .

وليست لدينا معلومات عن كيفية حدوث هذا التغير وكل ما نعلمه أن « مانيتون » ذكر لنا أن الأسرة العاشرة فى إهناس كانت تتألف من ١٩ فرعوناً حكموا البلاد نحو ١٨٥ عاماً . وهذه معلومات لا يعتمد عليها قط إذ ليس لدينا من الآثار ما يثبتها ، وكل ما وصل إلينا من مخلفات هذه الأسرة من الآثار ثلاث جمارين بإسم ملك يدعى « شنيس » ويحتمل أن يكون من فراغة هذه الأسرة . والواقع أننا فى هذه الفترة نواجه عهداً كانت البلاد فيه منقسمة ضد نفسها ولم يكن هناك دواء ناجع للقضاء على عللها إلا حروباً داخلية تطهر البلاد وتمكن بيت طيبة الناشئ الفتى من بسط نفوذه ووضع البلاد تحت حكم سلطة قوية منظمة تسير بها نحو الفلاح والمجد .

الحاجة إلى حكومة  
حازمة

## مراجع التاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة

تنقسم مراجع تاريخ مصر فى عهد الدولة القديمة قسمين . مصادر أصلية وهى النقوش التى عثر عليها منذ حل رموز اللغة المصرية وقبلها ؛ ثم مصادر ثانوية وهى الكتب التى استنبطها علماء الآثار والمؤرخون من هذه النقوش ونظموها على شكل تاريخ للبلاد متابع حتى بداية الفتح الفارسى للبلاد عام ٥٢٥ ق . م .

ويرجع الفضل فى جمع كل النقوش التاريخية المصرية منذ ظهور الكتابة حتى الفتح الفارسى وتنظيمها وترجمتها إلى الإنكليزية ، إلى الأستاذ « جيمس برستد » جمعها فى خمسة مجلدات ، ولم يترك شاردة ولا واردة خاصة بالتاريخ إلا وضعها فى مؤلفه هذا . وقد كان أكبر مساعد له على جمع هذه النقوش وترجمتها بطاقات قاموس اللغة المصرية الذى كان ولا يزال يؤلف فى برلين . إذ منذ عام ١٨٩٧ . أخذ المجمع العلمى الألمانى يجمع مواد من كل متاحف العالم وما كشف من الآثار المصرية حتى يومنا هذا وقد ظهر أول جزء منه فى عام ١٩٢٥ تقريبا وتم الآن طبعه وقد اشترك فى جمع مواد أكثر من ثلاثين عالما كل فى اختصاصه ، وقد جمع الأستاذ برستد ما هو خاص بالتاريخ من بين هذه المواد الضخمة فى كتاب سماه : Ancient Records of Egypt. 5 Vol. Chicago, 1906. ولم يترك أى نقش خاص بالتاريخ معروف لديه إلا دونه . والجزء الأول

منه جمع فيه كل نقوش الدولة القديمة حتى عام ١٩٠٥ ( من صفحة ٥١ - ١٩١ ). وبعد هذا التاريخ ظهرت نقوش عدة من الحفائر التي عملت في منطقة سقارة وأهرام الجيزة - وقد جمع كل هذه النقوش الأستاذ « زيه » في مجلد خاص حسب ترتيبها التاريخي تحت اسم : « وثائق الدولة القديمة » ، Urkunden des Alten Reiches, Leipzig, 1932. والواقع أن هذا الكتاب أكبر مصدر عن تاريخ الدولة القديمة وتوجد ترجمة معظم نقوشه في كتاب « وثائق التاريخ المصري » للأستاذ برستد السالف الذكر .

يضاف إلى ذلك بعض نقوش لم تطبع بعد ، كشف عنها في منطقة الأهرام وفي سقارة وقد أشرنا إليها في خلال كلامنا عن تاريخ الدولة القديمة . أما أهم المصادر الثانوية التي يمكن الاعتماد عليها في تاريخ الدولة القديمة فهي ما يأتي :

1. J. Pirenne. Histoire des Institutions de l'Ancienne Egypte, 3 Vol. Bruxelles 1935.

بحث القانوني « بين » في هذا المؤلف المتع كل الأنظمة المصرية الحكومية في عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة ، وقد استند في استنتاجاته على النقوش المصرية وهذا الكتاب يعد فريدا في بابهِ إذ لم يترك بابا من نواحي الأنظمة المصرية إلا تناوله بكل دقة ومهارة من البداية حتى النهاية ، اللهم إلا بعض هفوات صغيرة لا تقلل من قيمة مؤلفه .

2. Breasted, A history of Egypt. 1905.
3. « A history of the Ancient Egyptians, 1908.

(١) كتب الأستاذ « برستد » الكتاب الأول : مطولا عن تاريخ مصر مستندا إلى المصادر الاصلية التي جمعها في مؤلفه العظيم .

(٢) ثم كتب مختصراً له مستندا نفس المصادر . وما كتبه الأستاذ برستد عن تاريخ مصر يعد أكبر مصدر يمكن الاعتماد عليه ، ولكن منذ آخر طبعة ظهرت آثار جديدة جعلت كتبه تحتاج إلى تغيير غير أن المنية عاجلته منذ عامين قبل أن يدخل التغييرات على كتبه . وكان آخر ما كتبه في التاريخ بعض فصول عن تاريخ مصر في كتاب :

4. Cambridge Ancient history, 1924-36.

وقد كتب في هذا المؤلف بعض علماء الآثار عدة مقالات . عن تاريخ مصر القديم فخص بالذكر منهم الأستاذ هول Hall ، والأستاذ إدوك بيت Eric Peete .

5. Ed. Meyer. L'Egypte jusqu'à des Hyksos. Paris, 1914.

هذا الكتاب يعد من أحسن الكتب التي ألفت عن مصر في عهد الدولتين القديمة والمتوسطة . وقد ترجمه إلى الفرنسية عن الألمانية الأستاذ « موريه » A. Moret .

6. Maspero, The dawn of civilisation Egypt & Chaldaea, Translated by Sayce, London, 1910.

وقد كتب في هذا المؤلف الأستاذ « مسيرو » فصولاً ممتعة عن تاريخ مصر في عهد الدولة القديمة ، وترجمه إلى الإنكليزية الأستاذ « سايس » . بعد أن أضاف إليه كل المعلومات الجديدة التي ظهرت في عالم الآثار بعد الطبعة الأولى الفرنسية . وهو يعد من أكبر المصادر الغزيرة المادة في

التاريخ المصرى .

7. Gauthier, Précis d'Histoire d'Egypte, le Caire, 1932.

هذا المؤلف قد كتبه عدة علماء ولكن الجزء الفرعونى منه اختص به الأستاذ « جوتييه » من صفحة ٥١ - ٢٥١ وهو مختصر لا بأس به عن تاريخ الفراعنة .

والجزء الأول منه خاص بالدولة القديمة .

8. Petrie. A history of Egypt, 3 Vol. London.

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بكثرة المصادر التى يذكرها فى أول كل باب أو أول حكم كل ملك .

9. Weigall, A short history of Egypt, London, 1934.

يمتاز كتاب الأثرى « ويجول » بأنه من نوع التاريخ السهل الممتنع ولكن مؤلفه يترك لنفسه الخيال كثيرا فى موضوعات شتى لا تتركز على أصل تاريخى

10. Moret, L'Egyte Pharaonique dans Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne, t. II Paris, 1932.

هذا المؤلف تناول تاريخ مصر فى العهد الفرعونى ، ويمتاز بأنه قد تناول موضوع الدين المصرى فيه أكثر من أى شئ كما هو عادة مؤلفه فى كل كتبه .

11. Weidmann, Ägyptische Geschichte, Von den Ältesten zeiten bis zum Tode Tutmes III, Gotha, 1884.

وقد جمع فيه تاريخ مصر باختصار ويمتاز بكثرة مصادره .

12. James Baikie, A history of Egypt, Vol II, London, 1929. From the earliest times to the end of the XVIIIth Dynasty.

يمتاز كتاب المستر « ييكى » بأنه يتركز فى معلوماته على المصادر الأصلية ثم يحللها وإن كان أحيانا يخطئ فى النقل . وعلى العموم فهو من الكتب القيمة فى عهد الدولة القديمة .

13. Junker Delaporte, Volker des Antiken Orients Freiburg im Breisgan, 1933.

كتب الأستاذ « ينكر » فى هذا الكتاب الجزء الخاص بمصر تحت عنوان : Geschichte der Aegypter فى ١٧٤ صحيفة وقد ضمن فيه كل آرائه الخاصة عن التاريخ المصرى القديم .

والجزء الخاص بالدولة القديمة يحتوى على نواح جديدة فى التاريخ المصرى وبخاصة عهد وانتقال الحكم من الأسرة الرابعة للأسرة الخامسة .



## مقاطعات الوجه البحرى

رمز المقاطعة <sup>(١)</sup>	آلة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليونانى
١- «إنب حز» أجدار الابيض	المجل أيس، الإله فتاح، الإلهة سخمت، الإله نفرتم، ثم إله الجبانة «سكر»	«إنب حز» ثم «من نفر» البدرشين، وميت (رهينة)	Memphis منفيس
٢- «دواو» الفخذ	الصقر المخطط، «حور خنتى إزتى»	«سخم» (هيكل الإله حور) بلدة أوسيم الحالية	Letopolis ليتوبوليس
٣- «إمن» (الغرب) ريشة نعام	«أمنى»، إلهة الغرب وعلى رأسها ريشة	«بجدى» دمنهور الحالية	Hermopolis Parva هرموبوليس برفا
٤- سما الجنوب	الإلهة «نيت»	«زكا» (بالقرب من منوف ؟)	Prosopites بروزويتيس
٥- سما الشمال	الإلهة «نيت»	«ساو» صالحجر	Sais سايس
٦- «كاخاست» ثور الصحراء	الإله «رع» «آمون رع»	«بوتو» (ابطو ؟) تل الفراعين	Xoïs اكسوويس (سحا)
٧- الخطاف الغربى	(١) «حا» إله الجبل (٢) الثالوث اوزير وإزيس وحور الطفل	«برحانب أمنى» (فوه ؟) بيت الإله «حا» (سيد الغرب)	Metelis ميتليس (فوه)

(١) رسم رمز كل مقاطعة موجود على خريطة الوجه البحرى والوجه القبلى المرفقتين بالكتاب

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
٨- الخطاف الشرق	الإله «آتوم»	(١) تكو (٢) «برآتوم» (بيت آتوم) بالقرب من أبي الهول؟	Patamos. Pithom Heroonpolis بتاموس «بتوم» «هيرون بوليس» (بيت الإله حورون)
٩- «عنزى» = الحامى	إله على رأسه زيشتين يسمى «عنزى» ثم الإله «أوزير»	«برأوزير نب زد» (بيت أوزير سيد «زد»)، أبو صير القريبة من سمود	Busiris «بوزيريس»
١٠- «كمور» الثور الأسود العظيم	«حور خنتى خت» (حور الذى يسيطر على الجسم المقدس)	«حت تا حزى» إب «(قصر الإقليم الوسط) بنها الحالية	Athribis اتريبيس (تل إتريب الحالية)
١١- «كاحسب» = ثور حسب	«حور مرقى» والثور العظيم	«حسبت» (شدنو) هر يبط	Pharboetus فار بوتس
١٢- عجل ثور	«أنحور» (أنوريس) والإلهة إزيس	«زبات تتر» (هيكل الإله) سمود الحالية	Sebennylos سبنوتس Iseum إزيوم
١٣- «حكا عز»	(١) الفتكس (٢) الثور متفيس (٣) آتوم (٤) رع والتاسوع	«إيون الشمالية» (عين شمس) ثم «بر رع» (بيت رع)	Heliopolis هليوبوليس

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
١٤- « خنت إيابتي » = نهاية الشرق	الصقر « حور »	« زبات مح مسنت » ثم « بجدت محت » « هيكل الوجه البحري » للإله « حور »	Sele Djalou زيله ( زالو ) تل ابو سفا ( تانيس )
١٥- « تحوت » « أييس »	الإله « تحوت »	« بر تحوت » تلة بلة ؛ ( البقية ؟ )	Hermopolis Parva هرمو بوليس برفا
١٦- الدرفيل	التيس « خنوم » ثم « أوزير »	« بر بان ب زد » ( بيت روح سيد زد )	Mendes منديس مل الربع الحالية
١٧- « محلق » معبد حور	« أنويس » ، ثم « حور » ، ثم « آمون رع »	« بجد » و « بر إيو إن إمت » ( بيت جزيرة آمون ) ( البلسون ؟ )	Diospolis Parva ديسبوليس برفا ( شرق بحيرة البرلس )
١٨- « إموختي » ( الطفل الملكي العلوي )	الإلهة « باست » ( القطعة )	« بر باست » تل بسطا الزقازيق الحالية	Bubastis بو بسطس
١٩- « إموبحو » ( الطفل الملكي السفلي )	الإلهة « وزيت » الإله « وبوات » الإله « حور الطفل »	« إمت » ثم « بوتو » ( تل نبيشة الحالي ) في الجنوب الغربي من صان الحجر ( تانيس )	Bouto « بوتو »

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
٢٠- « عخم » تمحط على سرير	« حور سبد »	« بر سبد » صفت الحنا	Arabia العرب
<b>مقاطعات الوجه القبلي</b>			
١- تاست أرض الإلهة « ست »	(١) الكبش «خنوم» (٢) الإلهة «ست» (٣) الإلهة «عنويت» (٤) الإله «ست»	« أبو » مدينة الفيلة ( أمبوس )	Elephantine الفتين
٢- «وتست حر» ( عرش حور )	(١) « حور حراخي » « حور بجديتي » (٢) الإلهة « حنور » (٣) «أحي» ابنها «حور» قاهر « ست »	« زبات بجديت » « مسنت » هيكل الوجه القبلي للصقر	Apollinopolis أبولونوبوليس ادفو
٣- «نخن ؟» ريشتان	(١) الإلهة «نخت» (٢) الإله «حور» (٣) الإلهة «نيت» «إيونيت» وهي أسنا	«نخب» على الشاطئ الأيمن للنيل و«نخن» على الشاطئ الأيسر ثم «إيونيت» وهي أسنا	التياسبوليس هراكنبوليس
٤- « واس » الصولجان عليه ريشة	(١) الإله « متو » (٢) « آمون رع » (٣) الإلهة «موت» على شكل نسرو الإله (٤) خنسو (القمر) ابنها	(١) « بر منتو » (أرمت) (٢) « إيون شمع » عين شمس الوجه القبلي (٣) « واست » مدينة الصولجان وتسمى « نت آمون » مدينة آمون ( طية )	Latopolis لاتوبوليس Hermonthis ( هرمنتس ) Diospolis magna ديو سبوليس بجنا - طية

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	اسم المقاطعة اليونانية
٥ - « تروى » الصقران	(١) « مين حور » (٢) إزيس الأم للإله « مين » « ست » و « نوبى »	« جتيو » بلد رجال القوافل قفط	Kop tos قبتوس Ombos أمبوس
٦ - « زام » التمساح وعلى رأسه ريشة	(١) « حتحور » ، (٢) « حور بجدى » ، (٣) « إيجى » ابنهما	« تايونوت تترت » عمود الآلهة	Tentyris تاتيريس دندرة
٧ - « سشت » رأس بقرة ثم شخصيخة	(١) « نبت حت » نفتيس (٢) « حتحور »	« حت » بلدة هو ( الحالية )	Diospolis parva . ديوس بوليس برفا
٨ « تا ور » الأرض العظيمة ثم « آب »	(١) « خنت - أمتى » (٢) أوزير ( فى الجبابة ) على شكل ذئب	( نبي ) : طينة الجبابة : « أبدو »	Abydos أيدوس العربة المدفونة
٩ « خم » صاعقة الإله « مين » ، والريشة	« مين »	« أبو » إخميم	Panopolis بانو بوليس
١٠ « وزيت » ثعبان على رأسه ريشة	البقرة « حتحور »	« زبقي » بلدة النملين (أبوتيج) : « بر وازت » بيت وازت فى الوجه القبلى ( كوم إشقوا الحالية )	Aphroditopolis أفروديتوبوليس
١١ « ست » حيوان الإله « ست » وفى رأسه سكين	(١) « ست » (٢) الكبش « خنوم »	« شاس حتب » شطب الحالية	Hypselis هيسيليس

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
١٢- « زوخت » جبل النعبان ، أو « زوف »	« حور نبتى » ، « حور » قاهر « ست » الآلهة « ميتيت » على هيئة لبوة	« بر حر نبتى » بيت حور نبتى قاو الكبير	Herakonpolis هرا كنبوليس Antipolis أنتيوبوليس
١٣- « آتف خنت » شجرة البطم العليا	« وبوات » لمصر العليا	« ساوتى » ( سيوط )	Lycopolis ليكو بوليس
١٤- « آتف بجوت » شجرة البطم السفلى	« حتحور »	« جسا القوصية »	Kousai كوساى
١٥- « ون » الأرنب البرى	« تحوت »	« ونت » بلدة الأرنب البرى ، « غنو » بلدة تحوت الأشمونين الحالية	Hermopolis Magna هرمو بوليس مجنا
١٦- « ماحز » وهى المها الأبيض يحمل الصقر فوق ظهره	« حور » قاهر المها	« جنو » زاوية الميتين	Hibis هيبس
١٧- « أنوبس » ( على ظهره ريشة )	( ١ ) « أنوبس » ( ٢ ) « حور »	« كاسا » القيس الحالية « حت نيسوت » قصر ملك الوجه القبلى	Cynopolis كينوبوليس ( سينو بوليس )

رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	إسم المقاطعة اليوناني
١٨- « سبا » صقر محلق	« حور »	« سبا » ثم « حت بنو » قصر الفنكس	Hipponos هيبونوس الحية الحالية
١٩- « واهو » الصوجلان	« ست » « ارو شبسس » ( الصورة الفخمة )	« واه سب موى » أو « بر مزد »	Oxyrhynkhos او كسير نيكوس الهنسا
٢٠- « نمرت خنت » ( شجرة النخيل أو الزمان العليا )	الكبش « حشف » ( الذي على بحيرته )	« حنن نيسوت » بلد طفل الملك ( إهناسيا )	Herakleopolis magna هراكليو بوليس مجنا
٢١- « نمرت بجوت » شجرة النخيل أو الزمان السفلى	« حور » والكبش « خنوم »	« حدت » « برهدت » الفيوم « بيت التمساح » أو « سمن حور » (١) كفر عمار الحالية (٢)	Crocodilopolis كروكوديلوبوليس الفيوم
٢٢- « دمت » السكينة	« حتحور » « إزيس »	« بر حمت » بيت البقرة « حمت »	Aphroditopolis افروديتو بوليس الشمالية أطفيح الحالية

(1) J.E.A. vol. III, p. 142.

## فهرس (الجزء الاول)

الأهداء ، المقدمة . قائمة بأهم التواريخ

- الفصل الأول مقدمة عن تاريخ مصر وما قبل التاريخ - ٠٧ . مصر والنيل - ١٣ . عصور ما قبل التاريخ - ١٦ . العصر الأيولي أى عهد فجر العصر الحجري القديم - ١٧ العصر الحجري القديم - ١٨ . العصر الحجري الحديث - عصر بداية استعمال المعادن - ١٩ . مدينة العصر الحجري القديم - ٣١ . العصر الحجري القديم المتأخر - ٣٦ . العصر الحجري القديم الأعلى - ٤٧ . العصر المزيولي ( المتوسط ) - ٤٨ . العصر الحجري الحديث - ٦٣ . عصر بداية المعادن - ٦٩ . مدينة الوجه البحرى - ٧٠ . مدينة الوجه القبلى - البدارى - ٩٢ . ديانة عصر بداية المعادن - ٩٥ . الفن - ١١٢ . المدينة فى عصر بداية استعمال المعادن - ١١٦ . مراجع فصل ما قبل التاريخ - ١١٧ . المصادر العامة . ١٢٥ حل رموز اللغة المصرية القديمة - ١٤٠ . مصر وأصل المصريين ١٤٦ . نحو توحيد البلاد - ١٥٢ . تنظيم نتيجة السنة الشمسية . ١٥٤ . مينا وتوحيد البلاد - ١٥٧ . مصادر التاريخ المصرى القديم ١٦٦ . الألقاب الرسمية للفرعون - ١٦٩ . مقاطعات القطر المصرى منذ أقدم العهود - ١٧٤ . تقسيم البلاد إلى أربعة أقاليم - ١٧٨ . رموز المقاطعات وآلهتها - ١٨٩ . آلهة المقاطعات . ٢١٤ . نظرة إجمالية فى أصول الديانة المصرية - ٢٤٧ . مصادر المقاطعات فى العهد الفرعونى وما بعده - ٢٥٦ . مصادر فصل الديانة - أهم المصادر الأصلية



٢٦٧ . الدولة القديمة (الأسرتان الأوليان) - ٢٦٩ . ملوك الأسرة الأولى -

مينا - عحا - زر - زت - ودمو عزإيب - سمرخت سمنبتاح - قع - الوزير حاما كا  
٢٧٥ . ملوك الأسرة الثانية - حتب سخموى - نب رع (كاكاو

تقرا إن - بر إيب سن - خع سخموى - ٢٧٨ . الأسرة الثالثة - الملك

زوسر - خع با - نفر كا - حو (حوفى) - ٢٨٣ . الأسرة الرابعة - عصر

بناة الأهرام - الملك سنفرؤ - ٢٨٧ . الملك خوفو - ٢٩١ . الهرم الاكبر - ٢٩٥ .

الملك ددف رع - ٢٩٧ . خفرع - ٣٠٠ . أبو الهول - ٣١٠ . منكاورع -

٣١٣ . الملك شبسكاف - ٣١٩ . الملكة خنت كاوس - ٣٢٣ .

الأساطير التى قيلت عن الملكة « خنت كاوس » بانية الهرم الرابع بمنطقة

الجيزة - ٣٢٨ . الأسرة الخامسة - ٣٣١ . الملك وسركاف - ٣٣٣

الملك سحورع - ٣٣٧ . الملك نفر إركارع (كاكاو) - ٣٤٧ . الملك

منكاوحر - الملك إيسيسى - ٣٥١ . الملك وناس - ٣٥٤ . ظهور عبادة

الإله « رع » فى الأسرة الخامسة - ٣٦١ : الأسرة السادسة -

٣٦٥ . الملك ييبى الأول - ٣٧٣ . إخضاع عصيان الأقوام المقهورة -

الحملة ضد فلسطين - ٣٧٧ . الملك مرن رع - ٣٧٨ . الحملة إلى محاجر

« إيهات » ببلاد النوبة ومحاجر الفنتين - ٣٧٩ . البعثة إلى محاجر المرمر

فى « حنتوب » فى مصر الوسطى - ٣٨٢ . الحملة الأولى - الحملة الثانية -

٣٨٣ . الحملة الثالثة - ٣٨٤ . الملك ييبى الثانى (نفر كارع) -

٣٩١ . حملة « سبنى » واحضار جثة والده - ٣٩٥ . « زاو » وزير « ييبى

الثانى » - ٣٩٨ . سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية - ٤٠٠ . تحذيرات

نبى - ٤٠٦ . الأسرتان السابعة والثامنة - ٤٠٧ . الملك « خندو » -

- الملك « نفر كارع » - الملك « رع إن كا » - ٤٠٨ . الأسرة الثامنة القفطية .  
٤١٤ . الأسرتان التاسعة والعاشرة - ٤١٥ . « خيقي الأول » -  
خيقي الثاني « - ٤١٨ . « أتف غا » المؤسس لبيت طيبة -  
٤٢٠ . « خيقي الثالث » - ٤٢١ . ظهور أتف العظيم وتلقيه بلقب  
الملك - ٤٣٣ . مراجع التاريخ المصرى فى عهد الدولة القديمة - ٤٣٨ .  
( قائمة ) بمقاطعات الوجه البحرى - ٤٤١ . ( قائمة ) بمقاطعات الوجه القبلى -  
٤٤٥ . فهرس الجزء الأول - ٤٤٨ . خطأ وصواب :  
خريطة الوجه البحرى - خريطة الوجه القبلى .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٢	البرودة	البرودة	٣٤٦	١	وسأدع	وسأدعو
٢٠	١١	تلى	تلا	٣٤٦	١٧	يشكوا	يشكو
٣٤	١٠	ققد	قد	٣٤٩	١٢	ينفس	يتنفس
٣٧	١	هامش (١) مزين	مزينا	٣٤٩	١٧	شاطي	شاطئا
٧٢	١	والهامش حمامية	حمامية	٣٥٢	٥	متاشبية	متشابهة
١٢٢	٥	مباني	مبان	٣٥٢	١٣	ينفذ	ينفذ
١٢٥	١	عاما	عام	٣٦٤	١٢	الحجارين	الحجارين
١٣٩	٥	معهدا	معهد	٣٧٥	١	عند	عن
١٤١	٩	أنحاء	أنحاء	٣٨٢	١	الأحول	الأحوال
١٦٦	١	هامش (٣) العقاب	العقاب	٣٨٣	٩	رؤساو	رؤساء
١٨٠	٥	ذات	ذو	٣٩٤	١	الهامش ثلثاي	ثلثي
١٨٤	١٤	كل	كلا	٣٩٦	٢	وريثا	وارثا
١٩٤	١	الهامش عشر	عشرة	٤٠٢	٨	يشاهدون	يشاهدن
٢٠٦	١	متمصينها	متمصيا	٤٠٩	١٥	مقاطعة	مقاطعة
٢٠٨	١٣	من	إلى	٤١١	٩	يشموا	يشمور
٢٢٨	١	الهامش أوزير	أوزير	٤١٤	١٦	الإلهة إلهة	الإلهة إلهة
٢٣٩	١	الهامش قابض	قابضا	٤١٥	١٧	ونسبة	ونسبه
٢٩١	٩	وضاع	ضاع	٤١٩	١٤	يمضي	يمض
٢٠٣	٨	نحوها	نحو	٤٢٠	١٧	هاتين	هذين
٣١٦	٦	اعلنا	علنا	٤٢٥	٤	منعم	مفمما
٣٣١	١٦	معبد	معبد	٤٢٥	١٢	مدن	مدنا
٣٣٤	١٣	لاعدادها	لاعدادها	٤٢٨	١٧	ينس	ينسى
٣٤٣	١٣	يوقفنا	يقفنا	٤٣٥	٣	مستندا ...	مستندا على

نأسف لأن عين الطابع قد غفلت عن بعض الأخطاء. وقد صرحنا لهم منها هنا وبالباقى لا يخفى على خطنة القارى.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٤٠٩ / ٢٠٠٠

---

I . S . B . N 977 - 01 - 6754- 1